



This PDF was generated on 05/01/2017 from online resources as part of the Qatar Digital Library's digital archive.

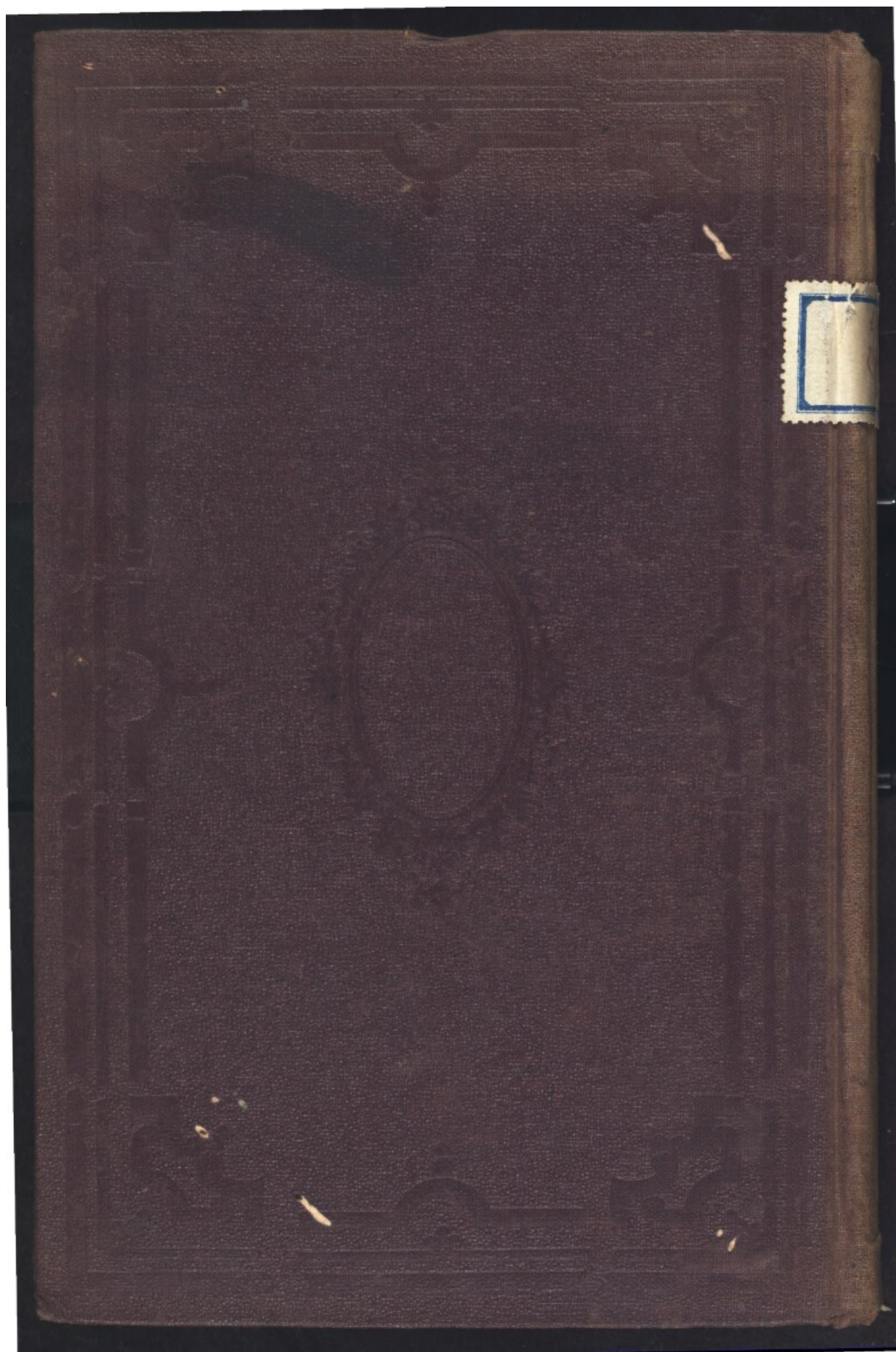
The online record contains extra information, high resolution zoomable views and transcriptions. It can be viewed at:

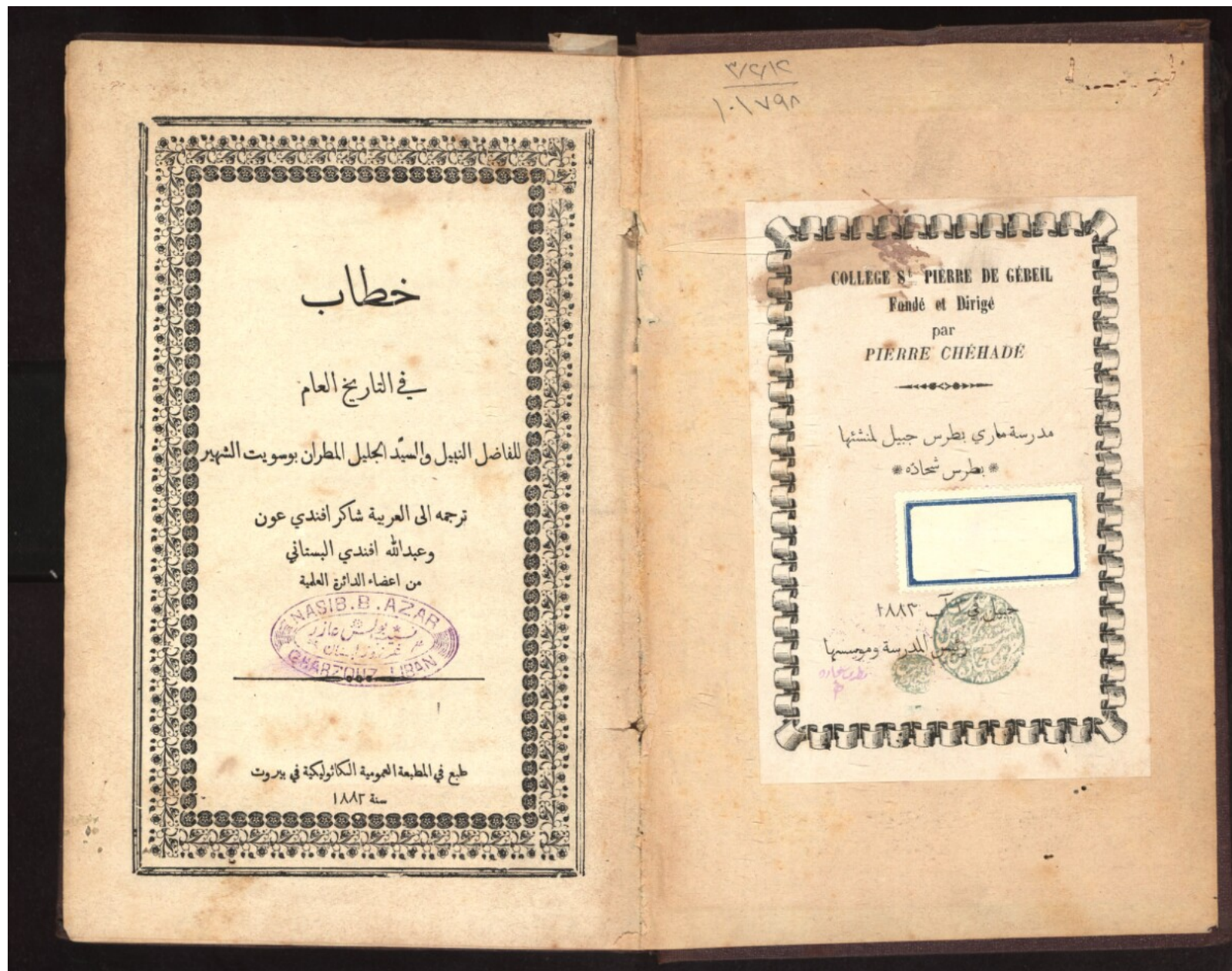
<http://www.qdl.qa/en/archive/qnIhc/12918>

Reference	12918
Title	Discourse on Universal History
Date(s)	1882 (CE, Gregorian)
Written in	Arabic in Arabic
Extent and Format	178 items
Holding Institution	Qatar National Library Heritage Collection
Copyright for document	Creative Commons Attribution Licence

About this record

This work is a translation into Arabic of Jacques-Bénigne Bossuet's history of the world, *Discours sur l'histoire universelle* (Discourse on universal history), in which the author argues for the divine right of kings. Bossuet's book, originally published in 1681, is regarded as a classic statement defining the monarch as the embodiment of the state. Bossuet wrote the book for the benefit of the crown prince of France and based his argument on an interpretation of Biblical history. The work was translated by 'Abd Allah al-Bustāni. It was commissioned for translation and publication by Bishop Yūsuf ibn Ilyās al-Dibs, primate of Lebanon and president of al-Da'irah al-'Ilmiyah (The Scientific Society). It is difficult to understand why the bishop selected this work, since the political circumstances of the Ottoman Levant of the late-19th century differed radically from 17th century France. He may have endorsed it for its edifying content and judged it appropriate for teaching in schools under his authority. The work was printed at the Catholic Press in Beirut in 1882, which at the time was administered by Bishop al-Dibs. 'Abd Allah al-Bustāni was a Maronite Catholic writer and teacher of Arabic. Little is known of Shakir al-'Awn, whose name appears on the title page as co-translator.







* ٢ *

المقدمة

الحمد لله الذي اتم الخلف . بكتابة اعمال السلف . وجعل التاريخ تذكرة للمتقدمين
وتبصرة للمتأخرين وبعد فلا يذهب عن ذوي الاستبصار ان فن التاريخ ذو جده
عظيم يتدرع بالمرء الى ادراك الطوارئ العارضة ويتكسب به عن المزلات التي التفت
بكتيرين الى مرامي الضلالة غير انه غذا عزيزا في امصارنا يكاد لا يكون امرا مذكورا .
مع ان علماء العرب بسطوا له من العناية مهادا رحيبا وأثروا في شانه كل فكترة
وقادة فجمعت مؤلفاتهم فيه صادقة الرواية يعطش سمن القناد لديها ويرتاح اليها كل
بصير منشوق الى الانباء الخالية . فأدى بنا الامر ان نقضى كتبهم ونستظهر بها لدن
بث الاخبار الخطيرة ولا سيما سوابق العصور وما وقع فيها من تأصل الشعوب وتقلبات
الدول . على ان ترجمة الكتب الكبيرة تستغرق من الزمان مدى قسيما وتبذل في
سبيل طلبها نفقات وافرة . فبعد ان صرف الروية في امر ذلك ذوالهمة الباذخة
والعزيمة الرابضة من لا يعلق به فتور عن اذاعة العرفان في اصقاعنا العربية العالم
العامل والخبير الفاضل السيد يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت ورئيس الدائرة
العلمية ورأى ان من ائتمن الكتب في هذا الباب الكتاب النفيس الذي وضعه
لوفي عهد ملك الفرنسيس الخبير النبيل والسيد الجليل بوسويت الشهير اسقف مدينة
(مو) اوغز الينا بترجمته من الافرنسية الى العربية فتلقينا ابعازه بالادب والارضوخ
وتطلنا على ذلك الشان رازحين تحت عبء باهظ لا يقوم به من كان نظيرنا لشعورنا
باننا قاصرون عن توشي هذه المائنة . ولا ريب ان هذا الكتاب كثاف اسرار البلاغة
وصائع عميد المعاني اجم صباغة فلند سلك به مؤلفه المسلك الغريب وسبكته في
قالب عجيب . فانه اوعب فيه بوجيز العبارة وخفية الاشارة المحوالت الدينية والمدنية
من لدن ادم اني البشر الى عهد كركوس الاكبر . ففي الجزء الاول منه ابان ان لم
يطرا حادث في الكائنات الا باذن فاطر الارض والسموات . وان احتدام الحروب
الرائعة وتغير عادات الشعوب في الشؤون السياسية والادبية ما يودعي الى الغاية



* ٤ *

التي وضعها عز وجل . وفي الجزء الثاني أنبأنا بمؤثر الحوادث الدينية ان العناية
الصدية قادت النوع الانساني من حال الى اخرى فواصلتهم الى المسيح الذي هبط
الى الارض فمن شريعة ازلية بدلاً من الشريعة الموسوية . وفي الجزء الثالث اشعرنا
بارتفاع الممالك وهبوطها ان العناية الالهية كانت تدبر الامور لتكون توطئة لاداعة
الانجيل والدين المسيحي وان الممالك الكبيرة اصبحت في غنى عن توحيد الشرائع
والعادات واللسان بعد ان توطدت اركان الدين على البسيطة . وقصارى القول ان
هذا الكتاب بمثابة تبصر للناظرين وتذكير للمتقدمين فنسأل الله ان ينفع به مطالعيه
وانا لندرجهم ان يعاملونا بالرفق ويسدلوا على ما يعثرون من الاعلاط سبحانه المستر
والمعذرة فان لله العصمة وليس لغير الكمال

خطاب

* في التاريخ العام *

* بسط لدى ولي عهد فرنسا *

مقدمة

في غاية تاليف هذا التاريخ وتجزئته الى ثلاثة اجزاء

ان التاريخ ولو قدر انه غير مأجور على نفع لعمامة الناس فلا ندعة للملك ان
يضر بها بينهم وبين مطالعته ستاراً . فانهم لا يعثرون على وسيلة ينفع سواه تنشر لديهم
ما طرأ من الاحوال والاعراض وخصب الايام وحادثاتها والآراء سديدة او خاملة . وليست
مؤلفات التاريخ من سوى ما لوفيات اعالم الخالية . ولا تخرز الا ما يعود عليهم بالنفع
العظيم . وان فني لم ان الاختيار يقع لم ابواب الحصافة والحكمة ليلوا صروح الاحكام
عادلين فمن اهم الشؤون ان لا يندفع ظهراً بل يقتضي ان ينسبوا الى ما عانوا منه في
سالف الدهر ما يتهكمون فيه وهم منفسون في نعيم احكامهم طول ايامهم المتواترة .
ولا يندعهم ان عكوفهم على علم التاريخ نتيجة تؤذيهم الى تعزيز ولاهم دون ان يغالبوا
في ترهات الخطر المليون لدى وقوفهم على الحوادث الغابرة فذلك يصدم عن ولاه
احوال يشرفون بها على المخاطر بنفثة مرثوسهم والناء مجددم الخاص الى مهاوي الانلال .
حتى اذا ما جامت طيور بصائرهم على ما كان مطلوباً من مساوى الملوك الظاعنين
ورأوا ان اطروقات اشياء عليهم كانت منظومة في اسلاك الذهان عنت لم بذلك عبرة
وخامرهم الاستخياء بمصر زاهفة سببها المصانعة والتدليس وعلوا ان السوء دموكول
الي ما يترتب من الاهلية والاستحقاق

ومن الامور التي تبعث على الاستخياء وهي التي لا تعي في داترها الملوك فقط بل
تستغرق افراد الانسان الذين يرايون مغاير الخشونة ويظهرون الى مسالك المدنية







* ٦ *

يعيش راعياً للواشي قدّم قربانه لله فحاز من لدنه قبولاً وكان قايماً غانصاً في عباد
الخشّة والدعاة اقام التراب لله فانزع عليه عناكب الالهال مردولاً فبعثه الجسد على
الانقاع باخيه قتلاً فعاقبه الله البيا وزارت الشعلة في ضميره وبلا وثبوراً مستمراً فاخذ
بهم على وجهي نائمها ليتوارى من غضب الجنس البشري له وانتقامه منه فساد ذلك العمل
التي مدينية في اول المدائن ليلود بها متوارياً من حنى الجنس البشري منه واخترع بنوه
بعض ما تدور به رضى صناعته وحكمت فهم الاهواء النعنية عسفاً ومهاقت الجنس
البشري على الشر وامتلات القلوب مكرّاً غربياً لكما برز ثمة قسراً عن ذلك الفساد
اعتقبت لثبث طابوا سريعاً واخلصوا النية لله وتخلص اخنوخ من بين الملاء الذين
لا يستحقون ان يكون في حوزهم صاعداً من بينهم باسم لا يتره عن الخوارق
(٢٠١٧-٢٩٧٨) وانفرز اولاد الله عن اولاد الانسان ابي الذين يرضخون لاحكام
الجسد عن يرضخون لاحكام النفس بيد انهم امتزجوا فيما بعد واخذوا يعنون مسندين
فهاج عليهم الغضب من لدنه تعالى فاعيد هلاكهم بحكمه العادل واوعز الى عبد نوح ان
انذرهم هلاكاً رائعا ان ليثاً معتمنين عن السالبة التوبة (٢٤٦٨-٢٤٦٨) فلم
يرعوا عن غمهم بل تصللت قلوبهم فانزل عليهم السيل مدراراً واغرغمهم في غمر
الطوفان هالكين (٢٣٤٨-٢٣٠٨) واتخذ من ذلك نوحاً وآل يبنو ليكونوا ذخراً
يتولد منه جنس البشر. فذلك ما حدث سنة ١٦٥٦ سنة وتلك بداية الفوارخ طراً
ولاحت قدرة المهيمن المتعال وانصحت حكمته الرفيعة وجودته الفائقة واصبح عبق الارز
مخبوذاً تحت اكافو وحليف الارجاس مرضوضاً تحت اثنال غيمو غير انه لم يياس من
اباب الاتيم الى التوبة. وبدا للانسان اسى مثابة من العظمة والرفعة لدن فطريته وامتاز
بخلو منه دخل وليمة المفاسد وظهر جنوحه الى البغضاء والجسد فامتار سيف الظلم
واتشر ما كان مطلوباً من الاسباب الداعية الى اصلاح نيران المظالم والفتن وباجاز
القول تبينت مبادي الدين والآداب

واتخذ نوح مع النوع الانساني اثار الصنائع التي كان بنو الانسان يارسونها منذ
فطرتهم وهي قوام للعاش والملاذ او التي قد اخترعوها فيما بعد فاما الصنائع التي كانوا
يعرفونها بداهة بدء وهي فن الزراعة والرعاة وليس الكساء وربما فن البناء ايضاً فقد
ابوح انهم تعلموها من الباري ولهذا لا نرى بداهة هذه الفنون في ارجاء المشرق حيث

* ٧ *

امتدت الاجناس البشرية (١)

اما اخبر الطوفان العام فقد تدولت الاسن في اقطار البسيطة كلها واصبحت السفينة
التي كانت ملجأ لنوح وآل نوح بذكرها الالسة في الشرق واسبيا في الانحاء التي استوت
عليها بعد نضوب الماء فهذه الحوادث كلها مسطرة في باطن تاريخ السنين ومروية في
تقليدات الشعوب الفارطة فان الاعصار ليست عربية من المطابقة لبعضها فما حدث
من الشون في الاعصار الآتية ينسب الى ما طرأ في الاجيال الماضية

العصر الثاني

في الكلام عن نوح او الطوفان

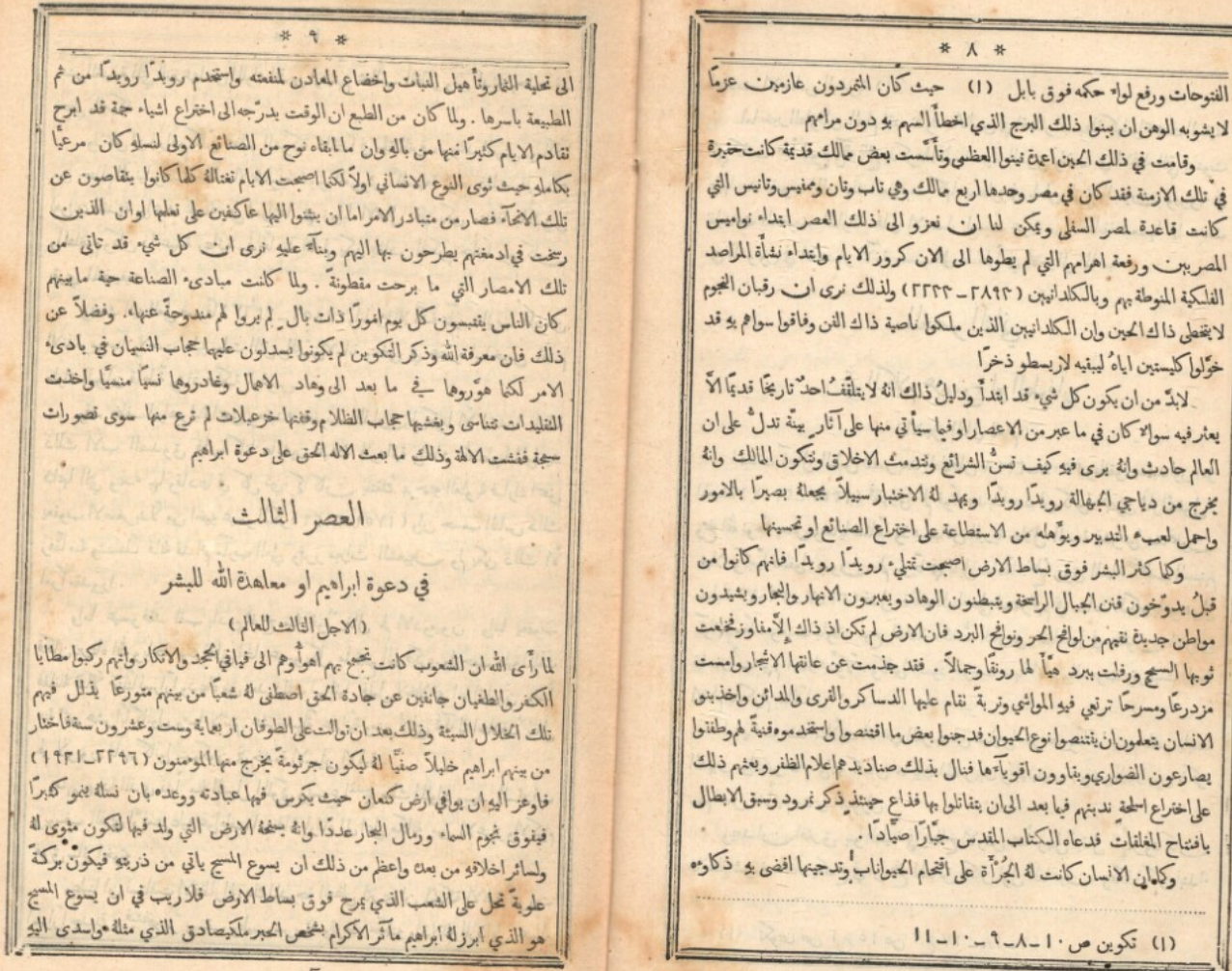
(الاجل الثاني للعالم)

اخذت آجال الناس تقصر بعد الطوفان ٢٣٤٨-٢٣٠٨ وظفوا يستبدلون امر
المعشة (٢٣٠٧-٢٣٤٧) فقبحوا لم قوتاً جديداً بعد ان كانوا يلبثون ثمار الحقل
ومع الله نوحاً بعض وصايا شفاهاً وذهبت من البرية خلال الضمة فشرعوا يشاعنون
خيلاً وكبرا فعلقوا بينوت لم يرجا في بابل شاهقاً ينطق روق الماء فتخلبت السنهم
متبلبة (٢٣٠٧-٢٣٤٧) فدل ذلك البناء على استغراقهم في سبات الكبرياء وخمول
آرائهم معاً. ولعبت باولاد نوح الثلاثة اكف النريق فتفاصوا في بطون الارض
فاجتذرت بهم اجتذره أولاً. وكانوا اصولاً تفرعت منها الامم والشعوب وترطبت العنة
الانام بذكرهم خالداً

اما يافث فقد امتلات افاصي الغرب من نسله واستمر معروفاً ما بينهم بلقب يافث
الشهير. واشتهر حام وابنه كعمان ما بين المصريين والفينيقين. ونشر العبرانيون ذكر
سام اصل نشأتهم مدى الدوران

وبعد ان افترق بنو الطيبة في بطاح الارض نشأ رجل يقال له نمرود كان
ذخلة شرسة فاخذ يكبح في ان يفتح المدائن فكان اول الفاتحين وهكذا كان ابتداء

(١) تكوين ص ١٥٢ ص ١٥٣ ع ١٧-١٨-١٩



الفتوحات ورفع لواء حكمه فوق بابل (١) حيث كان المشردون عازمين عزماً
لا يشوبه الوهن ان يبنوا ذلك البرج الذي اخطأ السهم به دون مرامهم
وقامت في ذلك الحين اعمدة نينوى العظمى وتأسست بعض ممالك قديمة كانت حاضرة
في تلك الارسة فقد كان في مصر وحدها اربع ممالك وهي تان ومنيس وتانيس التي
كانت قاعدة لمصر السفلى ويمكن لنا ان نعزو الى ذلك العصر ابتداء نوايس
المصريين ورفعة اهرامهم التي لم يطلوها الى الان كروار الايام واعتداء نشأة المراسد
الفلكية الموطنة بهم وبالكلدانيين (٢٢٩٢ - ٢٢٩٣) ولذلك نرى ان رقبان العجيم
لا يتخطى ذلك الحين وان الكلدانيين الذين ملكوا ناصية ذاك الفن وافاقه سوام به قد
حاولوا كسب نيبه لايته لارسطو ذخراً
لا بد من ان يكون كل شيء قد ابتدأ ودليل ذلك انه لا يتلقف احد تاريخاً قديماً الا
يعترف به سواء كان في ما عبر من الاعصار او في سياتي منها على آثار عينة تدل على ان
العالم حادث وانه يرى فيه كيف تسن الشرائع وتدمت الاخلاق وتكون الممالك وانه
يخرج من دهاجي الجبهالة رويداً رويداً ويهد له الاختبار سبيلاً يجعله بصيراً بالامور
واحمل لعبه التديير ويؤمله من الاستطاعة على اختراع الصنائع او تحسينها
وكما كثر البشر فوق بساط الارض اصحمت تنبلي رويداً رويداً فانهم كانوا من
قبل بدو خيون قن الجبال والراحة ويتبطنون الوهاد ويعبرون الانهار والبحار ويشيدون
مواطن جديدة تنهم من لوايح الحر وتوايح البرد فان الارض لم تكن اذ ذلك الامناز فحمت
نوبها السمع ورفلت بهرد فبها لما رونقا وجمالا . فقد جذبت عن عانتها الاشجار وامست
مزدرة ومسرحة ترتعي فيه المواشي وثرية تنام عليها الدساكرو القرى والمدائن واخذ بنو
الانسان يتعلمون ان يتنصوا ونوع الحيوان قد جنل بعض ما اقتصدوا واستخدموه فنية لم يطلوها
يصارعون الضواري ويتناولون اقوياءها فنال بذلك صناديدهم اعلام الظفر ويهيم ذلك
على اختراع الحقبة نديهم فيها بعد الى ان يتقاتلوا بها فذاع حينئذ ذكر نرد وسبق الابطال
بافتتاح المغلفات فدعا الكتاب المقدس جباراً صياداً .
وكما ان الانسان كانت له الجرة على اتحام الحيوان اب وتدجينها اقضى به ذكوره
(١) تكوين ص ١٠ - ٨ - ٩ - ١١

الى عملية الفاروتاهل النبات واخضاع المعادن لمنفعتهم واستخدم رويداً رويداً من ثم
الطبيعة بأسرها . ولما كان من الطبع ان الوقت بدرجه الى اختراع اشياء حجة قد ابرح
تقدم الايام كثيراً منها من بالوان ما ابقاه نوح من الصنائع الاولى لنسله كان مرغياً
بكامله حيث نوى النوع الانساني اولاً لكنا اصحمت الايام تغالبه كلها كانوا يتقاصون عن
تلك الامتعة فصار من متبادر الامرا ما ان يبنوا اليها عاكفين على عملها او ان الذين
رستت في ادمغتهم بطرحون بها اليهم وينتج عليه نرى ان كل شيء قد تاتي من
تلك الامصار التي ما برحت مفطونة . ولما كانت مبادئ الصناعة حجة ما بينهم
كان الناس يتبنون كل يوم اموراً ذات بال لم يروا لم مندوحة عنها . وفضلاً عن
ذلك فان معرفة الله وذكر التكوين لم يكونوا يسدلون عليها حجاب النسيان في يادى
الامر لكنا موروها في ما بعد الى وحاد الاهال وغادروها نسباً منسياً واخذت
التقليدات صناسق وينشجها حجاب الظلام وقفتها خربلات لم ترع منها سوى قصورات
سجة ففتشت الالهة وذلك ما بعث الاله الحق على دعوة ابراهيم
العصر الثالث
في دعوة ابراهيم او معاهدة الله للبشر
(الاجل الثالث للعالم)
لما رأى الله ان الشعوب كانت تتجمع بهم اهورهم الى نواحي المجد والانتكار وانهم ركبا مطايا
الانكروا الخلفان جانبين عن جادة الحق اضلوا له شعباً من بينهم متورعاً يذل فهم
تلك الخلخال السبئية وذلك بعد ان نالت على الطوفان اربعة وست وعشرون سنة فاختار
من بينهم ابراهيم خليلاً صنيلاً له ليكون جرثومة يخرج منها المؤمنون (٢٢٩٦ - ١٩٢١)
فاوغز اليه ان يواقي ارض كنعان حيث يكرس فيها عبادته ووعده بان نسله فهو كبيراً
فيغزو بنعيم السماء ورمال البحار عدداً وانه يهبط الارض التي ولد فيها لتكون مثوى له
ولسائر اخلاؤه من بعد واعظم من ذلك ان يسوع المسيح ياتي من ذريته فيكون بركة
علوية تحمل على الشعب الذي يرح فوق بساط الارض فلا ريب في ان يسوع المسيح
هو الذي ابرز له ابراهيم ما اثر الاكرام بالخص المحرم مكتصاد الذي مثله مناسدي اليه



* ١٠ *

عشر الغنمة التي انتزعها من الملوك الذين ارهبهم مخالب الظفر ومن لدنه وحده قد حظي بالبركة

ولا يخفى ان ابراهيم كان عظيم الشوكة غائصاً في لجة الثرف ورغد العيش وما كذا من حطام الدنيا وحذاقها مالا يجاوزه ذور العروش السنية ومع ذلك فلم يدع لعوائك النديّة بواعث تحمله على اسرارها في زوايا الاهمال فلم يكن متأنقاً بالملبوس والمطعم وكان ذا عيشة رعائية سذجاً بيدائه لم يكن يفادر الكرم جانباً يوم كان يقري المتضيقين

وبعث اليه العلي صديقاً (٢٢٦٧-١٨٥٦) وانذره الملائكة بمآرب الرب فاذعن للانذار موسماً ولاحث عليّ سيات التي والامانة ونهض في عصره ايناخوس اقدم ملوك اليونان قاطبة وشاد مملكة ارغوس .

وقد خلف ابراهيم ابنه اسحق وخليفته يعقوب اللذان لم يكونا الا لقيديا بامانة ذلك الاب الصدوق فانما كانا عائشين عيشة الرعائية واعاد الله عليهما المواعيد ذاتها التي وعده بها وقادها في كل شيء كما كانت يفتك برحمته العلوية فبارك اسحق يعقوب الاصغر بدلاً من اخيه عيسو البكر (٢١٢٩-١٧٥٩) وان حسب الناس ذلك زهفاً منه وشططاً فانه قد اتم ما رآه العلي وقرر ميراث الشعبين ولم يكن ذلك الا امرأ مقدوراً .

واما عيسو فقد لبس بادوم فخرج منه قوم يقال لم الادوميون . واما يعقوب فكان يرضاه الله وباخذ يده فناق اخاه عيسو بكل ما يجمع اليه فكره . وازحف عليه الملك فقاتله قتالاً ممتلئاً اسراراً ودعاه من بعد ذلك اسرائيل فقبل لاخلافه اسرائيليون ونشأ منه اثني عشر اباً كانوا رؤساء لاثني عشرة قبيلة عبرانية ومنهم لاوي نجاه له اخلاف يقال لم لاويون فانهم كانوا يهتمون في خدمة الاسرار الالهية .

ومنهم يهوذا الذي نشأ منه النسل المملوكي ويسوع المسيح ملك الملوك وسيد الماديات ويوسف الذي ارتقت عليه عواطف ايو فانه ارقاه الى اعلى مكانة من الاعزاز والاکرام فوق شائر اخوته .

وعلياً ان نستلفت الانظار الى هذه المدرجة العظيمة لثري ان الحكمة الالهية ابرزت اسراراً جديده . فيتضح بر يوسف وطيب سريرته وفرط حكمته واذلاله الرذائل بمجسام

* ١١ *

ذكاؤه الخائب واهتمامه بتقواها في خوته واحكامه السرية والنبوة وصبره عرضة لحسد اخوته كما كان قابين (١٧٢٨-٢٠٩٧) وبيع هذا الابي الصالح واصراره على الامانة نحو سيده . وعذابة الغريب الذي سبب له اضطهاداً عظيماً (١٧١٧-٢٠٩٣) وحبسه مغلولاً وثباته وثباته وخلصة العيب من دركات السجين وتعبيره لاحلام فرعون (٢٧١٥-٢٢٠٩) واستنباله والمعينة السامية واستقامته ورعاية الله له التي اتاحت له السلطة مسخرة ايان حل وتصره في ما سباني من عواقب الامور وارائه المدينة وقبضة في مصر السفلى على زمام السلطة المطلقة التي مكنته من انقاذ ايو واسرته

اما بنو اسرائيل فقد نالوا الرضى والاعزاز من لدنه تعالى واخذوا مصر موطناً لم وقد كانت قاعدتها وقنتها مدينة تانيس وكان ملوكها يلقبون بالفرعنة ١٧٠٦-١٧٠٦ وبادهت المنة يعقوب ٢٠٥٩-١٦٨٩ وتباً عند احتضاره نبوة دائمة الصيت ابارك لاولاده فيها الحالة التي ينطرق اليها اخلاصهم وابان ليهودا زمن الخلق الذي ينشأ من نسله فلم ير على سراه يعقوب زمن قصير الا اصبحوا شعباً تجمد به الارض فاحتمت قلوب المصريين عليهم حسداً وبغياً وطفقوا يعاملونهم بالاساءة والجور وبطرحوا الرحمة عنهم جانباً فاقام الله لهم موسى نصيراً ١٧٢٥-١٥٧١ واستلفت اليه انظار ابنة فرعون الهاماً فانتدته من مياه النيل واخذته ابناً وقامت باعباء تنفيذه حسب حكمة المصريين وقد كان المصريون اذ ذاك يعبرون مهاجرين من ارضهم الى ارجاء مختلفة من اليونان . فناد سكرتير تحلة من مصر الى هنالك بنت اثني عشرة مدينة او بالاحرى اثني عشرة قرية ١٦٤٣-١٥٥٦ ثالثت منها مملكة اثينا ففر فيها نوايس وطنو والاله التي يودون لها العبادة في مصر وحدث في تسالية بعد ذلك بوجيز من الزمن طوفان ديكالون فتوسم اليونانيون انه الطوفان العرمي واتسع نطاق الحكم لهيلان بن دكالون في جهة قتيبة من بلاد تسالية فانتفى اليه اليونان في تلك الامصار فتلقوا بالهيلانيين بعد ان كانوا يتلقون بالكرتيك واما اللاتينيون فلم يحفلوا بذلك بل لبوا بلقيتهم بالاسم القديم وبغرية من ذلك المصراحتل كادموس بن اجينور بخله فينيقية الى بلاد اليونان اخذاً معه الهة سورية وفينيقية فوطد اركان تاسي في بلاد هوسيا واماموسى فقد كان وقتئذ يبلغ اشد متاعاً فاما وصل الى سن الاربعين من اجله نبذ وراءه الترف والعم في البلاط الملكي واستمضت مآثر الرحمة والرافة ليزجرح الاعتقال التي



* ١٢ *

كانت تعني اخوة الاسرائيليين (١٦٨٥-١٥٣١) فتصدى للاخطار الويلة رجاء ان يخلصهم من تلك الحياثل المكيدة لكنهم لم يكونوا لينعموا فرصة غيرته ويخذوا جرأته عجباً لم يل اسجماً عليه غضب فرعون فولد مديراً من تلك الاقطار الى جهة مدين من بلاد العرب فعاد ثمة ببلاد اناحله النعمة لانقاذ المضطدين فهذا الرجل العظيم سواء كان يعز رجاءه من خلاص شعبه او يتنظر زمناً يتبدية الى ذلك قد عمهك في رعاية الضئان هدد سميو بنمورار بعين سنة الى ان رأى العالقة ملتهبة ١٤٥١-١٦٤٦ في البادية فاجاه الله اله ابائهم منها ويعتد الى مصر ليرفع نير الجور عن اعناق اخوته فظهرت حيثن ميرته ودمائه اخلاقه وجرأته وعجايبه وصلادة قلب فرعون والرزيا الهائلة التي اسخطها الله عليه والفتح وجور البحر الاحمر وفرعون والمصريون تلعب بهم ايدي الله غارقين وانتاذ شعب الله من وهاد المسكنة فائرين

العصر الرابع

في الكلام عن موسى او السنة المكتنية

(الاجل الرابع للعالم)

برزت السنة في حيز الوجود فبدت على ايدي موسى ساطعة وذلك بعد دعوة ابراهيم السنة الاربعماية والثلاثين وفقاً للسنة الفانماية والست والخمسين بعد الطوفان والسنة التي نزع فيها الشعب العبراني من اراضي مصر ١٦٤٥-١٤٩١ فان هذا التاريخ لمام جداً لانه الوساطة الكبرى التي تدل على كل الازمنة الفارقة منذ موسى حتى يسوع المسيح وانه ليدعي زمان السنة المكتنية تميزاً له من زمان السنة الطبيعية الذي لم يكن فيه للبشر وقتن من شكيمة سوى القتل الطبيعي واحاديث آباءهم ولما ارج الله شعبه من اعنات المصريين وجورهم وانتادهم الى الارض التي اصطفاهم امتدى بعدونه يو انزل عليهم قبل ان يطلوها السنة التي قضى عليهم برعابتها وكتب مبادئهم على لوحين سلمها لموسى فوق ذروة جبل سيناء وهي الوصايا العشر التي ترتب عليها عبادة ذي العزة والرحمت وتوقف عليها دائرة الهيئة الاجتماعية والتي عليه تواميس اخرى شاد حسب منطلوها قبة العهد رمزاً الى الزمان

* ١٣ *

الذي سياتي والتابوت وما يدل على ان العلي كان يقطنه عجائب الخارقة التي كانت تدوي ونبأه ايضاً بمكانة هارون اخيه الباذخ وكنوته العظيم وحبر بنو الوحيدة التي انبطت بعدته وعهده اخلاقه وطقوس تكررهم وهيئة كسائهم الرمزية ووظائف الكهنة اولاد هرون ووظائف اللاويين والفرائض الدينية التي يجب عليهم حفظها ولاسيما القواعد التي تكفل بحسين عوائد شعبه المصطفى وحسن ادارتهم الداخلية والخارجية وقد نواظوا من نفسه لان يكون شارعهم اما الشعب فقد استمروا بطون البوادي والقفار وزاغوا عن شجة العدل منتردين فالتفتوا لم اصناماً يعبدونها فانذرهم الله عذاباً الياً معاقباً ثم عاملهم بالحنى رحوماً معزياً وقد كان يتقدم بعنايتهم بنفهم رويداً بكل واسطة تعود عليهم بالنفع العميم وبعد ان فتكت بهرون مغالب الردى تولى ملك ايلعازار مكانة الحبرية رصيناً ١٦٠٥-١٤٥٢ وبدا ديب الغيرة في فواد فيبس بن اليعازار فوعده الله بان يكون الكهنوت في حوزة اخلاقه وفي ذاك الحين استمر المصريون ينشرون نخلاتهم في جهات متغايرة ولاسيما في بلاد اليونان حيث دانوس المصري سلب الملك من الملوك الذين من ذرية ابوخوس واستوى ملكاً على عرش ارغوس ولما العبرانيون ففي نهاية تسارهم في البطاح والقباني اصلوا نيران العجاء واغنموا النصف بدعاء موسى مصلياً معتزلاً وبعد ذلك مات ذلك الفاضل القريبه ١٦٠٥-١٤٥١ وترك للاسرائيليين كامل تاريخهم فانه انا لله نقر في تاليه مدققاً ولوعاه كل ما حدث منذ بدء العالم الى يوم موته وقد اتته من بعد يسوع وخلفاء واجتروا الى حملة اسفار منها سفر يشوع وسفر القضاة واسفار الملوك الاربعة

اما ذلك التاريخ فقد اوعب الماموس كاملاً وقسم الى خمسة اسفار غوي مبادئ الدين وبعد ان اغتاله طائلة الموت زارت مواقد الحرب في عهد يشوع ١٥٩٩-١٤٤٥ وفتح الارض المقدسة مظهرراً وقسمها الى اقسام فعنا الشعب وترد وعوقب وتوطد مراراً متباعدة ولكن ذلك جد عتيل في منازلة اعتائهم فانتصر فائزاً ورفع عن شعبه نير العبودية الذي القاه على عواقبهم كوشان ملك ارام ١٥٥٤-١٤٠٥ وبعد ان تقادم على ذلك من الحوول غمانون ظهر اهود على عجول ملك مواب ١٤٩٦-١٣٢٥ وفي وشك ذلك الزمن حكم في يلبونيزيا يلبوس القريبياني ابن طيطال فتسمت تلك البلاد الشهيرة من ذاك الوقت باسم ١٣٢٠-١٣٢٣



* ١٤ *

وقدم الكلدانيون ملكهم باعال عبادة الهية وهبط الاسرائيليون الذين لم يربوا
 جيلاً الى حضيت العبودية فان يابن ملك كنعان ضيق عليهم سعة الارتياح ففرم
 اذلاء منكن ١٤١٦-١٤٠٥ اما النينة دبورة التي كانت قاضية للشعب وباراق بن
 ابيونم فقد استظفرا على سبصارا قائد شعب ذلك الملك العتي واحبطا سعية مديراً
 ١٢٩٦-١٢٨٥ وبعد ان مر من ذلك الآن اربعون عاماً فاز جدعون دون قتال
 واقتفى آثار المديانيين واعمل بهم السيف البائر ١٢٤٩-١٢٤٥ وقتل ابنه ابيالك
 اخوته واخلى السلطة فدانت له صاغرة ١٢٠٩-١٢٠٦ وكان ملكاً جائراً لا يرى
 للعدل جانباً فترعت السلطة من بينو وهلك غير ماجور عليه واما يفتاح ١١٨٧-١٢٤٢
 فقد خضب انتصاره بهرق دمر لا ينفخ الله الثوبة عنه الا بسير الحية لا يطرق اسما عينا
 الباء عنه ولا نحن الى كيه يتوصلين وقد طرأ في ذلك الحين اشياء كثيرة بين الوثنيين
 يصبو اليها السمع لانه على حسب تاريخ هيرودوت الذي ترجمت صحته على غير محب
 ان تحصر تاريخ نبوس بن باعال وانشاء الاولى لدولة النور بمخمسة واربع عشرة سنة
 قبل تشييد مدينة رومية وفي عهد دبورة ١٢٦٨-١٢٦٧ فان هك الدولة العظيمة
 الشوكة والسامية العزة قد كان مركز صولتها في تينوى المدينة التي كانت شهيرة وقديمة (١)
 ومد اليها الملك نبوس بن فارحما ابنة وزين ظاهرها . فان المؤرخين الذين يزعمون
 ان دولة الاثوريين قد استمرت ألفاً وثلاثمائة سنة ياخذون على ذلك دليلاً قديمة المدينة
 واما هيرودوت فانه يقول ان اجلها لم يعمر اكثر من خمماية وعشرين سنة واعتبر
 ذلك وقت بدوخ مكانتها وسيادة سلطتها في عهد نبوس بن باعال الذي جعل شوكتها
 ممتدة في اسيا العليا وقد تشيدت او تجددت مدينة صور في عهد هذا الملك الظافر
 واصبحت في غاية قصوى من الشهرة بسبب مهارة قاطناتها في سلك البحار وبسبب الرحل
 الذين جاهاوها واستندوا في انظار العالم . وبعد عهد ابيالك بقليل من الزمن
 ١٢٣٠-١٢٥٢ لاحت اعال هرقل البطل الصنديد ابن اثفيريون وبدت الحروب
 التي الهب شرارها تاري ملك اثينا الذي احرق في مدينة واحدة كل الدساكر والقرى
 التي بناها ميكروبس وسن لاثينا قوانين سادت لدى الناس شهرة في عهد يفتاح

(١) سفر الدكوين ص ١٠ ع ١١

* ١٥ *

كانت سميراميس ارملة نبوس وولية ابنها نيناس توسع مملكة الاثوريين بكثرة فتوحاتها
 هبت النار المحرقة في ابنة تروادة الشهيرة التي فتحها في سالف الزمن اليونان في عهد
 لومودون ملكها الثالث وهوت دائره اليونان انفسهم واصبحت كأن لم تكن شيئاً مذكوراً
 وذلك في عهد بريام بن لومودون بعد ان حاصرها اولئك اليونانيون عشر
 سنوات ١٢٧٠-١١٨٤

العصر الخامس

في الكلام عن افتتاح مدينة تروادة

(الاجل الخامس للعالم)

في نحو السنة الثلاثمائة والثاني بعد ان جلا اخضاه الله عن مصر سنة الالف والمائة
 والاربع والستين ٢٠٢٨-١١٦٤ بعد الطوفان عشت بتروادة ابدي الدثار فاصبح طود
 عزها مذكوراً هابطاً هبوطاً رائعاً فكان عصر سقوطها مهلاً وسبب اهميته اما ان يكون
 بالحدث الرائع الذي انشد الشاعران المختبران اكبر شعراء اغريقيا وابطاليا اولامكانية
 ما نراه الى ذلك الحين انه ام ما بطراً في تلك الاحاطب التي تدعى خرافية او بطلية
 فسبب تسميتها خرافية موقوف على ان الحوادث الفاريجية كانت وقتئذ مكتشفة بالخرافات
 وسبب تسميتها بطلية موقوف على اولئك الذين دعاهم الشعراء اولاد الالهة وابطالاً ولم
 تكن ايام حياتهم قاضية عن فتوح تروادة العظيمة فقد بدا في عصر لومادون ابوبريام
 ابطل التوازون الذهبية وم جازون وهرقل واورفا وكاستور وبولكس ومن كان
 مشهوراً من نظرائهم في ايامهم السالفة ونشأ في عصر بريام يوم ان حوصرت تروادة
 حصاراً نهائياً اشيل وكامنيون ومينيلوس وعولوس ومكتور وسريدون بن جويتار
 وابنه بن الزمرآ الذي يفتنه الرومانيون اصل نشأهم وابطل اخرون قد كانت شعوب
 عظيمة واقوام حجة يفتقرون بانهم اليهم يعتزون فيناه عليه اصبح ذلك العصر يستاهل
 ان يعزى اليه احراز الحوادث ذات التحقيق والعظمة التي جرت في ايام المختزعات
 الباطلة

اما الكتاب الاقدس فقد انبأنا عن م اشد باسا وعظمة منهم فلانه ذكر لنا قوة



شمعون ووهنة الغربيين ١١٥٣-١١٧٧ وعالي الحبر الأعظم الذي نال الدرجة القصوى من المبرة والزراعة ولقد بادهته الذلة والخمول بجرائر أولاده الخاملين ١١٥٣-١١٧٦ وصوبل من تدثر بدثار العدل نبيا عف الأزار مصطفى من النبي يسوع الملوكة ١٠٨٠-١٠٩٥ وشاول الملك من كان أول من دانته له الأميرة على أصفاء الله فتأز مظهرًا وقدم الثرايين منعظًا لا يطلب من الكهنة أذنا يعاصي أوامر الله معتذرا بالدين فلم يكن عذره مقبولا فاذله الله مردولا . وجعله هاربا هابطا إلى أسفل الحضيض وكودروس ملك اثينا في عصره من استجابت ضحية عن شعبه فكان لم بذلك فوز وغلبة وتنازع من بك الملك ولده مبدون وبه فاغتم حيث لا يثبون الفرصة والغوا السلطة الملوكية واعلوا ان لا يكون عليهم سوى جوبينار ملكا وأقاموا لهم ولاية وأزعج دعوم أركونت وقسروهم على ان يستمروا مبرزين لهم حسابا على كل ما يجشمون من مهام الامر وكان أول من قبض على شقيقة الملك مبدون من كدريس ودان الحكم لعهده من بعده زمانا مديدا وتناثرت الفخلات من اثينا إلى أنحاء آسيا الصغرى فدعيت تلك الأنحاء أبونية وفي ذلك العصر شقه كانت تمتد الرجل الأهوليون فعدت من ثم آسيا الصغرى منعة من المدائن اليونانية وبعد ان شرب شاول كأس الخشوف ١٠٤٠-١٠٥٥ نمض داود فانكا على أريكة الملك وقد كان في بادى الامر راعيا للضئان عجبيا وجندل جليات الجبار صربا واستظهر على كل أعداء الرب فرحبت له ساحات الصولة فاتمها فتمها ميتا وتبأ صالحا ورعا وكان اهلا لا يراز مكتونات الشيد للنعن الصدية وقصارى الامر انه كان رافعا لمشيئة الله كادعاه هو نفسه وشط بهد قد مجرما نائبا فاحال زيفاته لجذ الرب ١٠٢٢-١٠٢٤ وخلف هذا الملك الصالح الجافع إلى الحرب سليمان ولده الحكم عادلا وراعيا في الهدوء والسكينة ١٠٠١-١٠١٤ غلر تخضب يده بالدماء المبرقة ولذلك كان قبيحا بان يشيد هيكلًا لله عظيمًا

١٠١٢-١٠١٨

العصر السادس

في الكلام عن سليمان أو انعام بناء الهيكل

(الاجل الخامس للعالم)

ان سليمان اتم بناء الهيكل لله ١٠٠٤-٩٩٢ في تشرين الثاني سنة ثلاثة الاف بعد الخليفة وفاقا لسنة اربعماية وثماني وثمانين بعد نزوح شعب الله من مصر وان قوبل زمن التاريخ دينيا معه دنيويا نقل ان سليمان انجز بناء الهيكل سنة مائتين وخمسين قبل تشييد رومية وسنة المائتين والثمانين بعد افتتاح نزودة وسنة الالف قبل المسيح فاقام باعيا تكريسه بعظمة وروع عظيمين وكانت معجزات احكامه في امي مكانة من الشهرة وتناهت احكامه بالثريب والمناهب لانه تعي النساء عاشقا فتحدث انوار عقله وضعف قلبه وفسدت قنواؤه وتصدى لعبادة الأوثان جاحدا فالنظر الله عليه غيظا عادلا ثم حامله بالرفق والرحمة كرامة لذكر داود الصدوق عبده لكنه لم يترك عقابه لنكراته الجبيل نسبيا منسيا بل جزأ بعد موته مملكته على عهد ولده رجعم فان ذلك الملك العاني تكبر وطنى فاحصره الله عشر اسباط اقصاص باربعام عن الممهم وملكمهم ٩٦٢-٩٧٥ وصدم عن الذهاب إلى هيكل اورشليم ليفدوا فيه الثرايين خيفة ان يودل الطاعة والرضوخ للملك يهوذا ولهذا اقام لهم آلهة مجولاً من ذهب دعاها آلهة اسرائيل فلعنا في ان لا يرى الشعب ذلك امرا غريبا لكن هذا الصدد حمله على ان يرعى الشريعة الموسوية التي كان يقوم بتاويلها حسب امياله وكان يحض شعبه على رعاية الجبابب الأوفر من الناموس نظاما مدنيا ودنيا فكانت خمسة الاسفار لموسى مرفعة المقام مرغية من اولئك الاسباط الضالين المتفصلين فانتصب لذلك مملكة اسرائيل التي اصبح الكفر فيها سائدا فمنا اهلبا متسددين ونصبت مملكة يهوذا جبال البغضاء والنجاء وأما مملكة يهوذا فقد كانت لاتبذ الدين جانبيا وان كانت لم به كوارث المجد والكفر القديم ولقد كان وقتئذ ملوك مصر يصعدون إلى اطوار العز والشوكة فان اربعة المالك كانت متحارة إلى مملكة ناب وقتئذ ذهب الناس إلى ان سبزوستريرس الفائح الذي ذاع صيته لدى المصريين هو امزرك نفسه الذي قواه الله على ان ينيل رجعم العقاب الرهيب لسبب كفره المبرط ٩٥٨-٩٧١

وان ايام البر ابن رجيم قد انتصر على الاسباط المنفصلين في ايام ملكه انتصاراً عظيماً .
واما ملك اساف ٩٣٧-٩٤٤ فقد كان متديناً ورعاً ونال في الكتب المقدسة اطروقة
من الثناء على ذلك غير انه كان يثق بالاطباء يوم كان مريضاً بالامراض الملهة اكثر مما كان
يثق بنعمة الله وقد بنى عمري ملك اسرائيل في عصر مدينة السامرة ٩١٤-٩٣٤ وجعلها
مقرًا لمدينة الملوك واهتم بعد ذلك يوشافاط ٩٠٤-٩١٤ فازدهرت في عصره
ادباج الدعة والبر واستوى قسطاس العدل ونهد السبل لملك التجار وسادت صناعة
الحرب فتوسم آل اليهودية فيه احكاماً داودية وقد كان في عرس حكمة احاب وامرته
ابرايم مسدلين لواء السلطة فوق اسرائيل وكادحين في انتهاك حرمة الهيبة يزوران
عن طريق الهداية الى الترهات الباطلة وينهاضان على الكفر والمجود فضلاً عما كانا يستندان
بعبادة ياربهم الوثنية ٨٩٠-٨٩٩ فتفكت بها برائن البوس صاغرين وهويا الى
دركات الشقاء هالكين اما الله فقد ابى في فكر عفاً رافعاً فاراد ان يار نابوت
الصديق الذي قتله لثمنه عن ان يبيعه سروراً ارب آياته حسياً تامره السنة الموسوية
فانذرهما بتم عبده اليها الذي عذاباً فاخذ الملك احاب يتصد سبيلاً يقيه من غائلة
الردى فلم يجده ذلك نفعاً فانه هلك متولاً ٨٩٧-٨٨٨ وقد تشيدت في ذلك
الوقت مدينة قرطاجنة ٨٦٠-٨٩٢ فشادها ديدون السورية على ضفة البحر
الرومي حيث تكون محطاً لرحال التجارة وتكون لها السيادة البحرية . ولقد عسر علينا ان
نعرف الوقت الذي يوقفت اعلام الحكم الجمهوري في تلك المدينة لكنها نهد ان
امتزاج الصوريين والافريقيين جعلها مثابة سامية للتجارة والصدام واما المورخون
الاقدمون الذين وقفوا على اثار بنائها وصلوا ان ذلك كان قبل اندراس تروادة العظمى
فقد يؤخذ من كلامهم ان ديدون جعلها في غاية السعة وقوتها وان بنائها لم يكن
موقوفاً عليها . واما ملكة يهوذا فقد بادعها الشومون المتغابرة لان عتاليا بنت احاب
وابرايم انت الى بيت يوشافاط بارحال الكفر والنعاد ٨٨٠-٨٨٥ واما ياربهم
فقد نذر وراء ظهره اعمال ابيه وتملك في ما يقوم بعينه حمرة فحلت عليه يد الرب وكانت
ايام حكمه قصاراً ومات شراً ميتة ٨٧٦-٨٨٥ وقد كانت معجزات الرب في ذلك
تلك العتابات جليلة الوقع بل كان اجلا مصروقاً في سبل انقاذ الاسرائيليين الذين
كان يدعوم الله الى التوبة فاهم عبده ايليا واليسع ان ياتاهم بالمجهرات فتنبأ انا

بالعجائب البينة فلم تدمت بذلك خالماً فقد راعها ابصارهم وعمت عنها بصائرهم فلم
يتوبوا . فان ذنبك النيبين تنبأ في عهد الملك احاب وخمسة من خلفائهم واشهر اذ ذلك
هوميروس وذاع صيت ازبود الشاعر من قبلو ثلاثين سنة فاعز الينا عن تلك المعونات
القديمة والسذاجة الفاتنة التي هي حرية بان تكون ذات بال وتشعر بقدمية الآثار ومن
ذلك فائتج كبرى تبعنا على الذين بعظلة اثار الكتاب المقدس وقدميته وان امورا
رهبة قد حدثت في مملكة يهوذا واسرائيل فان الملك ياهو قد حقن من ايزابل حقناً
بعث على الاقناع بها فامر بطرحها من قمة برج حالي الى اسفل ٨٧٦-٨٨٤ ولم تجدها
الحلل التي كانت تشهرج بها فانه قد امر بها ان تداس تحت سنابل خبولة وقتل ايضاً
ملك اسرائيل المدعق يورام بن احاب فافترضت كل سريرة احاب وكانت السلالة
الملوكية في يهوذا قد اوشكت ان تنفك بها ايدي الابداء والافراس لان احراً الملك
الذي ابوه يورام ملك يهوذا وابنه عتاليا قد تفزع بدمايو قتيلاً في سامرة هو وسائر
اخوته مجبة انه كان يتن واثق الاخاء ييه وبين اولاد احاب ولما تناقلت الالسن ذلك
الخبر واصبح شائعاً في اورشليم ازمنت عتاليا على ان تنيد كل من تراه باقياً من بيت الملك
حتى انها فتكت بالولادها فتبكا ذريعاً وقد بعثها على ذلك الكلف بركوب تحت اورشليم
بعد موت بنها اما يواش ابن احزيا فقد نجى من مكائد جدو بوساطة يوشاباخ اخو
امراة يوباداع رئيس الكهنة التي وازته في مخدع الرب وبذلك الوسيلة الماثورة انقذت
هذا السور القين من نسل داود . وكانت عتاليا في دعة واطولت لاهما كانت تنكر
ان ايدي المية قد اغتالته مثل اخوته . وفي تلك الايام كان ليكورك يسر شرايع باهظة
على مدينة لسيدون وقد احصاه بهام النور والنفيد لانه جعل موضوع كل تلك الشرايع
الحروب الهائلة اقتداءً بيهوس الملك غير آت بنظامات يترتب عليها آداب النساء بل
كان يجعل الشبان في شظف شديد من العيش رجاء ان ذلك يكسبهم قياً بعد قوة على
الاختدار الى كل معصية راتعة وقد كنت عتاليا وقتئذ يخلو لها الجوف في اليهودية لا يفرش
احد لماضيتها فخالفت ان عرش ملكها لا يخل لاهما ليبت حاكمية ست سنوات ولم يشر عليها
احد لكنها الرب اعد لها في هيكلم من يوم بالانتقام منها جزاء نفسها بما فعلت فاق يواش
لما بلغ من العمر سبعة اعوام ٨٧٠-٧٧٨ وقع امر يوباداع الكاهن الى بعض ظهره الجيش
الذين تنجح نفوسهم اليه واستنصر اللاويين على تنصيبه فوق سرير الملك فسمحه اذ ذلك



* ٢٠ *

ملكاً في الهيكل فدانت له الرعة ووثقوا بوخلية لداود وبشافاط ولما ذاع البيا عنه
اسرعت عتالبا على تنعيم المتخالفين له لئلا يدرت اليها الاكف فشد وثاقها وقيدت
الى حيث غودرت تستقي صاب الردى الزولم عتالبا على جرائرها المستكرهة اما يواش
فانوى بعدها على صوة السلطة واعصم بعري السنة الموسوية برعى زمامها طالما كان
يوياداع الكاهن حياً فبعد ان فتكت به اظفار المنية افسد المصانعون فعيد الاوثان
فتشق ذلك على ذكرى البحر ابن يوياداع واراد ان يوتيه فاعوز الى يواش ان ارشنة
بالبحارة رجماً ففعل ذلك غايلاً كل مبررات ابيه ٨٢٢-٨٤٠ ولا ريب في ان تلك
المجربة تاتي بعدها العناب صارماً فان السريان اوسعوه في السنة الثانية تريبجاً واعناتاً
وامتعه الشعب وقته آل بيتو فخلته ابيه امصياً فطاطاً له راس العرش سالكا احسن
منه ٨٢١-٨٢٩ واما مملكة اسرائيل فقد ومن حولها وطولها لكثرة ما ارفقتها عياها ملوك
سوريا وما تولى عليها من الحروب الاهلية لكنها بعد ان اوشكت ان تكون طامسة تمهضت
في عهد الملك ياروبوعام الثاني الذي جر رداء السلوة على سلفائو يتفواه ٨١٧-٨٢٥ واما
عزربا اوامازياس بن امصيا فلم تكن احكامه في يهوذا باقل شوكة ومصال منه
٨٠٢-٨١٠ لكنها عراه بعد ذلك ذاه البرص منضياً واقم عليه القريب كانبانا
الكتاب المقدس نظراً لركوبه في اواخر حياته من المجرة على ان يخلص وظائف
الكهنة بتقديمه كياه الجور على المذبح المعطري عالماً ان ذلك من الامور التي لا يسوغ
لغير الكهنة ان يقوم باعبائها فافترس عن الناس محترماً طيقاً لما نصته شريعة موسى وان
يكن ملكاً فخلته ابيه يوتام واستوى على طود العز عادلاً يسوس البلاد بكل دراية
ودراية وقد شرع الانبياء في عصر الملك عزربا ان يكتبوا نواهم اكتباناً في اسفار
خاصة ويتركونها في الهيكل رغبة في ان تكون اثاراً قديمة للاجيال الآتية واعظمهم هوشاع
واسعيا واما النبوات الصغيرة التي كانت تلى شفاهاً على المسمع فقد اثبتت حسب
المعاد مع حوادث العصر في دفاتر الهيكل وتجددت في سنة ٧٧٦ العاين الملبياك
التي انتفاها هرقل بعد ان كانت مطوية في غابر الايام ملغية زمناً مديداً فتاتي لنا
حماهم الاوليايد باعادة القاب الملبياك ومن ذاك الحين كان حسابات اعلام
اليونانيين واليوكان انتهاء الاجال التي يصفها فرون العالم انها خرافية فالت التواريخ
الدنيوية كانت الى ذاك الحد مشوهة بالخرافات ولم يكن لها نظام سديد ومن ثم

* ٢١ *

حصل شروع في قصص الحوادث التاريخية بكل تحرر وتدقيق واشتهرت الالعب
الاولى بانتصار كوريب وكانت اذ ذاك تعيد كل خمسة اعوام او بعد مضي اربع سنوات
كاملة ولقد كان بصبر الاحتفال ثمة امام اليونانيين في بادىء الامر في يبراثم في ايد
وكل من دانت له النصر ظافراً قابله المشاهدون بتصفيق الاكف وصيخ الاشمات
بضعون على راسه اكليلاً وبناء عليه كانت تلك الالعب مرعية بعين الاعتبار لانهم كانوا
يزدادون بها قوياً وهدياً وفي ذلك الوقت كانت ابطالها ترفل بانواب الخشونة والفول
وكانت للولك اللاتنيين الذين هم من اخلاف ايه حيازة على مدينة الب واما فول
فقد كانت له صولة الملك على الاثوريين وزعم الناس انه كان ابا الملك سردانابال الذي
بلقه الشرقيون حسب عادتهم بساردان بول اي ساردان بن بول وظن ايضا ان
الملك بول او فول الذي اعتريه سرير الملك في نينوا تاب هو شعبه عن سبائهم تنفيذاً
للانذار الذي اوعز به اليهم يونس النبي وقد حملت هذا الملك الثورة التي تعناها الملوك
الاسرائيليون على ان يشن عليهم الغارة ٧٥٨-٧٧١ يده ان منجم اخمد جذوة غضبه
فاقامه سردانابال على اريكة الملك فجازاه منجم على ذلك بالف وزنة ابريزية وفي عهد
ابن سردانابال واخر ولاه كهمنون على الاثيين اخذ هولاء الذين قد اغرهم العادة
بان ينجحوا حيناً بعد حين الى الحالة الجمهورية يوجزون الادارة الاركونية وافضى بهم
الامر بعد ذلك الى ان يحصروها في عشر سنوات وكانت اول من حكم على ذاك النمط
شاروبس

واما روميلوس ورعوس اللذان هما من ذرية ملوك الب لاهما ايليا فقد اقاما ثانية
نيبتور جدها حاكماً على مملكة السوهو الذي كان اخوه اميلوس قد نزع الملك من يد
ومن ثم شادا اعنة رومية في عهد يوتام الذي كان وقتئذ متبوعاً تحت يهوذا.

العصر السابع

روميلوس او تشييد مدينة رومية

ان مدينة رومية التي كانت تروم ان تجعل العالم تحت حيازتها وتكون مقراً للدين
ترعا حشية انها قد تأسست في ثالث سنة من الاوليايد العادس وفي نحو سنة



* ٢٢ *

أربعماية وثلاثين بعد فتح مدينة تروادة العظمى التي يعتنق الرومانيون انها جزئومة
 لاجنادهم وفي سنة سبعة وثلاث وخمسين قبل المسيح ٧٥٤-٧٥٣ وان روميلوس الذي
 ترعرع بين الرعاة القساة القلوب مارنا على المحروب قد كرس هذه المدينة لاله الحرب
 الذي كان الناس يزعمون بوانه ابوه وقد حدث في حين بناء رومية لحوس مملكة
 الاثوريين الاولى وذلك بسبب تخول رأي سردنا بال ووهن قواه ٧٥٩-٧٤٨ لان
 الماديين الذين كانت تطالب نفوسهم بربزير سعي الحرب طغوا وتردوا على ذلك الملك
 المحدث واصبحوا اقوزجا بامهاتو لى الرعية وكان السبب في اثارهم على ارباس والهم
 فلما شرعوا بثورة الثائرين وتردم اقتدوا بهم هائجين وجاهروا بعدم الرضوخ فلما
 رأى ذلك منهم صغرت لديهم نفوسهم وكبر الامر عليهم فذهب الى عاصمتهم نينوا والتي بنسبه
 الى الدارويجيانو ونسأه فاننا حجة حرقاً فتكونت من خراب هذه الدوكة ثلاث ممالك
 عظيمة واما مملكة الماديين التي كانت عرضة للتفكيك فقد اتى عنها ارباس او اورباس
 المدعو لى البعض بقول نيرالسترقاق وبعد ان شوهتها النظلمات الفاسدة قبض
 زمامها ملوك اشكاه وفضلاً عن ذلك ففي الحال بعد حكم سردنا بال ٧٤٧-٧٥٩
 نشأت للاثوريين مملكة اخرى استمرت نينوا حاضرة لها ومملكة اخرى لبابل فانها
 لملكتان تناقلت ذكراها موفات المورخين الديوريين واشهرنا في صفحات التاريخ
 المقدس فمملكة نينوا الثانية شادها تجلت بن فلاس وبناء على ذلك دعي حسب
 عادة الشرقيين تجلت فلاس ولفب ببنوس المحدث واما مملكة بابل فقد شادها
 بالادان الذي يلقب اليونان بلزيس لكه مشهور بلقب نابونصّر ولقد كان ذائع
 الصيت واشهر لدى بوليس والفسكيين الذين يجعلون حسابان منهم من عهد
 ومن الامور التي ترفعت اهبها ان نبوه ان الحسبان او تعداد الموقوف اصطلاح
 يتقنه بنو الانسان ببندى في وقت موصل قد لشهر بجواد ذات بال حملت الناس
 على ان تنسب اليه ولقد كان احاز ملك يهودا غاصاً في لجة الكفر والفساد فانقلب
 الى هذه الضيق والازمة الشديدة فقد ضايقه راسين ملك سوريا وفاقع بن رميا ملك
 اسرائيل بالزحف عليه ففاضله شديداً ولم يجلبها على ارغام انه لا دعوة من العزة
 الصمدية قبله من ان يستنصر الله الذي اثار عليهم هذين العدوين ليعاقبهم على شر التبا
 الى تجلت فلاس ملك الاثوريين الاول ٧٣٥-٧٤٤ فاهن هذا الملك مملكة اسرائيل

* ٢٣ *

وطبق معاقل مملكة سوريا فاضلحت به اضحلالاً وفي الوقت نفسه نهب مملكة
 يهوذا التي كانت قد استعبدته ولذلك هب ملوك اثور مستبظلين واهدوا الى بلاد
 اسرائيل فاتحين ففتحها شلماسر بن تجلت فلاس وجعلها عاقية دارسة ٧١٨-٧٢١
 اما هوشع ملك اسرائيل فقد كان يامل ان سياكون اوسو ملك اثيوبيا الذي فتح مصر
 ان يباخذ يده يذاته ولو كان عظيم الباس والصلوة فقد ضاق ذرعاً عن ان يفتك من
 ايدي شلماسر واما الاساط العشر فلما اصبحت عبادة الرب في درجات الثلاثي
 والاهال سبوا الى نينوا وتبددوا ايدي سبا بين الوثنيين وتواروا عن الوجوه فلم يبق
 للعبود سبيل لان ترى لم اثاراً او عينا وبقي منهم عدد نزر ظل متمزجاً باولاد يهوذا
 قاضحوا جميعهم قسماً صغيراً من مملكة اليهودية وفي خلال ذلك مات روميلوس
 ٧١٥ وقد كان ذلك الباسل الصديد يقضى ايامه في مقابلة الصعاب لا يتقن نائبة الا
 اذها ونال بها لواء النصر ولقد كان في عرض عهده على تاجع نيران الحروب بشيد
 قواعد الدين وبين نوايس لمؤسوس يتسنون بها ولما سادت السكينة وخفت
 الوبى السلام في عهد نيا خيلنيو تخذله ذريعة يتذرع بها الى ثمة اعمال روميلوس
 فوطد اركان الدين ودمت اخلاق الرومانيين بعد ان كانت في حالة الخشونة والفتور
 وقد انشأ في ايامه المهاجرون الذين اتوا من قورنتيه ومن بعض مدائن اخرى في بلاد
 اليونان سيراكيز في جزيرة سيبيليا وكروتون وتارنت وربما يكونون قد شادوا مدناً اخرى
 في انحاء ايطاليا التي لنها رحل اقدم منهم قاطنون في تلك الانحاء ببلاد يونان العظمى
 وفي ذاك العصر كانت حرقيا افضل الملوك طراً واعدهم بعد داود حاكماً في يهوذا
 فحاصره في اورشليم فخارب بن شلماسر وخليفته وضيق عليه بجيشه العظيم لكنما ملك
 الرب اباد الجيش في ليلة واحدة ٧٠٧-٧١٠ ولما رأى حرقيا تلك النعمة التي بهت
 بها اليه العلي رضى وعرف مقدار المنة فتعبد لله هو وشعبه بامانة صادقة وسريفة
 خالصة وبعد ان اتفقت يد الرب نفسه ٦٦٤-٦٦٨ نسي شعب اليهودية في عهد ابوه
 منسى الناصر الجميل خالهم واخذوا يفسدون في الارض ويتدنسون باوجال المنكرات
 وزادت قبائحهم واخذ في ذلك العصر الحكم الجمهوري بنو بين الاثينيين الذين طغوا
 يتقنون الاركونت كل سنة وكان اول من تلم زمام ذلك المصال كرهون ٦٨٤-٦٨٧
 وبما كانت القبايح والكفر يند في اليهودية كانت شوكة ملوك الاثور بين المزمعين ان



* ٢٤ *

ينقلوا منهم تعزز في عهد الملك اصرحدون بن سخاريب وضم هذا الملك مملكة بابل الى مدينة نينوا ومد شوكة في اشيا الكبرى كما كانت انفا شوكة الاثوريين ٦٨٠-٦٨١ اما الماديون فقد شرعوا ان يعزروا شوكتهم وبرهبوا بها المشوقين اليها فانفسا ملكهم الاول ديجوس الذي يزعم بعض المؤرخين انه ارفكساد المذكور في سفر يهوديت مدينة اكينان المشهورة واقام له ركبا لمملكة عظمى فاصطفاه الماديون عليهم ملكا جزاء على ما اناهم به من الامتنان ورجاء ان يدرك كل شعب انيت بينهم من عدم النظام وقد اصبحوا وهم تحت قيادته لم القوة على اذلال ما يجاورهم من الاعداء لكنهم لم يكنوا غير رجب وشوكتهم غير متنة وأما مدينة رومية فقد كانت في ذلك الوقت ماثلة الى النبو على مهل في عهد توليوس اوستيلوس ملكها الثالث ٦٧١ وتكسبت اعلام مدينة الب بانتصار الاورباس على الكورباس وانجاز سكانها الى رومية الفائزة وتوسعت بذلك دائرتها وقوت شوكتها وكان اول من ألع الى توسيع المدينة على ذاك النمط روميلوس فانه احوار اليها السايبين وكل الشعوب الذين ذللهم ايايدي الغلبة فبعد ان انضموا الى قلب المدينة لاحت على اجنبتهم سات السرور والجذل وجعلوا ما تحشموه من المكائد والاعنات نسبيا منسيا واصبحوا رعاة امانة لرومية . وكانت هذه المدينة تعظم جنودها وتغن داخلها كلما كانت تزداد بنتوجاعها وقد شرعت تعنص بوثاق ذلك النظام في عهد الملك اوشيلوس فان ذلك قد جرهما الى ان تملك العالم قاطبة

وأما مملكة مصر فبعد ان لعبت بها ايدي الشقاق واحدقت بها النوائب من كل جانب نهضت من حضيب الخسف والخمول وتجددت قوتها في عهد الملك بسامتيك ٦٧١-٦٧٠ وهذا الملك الذي قام بناصر اليونانيين والكاريون وطهم في مصر وقد كانت لا نظما لرجل الاجبي الى ذلك الحين لكما ذلك زال منها بعد ان تسلم حكمها هذا الملك الرصين وبسبب ذلك جعل الصلات التجارية بين المصريين واليونانيين ومن ثم أصبح تاريخ مصر صادق الرواية حقا بعد ان كان مشحونا بالخزعبلات التي كان يفتريها الكهنة كما قال هرودوت وقد كان ملوك الاثوريين يبنون شوكة واقتدرا الى ان اصبحوا رعية وارهابا للشرق كافة وقد ظهر على اركسفاذ ملك الماديين في موقعة عظيمة ساوسريشان بن اصرحدون الذي روي عنه انه مختصر المنه عنه في سفر يهوديت ٦٥٧-٦٥٥ وان هذا الملك

* ٢٥ *

المستولي عليه وان لم يكن ديجوس نفسه اول من اقام اعمدة اكينان فمن المحتمل ان يكون ابنه فراهورت او افراهورت الذي اقام اسوارها ولما رأى ذلك الملك الاشوري الجبار ان المنعة دانت له والنور اصبح رقبا يلبى مثاله سولت له نفسه على ان يفتح الارض برمتها ٦٥٤-٦٥٦ فجد بطوي الارضين الى ان وصل نهر الفرات فعبره ومخرق في البلاد عاتيا من الموضع الذي خرج منه الى ان وصل الى اليهودية واما اليهود ولو كانوا في ايامهم السالفة اجموا ضدكم غيظ الله بكثرة جرائمهم وعبدوا الاصنام امتثالاً لنساذ منسى الملك لكهم تابيا فيما بعد واياءه وبناء عليه قد تراءف عليهم الرب واظلم تحت ستر حمايو ولذلك قد توقف مختصر وقائد جيشه الينا عن النفع بواسطة امرأة صدمها عن اقام ذلك ولو كان ديجوس قد تنكل تحت صدمات الاثوريين فان الماديين اصبحوا بعد موته يعرجون في سلم النجاح والتقدم في عهد خلفائهم وبنائنا فراهورت ابنه وحفيده قبعان النرس ويتقدم على بساط الارض فاتحين من اسيا الصغرى الى شواطئ نهر الهلس كانت مملكة يهودا قد شاهدت نهاية ولاه آمون الثاني ابن منسى ٦٤٠-٦٤٣ وكان يوشيا بن آمون برا فاضلا صدوقا من صغرسو وقد اخذ وقتنه يصلح الشوايب التي اتي بها بجد الملوك اسلافه ٦٣٩-٦٤١ وقد انتصب انكوس مارسوس على عرش رومية التي تاهرت على ان تجمع بعض شعوب لاتينية وتضم اليها اعداءها لتعلم من قاطنيتها وتكتنفهم تحت اسوارها واما سكان مدينة فيه فقد تكبدوا خسائر حمة في عهد خلفاء الملك روميلوس الذي اذاقهم في ما مضى شدة الهول والنصب وقد اخذ انكوس مارسوس يمد فتوحاته في البلاد الى ان وصل الى ساحل البحر الذي بداني رومية واقام اذ ذاك على ضفته مدينة قستى لدى مصب النهر وفي ذلك الحين اغارت لولا على مملكة بابل ٦٣٦ يذ ان هذا الخائن الذي اقامه شيلا لادان اوساراك وسلطة قيادة جيشه امل ان يرقى سياكسار ملك الماديين قد اتحد مع استياج بن سياكسار وقبض عليه في نينوا وادمرها بعد ان كانت منسلطة على المشرق وذاتمة الصولة في اقطار البسيطة وجلس اذ ذاك على عرش مولاه . وكانت بابل ترفل برداء اليه والكبر في عهد هذا اللاتع المطاع . ولما تكاثرت العنيان والنساذ في اليهودية اصبح عرضة لما يدهماها من الغوائل ولهذا خيف عليها من كل ناحية مله وسبة ٦٣٢-٦٣٤ توقف غضب الرب عن ان يباده يهودا نظرا لما كان عليه يوشيا الملك من خنص الجناح وطول الاناة يذ ان

٤



* ٢٦ *

المفاسد فثبت في عهد اولاده ٦٠٩-٦١٠. وبعد ان مات نيو بولصر خلفه ابنه
نيو كودنصر الثاني وانه كان هيباً بنوق اباه ترويعاً ٦٠٥-٦٠٧ ولقد تهادى
باعتقار النفس والخيلاء وحسنه الايام المرمية التي انفق بها سائر النوايا ففتح فتوحات
عظيمة شرقاً وغرباً ولقد سوت له الحواري على ان كل من بطل الأرض لابد ان يكون
تحت نير عبودية بابل ثم ذلك الوعيد والانذار فان اورشليم تحست ابوابها له لما راته
متبلاً عليها وولجها ثلاث مرات اولاً في ابتداء ملكواي في السنة الرابعة من حكم يويقيم
الملك ومن ذاك الان يجري تعداد السبعين عاماً لسي بابل الموعر اليها في سفر ارميا
الذي وثاقاً في عهد الملك جكونياس اويواكن بن يويقيم ٥٩٨-٥٩٩ واخيراً في عهد
صدقيا الملك ففي هذه المدة طبع اسوار المدينة ولبس معانها واحرق الهيكل
واستأمر الملك الى بابل وسرايا الكاهن واكثر الشعب ٥٨٧-٥٨٨-٥٩٨ وقد كان
اشهر هولا الاسرى حزقيال ودانيال والفتية الثلاثة الذين لم يكن من وسع نبوكدنصر
ان يعلم يعبدون تماثله ولا ان يحرقهم بلهب الاتون وكانت في ذلك الان بلاد اليونان
زاهية زاهرة وحكامها السبعة يتأرجح ذكرهم في ارجاء الكون وكان سولون احد الحكام
السبعة يمن نوايس للآثينيين قبل اندراس اورشليم بزمان قليل ٥٩٤ وقد كان
يحمل للحرية ركناً هو العدل وفي ذلك الان هاجرت اول نخلة من الرجل الفوسيين
الفاطيين بلاد ابونيا الى مرسيليا ولما نظفر ترکان القدم ملك رومية وبرج بسم عظيم
من بلاد توسكان واخذ بزين حاضرة ملكو وبذخر لها عمارات كثيرة انقطع ويريد ملكو
٥٧٨ وجاء في عصر الفولويون وكان مقدمة طليعتهم يلفون في نواحي نهر الب
في ايطاليا ولقد كان في اثناء ذلك اخوه سيجوفيس قاصداً جرمانيا وتحت قيادته نخلة
كبيرة من تلك الأمة ٦٦٠ واما سرفوس تليوس خليفة ترکان القدم فقد نظم الاهلين
ورتب لنفوسهم حساباً واعلى اصبح رومية ذات نظام بين كيت خاص واما نبوكدنصر
فقد حسن مدينة بابل وزينها ولا ريب في ان بابل كانت في ذلك الان تجذب اليها
غناء الشرق وغنائم اورشليم بيد انها لم تلبث متمتعة بتلك الغضارة اياماً مديدة فانها انحطت
عن منهلها الهامي وهورت الى دركات الذل وقد شاهد ملكها الجبار الهباب قبل
انقضاء اجله خرابها الذي كان على وانشك الحدود ٥٦٣ فان ابنه اقبيلبروداك الذي
مته رعاياه لكثرة ذنائه لم تندم له ايام الساطعة فان نيريكيسور صهره قتله واخلى بذلك

* ٢٧ *

ملكه ٥٦٠ وقد كان في الحين ذاته يزيسترات ينصدى لاختلاس السلطة السامية في
ايبا وليست تحت يد ثلاثين عاماً رغباً عن نوايب الدهر ورزايه وخلفها بعد ذلك
لاولاده فلم يكن الملك ترمجيصوران بفعل شوكة الماديين التي كانت لا تبرح عنده في
الشرق ولهذا شهر عليهم الحرب وبنها كانت استناب بن سياكار الاول يحضر للمدافعة
اغنائها برائن الردي تخلفه ابنه سياكار الثاني الذي بدعه دانيال داربوس ملك
الماديين فاخذ حينئذ يتخطى طرق المدافعة فاقام قورش ابن اخيه ميدان قائداً على
جيشه ابن كيمس ملك الفرس الذي كانت وقتئذ خاضعاً لسلطة الماديين ٥٥٦ ولم
يبد عن المعرفة ان شهر قورش التي بانست في حروب متبانية سارت بها الركبان ودوخت
الافطار والامصار في زمان جئ استناب فجمعت اكثر ملوك الشرق برزحون تحت راية
الملك سياكار وسنة ٥٤٨ قبض قورش على كرزوس ملك ليدبا في عاصمته وسلبه
خزينة العظيمة وبذد الذين يجاللون ملك بابل على اليهود وجعل شوكة سائفة في
سوريا واسيا الصغرى ٥٤٣ ثم تقدم الى بابل وفتحها ٥٣٨ واطلق لحاله سياكار السلطة
عليها ولما اصبح هذا الملك في امتنان لاقواله واماته كافاه بان زف اليه ابنته ورثته الوحيدة
وفي عهد الملك سياكار ٥٣٦-٥٣٧ كان دانيال النبي الذي تخبره الله ليكون نبياً
يحل غوامض الخفيات ذائع الصيت كما كان في عهد اسلافه فرأى ان كثيرين من
الملوك والملالك كعابرين السابلات امامه ورأى اخيراً سبعين اسبوعاً كانت دليلاً على
وقت مجي المسح وحالة اليهود فان تلك الاسابيع تدل على الاعوام ومحصل مجهرها
اربعاية وتسعون عاماً وكان ذلك الحين يستعمله اليهود الذين كانوا يغادرون السنة
السابعة دون شغل مثل ما كانوا لا يتهمكون في الاشغال النهار السابع وبعد ان مضت
تلك الروايات بايام وجيزة عبت اظافر الحمام بالملك سياكار ٥٣٦ والملك كيمز الي
قورش واما الملك قورش المصور فقد ضم مملكة الفرس التي كانت الى ذلك الحين
منكورة العرفان الى مملكة الماديين التي جعلها فتوحاتها من السعة غاية كبرى وبنها
عليه اصبح قورش مستولياً على كل الشرق واقام له مملكة تستصغر عندها الممالك
ومن الامور التي تشغلت اليها الاحداق لتسلسل الازمنة ان تعلم ان هذا الفاتح
اصدر الاوامر من اول ملكه الى من هم تحت امرته ليجددوا في اورشليم الهيكل ويثبوا
اليهود الى اليهودية اما الان فليس علينا الا ان نسرّح طائر العنبر في هذا الان فنراه





* ٢٠ *

يد القندان قد اغتاله او الظروف لم تسخ له بتاليته ولو قدرنا وجود ذلك التاريخ لقدنا
انه يتضمن الكلام عن ملوك دولة الاثوريين الثانية لان احدهم سخرى قد ذكره
انه كلك للاثوريين والغرب في موافات هذا المؤلف المتصلة اليها وقد نقل سترابون
الذي كان في عهد ارغسطوس ما برويه مكاستين المؤرخ القديم والذي من عصر
الاسكندر بشأن فتوحات نبوخوذ نصر ملك الكلدانيين المشهورة مبينا انه عبر اورا
ووصل اسبانيا بالاسلحة الى عوايد هرقل واما ملك النور الذي يدعوه المؤلف ديهان
تيلفاموس فهو دوت ربة الذي يدعوه الكتاب المقدس تجلت ويرى في تولاواس
تعداد الملوك الذين حكموا في المالك العظيم ومنهم حم غنبر من الملوك الاثوريين الذين
يجعل معرفتهم اليونانيون ويسهل مطالعتهم للكتاب المقدس ولو استقرنا كل ما رواه
مورخو سوريا كبروز وايدانوس ونقولا الدمشقي لضاق دوتنا المتنام باسهاب العبارة .
فاذخر لنا اريوس القيصري ويوسفيوس المؤرخ نبذات ذات فائدة عجيبة سمحت بها
افتكارها واقار غيرها الذين كانت تاليفهم لم تخرج في ذاك العصر وان ما يذكره
ينطبق على كلام الكتاب المقدس بالنظر الى الامور الشرقية القديمة ولا سيما على تاريخ
الاثوريين

واذا احققنا النظر في دولة الماديين التي يحسبها اكثر المؤرخين الدينويين في
المرتبة الثانية اذ يعدون المالك العظيم ويجعلونها كائما منفصلة عن دولة الفرس فانتا
نرى اذ ذاك ان الكتاب المقدس يجعلها دولة واحدة ولذلك ترى ياسيدي ان
تسلسل الحوادث ذابها بجملك على ان تستقصي هذا النقط فضلا عن استنادك على
الكتاب المقدس وان الماديين وان كانوا وصلوا الى درجات الشوكة والعظمة قبل
قورش الملك فان بابل كانت لها شوكة عظيمة تسود قوة واقتدارا واما قورش فانه
كر على بل كره ضاقت عليها الماديون والفرس فتفتحها فتحا ميبنا وقضت له الاقدار بان
يجي ملكا على الشمين بخلافة شرعية تطبيقا لما اوعزنا اليه فيما مضى حسب ما رواه
كزيوفون ولقد اتفق ان تلك الملكة العظيمة التي اقام عاها ذلك الاصبه البول
قد تلتعيت باسم الامتين وبناء على ذلك فقد أصبحت دولة الماديين ودولة الفرس امرا
واحدا فسرنا عن مجد اشوروش الذي جعل اسم الفرس متغلبا
وقد يسوغ لنا القندران ملوك الماديين قبل ان يرحلوا بابل وتغلق مغلفاتها اتسع

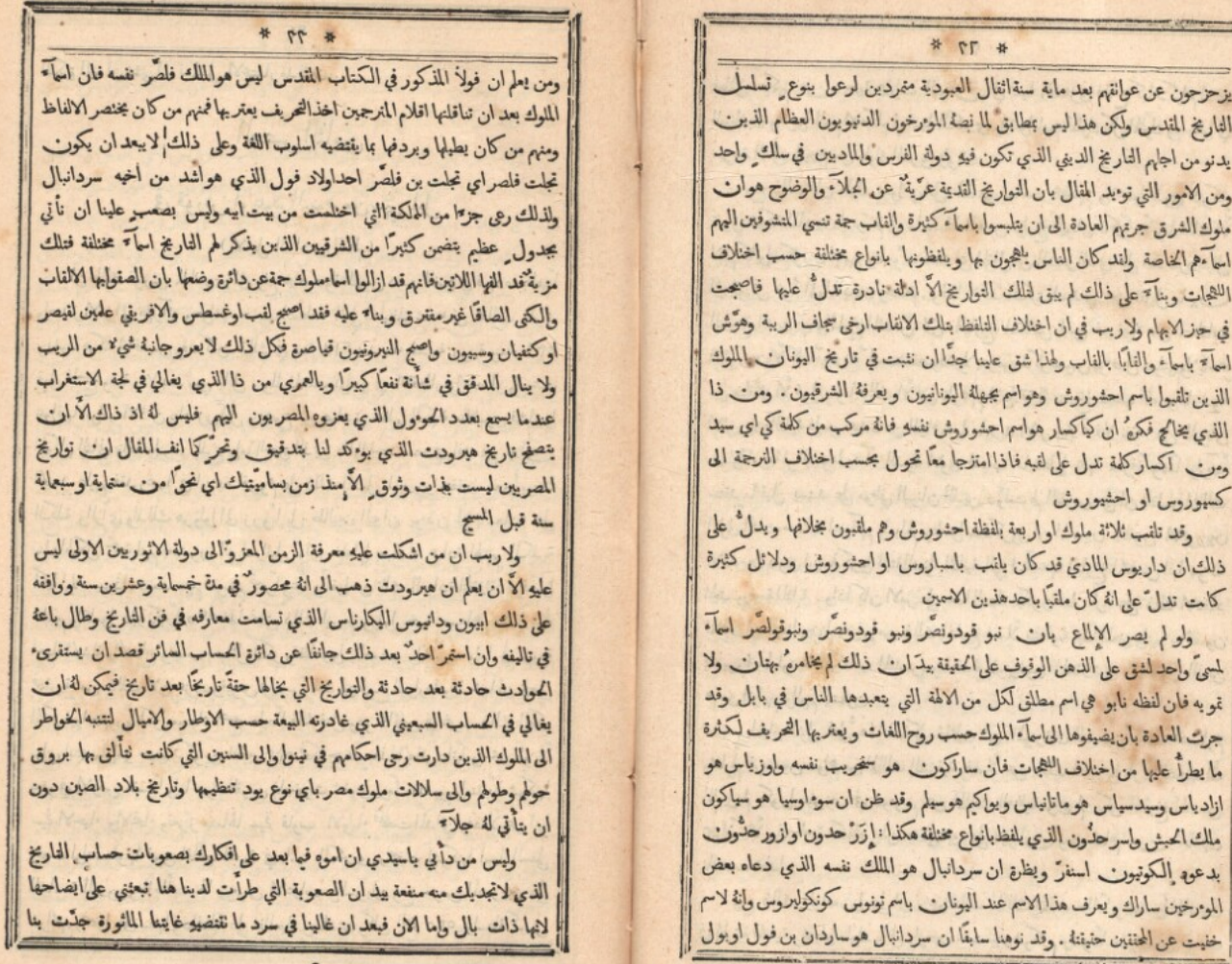
* ٢١ *

نطاق حكمهم من جهة غارات اليونان في اسيا الصغرى فذاع كبا ذكراهم لدى
اليونانيين وعروا اليهم الاحكام في اسيا الكبرى وايضا انهم الملوك كل الملوك لم يبقوا في
خزينة البابل لغبرهم من ملوك الشرق زاوية

ومع ذلك فان ملوك نينوا وبابل الذين تسامت عظمتهم واصبحوا ذوي شوكة
تفوق شوكة الماديين لم نر لهم في ما وصلنا اليه من تواريخ اليونان ذكرا ميبنا وما ذلك الا
لانهم كانوا مذكورين لديهم وما يؤيد مصداق المثال ان العصر الذي خلى منذ سردنبال
الى قورش غيرة الى الماديين وحدهم . ولهذا لا نجد الفكر ياسيدي حتى نقابل ما بين
التاريخ الدينوي والتاريخ المقدس لان التاريخ المقدس ليس فيو شي من متعلقات
الاثوريين الا كلمة مفردة ليست مقصودة ولا يعرض بذكر نينوس موصل دولتهم ولا احد
من خلفائهم الا قول وما ذلك الا لان تاريخهم لاجل علاقة له بتاريخ شعب الله واما دولة
الاثوريين الثانية فليس عندنا من النباه عنها ما يزيد الامر جلاء فلا نفقه هل اليونان
جعلوا امرها او اليسوها رداء الدولة الاولى لسبب ما شطوا عنها معرفة وعلمها ولرب
منتقد ما قيل يستند على موثني اليونان الذين سولت لم النفوس على ان ينظموا المالك
الاولى التلث حسب امواتهم وامهالهم وطقوا بذكر كون ان الماديين يخلطون الاثوريين
الاقدامين دون ان يذكروا البنة الدولة الثانية التي انبأ عنها التاريخ المقدس انها موثة
الجذ وقيمة الثابتة . واذا كان الامر على هذا التلط فيكون منا الرد على ذاك الانتقاد
قائلين ان اليونانيين لم يعرفوا من ذلك التاريخ فصلا يبطو به هذا المعنى وانهم يناقضون
بما يروونه ما اودعه الكتاب المقدس وما نصه المؤرخون المستشرقون المدققون الذين
هم من اترامهم واليه ينتمون

وبالحجاء القول نحل هذا المشكل قائلين ان المؤرخين الدينويين كانت اعصارهم
وعلمهم اقرب من سوام من المالك الشرقية فضلا عن ذلك احرزوا تاريخا لشعب الله
الذين لم يكونوا منفردين في شومهم عن المالك العظيمة وان لم يكن التاريخ المقدس
مجهلا الا بهن السمة فكفاه بان يقضى به على اليونان ومن قفاهم من اللادين
بالصمت مغلدا .

ومع ذلك فلا اصرؤا على ان يرفعوا تلك المالك التلث نظاما ويجنسوا الماديين
في المرتبة الثانية ويجعلوا ملوك بابل راحين تمت نبر شوكتهم رضوخا مقربين ان اولئك





* ٢٤ *

الفكرة الى ان تنشي الى تسلسل الاعصار مدقون .

العصر الثامن

في قورش او عود اليهود من سبي بابل

(الاجل السادس للعالم)

ان الملك قورش لما انبرى الى رفع عماد دولة الفرس دبت الغيرة في فواده جاهداً واصدر الامرا الى ظراآت وحواشي حسب اصطفاه العالي له لينفذ شعبه من مخالف الرق ويشيد هيكله الاقدس وقد كان ذلك في سنة ٢١٨ بعد بناء مدينة رومية سنة ٥٢٦ قبل المسيح سنة ٧٠ بعد سبي بابل . ولما ذلعت الامور في الاقطار والامصار وقرعت عواقيم ابواب الاذان عاد زربابل ويشوع بن صادق عظيم الكهنة بالاسرى فسادوا الهيكل الثاني واقاموا ريم المذبح واما الصخرة الذين طالما اخدمت في افنديهم بمرات الحمد عليهم فقد رغبوا في ان يضافروهم على ذلك العمل المبرور متفقين معهم بوحدة الكلمة والراي ولذلك هزلوا الى زروبا بل طالين اليونان يوذون لهم باسعاذه على بناء الهيكل بحجة انهم يعبدون اله اسرائيل وان خلطوا بعبادته عبادتهم الههم الكذبة لكنهم المولاد بهرذا شمت منهم نفوسهم فصبغوا وعياً وانفوا من تلك العبادة المجهتة فرفضوا طلبهم واقاموا عليه تكبيراً ٥٢٥ فلما تحقق ذلك لديهم ورأوا خيبة مسعاهم جدوا في احياء الخبلة والكداع ونصب حبال الكر وظاهروا بالعسف والجور . واما في رومية فبغيره من ذلك الان عزم سرفيوس توليوس بعد ان اوسع اسوارها وابذخها ان يجعل الحكم فيها جمهورياً لكن مسعاه اصبح حابطاً فانه قتل وهو خائف في غرب ذلك الفكر برأي ابنته ولوليس صهره تركوين القيصير ٥٢٢ فحكم حينئذ هذا الجائر عاتياً واستمر طويلاً يعنوي في الارض مقدساً واما دولة الفرس فاستمرت تنقوى يوماً بعد يوم وابتدت شوكتها في الاحياء والاممخاء وتبرز مصالحها في قلوب الاولياء فتفتت المدن وفضلت عن انما رفعت ليل سلطونها فوق اقاليمها المجبة في اسيا الكبرى رخصت لشوكتها اسيا السفلى الشاسعة البرور وطلعت لها روموس الاعراب والسريان ومع حرص المصريين على شرائهم رخصوا الى سلتها وحافظها على نظامها ومبادعها وكان الفتح ٥٢٥ بولاية كيش

* ٢٥ *

بن قورش يد ان ذلك الملك القديم لم يجي طويلاً بعد موت اخيه اسيرديس الذي قتله خبة نبياً لما بدا له في حلم ذي غوض ٥٢٢ . واما اسيرديس الجهوري فقد تولى الملك خبة بلتب اسيرديس اخي كيش ولما انقضى عنه غشاء النفاق توارى على قتله سبعة من الامراء فاهرقوا دمه غير ماسوف عليه واستوى واحد منهم مكانه على الفرس ملكاً ٥٢١ يدعى داربوس بن هيسناس ونص كثيراً في توارخه انه منفرد في الشامل ونزاهة النفس وانه اوجد بني الطيبة ودلائل كثيرة تدل على انه احشوروش الملك المذكور في سفر لستير وقد تم في غرة ملكه الهيكل بعد ان كان السمر ذريعة للقاعد عن اتمامه مراراً كثيرة ومن ذلك الزمن تسمرت لمب البغضاء والفلي بين تلك الامتين فاخذت اورشليم والسامرة شتاظران وترصد كل النخاء للآخرى وفي عهد الملك داربوس نشأت الحرية في رومية واثينا ولاح مجد اليونان العظيم لدى الفاصي والداني واخذت ارمودبوس واربستوجتون الاثينيان منبت شعبتها من عنو هيبارك بن يريسترات وجوره لكنا تصدى لها ظمراهه الملقبون لديه واما تومها بعرار الحسام ٥١٩ واما هيبباس اخو هيبارك فقد شمر عن ساعد العزيمة لبني مكانة اخيه فحبط مسعاه وطرده الشعب منها ٥١٠ . ولم تعد اذن تسع مجور آل يريسترات واعنسانهم . ولما تخلص شعب اثينا من وثاق العبودية اقاموا تماثيل تذكاراً لمنقذهم اللذين زحزحوا عن عواثهم اقبال المكروه وبعد ذلك ازهرت حالة الجمهورية واما هيبباس فاذا رأى ان لامل له بالعود الى وطنه الا باعانة الملك داربوس تراه عليه ملحقاً فراه على اعبه الفسيار الى بلاد اليونان فأتى وفي الوقت الذي طرد فيه هيبباس كانت رومية تغرر ويترق عنها رداء الظلم واذا رأى الناس استبداد تركوين الجبار وما سؤلت له نفسه من البوس والسوء كرهوا الحكم الموكي كل الكراهية وانقاد ابنه سكتوس الى هنك الحرمة وارتاب الخشاء فكان ذلك علة تنفيذ دثاريتو فان ليكريس انقي اغضبها عراها النجل والاستخياء وشق عليها الامر فاتقرت فائار تخيها وخطاب برتيوس الشعب على كل سلاله وقاموا على قدم وساق وثابتوا على الملك فطرديم مروعين وشيدوا حكم التناصل حسب قصد سرفيوس توليوس ٥٢٦ لكن الشعب تغيرت في صدورهم بتاييد الحمد فوهنت قوى الساطة وتقلصت الشوكة ومنذ تاسست القنصلية الاولى اساء المرتوسون الظن بنار بوس الذي



* ٢٦ *

ذاع صيته بنصره المبين وقوة يأسه في مساورة العدو وكظم حتى الأهلين من نوابس
بصره بوجها أحالة الدعاوى من مجلس الندوة والتناصل إلى الشعب إذا سمع
الجمعة أحد الأهلين ليكون عليهم إقامة العقاب في حق جريرته وأما الملوك المجاورون
فلما سمعوا بطرد التركوبيين وجسوا من ذلك خيفة وقالوا إن هذه القعدة أمنان لما
وخرق لحمة نوابسنا ولذلك انهروا إلى أن يكونوا لم يحاربوا وأما بورسينا ملك
الكليزيين القاطنين اثروريا فقد استشاط من ذلك حنقا وثقله بالسلاح المبرح وكرّ
على رومية متفقا ٥٠٧ وما أصبحت المدينة على وشك الدمار واشتكت أبوابها أن تفتح للعدو
نضا هو راسيوس كوكليس الضامي وهم على الأعداء بقلب اقصى من الصغر الصماء وقناه
الرومانيون رافعين الوية النصر وظهروا بسالة بحيث لم حربهم بعد أن كادت تسهل
ومن الأمور العجيبة أن شابا من المدينة يدعى سفولا حرق بك بسعير النار عتاقا لما لاهما
لم نصب بورسينا ونالت كليله الشاة الذئبة العظي على ما أبدت من الجراءة الفائقة في
مضار القتال وادعشت بورسينا نفسه بفرط بسالتها فافضى به الأمر حيث إلى أن يدع
المدينة مضروبا عليها سرادق الأمان فتركها وشأنها وبقي تركوبين وأهل بيته لا نصير
لم ولا معين وأما ايباس الذي تخرش للأخذ بناصره الملك داربوس فقد كان أمه في
القياح وطيدا ٥٠٠ لأن بلاد الفرس تحنرت لاسعاده على نوال الغنيمة فصارت من
ذلك رهبة في القلوب واستنظر الناس شيوخ نار محرقة في أثينا وبينما كان داربوس
يتأهب لذلك الحرب الهائلة أوشكت رومية أن تهوي إلى دركات الخبول هالكة بعد
أن كانت دافعت عن نفسها ضد الأجانب فان الحمد الذي تاصل فيها عزز العداوة
والبغضاء بين الأعيان والشعب فان سلطة القناصل الباهظة ولو دمنها فلادبوس
بشر بهته فقد بنيت ثغيلة على عواقب الأهلين الذين كانوا كثيري الحرص على استقلال
الحرية ولذلك نزعوا من المدينة وتوطنوا جبل افنتين ٤٦٢ فقد حاولوا أن يتصعقوا لم
بالوعيد فكان ذلك عينا لكما كلام منيبوس أكربا الموتر الرائق جلمه على الاقتناء
لاخوف عليهم ولا هم يحزنون. فالتزم حينئذ الأعيان أن يبروا لذلك الداء دواءا ويتبعوا
للشعب محاميين ضد القناصل يدافعون عن حقوقهم ودعوا إذ ذاك الشريعة التي صار
بوجها هذا القضاء مقدسة ومن ذاك الآن صار الحامون للشعب وأعلن داربوس الحرب
على اليونان وأما صهر مارديونيوس فقد جاز أسيا متوقفا أنه يجمع اليونانيين بكثرة جيوشه

* ٢٧ *

فوافاه ملسياد إلى سهول مرتون ومعه عشرة ألف محارب من الاثنين فزارت الحرب
بين الفريقين فدارت الدائرة على داربوس وأذيق مرال الكال ٤٦٠ وكانت وتنفذ
رومية تظهر باعدائها المجاورين ولم يكن يخشى عليها إلا من شقاق أهلها
وكان في ذلك الوقت رجل له الغيرة الصرفة لحربه الأعيان يقال له كوربولان
وهو من أعظم قادة الجيش فبدلا من أن تؤدى له الكرامة ويثاب على خدمته المخلصة
لوطنه حكم عليه بالطرد من حرب الشعب فشقى عليه ذلك جدا وعول على خراب
بلاده فجدد له عسكريا من التولسك ٤٨٦ وزحف على رومية وأتاهما بالتيكيات الوبيلة
وأغلق عليها طرق الأمان مضيقا لكثافة طلبت اليه أن يكظم عنها غبطة فكف عن
الذبح بها ٤٨٨

وأما بلاد اليونان فقد نالت السكينة عتية موقعة مرتون لكن تلك السيادة لم
تبق فيها مدينا فان كركساس بن داربوس وخطيفته وحيد قورش لانه أطوس عزم
على أن يأخذ بشار الفرس وأبيه من اليونانيين فجهز من العساكر المائة أحد عشر كفة
أوسعة عشر كفة على مذهب البعض من المؤرخين وألف من البيلانيين

وزحف على اليونان وتاجت مواقد الهيماء بعد أن سير بجرا القامطين سنية فيها
عسكرهم فصار فصلت الأسلحة وأبرقت الاسنة وتطارت الهامات عن المناكب وإنساع
الدم على الغبراء غمره ومسيلا أما هوندياس ملك سبرتا الذي لم يكن معه سوى ثلاثمائة
مقاتل فقد قتل من جيش الفرس عشرين ألفا في مضيق جبال الترموبيل ثم قتل
ورفتاه طرا ٤٨٠ وأما كركساس فقد فنت قواته البحرية بآراء نيبستوكل الاثيني في
تلك السنة عند جزيرة سلايني ثم رجع عابرا بحر الملبسون والريعية والخشية تقفوا أثرو
ولم يجل من ذلك الحين حول إلا تصدى لجيشه الأرضي ٤٧٦ عند بلات بوزانياس ملك
لأسيد يونيا وأريستيد الاثيني المدعو الصديق وأعمالا بو وبثانك مارديونيوس جد الجسام
واتصرا عليه وكان ذلك وقت انبثاق الصباح ولما أسى ذلك النهار الرائع وثب يونانيون
أسيا الصغرى الذين كانوا قد التوا عن عزلتهم نير عبودية الفرس وأهلكوا من فارس
ثلاثين ألف رجل في موقعة ميكال تحت قيادة ليونثيد

فأشاع ذلك القائد الأصيل خبرا معناه أن مارديونيوس وجيشه تنكروا في بلاد
اليونان وما ذلك إلا لئلي الجحرة في قلوب جنوده لكما الاقدار جعلت ذلك الخبير



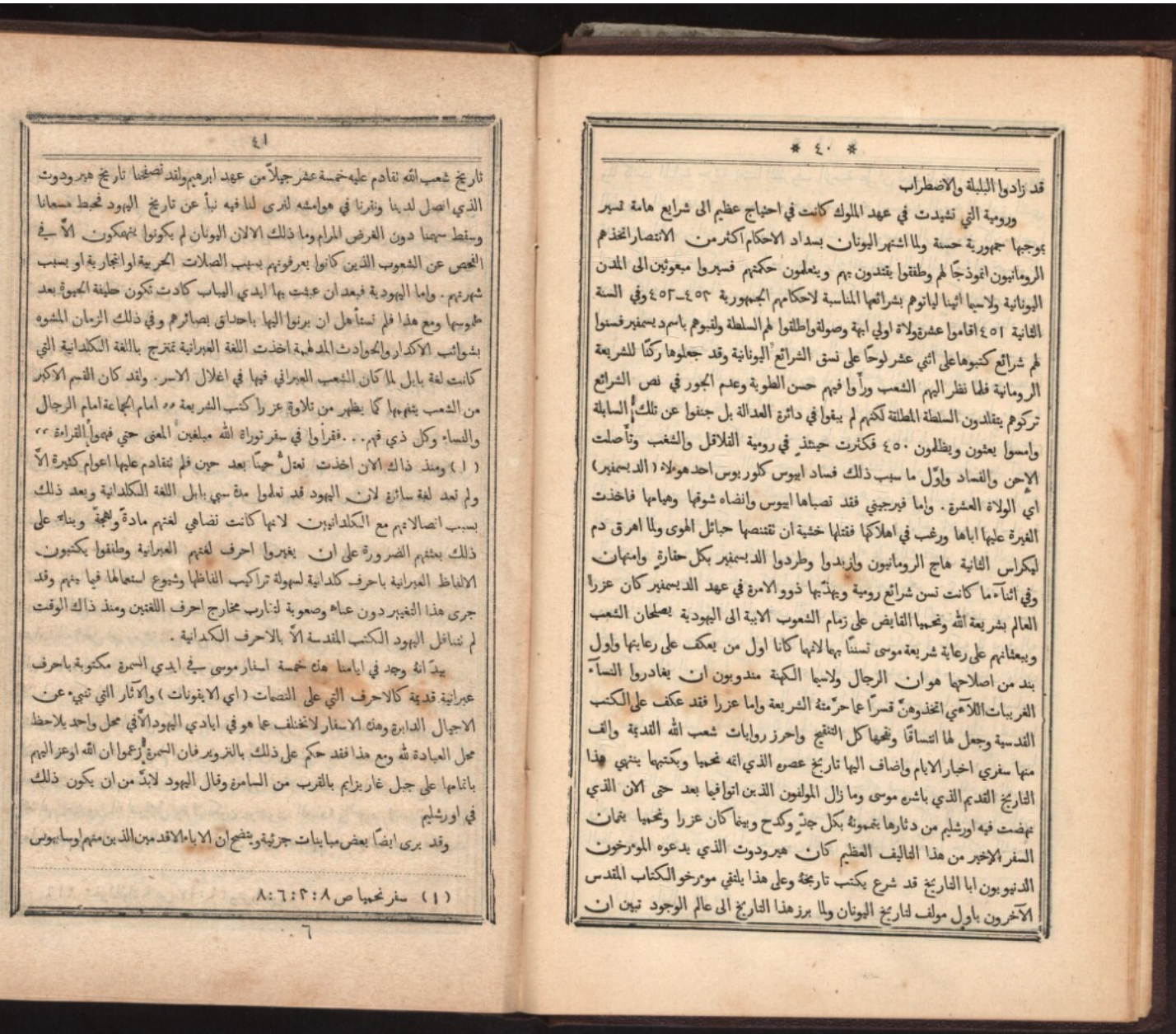
* ٢٨ *

صادقاً ولم يعلم ان كان علمه يوقعه موكولاً الى تواتر الانباء او الى الصدقة الغربية . ولذن ذلك قطع كل يونان اسيا الصغرى رباط العبودية ورفعوا فوق رؤوسهم راية الحرية ودوخوا الاقطار والامصار وتسلفوا على جبال الغنية والانتصار . وقبل ذاك الحين جرعوا الترحيبين الاشداء وقتلوا صاب الذلة في صفيلها صاغرين اذ بعثهم المطامع الذاتية على ان يوسعوا نطاق سلطتهم اجابة لما حضمهم عليه الفرس فكان ذلك وسيلة لازهاقهم والابتاع بهم بيد انهم قسراً عما احيط بهم من التكتبات كانوا لا يبرحون يجددون مقاصدهم في نوال تلك الجزيرة التي تفوي شوكتهم الجبرية التي تنهافت على طليها جمهوريتهم ولم تكن تلك الجزيرة تناط وقتئذ الا بهمة اليونان ولم تكن محدقة الا لجهة الشرق والفرس ولما كافى الفرس مستولين على جزيرة قبرص استنزفت الغيرة بوزاناس وخلصها من حباله العبودية ٤٧٧-٤٧٦ ومن ثم قصد ان يحبل وطه رادحا تحت نير عبوديته فحبط بذلك مسعاه قسراً عما وعده الملك كسر كساس من الفجاح وقد وقعت العناية في حق من فاق الجميع بؤادته فكانت صباينة المفرطة على الموتى ٤٧٧-٤٧٤ وقتل ارتبان رئيس شرطة الملك كسر كساس في تلك السنة عيناها وامرقله اما لان هذا الخائن ود الاستواء على عرش سوك اوانه خاف قسوته الرائعة لانه لم ينفذ بسرعة اوامر الجماهير اما ارغشتنا الملقب باليد الطويلة ابن كسر كساس فقد دانته هامة الحكم ولم يلبث ان يتيقراً سرير الخلافة الا بعث اليه تيمستوكل بكتاب ماله ان يوازره على اليونان لانه كان منفياً من مبيت شعبه ٤٧١-٤٧٢ فتلاين الملك وتساهل في امر هذا القائد الماهر وقربه اليه ورتب له راتباً يقوم باوده ونظر اليه بعين الرعاية قسراً عن اوليائه المحاسدين وضم الى اكاف حمايو الشعب اليهودي ٤٧٧ وفي السنة العشرين من ملكه المشتهر بما يعزى اليها من الحوادث المهمة اصدر امراً الى تغميا ان يقيم اورشليم من حضيض دثارها ويرفع اسوارها ٤٥٤ وامر ارغشتنا بشأن ذلك بخلاف عن امر قورش لان امر قورش موثر به الى اقامة الهيكل وامر ارغشتنا الى المدينة وان الاربع مائة والستين سنة من حساب الاسابيع تبدأ منذ صدور ذلك الامر المذكور الذي تنبأ عنه دانيال وهو مذكور في نبوته . ومن هذا التاريخ المهم مركن على اساس غير موزع وقد نص في تاريخ اريبيوس ان تيمستوكل صار نفيه في اخر سنة من الاوليات السادسة والسبعين وذلك يطابق سنة ٢٨٠ من تأسيس رومية وفي غيره انه بعد ذلك الزمن قليل من المهورول

* ٢٩ *

ولما كانت المباشرة جزية بعثنا الظروف الزمنية على ان نعيد تاريخ اريبيوس . وهذه الظروف التي اعتمدها اريبيوس مأخوذة من تاريخ انوسيديد المورخ الصادق الذي قد تهر مولده من شائبة اليهان واشهر في ثبات النقل وصدق الرواية وقد كان معاصراً لتيمستوكل فضلاً عن كونه تقريباً من ابناء اترابيه فقد وصل اليها النبأ منه ان تيمستوكل بعث بكتايو الى ملك الفرس ارغشتنا في غرة ملكه وليس من مآرب كورنوليوس نبوس المولف القديم العظيم ان نفس الريبة احنا في ان هذا التاريخ معول عليه بالاستناد على قول تيمستيد ومصدق مقالو ثيبنة البراهمين السديفة فان مولفنا اقدم من تيمستيد هوشارون من لبيساد الذي يذكر المورخ بلوتارك تصفغ المتفرون مقالاً فراءه منطقاً على ما اثبت في باطن تاريخه وبلوتارك نفسه يقول ان تواريخ الفرس اجمع تنطبق على ما نبضه هذان المورخان ومع هذا كله فانه لم يستند على شيء من مقالها ولم يبرز لنا ادلة على عدم اعتماده عليها . واما المورخون الذين حصروا حكم ارغشتنا ثمان في اوتس سنوات بعد الحين المذكور فليسوا من ارباب ذلك العصر وليس عندهم من الحجج البينة ما يؤيد اراءهم فنصاري الامران ابتدا حكم هذا الملك لابتدأ من ان يكون في اواخر الاوليات السادسة والسبعين وفي مقربة من وقت تشييد رومية ٢٨٠ وبناء على ذلك يتبع ان السنة العشرين من حكمه تنطبق على اخر سنة من الاوليات الحادية والثمانين ونحو ٢٠٠ سنة من تشييد رومية فضلاً عن ذلك فان المورخين الذين حصروا قبل هذا الحين المعتمد عليه حكم ارغشتنا لطابقوا بين المؤرخين قد توهموا ان اباه قد شاركه في ملكه لما بعث اليه تيمستوكل بتلك الرسالة وفي كل حال نرى ان تاريخنا لم يشوه بشيء من اليهان والماين بل ديدنه القوي والتدقيق وصدق الرواية وهذا الركن ما سوس وما بقي من الحساب سهل صعبه وان تسلسل الاحوال يجعله لديك محسوساً وبعد ان صدر امر الملك ارغشتنا على اليهود بينون مدينتهم ويرفعون اسوارها تأييداً لما تنبأ دانيال (١) وكان تغميا يدير مهام ذلك العمل بمحكمة وحصافة عقلة وقوة جنائز قسراً عن الصيرة والعرب والعوسين والشعب يجهد كادحاً في احياء هذا العمل المأثور وكان الباشيب الكاهن العظيم يقومهم بمثل وكان الاوليات المحدثون الذي اصطلفوا لان يكونوا حاكبين الشعب

(١) دانيال ٢٥:٩





وابرونيوس طالعوا هذه الاسفار السامرية وتجد في النسخة التي تتداولها الالبيدي في هذا
الحين كل السات التي رسم الاباء بها النسخة التي تكلوا فيها فياسيدي اني مندوب ان
افصح لك باوجز العبارة عن تاريخ السامريين واسفارهم الخمسة رجاء ان تشعر باننا نرشدك
الله القديمة ولذلك ينقص ان تذكر ان باربعام اباي عشرة اسباط عن مملكة يهوذا
ليوملف منها مملكة اسرائيل التي حاضرها السامرة ٩٢٤-٩١٤ وذلك في عهد رحبعام
بن سليمان بعد ان اغتالت سليمان الميتة ٩٧٥-٩٦٢ وكان ذلك عقاباً على اثمهم . ولما
قضى على هؤلاء الاسباط بالانفصال شق عليهم الامر ونفذوا جانباً الكتب المقدسة التي
كانت من عهد سليمان وداود وتعادوا عن مقدمة القرايين في هيكل اورشليم ولم يعثوا
باوامر دينك الملكتين اللذين احدهما ميا الهيكل واعنه والآخر شاده وكرسه

اما مدينة رومية فقد استست ٢٢٥٠ بعد الفكيون ٤٢٠٩-٢٢٥٠ وبعد
ان مضى عليها ثلاث وثلاثون سنة من بنائها اي ٢٢٧٣ بعد الفكيون
سبق عشرة الاسباط المنفصلون عن يهوذا اسرى الى نينوا ونفعلوا الالبيدي
سبا بين الوثنيين

وبعث حصرشون ملك انور في عهد الكوتيون (١) الى السامرة ليطلبها
٦٧٢-٦٧٧ وقد كانوا قبلاً انورين فدعوا فيها بعد سامريين وقد اجتازوا عبادتهم
بين الله العلي والاصنام ومعهم الملك حصرشون كاهن اسرائيلياً دمت سمايام وعلمهم
عبادة اله الهل اي معرفة النواميس الموسوية لكه لم يهيمهم الا اسفار موسى التي حجت
اليها عشرة الاسباط بكل رضوخ ووفار وتكسوا عن الاسفار المقدسة الاخرى
لاسابب ذكرناها انما فعل ذلك ارتضع هؤلاء الشعوب من افاروق ذلك التعليم وليثوا
بما يرون على اليفضاء التي كانت كامة في صدور عشرة الاسباط ضد اليهود . ولما
لاين قورش اليهود واباح لهم ان يقيموا هيكل اورشليم ٥٣٥ تصدى لهم السمرع سرا
معارضين مشروعيهم ونظاهروا علماً انهم يرغبون في الاشتراك معهم بذلك الصنع الحبيد
محنة ايم يعبدون اله اسرائيل وهم لا ينفكون يودون العبادة والسجود لاصنامهم وليثوا
يعارضونهم ويصادمونهم لما اخذوا يرفعون اسوار مدينتهم تحت قيادة نحميا فكثرت

(١) سفر الملوك ٤ ص ٢٤:١٧ وعزرا ٤ ص ٢٠٤

الحناء بين الامنيين واصبحت كل امم تساور الاخرى وتنتظر اليها شرراً
وغدا اولئك الاقوام لا يسلكون السابلة التي يطررها اليهود واجهدوا في ان
لا يفتندوا بهم في امر من الامور . ولذلك لم يغيروا الاحرف العبرانية باحرف كلدانية وبناء
عليه بقيت خمسة اسفار موسى مكتوبة بينهم بالاحرف العبرانية القديمة كما اسلفنا في ما
مضى وهرعوا الى الملك اسكندر يستاذنونه ببناء الهيكل على جبل غرزيم ٢٢٢ فاستأذن
عليه عديم منسى اخو يثوس الكاهن الاعظم وقرشه الدخلة عن لسان الثوم لغار
الطلب لدن الملك قبولاً . وقد لاح ان السمرع طفقوا يرفعون في ايامهم عن عبادة الالهة
الافاكة واصبحوا لا يباينون اليهود وتنتدوا بالامر واحد وهو انهم لا يودون عبادة
الله في اورشليم فنادوا لامر بل على جبل غرزيم ومن ذلك تجلوا العلة التي لاجلها حرقوا
في اسفار موسى التكليم الذي يوعز الى الجبل قصد ان يوهوا لدى الابصار ان الفنديس
والفكريس ليسا منوطين باورشليم بل في . وليست العداوة والقتل بين الامنيين فريم
السامريين ان هيكل جبل غرزيم يستأثر بذاته ولا تكون العلاقة بينه وبين هيكل
اورشليم فكثرت المناظرة والمنازعة وبقيت تحندم نار المشاحنة الى ان ركب متن خلافة
مصر الملك بتولماوي فيلوميتور فطرحوا حيثما الدعوى لدى ارباب الحل والعقد واخذت
الادلة والبراهين تدور على رحاما فكسها اليهود استناداً على تواتر الاحوال والفتايل
البينة وصدر لهم الحكم من لدن الملك نفسه واما السمرع ففي عرض اضطرار انتيوخوس
وملوك سوريا للهود آل هم الامران بغازوا اليهم فانبري لم يوحنا ميركان ابن سمعان
وفتح بلادهم وطس هيكلهم على جبل غرزيم ١٢٩-١٣٠ بيد انه لم يمكن له ان يصددهم عن
ان يسلموا عابدين الله على ذلك الجبل حيث كان هيكلهم ولا ان يعيدهم ربه في هيكل
اورشليم فليثوا معتصمين بعروة تلك العبادة في عهد المسح الذي قضى بالحكم عليهم
فتوا من ذلك الحين في محالين او ثلاثة في الشرق . فدوخ الامصار احد سواحنا فعثر
بهم واتانا بنسخة من خمسة اسفار موسى تدعى سامرية فانضمت لدينا قديميتها ومن ذلك
نقف على البواعث التي حملتهم على ان يسلموا على تلك الحال وتجرع اليهود في عهد
الملك ارخششتا كوروس الطائفة والامان واما سيمون بن ملسياد فايد جيوش الالبيين
فاغضب الملك ارخششتا على ان يرم صلحاً بخرق ناموسة . وقد قنط من ذلك الحين ان
يظهر على اليونانيين بالازهاب والاذلال فتهاقت على ان ينتهز فيزة شفاقمهم ودخيلة الامر



* ٤٤ *

أن قد حدث نقور عظيم بين الآتينيين والاسيديومنيين وغرت صدور الآتينيين بالمحمد
واخذنا نتفحان كل بلاد اليونان وأوقد باريكليس الآتينيين نيران الحرب في شبه جزيرة
البلوبنيز ٤٣١ فاشهر اذ ذلك تيرامني وترازبول والسياد والآتينيين وبعثت الفيرة
برازيداس وميندار الاسيديومنيين على أن يذودا عن الوطن فهلكا قتيلين . فاستمرت
تلك الحرب ثمانين سنة وعشرين سنة وكانت تهيحها حسنة للاسيديومنيين فانه
رقلوا برداء النصر والاستظهار لأن داربوس النبل ابي البندوق ابن ارغششتا كان يقوم
بناصيرهم وساوريا قائد جنود لاسيديومنيا البحرية ليندر فاذا قيا عذاب الهون وقهيها
وغير هيئة حكومتها فشمع الفرس اثم عزروا الاسيديومنيين وأبج لم شوكة عظيمة
ولسنا اذ متب وثاق اخائهم لقورش الفافع ٤٠٤ يوم تردد على ارغششتا الملثب بممنون
لفرط المعية فترصدوا لم بذلك رهبة واحترسوا من وقوع الفاتنة لأن قورش الفافع لما
كان في وهاد البحر احالت امة ياد يراتيس على اخراجه منه ففصل من الاقدام والاعلال
واخذ يتوقع الزمن لاخذ ثاره فاما الى الولاة لفرط حناؤه وتلطفي وطوى اسيا الصغرى
وكرر مقاتلاً اخاه فوجج مملكته هيوماً وجرحة يمين واخذت به الخيلاء كل ماخذ فاصبح
شديد المخترواة ظاناً ان النصر طوع يمينه فمات قتيل الجسارة والجراءة اما عشرة الالاف
من اليونانيين الذين كانوا يناضلون معه قابوا الى اوطانهم اياماً عجيباً اذ كان يتولى قيادتهم
في غايه مديرم كرتوقون الفيلسوف والمجهذ المفضل والقائد البحري الذي ألف تاريخ
رجوعهم . وواصل الاسيديومنيين المحمل على مملكة الفرس التي اذاتها اجر بلاوس
صاحب القلوبى والارهاب في اسيا الصغرى غير انه التفت الى الالاب الى وطنه لما شعر
بالشقاق السائد بين اليونانيين ٣٩٦ وفي ذلك الوقت زحف الرومانيون تحت قيادة
كسيل على مدينة فيم فناصروها عشر سنوات وقهرها بعد نجاحات متباينة وكانت تلك
المدينة تضاهي رومية بالمودد والمجد . وبعد ان فاز كسيل بالنصر المبين صوب
اسية قوتى على مدينة اخرى يقال لها فليسليك فعلى يضيقي عليها محاصراً فامة احد معلى
الصبي مسلماً بالاولاد اعيان المدينة امل ان يخطي من لدته باسمى المكانة فديبت الشهامة
في راتر القائد واعاده الى المدينة منكلاً مهتماً فاطهر اولو المدينة امتنانهم منه وسلوه
نفوسهم والمدينة راخضين ٣٩٤ فلم يشأ الرومانيون ان يغزوا غدرًا ولا يخيموا الوقت
للصراع بواسطة ذلك الخائن اللئيم الذي خدع اولئك الاحداث المدج ثم دخل

* ٤٥ *

الفوليون السنونيون ايطاليا واحاطوا بمدينة كلوبوم ٣٩١ وحاصروها فاستظهروا على
الرومانيين في معركة الىا الشهيرة ٣٩٠ واستولوا على رومية وحرقوها وبما كانت
الرومانيون يدافعون عن نفوسهم في الكينول كان كميل المنى منهم يصلح شوونهم في
الحارج واستمر الفوليون متبوتين رومية سبعة اشهر ولما التحبوا الى ان يحالوا عن اترابهم
وبهاجروا الى انحاء اخرى نزحوا من البلاد واصحبوا معهم الهام والغنائم . وفي اثناء
الثورة التي اخذت بين اليونان اشهر ايامينوننداس النيباني بعدله واستقامته وانتصاراته
٣٧١ ومن مبادي المألوفة ان لامين ولو هزلاً . واشتهرت اعماله الماثورة في اواخر حكم الملك
ممنون تحت ادارة هذا القائد المفضل نال النهبانيون الفوز على اللسدومنيين ونكسوا
شوكتهم واما ملوك مكديونيا فقد اخذت سلطتهم بيد في عهد الملك فيلبوس ابي اسكندر
الكبير ٣٥٦
اما فيلبوس ففصر عن تصدي ملكي الفرس له اخوس وابنه ارسيد وما ياده من
المرافع التي سبها له في اثينا ديموستينوس بفرط فصاحت وذوده الشديد عن البحرية
ظهر على اليونانيين مئة عشرين سنة وانتهلهم بوساً ودانت له السلطة المطلقة بعد ان قبض
على عنان النصر في موقعة كبروني حيث تنكس الآتينيين والتمدين معهم ٣٣٨ واذا كان
يصول على الاعداء ويجول ويتلقى صدماتهم بجحجج تجلجج جانت منه الفتاة فرأى ابنه
الاسكندر وهو في سن الثاني عشرة سنة يخرق صفوف النهبانيين فافتتر لذلك سروراً
وهؤلاء الجنود كانت بينهم الفرقة المقدسة التي تدعى جنودها الاصحاب وكانت يتحالف
فكرها مراراً ان تنكحها من الامور المستحيلة . وعلى ذلك استولى فيلبوس على بلاد اليونان
كافة وكان يضافر ابنه الذي كان منتهى آماله ووطاره واخذ من ثم يصلح الشؤون
ويقدم على المقاصد الحسنة ولم يهجم في بادى الامر الا بتقويض اركان دولة الفرس
فاغرى اليونان يات بولجوى قيادة جيشهم العام ٣٣٧ ومع ذلك فبني دثار مملكة
الفرس الى ان يقوم يمين الاسكندر . وفي ذاك الحين وثب على فيلبوس الملك احد
خطيري المدينة وقتله في غضون حيلة زفافه ٣٣٦ وما ذلك الا لانه كان قد قضى
عليه جوراً واعتسافاً وفي تلك السنة عينها ابتدر باغولس الخفي لقتل ارسام ملك
الفرس ونصب مكانة داربوس بن ارسام الملثب بقودمانوس الذي يحملنا فرط باسمه
على اعتماد الراي الاحق وهو المتول بانه من السلالة الملوكية . وعلى ذلك عكف على



* ٤٦ *

نبوء الملكة ملكان ذوا بسالة هما داريوس بن ارزام واسكندر بن فيليبس فقد كان هذان الملكان يتناظران ويتفرصا صدورهما حسداً وانجلي لدى الناس انها لم يلبدا الا ليتنازعا في امتلاك العالم . اما اسكندر فقد ازمع على ان يبط قدمه على ملكه قبل ان يكر على خصمه حاملاً فتأراً بادىء بدء اباه وقهر الشعوب الذين طغوا عليه وقردوا واستهانوا بحداثة وحطم اليونانيين الذين سولت لم نفوسهم عينا على ان يطرحوا عن مناكبهم نير عبوديته وجعل مدينة تانب طامسة دارسة ٢٢٥ ولم يعرض الا عن مواخاة عترة بندان الذي رنت اشعاره في البلدان اليونانية ولما قوي واصبح مظفراً بتلك المعامع الهائلة زحف على داريوس متولياً قيادة اليونان وواقعه مرات ثلاثاً فاذاقه عرق الفرية وقعة مذلاً ودخل بابل وسوز فائراً ٢٢٠ وجعل برسو بوليس حاضرم الفرس عاقبة دارسة وبسط فتوحاته الى بلاد الهند ٢٢٧

وبعد ان فرى النباقي ودوخ الحواضر مديناً بشعار التور عاد الى بابل ومات فيها وهو في سن الثلاث والثلاثين سنة ٢٢٤ وزنت في ذلك الان ابنة سنايلا السامري الذي تولى بلاد اليهود بامر من داريوس الى منسى اخي الكاهن العظيم فارقد شرارة الشعب بين اليهود فرغب اليه اخوه يادوس ومجلس اورشليم ان يطلق هذه الامراة الفرية فالي ذلك وانجاز الى السرة ففناه كثير من اليهود ليكونوا قاصين عن تلك الاحكام وعزم منسى منذ ذلك الحين على ان يبني هيكله بالقرب من سامرة على جبل غرزائم الذي يراه السامريون مقدساً وغدا كاهناً فيه . ولما كان حومه مقرباً الى داريوس وحائزاً من لدنه النعمة وترف العيش وعده بان يجعله مستظلاً تحت ستر حمايته غير ان الاقدار الطارئة كانت أشد عضد له لانه اذا بدا الاسكندر غادر سنايلا ملك الفرس واتاه بجريلق من الجنود ليقوم بناصره وهو محاصر صور ٢٢٢ وبناه على ذلك احسن مثواه واباله كل ما شاء وتنى واقم بذلك هيكل غرزائم وقبضت مطامع منسى على غاياتها

اما اليهود الذين استمروا مصرين على مواخاة الفرس فقد انفقوا من اسكندر واجعلوا على ان لا يودوا له الجزية التي طلبها فزحف عليهم قاصداً الانتقام منهم في اورشليم فشنع بذلك الحبر الاعظم والكهنة فيبادروا الى لقاء امامهم الشعب راغبين بانواب بفتنة فكظم اذ ذاك غيظه وعاملهم بالرفق والعناية ولما استقر به وبهم المقام اسدوا لديه نبوات النبي دانهال التي تنبى عن انتصاره فرنا اليهم بعين الرعاية ونعمهم كلما رغبوا اليه

* ٤٧ *

فيه فانقلبوا له اوداه اصفياه كما كانوا للملك الفرس وفي عرض الفتوحات التي كان يقوم الاسكندر باعمالها كانت رومية شاهقة الحرب على السنينيين الذين بناوحنها وكانت تضيق ذرعاً عن ان تقهرهم باعظم قادتها بايروس كبرسور ٢٢٤-٢٢٦-٢٢٥-٢٢٤

وبعد ان اغتالت اسكندر برائن الردي تجرأت ملكته اجراه وذلك لان برديكاس وبولموس بن لاغوس واتيكون وسلاكوس ولزيماك واتيياطر وابنه كماندر وكل القادة الذين ترمزوا تحت يده على انتقام المارك حملوا بعد موته على ملكته وقاوموا بالاحلحة وجعلوا كل سرايو اي انسيانو واخيه ٢١٨ وامه ٢١٦ ولولده ٢١١ وشقاتوه ٢٠٩ ضحية لمطامعهم فانصاع في ذاك الحين الدم مدراراً ولم يكن يرى الا معامع مشوهة بالدم الناصع ومواقع لم ير منها من مواقع وشعوب كثيرون من اسيا الصغرى وما يجاورها عضدتهم تلك الكوارث والبلابل على الاستقلال فبنوا الماقل الحصنة والمالك المحسنة مثل ملكة البون وبركام وبيتي . ولما كانت ارضهم خصبة ودانية الفطوف اثروا واصبحوا في ما بعد مالك قوة غنية والثقت في ذاك الزمن نفسه ارمينيا عن عانتها نير عبودية المكديون واصبحت مملكة عظيمة مثيرة رحمة البرور والبلدان وشيد متريدات وابنه الملقب باسمه مملكة كبادوك وكانت مصر اعظم الممالك التي شيدت في تلك الاحباب وقد اقامها بولموس ٢٢٢ بن لاغوس وملوكها بدعوت لاغيديين وسوريا التي وطد اركانها سيلكوس ٢١٢ وملوكها بدعون السلوسيين وكانت تفر لصولتها اقاليم في اسيا العليا اراضيها رحبة وغنية كانت من ذي قبل مخاضة الى عهد الفرس وعلى هذا نرى ان كل قاطني الشرق رضخوا لليونانيين وتعلموا لغتهم واما قادة جيوش الاسكندر فقد كانوا يعثون ويجربون على بلاد اليونان نفسها واصبحت مقدونية التي نشأت منها سلاطين الشرق فرمسة لمن نبوءاً عرشها وتطارد الولاد كماندر منها فطرد ديمتريوس بوليوريسيت بن اتيكونوس بيروس ملك البيروت ٢٢٤ الذي كان قد حل في قسم من هذه المملكة ٢١٦ ثم طرده بيروس المذكور ٢٨٩-٢٨٧ فطرد بيروس ليزيماك ٢٨٦ فطرد ليزيماك (٢٨٢ - ٢٨١) سلاكوس الذي قتله بولموس سيرانوس الممارود من مصر وذلك عدداً غير مكتمل بما افضل يو عليو ٢٨٠-٢٨١ ولم يلبث ذاك الخائن ان نبوءاً مقدونية الا باغته الغوليون حاملين وجندلوه قتيلاً في معركة تعانها



* ٤٨ *

الفرقان ٢٨٠ - ٢٧٩ وفي أثناء الثوارات الشرقية اتى الفوليون الى اسيا الصغرى يقدمهم القائد برونوس وتوطلوا غلاسيا التي دعيت باسمهم وهجروا من ثم على مقدونية فسلبوا ولوقعوا الرعية والقشعريرة في كل بلاد اليونان ولما حملوا على هيكلا دلف ٢٧٨ بغزونه رجع جيشهم القهري هالكين وكانت هذه الامة تغرك من كل الجهات ولم تغر بشئ *

وقبل الحرب التي زارت في دلف بقليل من الحوول ٢٨٢ اثار السينييون والبروسيون والانبريون الفوليين القاطنين ايطاليا يارب يزحفوا على الرومانيين وبروعوم فانقضوا عليهم واكثروا قلاهم وجرحاهم لكنهم لم يكتفوا بما قتلوا وحرقوا بل تطالوا الى قتل السفرا فاستشاط من ذلك الرومانيون واعادوا كيدهم الى مخورم لانهم تجدوا في مضار الوعى واثوم موائبة الضواري وتكلموا ايم تنكيل ودخلوا اراضيهم وهاجروا البعض منهم اليها وحملوا عليهم مرتين اخريين فتهزروم واغصبوا الباقين على ابرام الصلح ٢٨٢ ولما طرد غوليون الشرق من بلاد اليونان ٢٧٨ - ٢٧٧ اغار على مقدونية دون مانع انتيكونوس غوناناس ابن ديمتريوس بوليورست الذي كان حاكما بلاد اليونان منذ ١٢ سنة دون هدم وسكنية اذ كان يبروس مشغولا في جهة اخرى . ولما طرد يبروس من هذه المملكة حملته المطامع على ان يفتح ايطاليا وذلك بعد ان استدعاه الترسيون لانغاتهم ٢٨٠ لان الرومانيين ظهروا عليهم وعلى السينييين فلم يكن لهم وقتلهم سند الا على يبروس فزاع يبروس الرومانيين بافيالو التي كانت ذريعة لان يولوا مدحورين وتغلب عليهم في مواقع سبت له خرابا ٢٧٩ واما الفصل فابريسوس فاعلن الى الرومانيين ان الظهور على يبروس ليس من الامور المستحيلة وكان ذلك الملك والقنصل يتنازعا في كرم النفس منازعة اكثر منها في السلخه فاعاد يبروس الى القنصل الاسرى كافة دون فدية قائلا له ان الحرب تكون بالحد يد لا بالقضة وبعت فابريسوس الى يبروس بطيبيه الخائن الذي وكل على نفسه قتل سيك الملك بالم ٢٧٨ . ومن ذلك الوقت ذاع دين اليهود وظهروا لدى جميع اليونانيين وكانوا عاتشين بالرغاية والطائفة حسب شرائعهم وملوك سوريا يستلثون انظارهم اليهم ووطن كثيرا منهم في اسيا الصغرى انتيوخوس المسمى الاله حفيد سلاكوس فامتدوا من هنالك الى بلاد اليونان وتبعوا في كل الجهات بجفوق الامالي وهربهم وكان قد ظلمهم قبلا في مصر بولاموس بن

* ٤٩ *

لاغوس . وفي عهد ابيو بولاموس فيلادلفوس ٢٧٧ ترجمت كتبهم الى اللغة اليونانية وعرفت اذ ذاك هذه الترجمة بالترجمة السبعينية ومنهجوها كانوا الشيوخ العلماء الذين بعثهم اليها الكاهن العظيم الى الملك اجابة لانهم صدر منه اليو . وقد زعم البعض انهم لم يترجموا الا خمسة افسار الشريعة وان ما تبقى من الكتب القدسية ترجم الى اللغة اليونانية في عهد اليهود الذين كانوا في مصر واليونان . اذ من الممكن ان يكونوا قد نسوا لغتهم العبرانية القديمة واللغة الكلدانية التي تعلموها وقت سبي بابل . وقد اختلفوا لم لغة جديدة مزوجة من العبرانية واليونانية كتبت بها الترجمة السبعينية والعهد الجديد يقال لها اللغة الهلانية . ولما امتد اليهود على وجه البسيطة وتداولت انبياءهم السنة البرايا شاع صيت حكمهم في العالم كله فامته ملوك الشرق وقدموا فيه الحرفات والقرايين . واما الغريون فقد كانوا يرتقبون العواقب التي تقيم من الحرب بين يبروس والرومانيين واما القنصل كبريوس فقد قمع الملك ٢٧٥ والجماعة الى عبور البحر والاشناء الى بلاد الايبورول يستكن الان زمانا قصيرا لانه عول على الاغارة على مقدونية رجاء ان يعوض عن خسائره في ايطاليا . وحضر انيكونوس كوناناس في نمالونيك وضيق عليه ووضع يده على مملكته ٢٧٤ ثم تقوى انيكونوس لما كانت المطامع النفسية تبعث يبروس على الحمل على اللاسيدمونيين والارجيين فالتقى المسكان معا في مدينة ارغوس حيث احزاب مختلفة استصرخوا فدخلوا المدينة من باين مختلفين ونشأت فيها موقعة تشعشع منها الابدان فدنا من الملك يبروس شاب وجرحه في يده جرحا بليقا ففناه مطاردا قصد الانتقام فرائته ام الشاب وفي على سطح صرحها فاهوت عليه حجرا من فوق اتخذت به انفاة ٢٧٢ ولما ملصقت الظروف انيكونوس من احبولة عدوه الاله انتي راجعا الى مقدونية التي بقيت منوطه بدمه سلاله غريب تقليات عظيمة . ومعاملة الاشيين صددت هذه المملكة عن سعة ارضها وقد كانت هذه المعاهدة كبحن الحربة الاخيرة في بلاد اليونان ومنها نشأ البطلان اللذان رقعا راية السوداء والفخر فوق اليونانيين وهاارتوس وقيلومين واما التراتونيون الذين كان يبروس يعدم باساعده ايام مواعيد عرقوية استصروا بعد موته اهل قرطاجنة . ومع هذا فقد خابت امالهم لان الرومانيين قد تكسوم والبروسيين والسينييين الذين كانوا يواخوهم وبعد حرب استقرت اثني وسبعين سنة وضع السينييون للرومانيين واقفانهم قرب ذلك التراتونيون وكل الشعوب المجاورين



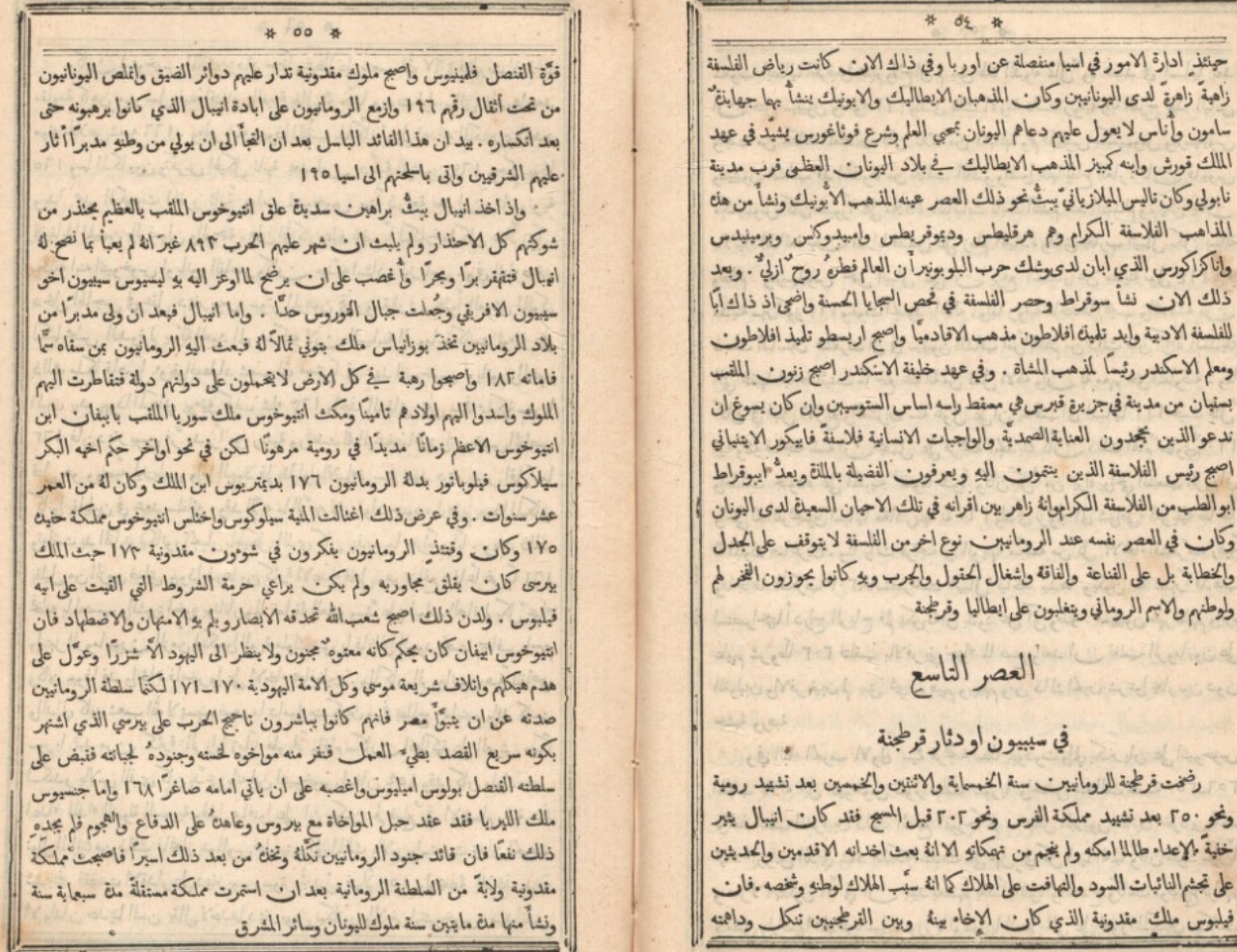


الجاورين المتشاعرين فكروا في ان ينالوا طابنة من جهة القرطيين ولذلك ابرموا عهداً مع اردروبال واعدا اياهم انه لا يعبر البتة وراء نهر الابر. واحتدمت في ذلك الحرب نار العها بين الرومانيين والغوليين مجدة من النبتين ٢٢٤ وانضم القرطيليون (١) الى السربليانيين (٢) وقامت الحرب هائلة زائفة فتكفل الرومانيون بالصرايين ٢٢٤ واسروا من وسط المعركة كونكوليتانوس احد ملوك الغوليين. وملك اخر منهم يقال له آيرومتوس اخذ به الكمد كل ماخذ فانغفر. فحيتفر عبر الرومانيون الظافرون من البومرة اولى وعولوا على ان يستولوا على كل نواحي النهر التي كانت الغوليون يسيطرون عليها منذ اجال عديدة وكان النصر يرافهم ابان رحلوا او حاربوا ونفقوا مدينة ميلان وقصارى الكلام ان اكثرية البلاد رضخت لدوكتهم وفي ذاك الحين توفي اردروبال ٢٢١-٢٢٠ وخلفه انيبال وهو في سن الخمس والعشرين فاجتمع الكل حيتفر على الحرب وعزم انيبال على ان يبع اسبانيا لا يكثر بما تنص المعاهدات السابقة فنهض الساكوتيون وشكوا امرهم للرومانيين الذين كان وثاق الاخاء شديداً بينهم ٢١٩ فجمع الرومانيون الشكوى بكل اصغاء وبعثوا سفرا الى قرطجة ٢١٩ واما القرطيجيون الذين كانت قد اصطلحت احوالهم فلم يعينوا بالتسليم ولا كان الحقد على الرومانيين متأصلاً فيهم لكونهم اخذوا منهم صقليا وسردينيا وتلوا عليهم المخرج فحيدوا الوقت لاختد الحار ولذلك لم يفر الحرب الذي كان يرغب في تسليم انيبال وكان هذا القائد المجرى يزو الى كل امر بهن البصرة فارسل سفراً سراً الى ايطاليا ليقروا له بمعاد الغوليين القاطنين فيها واذا كانت هذه الامة غير قادرة ان تبهر امراً بذاتها فحينئذ الوقت عند مرور ذاك القائد فنهض من عاوي حالها القعسة. فعبز انيبال حيتفر من الابر وجاز جبال الابراني وكل بلاد الغوليين القاطنين وراء جبال الالب وغير جبال الالب تنمها وحمل على ايطاليا بغتة فاخذ الغوليين بدافعهم اشد الدفاع عن حريتهم غير متفادين عن اكثار المجتهد فتكسر الرومانيون اربع مرات وظل الجميع ان دنار رومانية قريب ٢١٦-٢١٧-٢١٨ وانجازت صقليا الى المظفر القافر لان ابرومتوس ملك سيراكوز اعلن انه عدو للرومانيين ٢١٥ واكثرية

(١) الغوليون القاطنون وراء جبال الالب (٢) الظافرون جهة الالب من ايطاليا

شعوب ايطاليا اعرضوا عنهم ولا ح ان لم يبق لهن الدولة غمال ولا عضد في اسبانيا بعد ان قتل سيبون واخوه ٢١٢ ولدى تلك الأزمة نالت رومية راية الفرج بعد الياس ونجت من مكائد المعتدين فان ثلاثة من اعيانها وهم فايوس مكسيموس ومرسيلوس وسيتيون الشاب قد اغدوها من مخالف العدو ونصوا عنها لفاع العار. فان فايوس مكسيموس كان صبوراً على ملاقاته الثابتات ثابت القدم عند الضدام ولم يكن يجل بالالقاء الدافعة بين البرايا فتقبض على زمام القيادة وطلق بحارب انيبال بكل بسالة ونظام. ومرسيلوس حمل انيبال على ان يرفع الحصار عن مدينة نول ٢١٤ ففتح مدينة سيراكوز ٢١٢ وتوفت الجيود باعاله. واما رومية فاخذها العجب والدهشة من ذلك الياسين فشعرت ان في سيبون الشاب امراً اعظم من ذلك فان آراءه السديدة التي عنها بحاجة اثبتت ما منع عنه انه من نمل الالهة وانت له معهم حق المناوضة. ولما كان في اجل الاربع والعشرين سنة عول على ان يذهب الى اسبانيا ٢١١ حيث قتل ابيه وعمو فاجتة نفسه ان يجبل على قرطجة الجديدة كان ذلك المأم ساري ٢١٠ واطنحت جنوده على المدينة ففتحوها عنوة. وكان كل من يراه يواخي الشعب الروماني واخلى له القرطيجون اسبانيا مغادرتها له ٢١٠ ولدى نزوله الى شواطئ افريقية طأ طأ له الملوك صاغرين. ولما رأت قرطجة ان الويتها منكسة من كل الانحاء اتشعرت رغبة وفاجأها الكرب ٢٠٩ فاستصرخت انيبال لياخذ يدها ويكون لها نصيراً فذهب استصرخها ادراج الرياح فلم يمكن له ان يدود عن آل وطنه. فسيبون ظهر عليهم واربم عليهم شروطاً ٢٠٢ فتلقب بالاقر في جزاء لما صنع وبعد ان تغلب الرومانيون على الغوليين والافريقين لم يبق شيء يرههم ويجهلهم ومن ذاك الحين شرعوا بحاربون دون خشية ورهبة

وفي اثناء الحرب الاولى سيق قرطجة سطا يهودوت والي بكتريان على انتيوخوس الملقب بالاله ابن انتيوخوس سوتر ملك سوريا واخلى منه الف مدينة ٢٠٥-٢٠٣ واتخذ اغلب القرطيين ذلك الصنع انوزجاً لم. فنهض البرزيون عاتين متبردين تحت قيادة ارزاس الذي شاد مملكة امتدت على ممل في كل اسيا العليا وكان ملك سوريا ومصر لا يهتمون الا في ان يهد بعقهم بعضاً باقوة او الخداع وكانت موضوع نزاعهم دمشق وارضها المدعوة سيلي سوريا اوسوريا السلي التي على نفور الملكيتين. وكانت





* ٥٦ *

وكان انتيوخوس الملك يزداد حقاً وغيظاً على شعب الله ١٦٧ فظهرت اذ ذاك مقاومة كاهن من نسل فينة اقتفاء بالغيرة يقال له متييا وبدت ايام التي غادرها بعد موت جلاص شعبه ١٦٦. وظهر ابنه يهوذا الملقب بالمكابي على اعدائه الكثيري العدد ١٦٥ وما المكابيون وتكرس الهيكل ثانية بعد اث دسنة الوثنيون ١٦٤ وحكم يهوذا وبدا يجمع الكهنوت المقرر ثانية ومات انتيوخوس ميتة ذريعة بعد ان تاب توبة لا يقابلها الجحيم بالرضوان والرحمة. فان الله كان عليه غضباً لكثرة ما كان عبداً زنياً. وخلفه ابنه انتيوخوس اوبانور القاصر وكان مذهبه استاذة ليزرياس. وفي اثناء صغره دخل الهاجس في عقل ديمتريوس سوتر المروني في رومية اث يتيم العرش الملوكي لكما مجلس الدوع لم يوثقه العود الى مملكته لان السياسة الرومانية كانت تؤثر على ذلك ملكاً قاصراً. وبقي اضطهاد شعب الله مستمراً في عهد انتيوخوس اوبانور والقاصر المين بيد يهوذا المكابي بوتيو كيف شاء ١٦٣ واخذ الاتفاق يحى في ملكة سوريا ١٦٢ فان ديمتريوس فر مدبراً من رومية ورضخت له الرعية صاغرة وانتيوخوس القاصر قتل هو ووصيه ليزرياس واما اليهود فلم يقابلوا بالاساءة في عهد ديمتريوس اقل ما كانوا يقابلون في عهد سلفائهم. وقد اثموا ما هم لان قواد جنوده ارفعهم يهوذا المكابي وتعلنت يد القابض نيكاتور الجبار بالهيكل الذي كان يندره بها خراباً بياباً. وبعد ذلك بقليل من الزمن ضاق يهوذا ذرعاً من كثرة الاعداء فقتل وهو يدافع دفاعاً غريباً ١٦١ فغلغله بالمصب والشهف اخوه يونان ولما ضايت العدو وسد عليه ابواب النجاة لم يكل عياه وانتهز الرومانيون الزمن لينكسوا الوية ملوك سوريا فاضلوا اليهود تحت سجاج باسم وكان يهوذا قد واخاه فاستبروا على الاخاء محافظين. ولما كان الرومانيون رهبة للقاضي والداني كان شعب الله لا يسمهم ضير ما داموا متمسكين في بطاح حمايتهم ولقد كانت سوريا تمتد من كثرة الرزايا زماناً طويلاً واقام سكان انطاكية على العرش ملكاً اسكندر بالاس الذي كان يدعى بانه ابن انتيوخوس ايفان ١٥٤ وقد كان ملوك مصر اعداء الداء للدولة السورية ولهذا عفاقتوا على ان يكون لهم ضلع في الانقسام رغبة في نوال المانية من ذلك فانجاز بولماوس فيلوميتور الى الملك بالاس واستمرت نيران الحرب شديدة. فقصت الاقدار على ديمتريوس سوتر فجدل قتيلاً ١٥٠ ولم يخلفه الاخذ بدمو الا ولدان حديثا السن يقال لاحدهما ديمتريوس نيكاتور والاخر انتيوخوس سيداناس

* ٥٧ *

وعلى هذا بني الخنسل غير مذعور ولا موفات وزفت اليه كهوبانرا ابنه ملك مصر واما بالاس فقد ناجته نفسه انه فاز بكل شيء فخاص في بحر الفساد فاصبح ممتهماً لدى كل الرعية. وفي الوقت نفسه فض فيلوميتور الدعوى المشهورة بين السامريين واليهود ١٥٠ وكان لا يبرح المنشقون المناقضون شعب الله يحاؤون الى اعدائهم. ولكي يجعلوا انتيوخوس ايفان يوسع فيهم بعين الرضى كرسوا هيكلهم على جبل غزرام لجويثير المضباب ١٦٧ وزيادة على ما كفروا ودنسوا طوحوا في المسئلة تطويحاً وعلفوا يبرهون بعد ذاك المحين امام الملك بولماوس فيلوميتور في الاسكندرية ان هيكلهم له حق الاوبوية على هيكل اورشليم فيبادر القرينان الى حلبة المحاكمة والى كل فريق يقطع راسه ان لم يأت بالبينة الصادقة من ايات شريعة موسى على صحة الدعوى. لمختص الحق لليهود وعوقب السامريون بقطع الرؤوس حسب اليهود وسخ ذلك الملك لاثونياس من نسل الكهنة بان بني في مصر هيكل هيلوبولس على رسم هيكل اورشليم فصدر الحكم من مجلس اورشليم ان هذا المشروع مناقض لمطوق الشريعة

وفي ذلك الوقت كانت قرطجة تغترب وتقيم بكل عناه ومنفعة ما انتفها في سيبون الافريقي الطافرو ولذا عزم الرومانيون على تعذيبها. ومن ذلك انتشبت الحرب في قرطجة مرة ثالثة ١٤٦ - ١٤٨ ولما اصبح ديمتريوس نيكاتور باقياً هبس في اث يتيماً ثانية عرش اجداده. وملاينة الخنسل جعلته يتأمل بذلك فوزاً ١٤٦

ولما علم بالاس بشيوية ديمتريوس وما آل الامر الى النضاض اضطرب من ذلك جداً فانتصب حموه فيلوميتور مناقضاً له لان بالاس لم يدعه يتولى على مملكته السورية وطلقة عرسه كهوبانرا التي طالما اغراها الطمع بان ترف الى عدوه. ثم قتل هذا الملك جنوده بعد ان تقهر في المعركة ومات فيلوميتور بعد بقليل من التحين لكثرة ما اتحن من الجروح. وبناء على ذلك تخلصت سوريا من مخالف عدوين الذين قضى التدر على مدينتين عظيمتين اصيحت عرضتين للدار في آن واحد. فان سيبون اميليان بعد ان فتح قرطجة اطلب فيها النار فاحرقها وقرر بهذا الفوز لثب الافريقي في عائلته وادى انه اهل لان يكون وريث جك سيبون العظيم وجرى على مدينة قورثية ماجرى على قرطجة وثلاثت جمهورية الاثوين في الوقت نفسه. فان التفتل موميس طبق اسوار هذه المدينة لانها



كانت مقر الخلاعات والزخارف اليونانية وقد كان فيها تماثيل قيمة لا يعرف لها قيمة عند الرومانيين نقلها الى رومية . فان الرومانيين كانوا لا يهتمون بفنون اليونان وصناعاتهم ولقد كانوا يفتخرون بمعرفة فن الحرب والسياسة والزراعة . وفي أثناء الرزايا التي كانت تلم بسوريا كان اليهود يفتخرون بالقوة والياس . وكانت كل من الحزبين يزدحم لاستئالة يونانان اليه وكان نيكاتور الظاهر يعاملهم معاملة اخيه ١٤٤ ولم يلبث طويلاً الا جوزي على ذلك جزاء مشكوراً . فان اليهود لما رأوا ان الشعوب ناروا عليه اهرعوا اليه متذنبين من ايدي العصاة المتمردين فانتقل هذا الملك يونانان بالانعام ولكنه لما علم انه ثبت في ملكه رجع الى مشرب اباؤهم وعلق يلقب الذي على اليهود كالسابق . فبدت حيثنر اللابا والنائبات في سوريا ثانية فان ديودوط الثالث بتريون اثنى على العرش الملوكي ولداً من اولاد بالاس وصاه انتيوخوس الاله واستمر له وصياً مدة بضاضته واخذ ديتريوس يعتو ويحور في الرعية فهاج الشعب ضده نائرين وجاهروا بالعصيان . واصبحت بلاد سوريا مضطربة في افناء الحروب الرائعة وانتهز الفرصة يوناناس وجدد المعاهدة مع الرومانيين ١٤٤ - ١٤٢ وقبل ان قتله تريون مع اولاده مخالفة لكلامه كان الفحاح بانو كيف شاماً . وخلفه اخوه سيمان ارضن الميكائين واسعدهم طالعاً فضاقر الرومانيون كما كانوا يضافرون اسلافه

واما تريون فلم تكن خيائته للملك الفاصر اقل مما كانت ليونانان فانه امارت هذا الولد بواسطة احد الاطباء بحجة ان الملك المحدث مريض بالحصاة . فعلق بهالجه معالجتها فاماته ولم يكن مريضاً بذلك ابداً . وبناءً على ذلك وضع تريون يده على قسم من المملكة ورغب سيمان في ان ينجح الى ديتريوس نيكاتور الملك الشرعي ونال منه حرية وطه التي تصدى لخرقها تريون المتمرده . فدافع عنها اشده الدفاع ١٤٢ ثم طرد السوريين من المعقل الذي حلوا فيه في اورشليم واخرجهم من كل محال اليهودية

ولا التي عن عوائق اليهود نير عبودية الوثنيين ببسالة سيمان فلدوه الخوف الملوكية وحافظوا عليها لسوا . وقبل ديتريوس نيكاتور ذلك النظام المحدث ولدى ذلك بدت مملكة شعب الله الجديدة وولاية الاسمين المتبرنة بالسلطة الكهنوتية وفي ذلك الحين كانت دولة البريتين تمتد في بلاد بكتريان والهند بانتصارات الملك

متريدات انهم الارزاسيديين واسلمهم . وبينما كان متريدات زاحفاً على شواطئ الفرات اصبح ديتريوس نيكاتور الذي استغنى الشعوب الذين داهمهم متريدات يني آماله على ان يخضع البريتين الذين طاموا اعتداهم السريان عاتين متمردين . ففاز بذلك احياناً حجة ولما تم بالرجوع الى سوريا امل ان يعي تريون نصب له احد قادة جيوش متريدات فتحاً فوقع فيه فليث اسيراً عند البريتين ١٤١ وصد عن تريون اصحابه بغنة لان كبرياءه اقلتهم يومساً وجعلتهم لا يثقون على ارتفاع انفسه . وفي مدة اسر ملكهم الشرعي خضع السورينيون لحكم امرأتهم كليونترا واولاده ولكنهم الجئوا الى ان يقبوا لهؤلاء الملوك القصر محامياً . وذلك لانهم لم كانوا منوطاً طبعاً بانتيوخوس سيدريس اخي ديتريوس فجهدت كليونترا بان تجعل جميع الرعية يعترفون به وقد صنعت اكثر من ذلك لانها لما شعرت ان فرعون اخا متريدات وخطبته كان يعامل نيكاتور معاملة ملك وانه زوجها بيترو رودوغونة اقترنت في نفسها بانتيوخوس سيدانيس واخذت من ثم تحكم بكل اصناف الانام والجواهر فعمل انتيوخوس الملك الجديد على تريون وانضم اليه سيمان لكها الجواهر بعد ان طرد من كل محتشكاته تم حياته حسناً يستغنى ١٣٩ واما انتيوخوس فلما تسلط على المملكة نسي حالاً خدمة سيمان وقت اصطلا نار الحرب وقتله ١٣٥ وبينما كانت يبرز اليه كل قوات سوريا ليناضل اليهود خلف يوحنا هيركان ابن سيمان اياه في الحبرية وخضع كل الشعب له خضوعاً كاملاً ودافع في حصار اورشليم بكل جرأة وبسالة واما الحرب التي يملك فيها انتيوخوس ضد البريتين رجاء ان يخلص اخاه من وثاق الاسر جعلته يلقب على اليهود شروطاً ليست باهظة

ولدن وشك ابرام الصلح رأى الرومانيون لم اعدته اللاء اشدها يتاورون الملمات ويصادمون النائبات عبداهم تخار بكثرة البصار ولما كان اهونوس من العبيد مجدداً اماج العبدى في صقلية وافضى الامر بالدولة الرومانية ان تستعمل كل قوتها لتفهم . وبعد ذلك الحين شبت نار الفتنة في رومية بسبب ارث اناكوس ملك بركام الذي اقامه له الشعب الروماني حسب اوصى قبل موته ١٣٣ فاخذت اللابل تشب في المدينة . ومن ثم احدثت ثورة الكريك واصبح الشعب الذي نشأ في عرض ذود طيار يوس كركوس احد اعيان رومية ذريعة الى هلاكه وذلك بامر صدر من مجلس الدولة وكان من تولى هذه القلة سيبون تريكا واما سيبون اميليانوس فقد كان ينفذ



* ٦٠ *

نظام الجنود وهذا الرجل الذي كان قد هدم قرطاجة هدم أيضاً في إسبانيا ١٤٢
مدينة نوماس التي كانت موضوع رهبة الرومانيين
وأما البريتون فلم يكن لم أن يصدوا اثيوخوس سيدانيس الذي دانت النصر
لجنوده قسراً عن فسادهم اللاتسي عن تبرج غريباً وبدت من يوحنا هيركان الذي
كان قنأه في تلك الحرب الرائعة مع اليهود بسالة لانصاهها بسالة وطلق الملك يحترم
دين اليهود وعبادتهم وتأييداً لذلك فإنه أوقف جيشه ليكون لم فرصة يمتثلون بها
بأحد أعيادهم

وقد رشح كل شيء أمام سيدانيس خضوعاً والتقى الملك فراهورت إلى أن يرجع
تعود مملكته إلى أصلها القديم لكنه لم يأس من النجاح في أموره وأخذ بهجس أن أسيرة
ديتريوس يكون الواسطة الكبرى لتأمين أحوال أماكن شن الاغارة على مملكة
سوريا. وحدث في هذه الظروف لديتريوس أحوال متباينة فأولاً كانوا يطلقون سبلة
وأولاً كانوا ينجرون عليه حسباً كان يتقوى الأمل أو الخوف في قلب حبيبه ولما مكر
فراهورت أنه لم يبق له نجاه إلا بهتك يجره في سوريا بواسطة ديتريوس أطلق له
عنان الحرية تماماً

نفذت حيثما الشومون ١٢٠ فإن سيدانيس الذي لم يكن عنده شيء من
الجلد على أحوال المصاريف الباهظة إلا بالسلب رأى الشعب ثأرين عليه طراً قائمين
على قدم وساق فملك هو وجيشه الذي تظفر مراراً عديدة ويهت فراهورت إلى
ديتريوس يطلب إليه الحضور فكان ذلك عتياً فإن هذا الملك كان قد عاد إلى
المملكة ورجعت إليه امرأة كهو باترا التي لم تكن تود إلا أن تكون يدها الأمر. وأما
رودوغونة فقد وقعت في مهاري السهان واغتم هذه الفرصة هيركان ونزع مدينة سبسيم
من السامريين وطس هيكل عزرايم. وذلك بعد ما شاده سانبلا بماضي سنة. ولم يكن
ذلك الدثار مانعاً للسمع عن أن يستمر عابدين على ذلك الطود وليست الامتياز
قاطعين رباط الآلة والاتحاد. وبعد أن مضى على ذلك المكين عام ضم هيركان كل
بلادهم إلى مملكة اليهود باتصاراتهم وجعلهم يبعون شريعة موسى ويتقبلون الختان
١٢٩ واستمر الرومانيون يحامون عن هيركان وأغصبا السامريين على أن يعيدوا له
كل المدن التي نزعوها منه ١٢٨ وأما ديتريوس نيكاتور فلم يرع طويلاً الطائفة والسلام

* ٦١ *

لكثرة ما كان عنده من الكبر والعسف فتار عليه الشعب قصد العصيان. ولكي يوجهوا
نيران الفتنة أقام المصريون الذين هم أعداء للسوريين ملكاً آخر وهو أسكندر زيبينا ابن
بالاس ١٢٥ فتشكل جيشه ديتريوس وتوحدت كلويتراتها تال سلطنة الحكم باسم أولادها
أكثر منها في عهد زوجها فتنتله ولم تحسن معاملة ابنها البكر سلاكوس الذي شاه أن
يتولى السلطة بالرغم عن ابنها ١٢٤ وأما ابنها الثاني اثيوخوس فكانت قد حمل على
العصاة وهزم ورجع مظنراً فدينت منه والدته وقدمت إليه كاساً ممتعة سما فقطرت لما
استقبلت وارتغيا على شرها فشر بها فانت قتيبة المجنانية ١٢٠ - ١٢١ ولدى مواعها
تأصل التنوير والشقاق بين أولادها الذين ولدتهم بزواجها الأخوين ديتريوس نيكاتور
واثيوخوس سيدانيس وبقيت مملكة سوريا مضطربة واهبة الثرى لاستطيع وعيد اليهود.
وتفجع لدى ذلك يوحنا هيركان السامري ١٠٩ لكنه لم يكن له أن يهدي السامريين إلى
الآمان الحق ثم عشت يو ايدي الملون بعد ذلك الحادث بخمس سنوات ١٠٧ - ١٠٤
وبقيت اليهودية ساكنة راضية لهده ولديه اريستوبول واسكندر جاني الذين تعاقبا بدوال
السلطة بدون أن يقتلها ملوك سوريا ١٠٦ - ١٠٣ وكان الرومانيون لا يتصدون لهك
المملكة الغنية بل غادروها ثلاثي يذاهبا لما كانت تنفذ عساكرهم في جهة الغرب. وفي عرض
الحرب التي شبت بين ديتريوس نيكاتور وزيبينا ١٢٥ كانوا قد أخذوا بنسبطين وراة جبال
الالب. وسير سكتيس الذي ظهر على القولين الملقين بسلبانين إلى مدينة تاسيس مهاجرين لم
يزالوا يلقون باسمه ١٢٤ وقد كان القوليون يدافعون عن نفوسهم بوهن فان فايوس قهر
اللعوج ١٢٢ - ١٢٣ وسابر الشعوب المجاورين وفي نفس تلك السنة التي فيها ارغم
جربريس امه على أن تقرب كاساً فيها سم أحلقت القول الترونية إلى مقاطعة رومانية
ولقيت هكذا ١٢١ - ١٢٠ ولقد كانت الدولة الرومانية تند وتغل في كل الارضين
روياً رويماً ونفوس كل الجور المتعارفة. لكن يندار ما كانت هيئة الجمهورية تبدو في
الخارج عظيمة لعظم فتوحاتها كانت داخلتها سيئة وذلك متأثرة من مطامع اهليها المتعارفة
وسازعائهم المدنية لأن اشرف الرومانيين واشهرهم اصبح اعظم مضيق للدولة الرومانية وأبى
الكرك الاخوان بانتصامات لم تنو إلا بانها الحكم الجمهوري وأما كايوس اخوطيايوس
فقد شق عليه أن يتأسي على موت اخيه العظيم بتلك الهيئة الدموية فتأهب هاتماً للانتقام
بمحاسنة بعض الناس على أن يخالوا أن روح اخيه تحركت فيه. فاخذ يدسج الاهلين بالسلاح



* ٦٣ *

ضد بعضهم ولما لم على ان يوتي كل شيء مات ميتة اخيه التي كان يود لو يستمر لها متفقا
وقد كانت الرشوة سائنة في رومية فان جوكورتا ملك نوميديا ١٠٩ الذي انتطع بدماء
اخوته الذين كانوا تحت حماية الشعب الروماني دافع عن نفسه بالرشوة اكثر منها بالسلاح
١١٢-١١٦-١١٤ وماريوس الذي فاز به اخيرا لم يكن له
وسيلة للتبض على عنان الصولة والسلطة الا بانارة الشعب على الاعيان ١٠٦
وقامت العبدى مرة اخرى على قدم وساق وجاهروا بالعصبات في صقليا ١٠٣
فلم تكلف ثورتهم الثانية الرومانيين اقل دم من ثورتهم الاولى . وتغلب ماريوس على
الثوتيين والسيبريين والام الاخرى الثالثة التي كانت قد ولجت غاليا واسبانيا واطاليا
١٠٢ وعنت له فرص بانتصاره ليهز زرايا بجزيرة الارضين ١٠٠ واما مينلوس الذي
مانع عن ذلك فقد التجأ الى ان يتقاعد عن ذلك الشأن بسبب الظروف ولم يجد ناز
الشقاق الا بدم ساتورنيوس محامي الشعب وبما كان الرومانيون يدافعون عن كادوسيا
ضد متريدات ملك البونين ويتبعون هذا العدو اللدولتهم وبلاد اليونان التي
تمحرت له ٩٤-٨٨ كانت ايطاليا التي اعتادت خوض ٨٦ المعامع بسبب ما تحشمت
من الحرب مع رومية او عليها تمرد عليها واوشكت الدولة الرومانية ان ثلاثى ٩١
وفي الوقت نفسه كانت السلطة الرومانية تمزق بسبب غضب ماريوس وسيللا ٨٧-٨٨
الذين احدهما امد الغرب والشمال رهبة والاخر ظفر باليونان واسيا واصبح سيلانيك
وطه الذي انتفض اوقار الرق والعبودية ٨٢ وقد امكن له ان يفادر السلطة المطلقة
اخيرا ٧٩ لكن لم يكن له ان يدرك غوائل مثالي السبي لان كلاً كان
يود التسلط

وسرتوريوس المتحزب لماريوس بكل جرأة جند عساكر في اسبانيا ٧٧-٧٤ واتحد
مع متريدات ٧٦-٧٣ فلم يكن للقوة القسرية ان تظهر على هذا القائد البسول ولان
تضيق عليه مذهبا ولم يستطع بمبيوس فهد ذلك الحزب الا بيت الشقاق بين اعضائه
واما سبارتكوس الفارع بالحسام في المراسع ناجه نفسه ان يتقلد السلطة المطلقة بين
المجيش ولقد كان هذا العبد يرهق البزوربين والفاصل مقدار ما كانت متريدات
يعني ليكيولس ٧١ وتسعرت نار الوغى بسبارتكوس واحزاب حتى اصيحت خطرا على
الشوكة الرومانية . وتعرض على كراسوس اخذها والجماع الامر ان يبرض ضد العبدى

* ٦٣ *

بمبيوس الكبير

وقد كان ليكيولس يرقل برداء النصر في الشرق ٦٨ واجتاز الرومانيون نهر الفرات
وشق على قائدهم غير المتكلم من العدد اغصاب جنوده على نادية فريضتهم وكان
متريدات الذي تنكس مراراً حجة وهو غير ايسر من الفرج يعزّز ويتقوى
وبدا ان حضور بمبيوس كان لابد منه لاهاد سعي الحرب ولما ارسل يعني متريدات
طرد من البحار القرصان الذين يدخونها من ضفات سوريا الى عواميد هرقل ٦٧
وتبين حينئذ ان مجده اصبح كاملاً . وقهر هذا الملك الشديد الباس واعسف ارمينيا التي
اصطفاها متريدات ملجأ واباريا والباينا اللذين قامتا بناصرة وسوريا التي مزقت
احشائها الاحزاب الداخلية ٦٥ واليهودية ٦٣ حيث الانتقام التسع نطاقه بين
الاسوتيين لم تذر لمبركان الثاني ابن اسكندر جاتي من السلطة الا خيالاً وقصارى
الكلام انه اخضع كل الشرق . بيد انه لم ير محلاً يتم فيه احتفال الظفر بكل اعدائه
الالاء لولان القنصل شيشرون لم يخلص المدينة من شيوخ النار التي اعد لها كاتيللا
وعضابه من خطري رومية . وقد اصبح هذا الحزب المائل كالهيا المتفوق بفصاحة
شيشرون الخطيب اكثر من انكساره بالسلطة انطونيوس وصيفو في التوصلاتو . ومع ذلك
فقد بقيت الحرية في رومية مزعزعة الاركان فان بمبيوس كان متوجها ادارة مجلس
الدولة وكانت المداولات في المكاملة بذير رحاها دولاب لسانو

ولما فتح جولويس قبصر غالبا وارفع لشوكة وطموه هذه البلاد التي هي اكثر افادة
من كل فتوحاتها ٥٩-٥٨ هان عليه هذه الخدمة ان يشيد سلطته في وطنه ولهذا عزم
اولاً ان يساوي في المجد بمبيوس ثم ينفقه . وكان اكراسوس يهجم في ان يضاهي ذنبك
الخطيرين في الكرامة والمجد مثلما يضاهيها في الصولة ففكر ان غناه الجسيم يضاف على
ذلك ولهذا شهر الحرب على البرتين دون تبصر في العاقبة ٥٤ فكان ذلك الدأب
كيداً في حقونه وشرارة عيب في وطنه ٥٣ وامهين الارزاسيد المظفرون الرومانيين
يهزئون بما يطعمون ويندبون في حنة قائدهم . واما الغوائل العظمى التي سببها انكسار
كرسيس فلم تكن العار الذي مس الاسم الروماني بل ذلك منأى من انبغاض بين
بمبيوس وقبصر ولقد كانت سلطة كراسوس حاجزا بين الشوكين لكن ذلك لم يلبث
طويلاً بعد موته فان الخصمين المستولين على كل الثروات الرومانية اصبحا يطغى العنان





* ٦٦ *

بالذخيرة ابناؤه . واصبحت السلطة تنوارها السلالة القبطية وتحتضمت رومية مشقات
عظمى لكثرة ما اعتسف طباريوس بعباسه وجار لكنا الطائفة كانت في غير الحال
في اعلى السيادة . واما جرمانيكوس ابن اخي طباريوس فقد كدح وجهه في اخذ نار
الفتنة التي سرعها الجيوش المتردون ونبت السلطة الملوكية ظهراً وفهر ارمينوس الجبار
ووصل بنتوجاته الى صفات نهر الالب ١٦ وبذلك رضي عنه الشعوب بواسطة اعماله
واخلصوا له المريد وحسد ٤٤ البربري المتوعر الذي امانه غماً او سماً ١٩ وبعد ان
مضى على حكم طباريوس اربعة حوول ظهر يوحنا المهدان ٢٨ واعتمد يسوع المسيح يد
هذا السابق الالهي ٢٠ واعترف الالب الازلي بابو الحبيب بصوت ساوي . وحل على
يسوع الروح القدس بهيئة حمامة ودبغة وظهر اذ ذاك كل القالوث الاقدس . ولما كمل
السبعون اسبوعاً لدانيال الذي على المسيح بنذر ولقد كان الاسبوع الاخير ام الاسبوع
كلها واعظمها وماره دانيال عن غيره حيث كان فيه التعاقد على وشك التفرير ولان
الذبايح القديمة كانت في وسطه قرية الزوال ٨ ويمكن لنا ان ندعو الاسبوع الاسرار
لان تثبيت ارسالية المسيح قد كان . وظهرت في تعاليمه نجائب شتى وموته ٢٢ الذي
حدث في السنة الرابعة من انذاره وتوافق تلك السنة للسنة الاخيرة من اسبوع دانيال
الاخير واجترئت بموت يسوع المسيح الى جرئين

وبناء عليه لا يكون حساب الاسبوع من القضايا المشككة او بالآخرى هو مصنوع
طبعاً فليس علينا الا ان نضيف الى اربعائة وثلاث وخمسين سنة ظلت منذ ثلثماية سنة
من نشيد رومية وعشرين سنة من حكم الملك ارغششتا الثلاثين السنة الاولى من بداءة
الحساب السائر وفي التي تصل الى السنة الخامسة عشرة من ملك طباريوس ومعمودية
الخلص فيكون الحاصل من مجموع هذه السنين اربعائة وثلاث وثمانين سنة ومن سيع
السنوات الباقية الى ثمة الاربعائة والستين سنة تكون السنة الرابعة الوسطى في التي
مات فيها المسيح فعلى ذلك يكون كل ما تنبأ به دانيال ظاهر في المحدث المعين بكل
صراحة (١) . وليس لنا من الامر ما يعنينا على كل ذلك التفسير ولا شيء يثبتنا ان
نعتمد في كل تلك الصعوبة ما اوعز اليه دانيال لان المؤرخين المدققين يكتفون ان

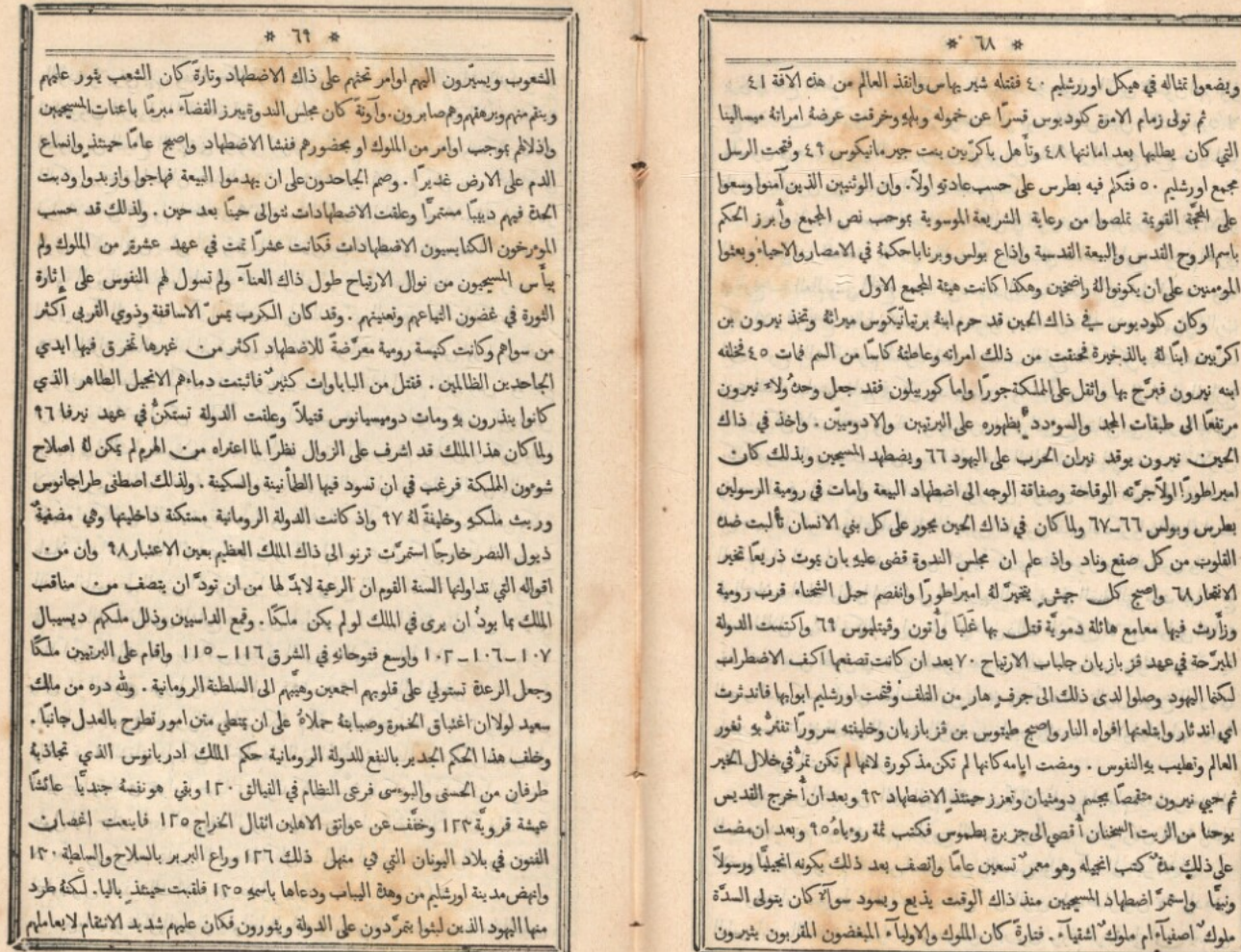
(١) دانيال اسفر ٩ ص ٢٧

* ٦٧ *

يروا في بضع نقاط نشأت بين الطرفين ما تفوتت به حتى ان الذين يهجمون انهم اولو
تحتج بحجة بان يحصروا بداءة حكم ارغششتا او موت الخلف قبيل ذلك او بعد لا
يتلبسون في حسابهم وان الذين يرغبون في هويش هذا الامر الصريح بتزاع حسابات
تاريخية يخلصون من تقريرهم الذي لا يجد لهم نفعاً

وهناك ما يقتضي معرفته لاجتناب الاشكال في المؤرخين الذين بين وادراك الآثار
اليهودية على قدر الحاجة . ولا عبرة بالبحث عما يناط بياتي حساب التاريخ . وعدم القوي
في تاريخ سنة العالم وسني المسيح يبعث على عدم ادراك سنة ميلاد المسيح قبل او بعد . ومما
كان الامر فن تصفح مقالنا وكانت الالمانية متوقفة فيه بقية ان ذلك لا يبعث بتوالي المارب
الرية . ومع ذلك كن قوم السلوك ياسيدي بحساب التاريخ فلأ تفعل عليك الحوادث
ودع العلماء يتنازعون فانهم في كل واحد يهيمون . ولا نعبأ بمن يذهب الى ان في التاريخ
الديويية كل عجائب المسيح ورسله . وسوف نرى ان في التاريخ حقائق شتى أكثر مما يتجلى
كالكسوف الذي حدث لدى موت الخلف فان الظلمة المدهبة التي غشت رداء الارض
وقمت صلبه في رابعة النهار قد احتسبها المؤرخون الوثنيون الذين نقلوا ذلك الحادث
الواجب التذكركسوفاً اعتيادياً واما المسيحيون الغابرون الذين اذكروا ذلك الحادث
العظيم امام الرومانيين فقد اعتبروه عجيبة كبرى نقلها مؤرخهم المدققون واثبتوها
في السجلات العامة واثبتوا ان الشمس لا يعتبرها الكسوف في السنة التي مات فيها المسيح
حيث الملل في غاية كماله . وان طراً شيء من ذلك فلا يكون الا من خوارق العادة
وقد تصفحنا نفس القول في تاريخ فليهيون معنوق الملك ادرينوس وقوله بمبثوث في
العصر الذي كانت ايدي العامة تتداول تاريخه وقفاً بذلك تالوس المؤرخ الصرباني
وأشير في تاريخ فليهيون الى السنة الرابعة من ما بين واثنين من الاوليات بانها معتبرة
كالسنة التي مات فيها الخلف

وقد نبض المسيح من القبر اليوم القالت تنبياً للاسرار وبدا امام تلاميذه وصعد الى
الما بمبثوث منهم . وبعث اليهم بالروح القدس وتوطدت حينئذ اركان البيعة واخذ
الاضطهاد يسود ورجح القديس اسطبانوس والقديس بولس آب الى حجر الايمان
وبعد ان مضى على ذلك الحير قليل من الزمن مات طباريوس ٢٧ وادھش
الناس ابنه بالذخيرة كالبوللا بمبثوته وعنه البربري وارغم الرعية على ان يعبدوه





بالقوة ولا يفرق بهم . وهناك حكمة الزاهي مجرور وتماثروا على جهد الصباغة والغرام واصنع
 انطونيوس المردول المثاله علة لعاره طول حياته ١٢١ واصنع علة لما اذخر ابناء له
 انطونيوس الصالح الذي بنى مركوس اوريليوس الحكيم الفيلسوف ١٢٨ ولقد كان ذلك
 الملكان يرخ فيها خلتان حميدتان ١٦١ - ١٢٩ فان الاب لم تكن نفسه تنجح الا الى
 ابرام الاخاء والصالح ولم تاخذه عن الاغارة سنة الكرى اذا اقضى به الامر الى ايقاد نار
 الوغى . وكان الابن يساور العدو في ساحة التزال وينهلك في ان يمين ربط الصلح بين
 الدولة الرومانية ومناريلها فان اياه قد اوعز اليه ان يفضل انفاذ واجد من رعيته على
 اهراق دماء الف من اعدائهم الكاشحين . ولطالما ضرى البريتين ١٦٢ والمركومانيون
 ١٦٩ واغرام بيسالتيو . اما المركومانيون فهم قتل جرمانية فمهم مركوس اوريليوس لذي
 موته وفضائل هذين الملكين بعثت الرومانيين على ان يتفادوا باسم انطونيوس . ولا جرم
 ان مجد هذا الاسم لم يكن خاملاً بتفنى لوسوس فرسيوس اخي مركوس اوريليوس
 ورضيعة في الملك اوشوس لومود ابيه وخطيبه ١٨٠ اما لومود فلم يستأهل ان يكون ولداً
 لايه الاروي . فانه نبذ نعيمة غير متمسك باعماله ولذلك اقام عليه مجلس الندوة والشعب
 تكوفاً وقد كاشعوه بالضعف وقلة وليته . وتدماءه الاصفيا ١٨٠ وخلصه برتيانوس وكان
 باسلاً ذاتاً عن النظام المجدي عزيزاً ولذلك لم يقعد عن ان يكون هدفاً للثائرين
 الذين اقاموه على العرش الملوكي قسراً عن ميل وطرح الجنود الملكة الرومانية وقتلوا
 في سوق الشراء فانهزى المشتري ديدبوس جوليانوس ليشربها فقتله سفاريوس الافريتي
 انتقاماً وكيداً واخذ يدم برتيانوس وجث في السرى طاولاً بساط الارض شرقاً وغرباً
 ونال راية الظفر في سوريا وغاليا ١٩٧ - ١٩٤ - ١٩٥ وبريطانيا العظمى ٢٠٧ - ٢٠٩
 ولقد بارى قيصر في الفوز والتفوحات لكنه لم يكن نظيره حياً حارباً ٢٠٧ وهبت بين
 اولاده فيمة الشقاق فلم يكن له اخادها ولما توفاه الله وشب حالاً ابنة البكر باسيان على
 اخيه جينا وقتله في حجرهما جوليا ٢١٢ ولقد كان تسعة باسكدر تسننا كاذباً . واستمر
 طول ايام حياته يفاقي الصروف الرزنية بينك حرمة السكنية قاتلاً عائناً فوات موتاً
 ذريعاً . ولم يكن يعاب بما زرع له ابوه فانه كان قد امال له قلوب الجنود والشعوب بحمية
 انطونيوس فنبذ ذلك الاسم غير حافل . ولا مكتسب بمجد ٢١٨
 واما هيليو غال بال السرياني (او الغال بال ابنه او المزعوم كايو) فقد سببت منه التوس

واغ منه التوس مزيلين المودة التي بعثهم عليها لقبه انطونيوس الذي سبب له الظهور على
 ماكريوس . ثم جرته رذائله الى ان يجرع كأس الحمام وخلصه ذو قرابته اسكندر سفاريوس
 بن ماما فلم يبق لسمه بخت العالم على الارض طويلاً بل قضى عليه بعد ان حكم قليلاً .
 فكانت موته للناس خيراً وقد طالما انبأ انه كان يشق عليه قمع جنوده الثائرين
 اكثر من قمع اعدائهم الكاشحين . وكان امه التي كانت تقوده باعماله كانت ذريعة له
 وندوخ مكنته كذلك كانت علة لهلاكه ٢٢٥ وقتل في عهد ارمحستنا الفارسي الباسل
 سين ارتيان الذي كان اخر ملوك البريتين وقام بناصر دولة فارس فرقع منارها مرة
 اخرى في الشرق ٢٢٣ - ٢٢٤

وفي ذلك الحين تعززت اركان البهجة الحديثة في كل الارض ولم يند في الشرق
 حيث بدت ابي في فلسطين وسورية ومصر واسيا الصغرى واليونان بل
 انها انتشرت في ايطاليا وبيت الشعوب الغالبة المختلفة الاجناس وكل مقاطعات
 اسبانيا وافريقيا وجرمانيا وكل انحاء بريطانيا العظمى حيث لم تطرق ايضاً
 اسلمة الجنود الرومانية . وامتدت الى خارج الدولة الرومانية في ارمينية وفارس والهند
 والبلدان البربرية كبلاد السمراتيين والداسيين والتمر والمغاربة والمجيتوليين وكل الجزائر
 المجهولة . ولقد تمت بدماء الشهداء والتي الى ضواري الوحش اسف انطاكية القديس
 اغناطيوس في عهد تريبانوس ١١٧ - ١١٦ . واما مركوس اوريليوس فقد كان لا يفتقر
 عن ان يعبد على المسيحيين لكثرة ما كان يرفع النية اليه عنهم المنسذون فبعد على
 محامي الدين المسيحي القديس بوسينيوس الحكيم وامانه قتلاً ١٦٣ وقضى بالحرق في
 عهد هذا الملك نفسه على القديس بوليكر بوس اسقف ازمير وتلميذ القديس يوحنا وهو
 في سن ثمانين سنة ١٦٧ وتبعه الشهداء مصائب شتى وعذابات كثيرة في ليون
 وفيما ١٧٧ اقتداه باسقفهم القديس فوثان الذي كان يبلغ من العمر ثمانين
 سنة وانتشر مجد بيعة غاليا في العالم كله . واما خليفة القديس فوثان القديس
 ابريتاوس تلميذ بوليكر بوس فقد اقتدى بسالته ومات شهيداً في عهد سفاريوس هو
 وجم عظيم من المؤمنين ٢٠٢ فكنياً ما كان المسيحيون يتنصرون الصعداء التباعاً الى
 ان تولوا من الاضطهاد ارتياحاً وبناء على ذلك يذكران مرقس اوريليوس بعد ان
 دوخ بلاد جرمانيا وصل بعساكره الى مغارة هيبا فاخذ الظلمة ويومجده كل ما أخذ



فأوعز إلى فرقة من المسيحيين أن استغيثوا من ركنهم على أن يأتينا بالغيب من عند
مداراً فتنازلوا من لدني الحسنى وتكونوا من المقرين فحرقوا على الأرض جنباً وطلقوا
يبحرون إلى الله فاستجاب الدعاء وغاث البادية بطمر غزير شفعه بانقراض الصاعقات
المرهبات لأعدائه فازتوى الملك والجند وبعثهم هذه الأعجوبة على أن يلقوا الفرقة
باسم صاعقية فراف الملك بهم وأوصل إليهم المسار فكانوا يوافقون وأوعز إلى مجلس الندوة
أن يرفق بالمسيحيين. وأسباب شتى كانت ذريعة إلى توقيف الاضطهاد إلى وقت ما أو
تأطيل لكذا السحرة الأفاكون توافدوا إليه واخذوا ينمون تلك العجايب إلى الله وأنه
أعطاها باستصراخه ربه وإن لم يكن ذلك بخاطر على بال الوثنيين. فاصاح الملك لكلامهم
وتوم أن منهم مفرغ في إناه اليقين ولذلك لم يقال أن ياده المسيحيين بالاضطهاد
والقلى وليت يعتم طالما كان يتم الحديث إليه عنهم المنسودون ويورثون ما بينهم وبينه
واسمخند الوثنيين عليهم محمداً والملك يحمل عليهم وبأسون ودماهم تصيب في كل
اتحاد الملكة بيد أنهم لم يتفادوا عن أدامهم الإرشاد والاذن في عرض تائبهم وإذلالهم
ففي عهد سفاريوس وبعث بقليل من المحبين ثلاث في البيعة أنوار توتوليانوس الكاهن
الفرطجي ورعاها وأثر الدفاع عنها بقلب نجيته حماة لكنه بعد أن كانت نواحيه القلوب
وتفريو المثل اصبح مرشوقاً بسهام الفتى والتفديد فإن الكبرياء أضلت بصبرته عن روية
الهدى فخرج من حجر الكنيسة وتخذ مونتانيوس التنبى الدجال مثالا له وديدنا لأعماله
٢٠٥-٢٠٠ وكان في ذلك الحين قد بحث الكاهن الفضال القديس أكيمندوس الاسكندري
عن آثار الوثنيين القديمة قصد ادخالها اما اوريجنوس بن لاندوس الشهيد فقد كان وقتئذ
عالماً نعتزه الكنيسة منذ نعومة أظفاره وعلم حقائق عظيمة بخامرها من الضلال شي لا كثير ولقد
كان الفيلسوف امونيوس يستهم بأمر الدين المسيحي فاهزله من فلسفة افلاطون أدلة
وحججاً يترتب عليها ثبوتها واستحقاقه الشان والكرامة من كل من يعرفه حتى من الوثنيين
ايضاً. وفي ذلك الان قامت شيع كثيرة منها الغنوسيون ونباغ والتنبائيون وغيرهم من
الجاحدين وتصدوا لحرق شأن البيعة والانجيل بالترهات والتقليدات الباطلة فانبرى
اليهم القديس ابريناوس وعانى يقاتلهم بتقليدات البع الرسولية وسلطانهم وانسيا بالاستناد على
كنيسة رومية اعظم الكنائس التي شادها القديسان الرسولان بطرس وبولس. وهاك ما قال

عنها توتوليانوس ان البيعة راسخة الأركان لا يزعمها المتدعون ولا تنكس اعلامها اذا
نارشتها المنفة اوارسط اهر علمائها الاخوذيين. وإن لما من العادات المقدسة ما بعثت
اليها الاطراء من القاصين عنها
ولقد كانت الدولة الرومانية تخط خط عشواء فان اسكندر بعد ان اغتاله بمخالب
المون ٢٢٥ نولى قاتله الجائر مكسيمينوس في مثابو مع انه كان من اخلاف القوتيين
اولي العجبة والخشونة. واقام مجلس الندوة من الملوك اربعة بمقابلته مانوا طراً مدة ستين
غير كاملين منهم غورد بانوس وابنه المقران لدى الرومانيين ٢٢٧-٢٢٦ واما ابنها
غورد بانوس الراجع فقد كانت بضاضة لاتصل ٢٢٨ عن ابرار الحكمة المخارقة التي
يقصر عنها الكهول المتكوت فاصبح محباً للدولة الرومانية التي لوحتها الانقسامات
وتفتك بها ايدي الجائرين. فوثب على الفرس اعدائها ٢٤٢ وتزع من ايديهم كثيراً
ما غنوه من الهام منها وما سلبوه لكنه لم يحج طويلاً فان فيلبوس العربي نازل هذا
الملك الصالح وسلبه ووحه ٢٥٤ ولا شعر بتولية ملكوت اقامها مجلس الندوة انصار الى
صابور ملك الفرس خفية ان يعتاه واربم معه صلحاً خرق عرضه وحمله الفتح والدين
٢٤٤-٢٤٥ وقد تقرر ان هذا الملك موارول الرومانيين الذين غادروا بعض اراض
من المملكة بموجب معاقبة ومخالفة
وقد روي انه لما سعى على السيل القوم جد في سيل الله وتخذ الكنيسة له غملاً
مستصفاً بعروها الوثقى والحق يقال انه طرح بالعسف جانباً واستحال ملاذاً للمسيحيين
يستنصرونه فكاشحه لداسيوس الذي اهرق دمه وجند الاضطهاد بكل قسوة. وبناء عليه
اخذ العائون يلمون بابناء الله ويضطرونهم
اما البيعة فقد كانت تنفذ في الانصار كافة ولاسيما في غالبا بدرأ عنها الملك داس
النواب الدامسة فتقر عليه بزوق الروح ٢٥١ فكان ذلك عليها وبلاً وثوراً. واما
غالويس وقوليز بانوس اللذان خلفاه فلم يلها عن الابتاع بالبيعة سوى موالدهم لذلك
ولم يكن لاديليانوس امر سوى برزور فانبطت السلطة المطلقة بهمة فاليربانوس
٢٥٢-٢٥٣ فجدد يؤمن الهية جاد واخذ يعلج شؤون المملكة بكل اقدام وجرأة وهو في
حيز اهرم. لكنه لم يكن جائراً الا على ابناء بيعة الله ٢٥٧ ونال في غيبه اليها القديس
اسطفانوس والقديس قيريانوس اسقف قرطاجا اكلي الشهادة قسراً عن خصامها



الذي لم يقطع من بينها وثاق الإخاء ٢٥٨ ولم يكن ضلال القديس قيريانس الذي كان يشد على معبودية المراطنة تكبراً بل بمنه ولا بالكنيسة ٢٥٦ واستمر تقليد الكرسي الرسولي مرعياً بقوته الخاصة قسراً عن حجة الفاسدة وحجج بعض أنام لم أهمية اخذوا يوربدون مقالته . ولما لبث الجدل قائماً مستمراً نشأ منه كبير مضرة فأتى سبالوس قد مزج ثلاثة إلهائهم معاً . فقد ذهب إلى أن الإلهي له اقنوم واحد مثلث الاسماء ٢٥٧ فذلك تعلم تعرف البيعة بفرايو الفاتحة . وإبان القديس ديسبوس استغف اسكندرية لدى البابا سكستوس الثاني كل غي . ذلك المبدع وضلاله اما البابا فقد اتفق الذي تكبده سألته القديس اسطفانوس فبني مجاهداً إلى أن بتر المضطهدون رأسه واخذوا يرفهون شامة القديس لورنسوس ومجملونه ما لا يستطيع عليه صبراً . وحينئذ اخذ البربر يشنون الإغارة على الدولة الرومانية ٢٦٠-٢٥٨-٢٥٨-٢٦٠ فأتى البرغوثيين وشعوباً أخرى جرمانية والثوثيين الذين كانوا يلقبون في ما غير مجيبين وشعوباً أخرى من الشعوب الذين يقطنون شواطئ اليون توكسان وراء هير الدانوب تراخضوا برمتهم إلى أوربا وأندفعوا بحفرون وإغار الفرس والشيثيون الاسيويون على الناحية الشرقية منها وطفنوا بذللون الصعاب ويسدون . وقبض وقتل الفرس على الملك فاليريانوس غدراً واستأسروهم مهاناً ذليلاً يكابد طول حياته الثبور والمشايق وشيئاً من بعد ذلك جلت بعد أن مزقوه كل ممزق واستخدموه العوبة لأيديهم علامة للنصر وركوب متب الفلاح . اما مضاعف في الملك ابنه غليانوس فقد كان خامل الرأي هوباً للأمور بعد المجن عن العجلاء فكان ذلك سبباً لانقطاعه إلى حضيض الذلة مدحوراً ٢٦٠-٢٦١ وزاحم الملكة الرومانية ثلاثون رجلاً من الظلة العانة واقتسموها قسمة ضئيلة . واما مدينة تدمر القديمة التي شادها الملك سلجان فكان فطان عرشها ملكاً عسوقاً بدعي أود بنات بقوق كل الظلام الآتئين عسناً وتأويماً فانه ضيق على البربر وعسف من أيديهم الامصار الشرقية واستوى على العرش ملكاً مجولاً وطولاً . ومن الامور التي تبعث على الدهشة ان امراته زويبا كانت عاكفة على السيار معاً امام الجيوش وبعد ان زهفت روعة ترتبت عليها قيادة الجنود فاشهرت بقوة الفواد ونزاهة النفس وفي اليقين انها كانت محرزة الجبال والمغاف والمعارف والسالة وزنا كلود بوس الثاني ٢٦٨ إلى الملكة الرومانية وقناه اورليانوس ٢٧٠ ولوسما خطا فلاحها ونجاحها فرفلت ببرد العز بعد

ان كانت صاغرة ذليلة . وفي غضون تعينها الثوثيين والجرمانيين بانتصارات عليبة كانت زويبا الملكة الاروعية ترى لينها ما فتح ابوم من المداين وكانت راضية عن الديانة اليهودية . فاهتم بولس السوزاني بان يجعلها تستمسك عن تلك الديانة قصد ان تعتنق الدين المسيحي فاختلق لها مذهباً على حسب الدين اليهودي فربما يتعلق بالبحث عن اقنوم المسيح وخيلة اليها انه انسان محض وبعد ان اسر تعليمه زمناً نفي الفشاء عنه في جميع انطاكية وحكم عليه . وقد كان اسقفاً زهوقاً في مدينة انطاكية بهافت على اقاء الشعب وامانة السكينة واما الملكة زويبا فقد دافعت في الحرب التي اجمها اورليان ٢٧٤ متوجهة انها تنال بذلك النصر والقيمة فحيط مسعاها لان اورليان نازها غير مستقف بها ونازل لدى قناها بلواه الظهور عليها ٢٧٤ وفي عرض تلك المحروب المستمر لم يطو كتحاً عن ان يرعى اليهود الحربية الرسوم الرومانية وابان ان ادارة فباتي كثيرة داخلاً وخارجاً دون ان تفك الدولة موقوفة على ان الجنود لا بد من ثبارم على اقتفاء النظام وخشونة العيش القديين

اما الترنيس فقد جدوا في ان يذيع باسمهم ويقيم الرأع منهم على بلاد الروم . وقد ثبت انهم ليسوا من محدث واحد بل انهم قلل جرمانيون كانوا يقيمون في شواطئ الزين . ومن اسمهم دليل على انهم كانوا يسكنون في مجبوعة الحرية فنصاهم ارليانوس مستظراً قبل ان يتبوا سرير الملك . ولما تملك امر قومه نصهم اثم ونجوعوا اليوسى طول ايام حكمه ولند تقرر انه كان عيلاً عاتياً لا يمسك عن امر باق الدماء فتمهت له الوجوه وصار الناس يكتمون له بالبضاه والشمخه وقصارى الكلام ان شق جوره وبهمكة في اوراق دماء العباد بعثاً على ان يجرع كأس الحام ٢٧٥

وكل روماء الجيش الذين كانوا يحسون منه خيفة ويهيمون انه سيأدهم بالخطر الويل تألبت عليه قلوبهم للقتل به واقم عليهم كاتم اسرارو رئيساً واقعوا به فجلدوه قتيلاً . ولما اصبح من الغابرين نقاد الجنود عن ان يتغيروا ولم ملكاً خشيبة ان يكون من يقتونه احد قاتله . واذا بت مجلس الدولة حقوق الخيرة القديم انتخب تيسيتوس ملكاً مكانه وفي اليقين ان هذا الملك كان شيئاً وقوراً هوباً لا ناخته عن الفضيلة سنة . بيد انه اقام على الجيش من انسابو رئيساً مستكبراً جائراً فنشرت منه القلوب وثارت عليه الجيوش فازفقت روحه وروح ذلك الرئيس العاتي وكان ذلك في الشهر السادس من



* ٧٦ *

ملكه ٢٧٦ وعلى ذلك لم يمين من الاستواء على العرش سوى سبع دمو على بساط
الارض . واما اخوه فلوريانوس فقد تم بان يرث اخاه حكماً لانه كان اخص ورثه
فانكر ذلك عليه الرومانيون فامانوه بمجد الحسام ونصبوا على السدة برويوس
الذي قهر الجيوش على ان يعيشوا طراً كالجند الذين هم مخربون بسلك النظام
فمزرت احكامه واصبحت السيادة صاغرة لولاها والسلطة لامر وساطاته فان الجرمانيين
والفرنسيين تراحموا في قتالهم قصد ان يدخلوا بلاد غاليا فالتفاهم الى مضار التلال
وخرق صفوفهم فخاصوا من امامهم مدبرين فخشي البربر غرباً وشرقاً بأس الرومانيين
ورعوا لم الحربة رعبة من العائلة ٢٨٠-٢٧٨ ومن ثم رغب في ابرام الصلح واخذ يوائى
الرعية بان الدولة ليس لها اية الى جنود محبة فبددت من الجيوش بواذر وتغذوا
كلالة باعاً على الاستشارة ولا بد منهم منه الارهاق والتذليل ناروا عليه متفهمين . وبعد
ان مضت على ذلك حقة من الزمن اسبقوا عليه ورأوا انهم اجمعوا يوعداً وعدوا بان
قائروا من بعده كاروس خليفة له وكان بطلاً صديداً مستتباً لدى العراك يود
الانهالك في تنظيم الجند ٢٨٢-٢٨٣

وبعد ان استقر بمصوب الملك ناز مخلوقة وقع البربر الذين كانوا قد اقتنوا
بعد موت برويوس ومضى من ثم الى الشرق ليضرب الفرس مصحوباً بابنه الثاني
نوميانوس . ووكل الى ابنة البكر كارينوس مناصبة الاعداء في ناحية الشمال وكانت
قد لقبه بقيص (هو لقب اقرب مدرجة للوصول الى رتبة الملك) اما الشرقيون فقد
هالهم حرب كاروس جداً لان الشعوب القاطنين بين النهرين تطأطأوا له تطأطأوا
الدولة ولم يكن للفرس الذين كان الشقاق بينهم سائداً ان تخرج امامة اقدامهم بل مرق
شملهم فنفرقوا ابادي سبا . وبينما كان يخفف نفوس المستكبرين ويمثل لديه كل طامع
رفع اسماؤه الله بصاعقة بغتة قبل انتهاء مسيره فاصبح ابنه نوميانوس من بعده وراه
بواصل بيكانو الليل بالنهار فاوشكت مقتله ان تقع لكثرة هيجان الدموع . لكن من
سبر الامور بتباس البصيرة بشعران الغراء بالترشح الى مدارج الملك بعث على التسوية
والنفق فان حماء اير بدلاً من ان يكتب لاكتسابه وبرزوا اليه بعين الرعاية والرفق
اغراء بقتلو الطامع في الملك ٢٨٤ فطهر ديوكليسيانوس من ذلك الجبال العظيم وثار
القتيل يقتل قاتله ومن ثم وقع في دسيسة الخلافة التي كان يشنها من صميم قواده . واما

* ٧٧ *

كارينوس فقد كان هيباً وكلاً تخبو نيران الحدة في قواده ولكنه لما فقه ما وصل اليه
ديوكليسيانوس تقوى وبرز الى مضار القتال فاستقال بطلاً دعيماً واحرب الحرب
حيثما عليه ففجعة وضعت عساكره . واذ رأى جنود عدوه تغلوا منبرين فقام مطارداً
فتصدى له اذ ذلك اجد انصاره وقته كيداً وانفاماً فجاءه انه اغتصب امراته ٢٨٥
فصلت حيثما الدولة الرومانية من وثاق اعظم الظلة المتبردين والبيعة المتسدين
واما ديوكليسيانوس فقد تولى الامر اما بجولو وطولو واما بتكر فائق ولا اعتر على
سرير الولاة شيخ بانفو صلحاً فزحف عليه المكاشعون داخلوا وخارجوا وقتلوا عليه ابواب
الحيص من كل جانب فضاقت عليه عند ذلك المذاهب . واذ لم يجد التفاح سبلاً سولت
له النفس على اقامة مكسيمايانوس امبراطوراً يبعث على نعية الاعداء عن ملكه ٢٨٦
غير انه استبق لنسوة السلطان والامر فترز حيثما المكان فوق الاسرة وانتفا لكتيها
وازعين لقباً كلاً منها بقيص فكان من ربح تلك المربة المائة قونطنسيوس فلورس
وغاليريوس ٢٩٢-٢٩١ واتصبا حيثما طراً للدفاع عن الاوطان فلقوا من الاعداء
عرق القربة . وثار رومية على ديوكليسيانوس طالبة الحرية فهاجر منها الى نيقومدية
حيث اقام سنة لعرشه بالاذيع واغرى الرعية بان يمدد حسب عادة الشرقيين . وفي
غضون ذلك ظهر غاليريوس على الفرس فجالوا عن مثاوبهم وغادروا للرومانيين اقاليم
حمة ومالك كثيرة ٢٩٧-٢٩٢ وبعد ان رأى ان النصر حازها جراً له اعتر على قومه
ورام ان يهاجر عن الرعية فامتن لقب قيص وعاق بوعد مكسيمايانوس بالامر الويل واما
ديوكليسيانوس فقد عراه دالة عياة او هن غلة فاضطر صهره غاليريوس الى ان يثني
عن العرش الملوكي ففخته مكسيمايانوس اسوة تسن بها . وبعد ذلك أنبط الملك بمهنة
قونطنسيوس فلورس وغاليريوس ٣٠٥-٣٠٤ وتغير المكان المعتزلان بقيصين
حديثين يقال لما سفاريوس ومكسيمايانوس

ونالت بلاد غاليا واسبانيا وبريطانية العظمى ترف العيش وغضارة العيم زماناً وجيزاً
في عهد قونطنسيوس فلورس وكان هذا الملك لا يجف عن المحبة القوية بل كان
يراعي حرمة العدل ويعامل الرعية بحسب العناية . وقد انهت الظهرة والخوفاني بانه
ثابت العزم على استقاط بيت المال فابان لم ان عنه خزانة شتى تقدمها الرعية
اخياراً بالدي الاقتضاء . وكانت سائر الامصار يخشع اهلها مشاق الجور والسف لكثرة



* ٧٨ *

ما كان بعينهم الملوك والقباصرة وكان اولوا المناصب السنية بكثرهم طالما بكثر الملوك
فراحت المطالم زيادة جاوزت الحد.

وفي ايان ذلك ذهب بين الناس صيت قسطنطين الشاب ابن قونستنتينوس
فلوروس فاخذت الاسنة تلج بالاضطرار عليه ونشوف يو القوم الى سودد عظيم . يد
انه كان وقتئذ تحت سلطة غاليريوس فاخذ هذا الملك الذمير بطوح به الى مناوئ الخطر
والهلاك فاغراه يوماً بجوابة ضواري الوحش في ملعب كثر فيه المتطلعون . فلم يكن لديه
الاستهباب من الوحش اكثر منه من غاليريوس . فاسرع الفرع من امامه مديراً واتى
اباه فراه مشرفاً على التزع . وفي المحين عمو ٢٠٦ اصبح صهر غاليريوس مكسانس بن
مكسيميانوس ملكاً في رومية رتقا عن حميو . فاحتمت نيران الشقاق وتسمعت
جنوة البغضاء والنحابة فعاد ذلك على الدولة بالامور الويلة . وقد بعث الى رومية نعا
للعادة بصورة قسطنطين الذي خلف اباه فجاهر مكسانس بعدم قبولها (فتبول الصور
كان دليلاً على الاقرار بسلطة الملوك المحدثين) فاخذت الثأبات الحربية تقوم عند
الملكين . ومن جهة اخرى سير غاليريوس القيصر سناريوس الى رومية للاجفاف
بمكسانس فضيق عليه مذاهب الحياة واسقط عليه الرعدة والقشعريرة ٢٠٧ فبقي اذ ذاك
ان يكون له عضد . يقوم بباصر فاستصرخ اباه مكسيميانوس لياخذ يده فبرز ذلك
الشبح الهرم المطاع من كه حيث هو قمرأ عنه وكبح في ان بطرد حربته
ديوقلسيانوس من المديقة التي كانت يجتري ارضها في سالوتيه فذهب جهده في
ذلك درج الرياح

ولما شعر الجند بان مكسيميانوس امتنع صوة الملك مرة اخرى شغلوا عصا الطاعة
لسناريوس واتوا امامه صاغرين وقتل ذلك الهرم بسناريوس . وفي المحين ذاته لما
ابن ان غاليريوس ثابت القدم في مضار العراك زف ابته فوستا الى قسطنطين رجاء
ان يجنازه له نصراً . فدرى بذلك غاليريوس فاقام ليسينيوس امبراطوراً يضافه على
مقاومة العدو فوغر من ذلك مكسيميانوس حسداً لانه كان منتقداً الرتبة القيصرية التي
لما حق الاولوية في الحصول على مدرجة الملك اكثر من غيرها من المناصب الرفيعة
ولذلك تعمس عليه الخضوع ليسينيوس . فجاهر بالعصيان واستمر مستقلاً في الشرق ولم يبق
لغاليريوس من حكمة سوى اللبريا التي اتخذها ثلاً وملياً بعد ان طرد من ايطاليا . اما

* ٧٩ *

الشعوب الذين تلبقوا متمكنين في الغرب فقد دانوا لمكسيميانوس وابنه مكسانس وصهر
قسطنطين يد ان مكسيميانوس لم يرغب في ان يشاركه في الملك احد اولاده اوسوام
ولذلك عن له ان يوقع بابنه مكسانس فقصدته الى رومية لينتزعها من يده ويطرده
منها . فحبط بذلك مسعاه لانه اصبح مظهرأ به لاظهاراً ولما اضافته قسطنطين في غالبا
استبرغورخلته فراه منطوياً على الكشاحة وجانحاً الى الغدر والمخدبة وبعد ان كثر
العدوان وفشا الخبي عول مكسيميانوس على ان يجنازه ابته فوستا لعل ان يستفزها على
بعلم . فعلمت تدايه وتواربه وهو غير عالم بما استبطنت فلما بطن قسطنطين ما ازمع عليه
مكسيميانوس من قتله اجمع احد خصميه في سرين تحقيقاً لذلك فوشب على الخفي
مكسيميانوس وقتله فابتن اذ ذاك قسطنطين منه الغدر والوقعة فاجهد النفس في قتله
فعلم مكسيميانوس بذلك فقبر الاثغار ٢١٠ قدرى بذلك مكسانس مولوده فجد في ان
يأر اياه فعمان بالعداوة قسطنطين واحربت عليه الحرب شديدة فجد قسطنطين جيوشه
وزحف على رومية ٢١٢ واكب على الثرى ثنائيل مكسيميانوس وديوقلسيانوس فذهب
قلب ديوقلسيانوس من ذلك شعاعاً واشرف من كثرة النكد والغم على الهلاك فمات
واهن الجسم كتيباً . واما رومية فقد جذت في ذاك الان ان تلاشي الدين المسيحي ولذلك
اخذت تعهد في سيل اضمحلاله فكان جهدها وسيلة لتقوته ونشيدته وقد روى
المؤرخون ان غاليريوس كان محدثاً للايدياع واصلاً للفساد والاضطهاد الذين طرأ على
الدين المسيحي اخيراً . فانه قبل ان الجأ ديوقلسيانوس الى الاعتزال عن منصب الملك
يستعين بعنه على ابرار القسوة ضد المسيحيين وبذل الهبة في سيل اعنائهم وارهائهم وانتهاك
حرمة مذهبهم ٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤ واما مكسيميانوس فقد كان يناف منهم كل الائمة ولذلك لم
يكن ليندفع عن اذلالهم والابقاع بهم . ولقد طالما اثار عليهم اولي الامر والسائقين ومع ذلك
كوه فلم يصل الى ما وصل اليه مكسيميانوس وغاليريوس من الخشونة والعنوا فانها كانا
يهتمان كل يوم في اخلاقي ذريعت يتذرعان بها الى الاجفاف بالمسيحيين وتؤبقيهم وحملتها
الحمة الكريئة على خرق عرض العذارى الابكار اللاتي لم يباده الضهد عفافهن اقل من
ايمانهن . وجد كثيراً في البحث عن الكتب القديمة قصد ازالها واذهاب اثرها وبناء عليه
لم يكن المسيحيون يجترئون على ان يدخلوها الى مساكنهم او تداروها ايديهم ولم يتوال على
ذلك الاضطهاد الرائع حولا الا تعزالي والفساد وليت المسيحيون يعتضون بالصبر



* ٨٠ *

مستمكنين بالعروة الوثقى . ولما رأى الشعوب أن لم في الجبهة رفقاً تبدلت قلوبهم دهشة
وغيراً وعلوا لهم على الحق المبين فصرخوا لهم سرايات يندبون بدنيهم وبعد ذلك لم
يبقى لهاربوس سبيل يهتد من الظهور عليهم فعبث به داه عيال التي يوالى المملكة
فبات ثانياً كانطيوخوس الى الله مثاباً كاذباً ٢١١ وإما مكسيمينوس فقد استمر عاني
القلب بعس المسجين ويبرحهم اليأ وارعى قسطنطين الكبير الظاهر عن غزو
وتاب الى يارثو صالحاً فندين بدين المسج جهاراً ٢١٢

العصر الحادي عشر

في الكلام عن قسطنطين او سلام البيعة

ان قسطنطين الملك قد خرج الى الدين المسيحي مستمسكاً بوسنة ثلاث مائة وأثني
عشر من ميلاد الرب فإنه لما اخذ يناصر مأكسانس في رومية قاتلاً عليه ابواب المناص
والمفر بدا له في الجوامع اعين الجميع صليب نوراني مكتوب عليه ان النصر يده
مأنه وشيك فابتغى ان ذلك عدة من الله له وراه في الحلم ايضاً فلم يكن من بعده
مستربياً ولا غدا بعد ليلو على الحرب قضى له العلي حسب وعده فافاره بالنصر على
العدو الالذ فخلص رومية من عبودية مكسانس والبيعة من اضطهاده ولذن ذلك رفع
الصليب فوق هام الشعوب كأنه يترسة نقي الدولة الرومانية وجها من غوائل الدهر
وحدثنا ٢١٢ فلم يضر على ذلك حين قصر الأهمر ليسينوس المتحار الى قسطنطين
مكسيمينوس وافضى به الى مقاساة الوبل واليهور فكانت عمالة اجلو كهابة اجل
هاربوس فجعل البيعة بعد ذلك اماناً وطانية واستولى بنوها منه لنوسهم فخطرت
بقسطنطين الذي لم يفته ان ارتاع الاخطار بالفتح الاخطار . وكان له الانتظار والنصر
ابان رجل وابان حل وقمع البربر بياسه وبأس اولاده . اما ليسينوس فقد امسك
الخصاة في قلوب ورضى لفرصتها فاستقن واخذ يباه البيعة بالضمد القديم فمض اليه
قسطنطين واذا في عليه نيران الحرب برأ وجرأ فاذله والجأ الى ان يهوي عن سرير
المملكة الرومانية ومن ثمة لم يلبث ان عيسته به براثن اللية ٢٢٤
وفي ذلك الحين التأم الجميع الاول العام في مدينة نيقية ٢٢٥ من بلاد بيبينية بامر

* ٨١ *

من الملك قسطنطين فضوى اليه ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً ابط بهمدهم امر البيعة .
فحرموا اربوس الكاهن بمجده الوهية ابن الله وإنشأ قاعدة الايمان بان اجعلوا على ان
الاب والابن سيان في الجوهر . فكان كنة البيعة الرومانية الذين بعثهم البابا القديس
سيلستروس لم صدر المقام في ذلك الا لثام وكان من زومة وكلاء الكرسي الرسولي احد
مورخي اليونان القدماء وكان الجميع منعقداً تحت رئاسة اربوس اسقف غوردو الدهر
فتصاغراماه قسطنطين راضياً لاحكامه معتقداً انها منزلة من لدن الله . اما الارويسيون
فقد اصرروا على عزيمهم وضالهم كهناً ونظاروا بالرضوخ امام الملك يصاعون وبداهنون
ومن الامور المثرة ان المملكة كانت في عهد قسطنطين راتعة في مجبوحة الامن
والارتياح . وبها كان هذا الملك يظبط على اقامة الطائفة سائفة في احياء المملكة
باسرها اذ دبت الفتنة والمشاخنة بين سرة قصر فان فوستا زوجه اتهمت ٢٢٦
كمرسيوس ابن ضرمتها بانه جد في ان يعاها فحقق جناً من ذلك ابوه وطرح
بالرحمة الوالدية جانباً وعامله بالقسوة اشد معاملة وإما في فقد بدا لدى الجميع افكها
وعلموا انها اختلقت لزوجها ذلك البأ الفاحش اختلاقاً فلم تقادم عليها الايام انالت
جزاء ما فعلت فانها ولجت يوماً الحمام لتستغم فتدبر الله عليها ان تموت فيه خبيثة فعار
ذلك الامر قسطنطين فاستميا امام القوم لذهاب مكرها وخداعها بين الخاصة والعامة
بيد ان ذلك لم يخفف مقامه فان والدته غنيت من الفضائل ونكته من الشرف ما ينسبه
ما قرته به فوستا طول ايامه فانها اكتشفت في خراب اورشليم القديسة عود الصليب
الذي تكثرت عجايبه والقرى المقدس وقد ازان قسطنطين وهيلانة مدينة اورشليم الحديثة
التي كان قد اقامها اوريانوس والمغارة التي ولد فيها مخض العالم وكل الحال المقدسة
جهبا كل حسنة . وبعد ان توالى على ذلك الحين اربعة من المحوول رم قسطنطين
مدينة يتراس ودعاها القسطنطينية وجعلها مركزاً ثانياً للدولة ٢٣٠ وإما البيعة فقد
كانت في عهده مضروباً عليها سرداق السلام والطائفة لكنها لم تدم لها تلك الحال لانها
كانت في بلاد فارس عرضة لمناصبة المبتدعين . وكثيرون من بينها استعز بهم الله
مشهدين ٢٢٦ - ٢٢٦ ولما كان حريصاً على الشورى العظيمة مترقفاً عن الخسائس
بعثة الشهامة على ان يكظم غيظ صابور ملك الفرس عن البيعة وبنها وبدنه بدين
المسج فاصبح كانه ارتكب امراً غير معلوم القاتلة لان جدّه في ذلك الشأن ذهب عينا

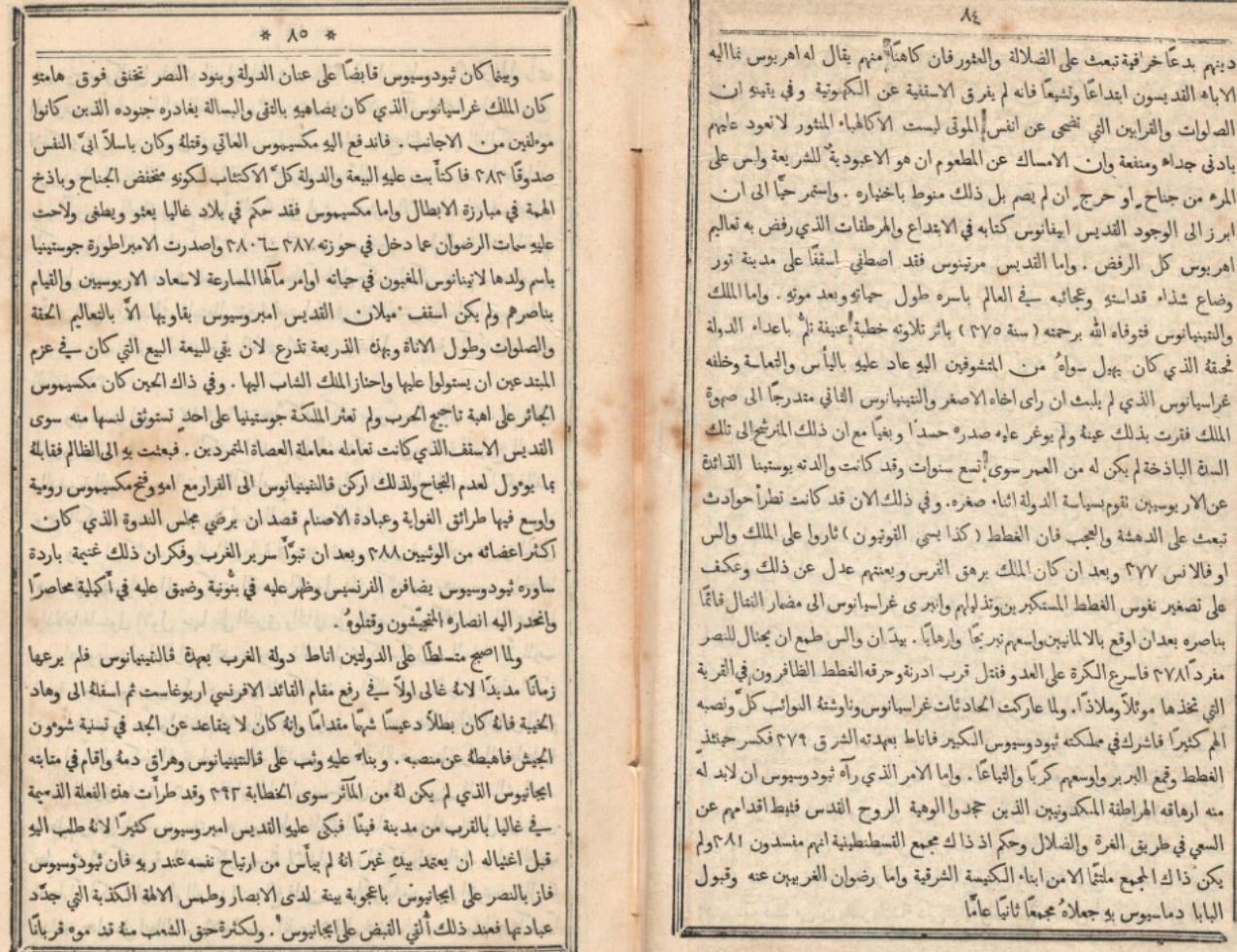


يدّ أنه استمر بخلص السعي في ان يهد للمسيحين سبيل الايمان فلم يتمكن الا من ان
يجعل لهم ملجأ في دائره حكمه . واستأثره رحمة المولى ٢٢٧ راضياً عنه لما جدّ في سألته البرّ
والنفي عتف الأزار لا يشوبه وزر ولا شين ولكنه قبل ان اغتاله الموت شطار الملكة ثلاثة
اجزاء بين اولاده قسطنطين وقسطنطس وقسطنطس فلم تطل مدة احكامهم حتى ذك
بينهم نيزك المكاشفة والفن فان قسمة الحرب أضرت بين قسطنطين وإخيه قسطنطس
لانها اختلفا على بعض تخوم في ملكيتها ٢٤٠ فدارت حبيزة على قسطنطين الدائرة وتعل
في تلك الحرب الهائلة . وكا ان قسطنطس كان يكاشع اخاه قسطنطين ويتنق له ما اوصله
اليه كذلك كان يكاشف اخاه قسطنطس بالغيضاء فانه لما رآه يلجأ بآيمان نيقة وبيادي
المهاجرين عليه بالاضطهاد والارهاب برز مجامياً وعلق بعاله وعيداً واغتيالاً ومع ذلك
فان القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندرية والمجاهي عن ايمان نيقة كان قد ضاق
ذرعاً لكثرة تجسوس المشاق الويلة فبعث البيعة من ذلك عجباً عجائباً . وطرده قسطنطس
من كرسي البطريركية مهاناً مهنياً . لكن البابا جوليوس الاول أمر يو ان يعود الى
مقره تطبيقاً للقانون فصدق على الامر قسطنطس فانفق البطريرك الى ابرشينو راجعاً
واما ذلك الملك الصالح فلم يجي على الارض زماناً طويلاً بل استعرّ يو الله بان قتله
ماغنانس الجائر غدرًا ٢٥٠ فلما علم قسطنطس بذلك أثار على ان يقتله بان يثار اخاه
فنازله وضيق عليه كثيراً فآثر حينئذ ماغنانس ان يقتل ٢٥٢ ولما علم الاستنف
فالانسايوس الارمني ان عسكر ماغنانس الخائن سينشعثون مبددين استناداً على ما
علم من بعض اخذائه الخلفيين اقبل على الملك واخبره ذلك مدعيًا انه استوحى الهه
مستصرخاً فارحى اليه انه باق قسطنطس بالفتح الميرث وفرج من عنده فر يب . فذعن
له الملك غير عالم انه افيلك مصانع واطلاه على تلك النبوة المائنة وتدين اذ ذاك
بدين الارميين وابطط الاساقفة الكاثوليكين عن مناصبهم وصوب سهام غيظهم وحنتهم
على البيعة . واما البابا ليباريوس فقد اوهن تيرمه وقناطه ثباته ٢٥٧ وقد كان
اوزيوس الشيخ عضداً للبيعة فبرحت به العذابات الموقفة فارغم على ان يكون جاحداً
واما جميع رعية قيس ان كانت قوي العزم اذعن بالخدمة والجور ٢٥٩ ولم يكن في
ذلك المحين شيء بدور على محور القانون بل كانت القانون ما يرضو الملك وما يرغب
فيه . واما الارميين الذين كانوا تائهين في ثغرات الضلالة ويجعلون كل شيء طوع

اهوائهم واغراضهم فلم يكونوا في ما ابتدوا به متوافقين بل كانوا كل يوم يغيرون قاعدة
ايمانهم بقاعدة اخرى تصبو اليها نفوسهم لكنهم ايمان نيقة لبث مستمرًا قسراً عن
المفسدين وجاهد في سبيل القديسان اثناسيوس وابيلاريوس اسقف يوانه فنازاد ووج
صنيعها كل الامصار والافطار

واستمر قسطنطس عاكفا على نعر برشومون الارمنيون وابتدأ وراء ظهره شومون
الملكة . ولذلك كانت تنكس اعلام قادته بمنارة الفرس في انحاء متباينة . وزحف
الامانيون والفرنسيون على غالبا واندفعوا عليها من كل جانب فدفعهم بوليانيوس
احد انصبا الملك وذاهم عن الملكة ومن ثم ظهر عليهم متصراً ٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩
وهب الملك من سبات غفلته واخذ يتبع السرمايين ويخطي نحو الفرس ٢٦٠ وهناك
عثا بوليانيوس واستكر عليه تائراً ومات قسطنطس ٢٦١ وحكم بوليانيوس غير حاد
على الرعية لكثرة علق فيها بعد يعني المسيحيين وباني عليهم عبء الاضطهاد وتأثر على
تعزيز الشقاق ومنع ابناء المسيح ركوب من المناصب ومطالعة العلوم ولقد طالما تسنن
بأعمال البيعة رجاء ان يطعمها بسلاحها وكان لا يغالي في العذابات ولا يعتت المؤمنين
الآنحج خارجة عن دائرة الدين واطال المسيحيون مدة الرضوخ له . واما السومدد الذي
كان ينهات على الحصول عليه فقد اصبح وسيلة لهلاكه ٢٦٢ . ولما ولى بلاد الفرس
واخذ يجول فيها دون تبصر في ما يحدث يو من الملمات والكوارث قضى عليه بان
يصنع قتيلاً فخلقه يوفيانوس وكان رجلاً عزيز الجانب سمياً فسرّح طائر بصره في
احوال الملكة المتغايرة فرأها في حالة الياس والاضطراب فابرم صلحاً مع الفرس
الجماعة الضرورة اليه

وبعد ان انشبت يواظفار المنية بفض والثنائوس وتلق قيادة الجيش وسعر حينئذ
نار الحرب على العدو ٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١ الخ واستصعب معه طول مدتها
ابنه غراسيانوس وهو باقع السن رجاء ان تحكّم التجارب وتحكّم ورعي النظام الجندي
وقوي على البربر فذلّهم ورث على نفور الملكة معاقل متينة محصنة . وناضل في الغرب
عن ايمان نيقة يذ ان اخاه والنس الحريف له في الولا قد انتهك حرمة الدين في
الشرق ولما عسر عليه ان يجناز القديسين باسيلوس وغريغوريوس التريتي وأوف
بلجشها اليه قسط من ان يظفر بلاشاة دين نيقة وقد اضاف بعض الارميين الى قاعدة





عن نفوسهم وكادوا بذلك انصاراً للمتردين ٣٩٤ واما اربوغاست الجبار فلما رأى
 الثانيين يطأ طئون للملك الظاهر ويرضون شق عليه الامر وأثر الانتصار على ان يرضخ
 لاحكامهم فخرج ثيودوسيوس في الارض واستأثر بالولاء واصبح عجوبة في العالم كله فانه
 عزز دعايم الدين الحديث وقطع اقدام المخرفين وصعد الوثنيين عن ان يقدموا معرفات
 وقرباناً وشدد العزائم والهمم والجأ الدولة على ان تعيش بالاقتصاد واعترف بجرائمه
 الكبرى وتاب الى الله نادماً ٣٩٠ واصاح للقدس امبروسيوس معلم البيعة الشهر الذي
 وثبه على وصية وحكم فيه في العيب واستمر مظفراً طول حكمه ولم يكن يضم قبسة الحرب
 الا متى الحجة الى ذلك فاستظل شعبه تحت لوائه في رعد العيش وغضارة النعم ومات
 سعيداً نذهب ذكرى امانته في اقاصي الارضين وتداول الالسنه مائراً وانتصاره
 الثالثة ٣٩٥

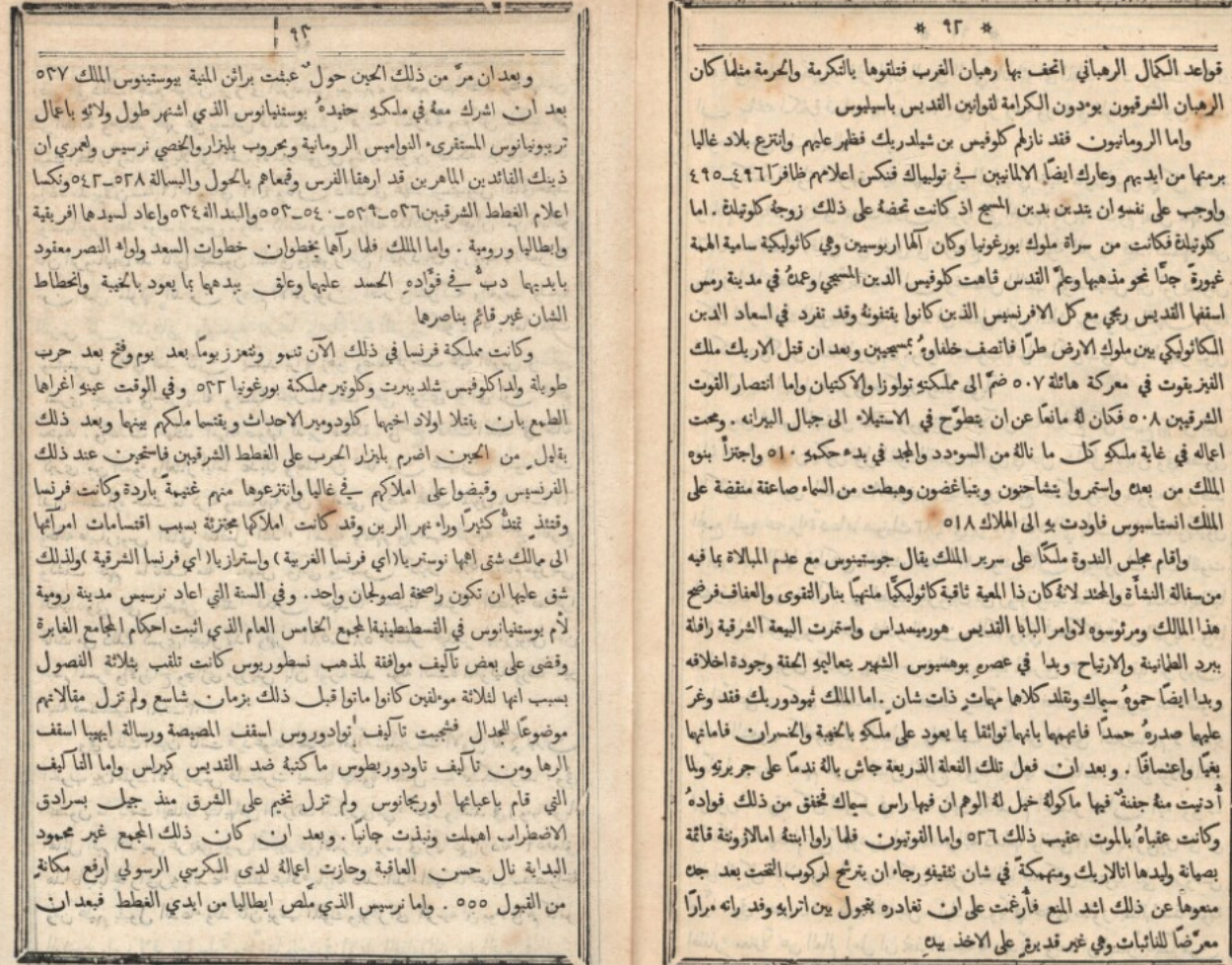
وفي عصر اي سنة ٣٨٧-٣٨٦ جده كاهن كان مزوياً في مقارة بيت لم يقال
 له ايزوبوس في ان يفسر الكتب المقدسة ولذلك عكف على مطالعة التواريخ الدينية
 والدينية التي من وسعها توضع الكتاب المقدس وتخذ النسخة العبرانية سنداً له فالف
 ترجمة الكتاب المقدس المعروفة لدى البيعة باسم القولقات

وبعد ان كانت الدولة الرومانية في عهد ثيودوسيوس قوية العزم عزيزة المثال
 اهدت في عهد ولديه الى دركات الضعة واليخول فان اركادوس وهونوريوس زاحفاها
 واذلاها فاستولى الاول منها على الشرق والثاني على الغرب وكان كلاهما يحمل اعباءها
 وزيراها ويسعدانها بالرأي والتدبير ومع ذلك فلم يحركا سكون السلطة الا لما رب
 نفسية ، واما روقيوس واستروبيوس فقد كانا نديي اركادوس بالتواتر فالتفتا الشرقة
 ديدنا لما فلهما معاً ولم تستقم الاحوال بعد موتها في عهد هذا الملك الواهن العزم
 فان امراته اودوكسيا اغرت به بان يضطهد القديس يوحنا ثم الذهب بطريرك القسطنطينية
 وسنة الشرق ٤٠٤-٤٠٣ فانتحار البابا ابوسنتوس والقريوت الى ذلك الحبر
 العظيم وعلفوا ياخسون بيك ويعزونه على مناة الصعاب وبضافونه على ثيوفيلوس
 بطريرك الاسكندرية الذي كان وسيلة لانتشار جور الملكة واعصافها . وماد الغرب
 اضطراباً لكثرة اذحام البرابرة ٤٠٦ الخ فانت رجلان وثباً من نسل القوتيين يقال له
 رداغز حمل على ايطاليا . والاندلسيون الذين هم قتل غوثية واربوسية نبوتوا جزءاً كبيراً

من غاليا وامتدوا في اسبانيا وارغم الازنك ملك (الفريغوسيين الارموسيين هونوريوس
 على ان يغادر له تلك الاقاليم الرحبة التي كان الاندلسيون قد تولوا عليها . واما ستيكليكون
 الذي كان قد سم من عظم البربر فقد كان آتية بناكرهم فيظهر عليهم ويصانهم وآتية
 بولاقهم ثم يكافئهم بالغلا والبغضاء وقد كان يعمل كل شيء ضحية لآربه الخاصة مع ذلك
 فلم يكن ينفك يرمى المملكة قصد ان تكون خلسة لحوله وسلطانه وفي ذاك الحين استأثر
 الله بالملك اركادوس ٤٠٨ وقبل موته اقام ابنه ثيودوسيوس عند ايزديجردوس ملك الفرس
 ووكل اليه امر تثقيفه وهو في سن ثمانية سنوات ولم يرتاعي ذلك الا لظن ان الشرق يند
 عن ان يكون فيه اناس لم الاهلية لتثقيفه مع ان يسلكاريا شقيقة هذا الوليد اليمن كانت
 فيها الاهلية لان تنوع باعباً تثقيفه فعكنت عليه اذ ذاك واسبلت عليه حجاب الصيانة
 والرعاية واجمعت عليه سيول البر والقي . واما حكومة هونوريوس فقد ناولها الدثار لان
 هذا الملك احبب يوزر ستيكليكون فاهرق دمه واضاق ذرعاً عن ان يرى له وزيراً يليق
 لمنايته ولذلك اشرف ملكه على الاضطلاع فان هلاك ذلك الوزير الما زوال الجأ
 قسطنطين الى ان يثور متدرباً على الملك فترفع من يد غاليا واسبانيا ٤٠٩ وحمل
 الازنك ملك القوزيقوت على رومية مجبودة ففتحها واستاق منها الاسلاب ٤١٠ واما
 انوف فقد كان عنلاً جائراً بنوق الازنك حقةً وغبطاً ولتلك اعاد على رومية النهب
 والسلب واستاق منها الغنائم ولم يكن ينكر الا ان يعمو من البسطة الاسم الروماني لكما
 ذلك لم يكن قدراً مقدوراً فان بلاسيديا شقيقة الملك هونوريوس زفت اليه فهك
 الملكة التي اصبت لديه اسيرة عانت حيثما تكدر في ان تدمت اخلاقه السجية
 وتسترضيه على الرومانيين ٤١٤ فابرم القوتيون الصلح مع الرومانيين وامتدوا واثقوا الاخاء
 ٤١٤ وقطنوا بلاد اسبانيا ٤١٥ برعون لم في بلاد غاليا الاقاليم الدانية لجبال الديرانه
 من المكائد والمكارة وقد تم كل ذلك بحكمة ملكهم قاليا ودرانه وايدت حيثما اسبانيا
 ثابتة القدم ولم تطرأ على ايمانها شائبة الزيفان والخلل في عهد هؤلاء الازنوسيين
 وفي ذاك الحين زحف شعب من جرمانية يقال لهم البرغونيين على الانحاء التي
 تداني نهر الراين وتطحن فيها ثوباً بالحول والمصال واخذوا من ثمة يمتدون زويداً
 رويداً في البلدان التي لم تزل تثلث باسمهم واما الافرنسيين فلم تاخذهم سنة الغنلة عن
 مصاحهم واغراضهم الدانية ولذلك حملوا على نفوسهم ان يلقوا بلاد غاليا فاقاموا مزمنون









مضى على ذلك المجمع حولان برزالي الفرنسيس بوائهم وبدفعهم عنها قصد رعايتها من
شر الفاتنة وحينئذ ظهر على بوسالن قائد جيوش افرنسة الشرقية ومع كل ذلك فلم
تلبث ايطاليا زماناً طويلاً في اكف الامبراطورين وشاد البوين مملكة لمبردية ٥٦٨
واخذ مديولان سنة ٥٦٩ وباقي ٤٧٣ وكان ذلك في عهد بوستينوس الثاني حينئذ
بوستينانوس بعد موت نرسيس . وقد كانت رومية ورافنة تكادان لا تتجوان من حباته
فان الرومانيين قد كانوا يجشمون المشاق والهجور من المبرديين ورومية لاناصر لما
من قبل ملوكها الذين ارفعهم الافاريون النثر والشراسة والعرب ولاسيا
الفرس كل الارهاق ولوسعوم نهرجما واعتاناً في الشرق كله ٥٧٤ . اما الملك
بوستينوس الثاني فقد كان يستبد برأيه زهواً وصلفاً فزحف عليه الفرس وملكهم
كسرى مجنوده واستمر بذلك وسلبه خير ما ملك حتى اودى به الى ان يصح
معتوقاً . واخذت حينئذ امراته صوفيا تدبر الملكة . واصبح ذلك الملك في حالة
كبرى من السوء والفتار اياماً عديدة وبعد ان صفا من غشيان جنونه عرف
لندن احتضاره اُخبت ما كرهه ومصانعه ومن ثم امسى عرضة لمخلب المنون ٥٧٨-٦٧٩
وخلفه طيباريوس الثاني ففاضل اعداء الدولة وقمعهم وارحب للرعية فنتج الفرج
وكشف عنهم ما تائف منه النفوس وآسى واحسن كثيراً ٥٨٠ واقام موريس
الكبادوكي على الجيش قائداً فكان مبيداً مستميتاً بمنعوله النصر صاغراً
فما من ذلك كسرى الجبار كذاً ونهراً ٥٨٢-٥٨٣ فاستمر حينئذ طيباريوس عن
مبسم المسرة والارتياح وجازى موريس بان اوزعه عند موته المدة الملوكية وزف اليه
ابنته قسطنطينة ٥٨٢-٥٨٣

وفي ذلك الحين كانت فردغونة الطاعة امرأة شيلبيرك الاول نذكي نبراف
الحرب بين ملوك الافرنسيس فاستمرت بسببها جنوة القتال في مملكة فرنسا . وفي
غضون ما كانت ايطاليا يتناهبان المازلات الكبرى شي لا كثير ويشند في رومية الوباء
المائل اقيم القديس غريغوريوس الكبير على الكرسي الرسولي رثماً على ارادته ٥٩٠ فملق
هذا البابا بجار الحريو بالدعاء ليفتد عباده بازالة ذلك الداء العيا فاستجاب اسطرارحه
ومن عليهم بقبول الدعاء وقد كان يوبس الملوك ويوعز الى الرعية ان يودوا ولم كامل
الرضوخ وبرز لا فريقيا سلوة وعزوها وثبت في الايمان العظم الفريين الذين في اسبابها

جتموا عن المذهب الاروسي ولكم ريكارد الكاثوليكي الذي ارعوى عن غيه وغرته
ورفع في حجر الكنيسة . وانذر انكثرا بالامان القوم ودمت عوائد الافرنسيس واسى
شان ملوكهم الكاثوليكين فوق كل ملوك البسطة وكظم غيظ اللومبرديين وانفذ رومية
وايطاليا الذين لم يتمكن ملوك اقسطنطينية من القيام بناصرها ودفع عن بطاركة
القسطنطينية الخيلاني الاذهام وانار البيعة كلها بسنام عليه وساس الشرق والغرب بعزوه
واقصاع وترك من بعده للعالم انوزجا يتسكن في سياسة الكنيسة

وليس في تاريخ البيعة امر يبعث على المسرة اكثر من السرور بدخول القديس
اغسطيس الراهب في مملكة كذا اي انكثرا هو واربعون من اخوانه الذين كانوا
يقدمون عليها ناشرين امامهم الصليب ومثال السيد يسوع المسيح ملك الملوك وكانوا
كانه يمارون بالطالبات المحافاة لربهم كي يسعدهم على ارتداد الشعب الانكليزي الى
حجر الايمان ٥٩٧ وان القديس غريغوريوس الذي حضهم على ذلك وبعثهم على تلك
المأثرة العظي لم يكن يألو جهداً عن ان يرشدهم برسائله الرسولية المحقة وجعل القديس
اغسطيس يعتبر واتخذ الرعدة من العجايب التي كانت تلوح من لدن الله على يده
وقد اجأت برقا الاميرة الافرنسية بعلمها ايدلبارت ان يعتنق الدين المسيحي واجمع
الملوك الافرنسيون والملكة بريوت على ان يقوموا بناصرتك الرسالة المجدبة
واشتركت اسافنة فرنسا في ذلك العمل المبرور . وهم الذين كرسوا القديس
اغسطيس اسقفاً بامر من البابا والاعانة المجدبة التي امد بها القديس غريغوريوس
ذلك الاسقف المجدد انت بخار ترفعت الى اسي الامة ٦٠١ واخذت البيعة في
انكثرا نشأ كل النشأة ٦٠٤ ولما تيقن الملك موريس خلوص الحبر الاعظم القديس
وصفاً سريره اذعن لنصائح المؤثرة واقتبل منه الشفاء اللاتق بكل ملك مسيحي واصبح
المتدعون لا يحسرون ان يبدوا في عصره كلاماً ومع ذلك كله فانه ارتكب جريرة كبرى
وهي ان نفراً عظيماً من الرومانيين اسرم البربر فأتوا صمتهين ولم ينفراجاً منهم بقلعة من
النضة ٦٠٠-٦٠١ لكه تدم فيما بعد على ذلك كثيراً واستغاث من العلي ان يعاقبه
في الحيرة الدنيا اخلق من ان يعاقبه في الموقف العظيم فضض فوقه التمدد وذبح
امام مقتليه كل آل بيته ٦٠٢ ومن ثم غمره . ومع ذلك لم يتفوه لدى تلك الملة الرائعة



٩٧ *

بان يتدخل معهم بداراة خطر ٦٢٣ وارضى بالصمت الذي فتح منه ان البهتان والحقد قد زعما . وشرع الملك هرقل بعد ذلك بتليل من الزمن يقض ذلك المشكل العظيم بسلطه الملوكة وبناء عليه اصدر من لدته اشعارا يقال له الاكتاري اليان بيعي ما ينج اليه المونوتوليون واما الخداع الذي يهكم فيه المراهقة المبتدون فقد ارتفع عنه الغشاء وبدا يبين لدى العيان فان البابا يوحنا الرابع حكم على الاكتار وباده من لدته بالحرم واخذ من ثم فسطانت خفيد هرقل يدافع عن اشعار جندو باشعار اصدره دعاه تيب ٦٤٨ فتصدى لذلك المشروع البابا ثيودوروس والكركسي الرسولي ولأم البابا مريتيوس الاول جمعاً في لاطران وعند ذلك باده القيس وروساً المونوتوليون بجرم جسيم ٦٤٩ واما القديس مكسيموس الذي اشتهر في الفتوى وتعليقه في الشرق كافة فقد نجي عن البلاط الملوكي لما خامره من شائبة الابتداع الحديث واخذ من ثم بجاهر الملوك في التنديد والفترس لانهم اجترؤا على الايمان بان يقضوا عليه . وكابد بعد ذلك المشاق الجسدية غيرة على الدين الكاثوليكي ٦٥٠ واما البابا فند واصل الملوك عذابة بقلوب من منفي الى آخر وعاملوه بالاساءة والاذلال معاملة البربر ذوي الخشونة والعجبة . فلستائرت بوحمة الله في غضون اعناؤه وتعذيبه ومع ذلك كلفه بغضب ولا يتقاعد عن اتمام ما تندبه اليه مرتبة ٦٥٤ وفي ذلك الحين كانت يعة الانكيز الحديثة تزعز أركانها ويرعى مقامها البابا بونيفاسوس الخامس وهونوريوس واخذت من ثم تشهر في العالم كوك وكثرت فيها العجائب والفضائل مثلما كانت تكثر في ايام الرسل . ورفل ملوكها باردية الفضائل والمناظر المحيية فان ادوين الملك الهندي هوشعه الى حجر الكيسة وأدى به ايمانه الى التندير بدثار الغيبة والنصر على اعدائه . وعاقى حجتته بنصر من بدانون ملكه ٦٢٧ وكان الملك اوزالد ترجمان المندرين بالانجيل ٦٣٤ وقد تفرأه ملك عظيم الصولة ثالث فوجاته ارفع مكانة من الشهرة ومع ذلك فقد كان يوشر عليها اسم مسيحي وتنصر المريسيون بجهت اوزوين ملك نورمبرلد ٦٣٥ ومن بدانهم وقتاً اخلافهم آثارهم وكانت اعالم المانورة تجاوز الحد

واما الشرق فقد كان وقتئذ على جرف هار فان الملوك كانوا ثمة يهيمكون في الجدل الديني ويمتعضون تجارة الابتداع وبناء كانت تلك شوقهم كان العرب يشنون الاغارة على المملكة ويستولون على نحوها ويثوبون سوريا وفلسطين ٦٣٥-٦٤٤ وادت

٩٦

الآباة من مزامير داود وهي هذه عادل انت بارب واحكامك مستقيمة (١) وعند ذلك تساقى فوقاً الى العرش الملوكي بهذا العمل المكروه وعاقى بجهت في ان يستبد الشعب اليه بتادية المكرمة الكركسي الرسولي ٦٠٦ وتثبيت حقوقه ولكن الحكم عليه كان ابرم ٦١٠ لان هرقل اقامه الجند في افرقيا ملكاً قزحف عليه بجهت ففسح حجتته فوقاً ان الفساد بلم بشأن الملوك اكثر من الظلم لانه كان قد اغتصب قبلاً امرأة فوثان فسلمه زوجها الى هرقل فاماته قتلاً . وجرى بعد ذلك في افرسة حادث دموي بيل جداً فان الملكة مريتيوس قوبها الى الملك كلوتير الثاني فاربق دهما على الارض لترويج مطامع هذا الملك ٦١٣-٦١٤ واصبح حامل الذكر حتى ان فضائه التي كان يثني عليها القديس غريغوريوس استمرت عرضة للتنديد والتفديد الى ايامنا هذه واما الدولة الرومانية فقد كانت وقتئذ مشرقة على الدثار فان كسرى الثاني ملك الفرس احرب الحرب على فوقاً محتماً به بدار موريس واخذ يفسق فتوحاته الى زمان هرقل الذي دارت عليه الدائرة ٦١٠-٦٢١ وانزع الكفرة خشبة الصليب ٦١٤ لكن هرقل لم يلبث ان ظفر على العدو خمس مرار متوالية ٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦ وولج الروم بلاد الفرس ٢٠٧ وقتل كسرى من بدائه وبعد ذلك استرجع الظافرون عود الصليب ٦٢٨ وفي عرض ما كانت الفرس تذوق عذاب الهون وتعلم شوكتها ظهر مذهب الاسلام واعترف العرب نبوة محمد فهاجر مكة في تلك الايام سنة ٦٢٢ واخذ المسلمون من ذلك حساب العبرة الذي يتعارفون به الى الان وفي مئة تسع سنوات استولى على بلاد الغرب عبوة او اختياراً وبذلك اسس دولة الخلفاء .

وكانت حينئذ اربعة المونوتوليون في دولة كانوا يعترفون بوجود طبيعتين في المسيح في الامر الفريسيانهم لم يعترفوا الا بمشقة واحدة فيه وفي مذهبهم ان الناسوت ليس بوسعه ان يشاء امران ليس في المسيح الا ارادة الكلمة ولقد كان اولئك المشيعون يسرون سام بدعهم تحت الانفاظ الموهبة بالانبياس والمخاتلة الى ان البعض منهم لرغبهم الكاذبة في السلم عرضوا عليهم ان لا يتكلموا عن مشقة او مشيتين واقدموا على البابا انوريس الاول بالمخاتلة والمصانة واغروه

(١) مزمور ١١٨ ص ١٢٧



لم المدينة المنورة الخضوع ونفذت لم بلاد الفرس ابوابها بسبب الشقاق فيها واخذوا
هذه الملكة العظيمة غنيمة باردة ٦٣٧-٦٣٦ ونظروا الى افرقيتا فانتزعوها وجعلوها
اقلياً من مملكتهم ٦٤٧ وطاطأت لم جريخ قبرس رضوخاً ٦٤٨ وفي برهة لا تبلغ
ثلاثين سنة ضحكوا كل تلك الفتوحات الى فتوحات محمد

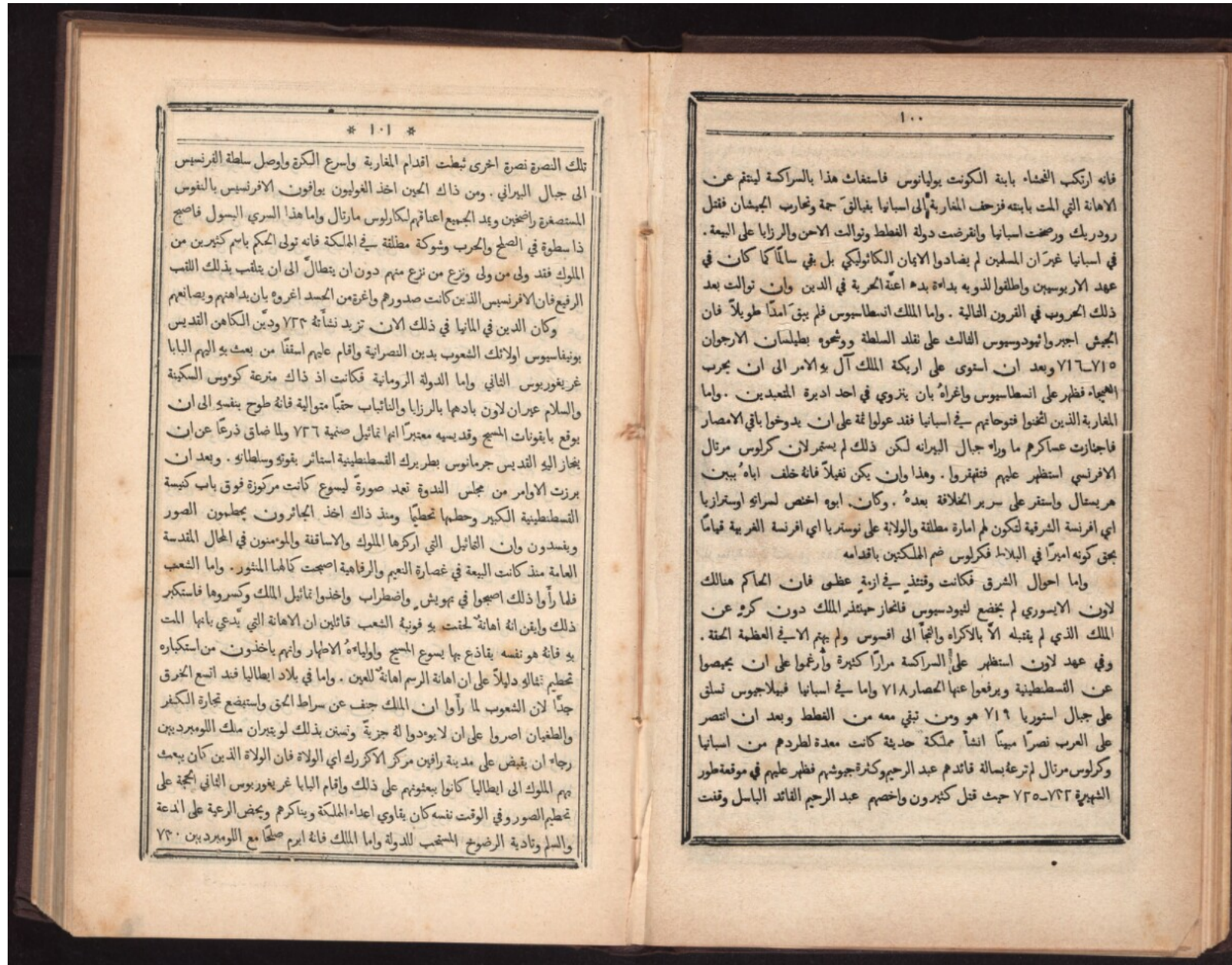
واما ايطاليا التي كانت تخضع كوموس الملكة والومسي غير مرتين اليها بعبود
الاسعاد فقد كانت ثلث تحت اقبال ولاية اللومبرد واخذ الملك قسطنطس يجاهد في ان
يادهم بالمقات . فحبط سعيه وخامس الفشل وعول عند ذلك على ان يتلف كلها لم يكن
يستطيع على رعايتها وكان هذا الملك اشد قسوة من اللومبردين ولم يلج رومية الا
رجاء ان يسلم كنوزها ٦٦٣ ولم يطو عن الشنيع في الكنائس كتحماً . وبسبب صقلية
وسردينيا فاصبح مردولاً من الجميع بانفس منه كل ذي ذوق سليم فاقهر على قتله
اصحابه ٦٦٨ وفي عهده قسطنطين بوجونات (اي الجوتي) فتح العرب سوليسيا ولسيا
٦٧١ ولم تنجح القسطنطينية من الفتح الا باعجوبة ٦٧٢ . واما البلغار بوب فم نخل
هاجر الى مصب الفولغا وقد تولوا في بلاد التراس على قسم يقال له ميزيادعي من ثم
ببلغاريا ٦٧٨ واما بيعة الانكليز فكان ينشأ منها بيع جديدة فان القديس ولفيرد استغ
يورك المنفي من كرسية اغري القريسين بان يتصرفوا

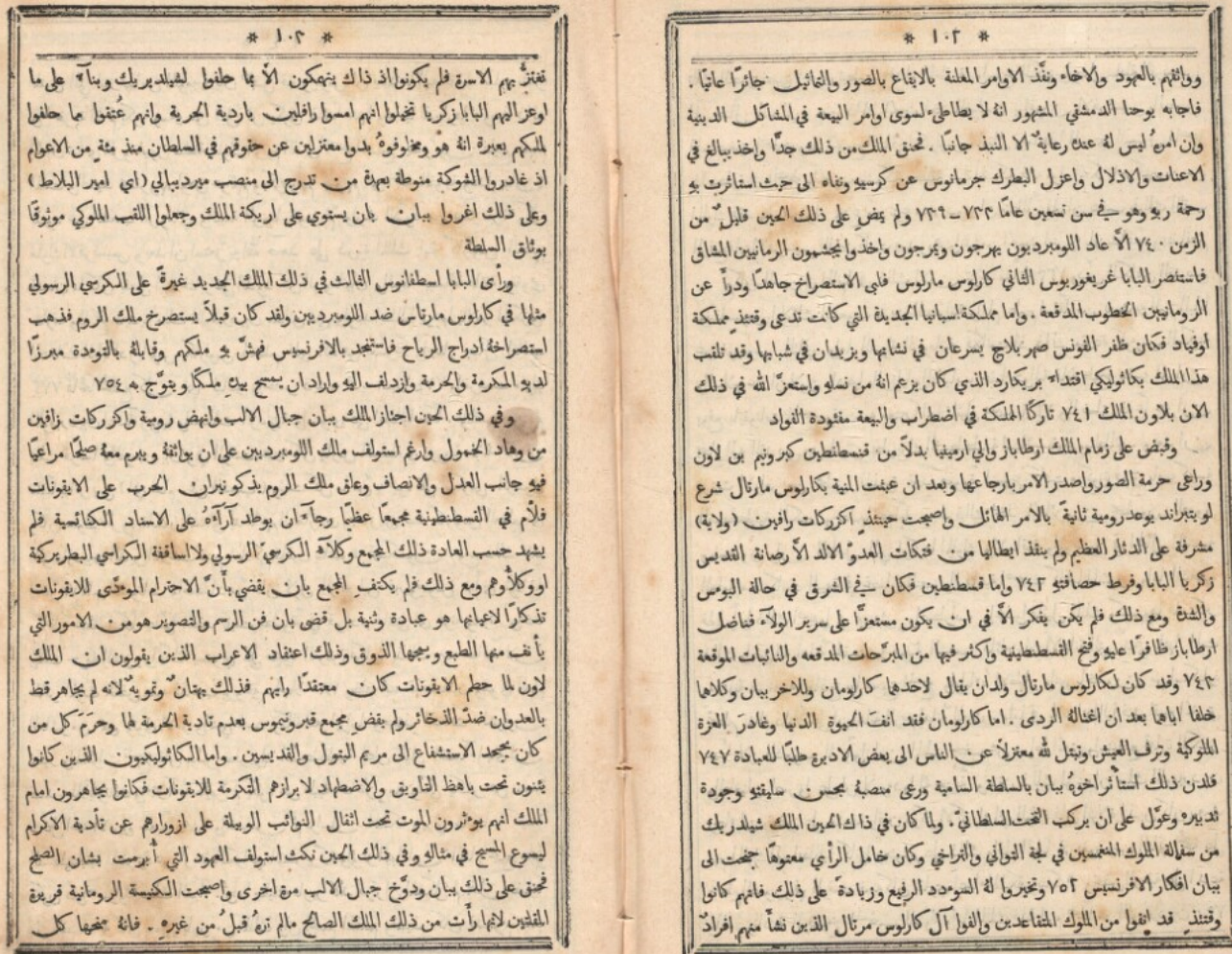
واخذت البيع كلها تسطع وتزهو بالانوار التي انبثقت اليها من مجمع قسطنطينية
السادس العام ٦٨٠ حيث البابا القديس اغاثون كان قابضاً فيه على زمام الرئاسة
بواسطة وكلائه العظام . واما في العلم الكاثوليكي برسالة بلغة . واصدر المجمع المحرم على
استغ ذاع قصاد تعليمه وعلى بطريرك الاسكندرية وارعة من بطارقة القسطنطينية .
وقصارى القول على كل رواساء المونوتولينيين ومع ذلك لم يعف بالعدل عن البابا
هونوريوس الذي كان قد واطأ . وفي اثناء التمام المجمع مات البابا اغاثون وعند ذلك
ثبت البابا القديس لاون الثاني احكام المجمع وصديق على كل ما حرم . واما قسطنطين
بوجونات الذي تسنن باعمال قسطنطين الكبير ومرسيانوس فدخل المجمع على مثالها
ولما رآه المجمع انه ادى الخضوع مثلها لغيره بملك كاثوليكي محب للصالح مصلح الدين .
وخلفه ابنه جوستيانوس الثاني وهو باع ٦٨٥ فكان الدين في عهد هذا الخلف يتزعزع
بالفسادة والازدهار في ناحية الشمال . فان القديس كيليانوس الذي يمت به البابا كونون

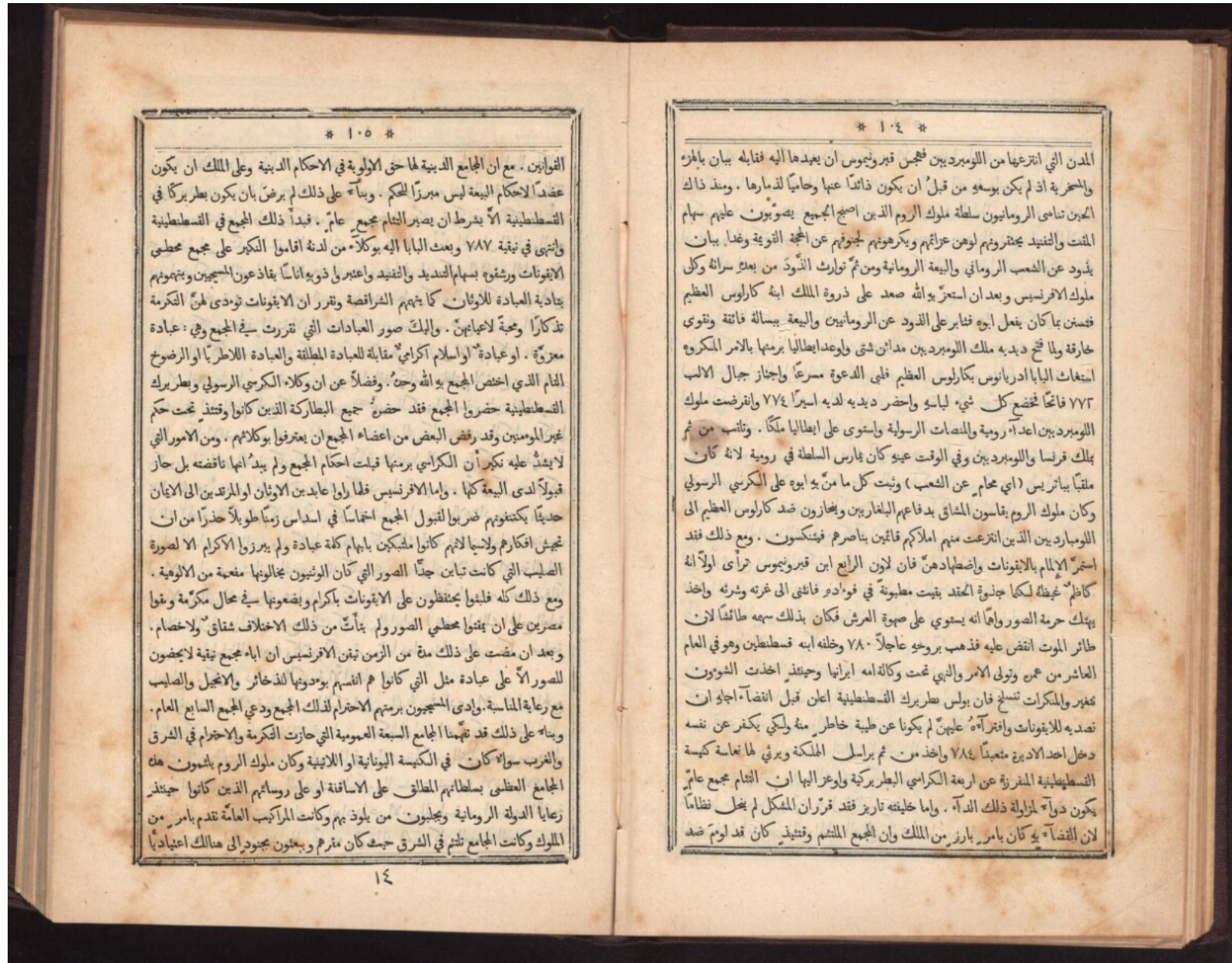
الى بلاد فريكونيا ليكون هنالك نذيراً ببشارة الانجيل اثم ما هو مندوب اليه ٦٨٦ وفي
عهد البابا سرجيوس لم شذوال احد ملوك الانكليز رومية ليعترف بعلاقته بالبيعة
الرومانية من حيث دخل الايمان المسيحي جزيرته . واعتقد على يد البابا واستأثرت به
رافة الله حينئذ حسب ممتناه ٦٨٩

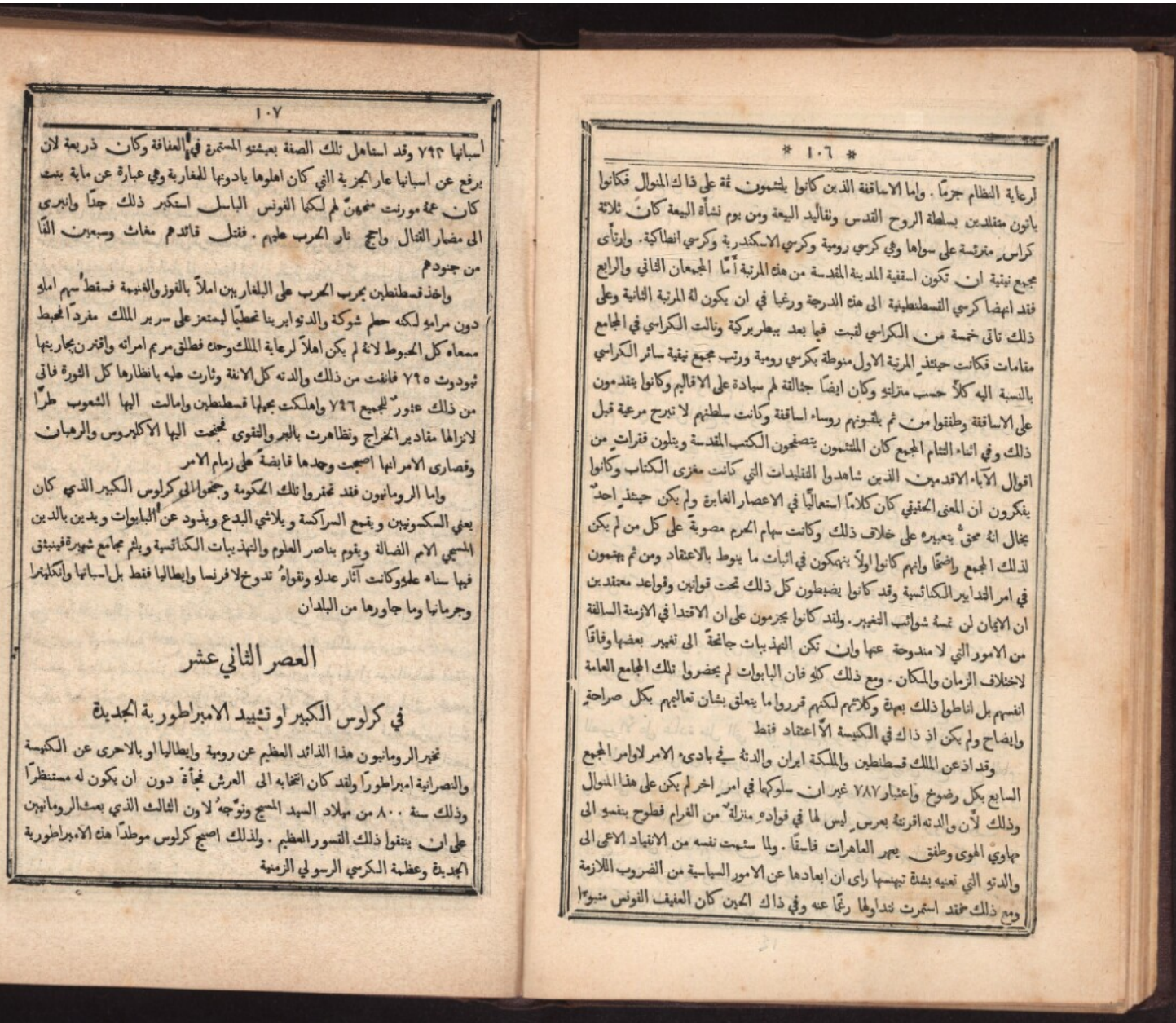
واصبح في ذلك الحين آل كلوفيس ما بطين الى صباوي القذلة مدحورين واخذت
الاحكام الملوكية تحفظ انحطاطاً يستحق الرثاء . ولما كان كثير من هؤلاء الملوك يرقون
الثقت الملوكي وهم قصر سناً فلم يكونوا يمكنون الاعلى الفعاد عما من شأنه العلاج والنجاح
فكان ذلك مندوحة لان بربوا بالثرف والرغد ولا يفرحون عنها بعد بلوغم وكانوا
منفسين في عياب القواني والكسل لانهم كانوا ملوكاً لفظاً لا معنى بكونهم رعايا الملك
لامراء يقال لم بابر واخصم بين هر يستال الذي كان جل الحكم يناط بهدو ٦٩٣
فانه احس آل بينو الى ارتفع الامال وما الايات في بلاد فريزيا التي ضمنها فرنسا الى
فتوحها بواسطة سلطاني وموت فيبر الشهيد . وان القديس سوبارت والقديس ويلبرود
ومرسلون سواها اوسعوا خطا الانجيل في الاقاليم المجاورة ٦٩٥ وفي ذلك الحين انتهى مدة
كون بوسنيانوس قاضراً وكان لاؤس استظهر على العرب وقمع وتوطدت اركان الدولة
الرومانية في المشرق ٦٩٤ ولكن قبض على هذا القائد الجري عدواناً وحل وناقه
دون تبصر في العاقبة . فمدح انفس سيده (ولذلك نسب بوسنيانوس بالاخرم) وطرده
٦٩٥-٦٩٦ ففتحهم هذا الخائن الوغد نفس العذاب من قبل طياربوس المدعو اسينار
الذي لم تفل ايامه من بعد ذلك على الارض

فاعد بوسنيانوس الى ملكه ٧٠٢-٧٠٥ ونكر جميل اخوانه المنصفين واخذ بنم
من أعدائو الكاشحين فبدا له اعداء الداء خلاصهم جريه كاس المنيعة ٧١١ ولما استوى
خليفته فيليكس على صهوة الملك يمت بصورته الى رومية فلم تحز قبولا لانه كان ينجح
الى المونوتولينيين ويعلم عدوته للمجمع السادس العام ففتح من ثم سبغ القسطنطينية
انطاسيوس الثاني ملكاً للكاثوليكين وسلبت عينا فيليكس ٧١٣ وفي ذلك الحين
فتح رذائل الملك رودريك ابواب اسبانيا للغاربة وكان يدعون بسرركة افرنيقا







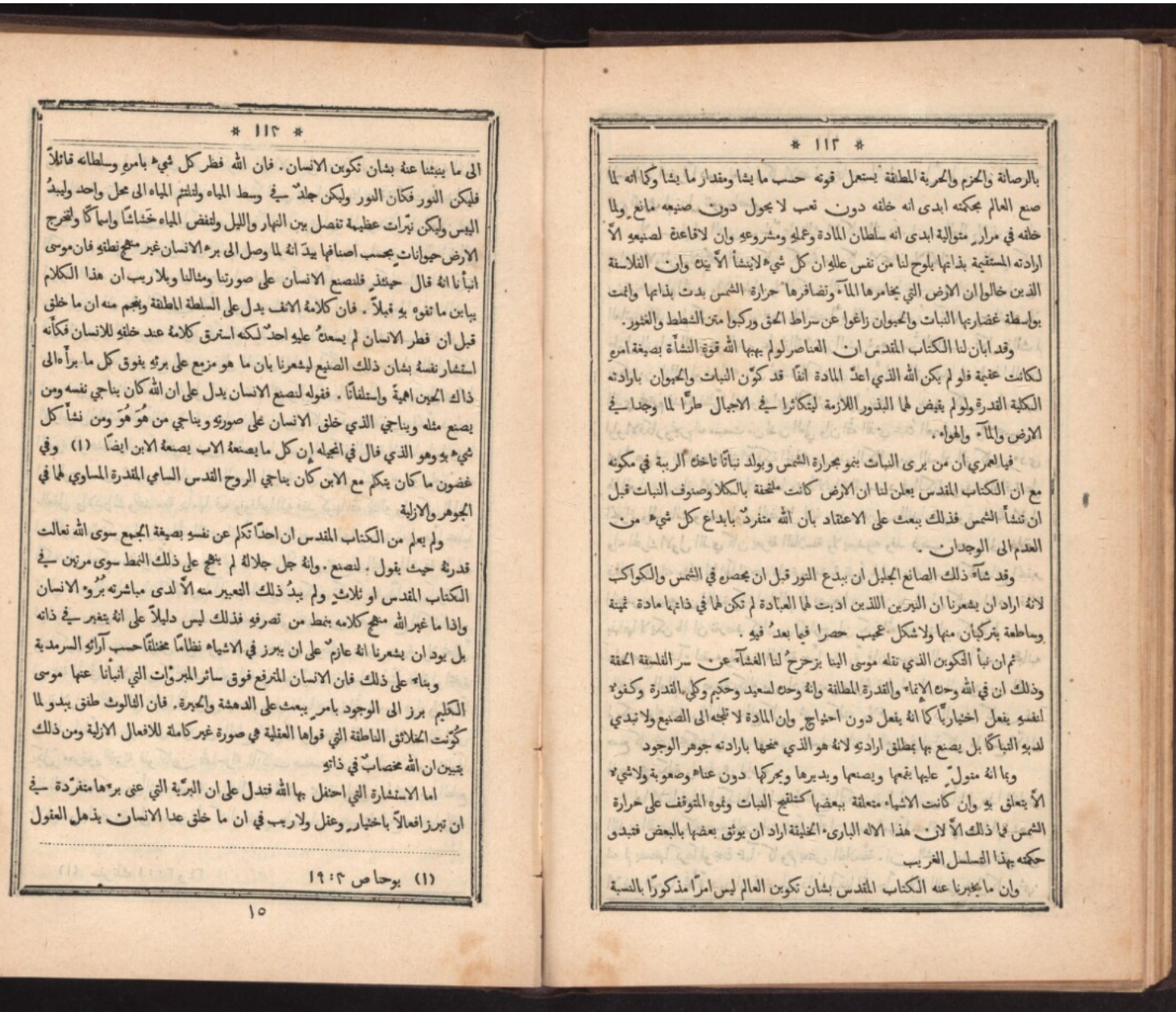


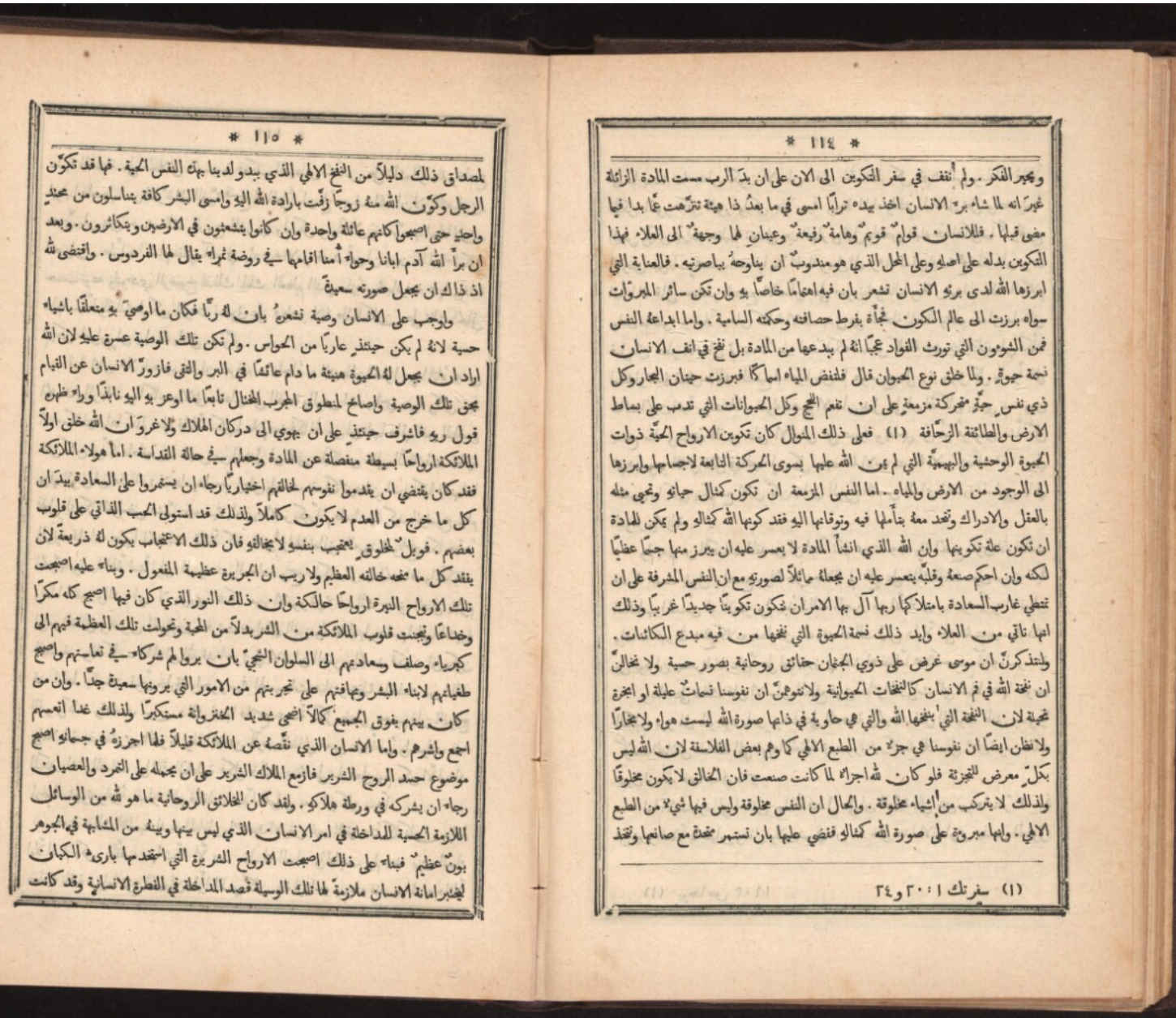


١٠٨
 قبايدكي هالك مارفته لدى جلالتك من الاعصار وهو اثنا عشر عصراً وعيها
 في هذا الموجر وابت لك كل ما هو مهم من حوادثها . ويمكن لك من الان فصاعداً
 ان تنسق دون تصب حسب النظام الزمني كل حوادث التاريخ القديم وان تتركز كل
 منها في مفرز . ولم يذهب عني ان ابني لديك في موجزي هذا التقسيم المشهور لدى
 المؤرخين وهو تقسيم من العالم الى سبعة اجيال . وان بداية كل جيل ليست الا بمثابة
 عصر لنا وان رابتي اني ادخلت في ذلك بعض اجيال اخرى فليس ذلك مني الا
 لتفتاز الاشياء عن بعضها وبأوج لذلك نظام الازمنة عارياً من اليهوديش والانباس وان
 رابتي اناجيك بتسلسل الازمنة فلا تخاف ان من ماري ان اغريك بمحظ كل التاريخ
 بالضبط والدقة او ان اوقفك على خصام المؤرخين الذي يحدث غالباً بين قليل من
 الكهول . واما الحسبان التاريخي الذي ينفر في كل هذه الفصول ويستترها فهو يلاتو به
 جليل الفائدة يد انه ليس ما بهم فيه مثل جلالتك لانه لا يزيد على سماء عقل ملك
 عظيم نوراً ثاقباً ولذلك لم ترتب انفر في استقراء الازمنة واني قد انتهت من الحسبان
 المستعمل ما هو داني من الحق غير ضامن اثباته
 قلت شعري هل يقضي علينا بان ننقو من حسبان السنين منذ التكوين الى ابراهيم
 الحسبان السبعيني الذي يشعر بدمية العالم او النسخة العبرانية التي تشعر بتأخيرها عن
 ذلك اجيالاً مدبدة . فان اسندنا استقرانا على النسخة العبرانية بدا بذلك فضل عظيم .
 ومع هذا فان ذلك ليس له في ذاته اهمية كبرى لان الكنيسة التي فقت القديس
 ابرونيوس في حساب النسخة العبرانية في الفولغانا اي النسخة العامة ادرجت الحسبان
 السبعيني في السنكسار وليس من ذلك للتاريخ اهمية ان زادت اجيال فارغة او نقصت ان
 لم يكن فيها حوادث مهمة ينقلها المؤرخ الى تاليه . ولا يكفي ان تكون الازمنة التي تنضم
 الحوادث الخطيرة في حاله راحة وان التقسيم يكون موطلاً على ركن قديم مفروقات
 حدث احياناً اختلاف على بعض خمول متعلقة بهذه الازمنة فذلك ليس من شأننا
 يجيش الاقتار فلو اقضى بنا الامر مثلاً ان نجعل تقسيم رومية او ميلاد المسيح في قديم
 من السنين او في متأخر منها فذلك لا ينجح منه مضرة في تسلسل التاريخ او في اتمام مقاصد
 الرب ولكننا مندوبون ان نحذر الشطط في الحسبان الذي يتأ في منه ايهام في الامور
 نابذين عما ماني للعلماء بتخذه موضوعاً يحملون عليه بحتم وجد لم

* ١٠٩ *
 وليس من داني ان اهوش ذاكرتك بحسبان الاوليات وان كان اليونانيون الذين
 يستعملونه يرونه ضرورياً لتجديد الازمنة لكما يكتفي ان تعرف بما هو قائم بولكي تفكر
 من البحث فيو اذ آل بك الامر الى البحث . فيكتفيك اذا ان تنهك في الحسبان التاريخي
 الذي ابرزته لديك لانه بسيط ومتداول وهذه التواريخ هي من العالم الى رومية ومن
 رومية الى السيد المسيح ومن السيد المسيح الى ما ياتي من الزمان . وان المارب الحق من هذا
 الموجر ليس لاوضح لدى جلالتك لتسلسل الازمنة وان يكن ذلك ضرورياً جداً لمطالعة
 التواريخ ولتبرار تعلقاتها واني قد اشعرتك باسدي ان اخص موضوعي هو ان اوضح لديك
 بذريعة تسلسل الازمنة تسلسل شومون شعب الله وشومون الممالك العظمى . وان هذين
 الشانين يتفقان في المسير في دور الاجيال العظيمة وما ذلك الا لان لها محوراً مفرداً في
 سيرها وليس بوسعنا ان نتوصل الى درك ذلك الا بان نصلها عن بعضها ونعتبر ما
 يليق بكل منها
 الجزء الثاني
 * في تسلسل الامور الدينية *
 الفصل الاول
 * في التكوين والازمنة الابتدائية *
 ان الدين وتسلل شعب الله المشق ها من امر المواضيع التي تعرض على
 الانسان فيلار رب الله يرتاح الى ان يذكر حال شعب الله المتباينة في عهده
 الناموس الطبيعي وفي ايام الاباء وفي عهد موسى وعهد السنة المكتوبة وعهد النبي داود
 والانبيا . ومنذ انشاء سبي بابل الى يسوع المسيح ثم في عهد المسيح اي في عهد سنة النعمة
 والانجيل وفي الاعصار التي كان يرى فيها يسوع وفي الاجيال التي اتى فيها وايام ان
 كانت عبادة الله محصورة في شعب واحد وفي الاجيال التي دوخت فيها العبادة









* 116 *

عذبة المعلقة على الخلائق الجسدية فعكف الشيطان الخناس على تلك الوسيلة وخادع
ابونا فاهبطها من العزة الى الفرة فسمع له العلي بان يلج جوف الثعبان لان الثعبان
حري بان يئمل حيث تلك الروح الشريرة ولم يكن وسيلة لان يشعر منها ابونا لان
المحيوات طرا بدا امام مفتلي آدم في بادى الامر قصد ان ان يعين لها اسما لكل
حسب نوعه وشوادي الرضوخ لذلك الملك العظيم الذي مازر ربه بالرفعة عنها واقامة
عليها سيدا ولذلك لم تكن الرعدة تستولي على فؤاده لانه طالما كان على تلك الحال
لم يكن لمحيوان ان يباديه بادن مضررة

اما الان فلا يذهب عنا ان نعرف ما ناجاه به الشيطان الخنول وما اتاه به من
الحبث والرياء . ولما كانت الانبيى منطرة على الضعة والوهن اخذ بناحي حواء وكان في
اناء مكالمواها بكالم يعلم فائلا لكيها علام صدقها الله من ان تلتها هاتي الثمر الناضج
فان كان برأ كما ناطقون فليس من العدل ان تخفى عليك من علل الكائنات خافية
واني لاؤن ان هت الثمر لا ينامرها سم زعاق وليست نفسا كما تزهقان لدن اكها فالتهاها
تفيل لديكا الفواض فشدا عليه في بادى الامر تكبرا ثم طعنا في كبد الرضوخ سهام
الربة فاعاد عليها الحديث فائلا كلا الثمر ترايلا نطاق العبودية ونفع لكا جدد
الحرية ونسبا الهة تستأثران السوءد والسعادة ونفع عليك ميازيب المحصافة والحكمة .

وتعلما الخبير والشراري لا يتوارى عنكما من الامور شي فبذلك يطفى العفل بقاوم
اوامر الخالق ويدوس القوانين فرئت حواء الى الثمر واستطابتها وجذبها اليها الشهوة
النفسية . ولما كانت عالمة ان الله قد احرز في الانسان النفس والجسد فكرت ان يكون
قد اناط بالنبات قوى خارقة واحرز في المحسوسات هبات عقلية فاخذت من ذلك
الثمر واكلت وقدمت من ذلك لبعلمها فاصبح عرضة لكل خطر جسيم فان التزوج
والملاطفة يضعفان التجربة ولهذا اذعن لما رب الطاغى فعمي عليه امر واستولت عليه
الكبرياء والصلف والملة الباطنية فكل ذلك بعته على ما فعل ولم يكن الا ليقاد
لمرضاة شهوته وغرة نضارة الثمر فانقلب عبدا للمحاسن بعد ان كان سيدا

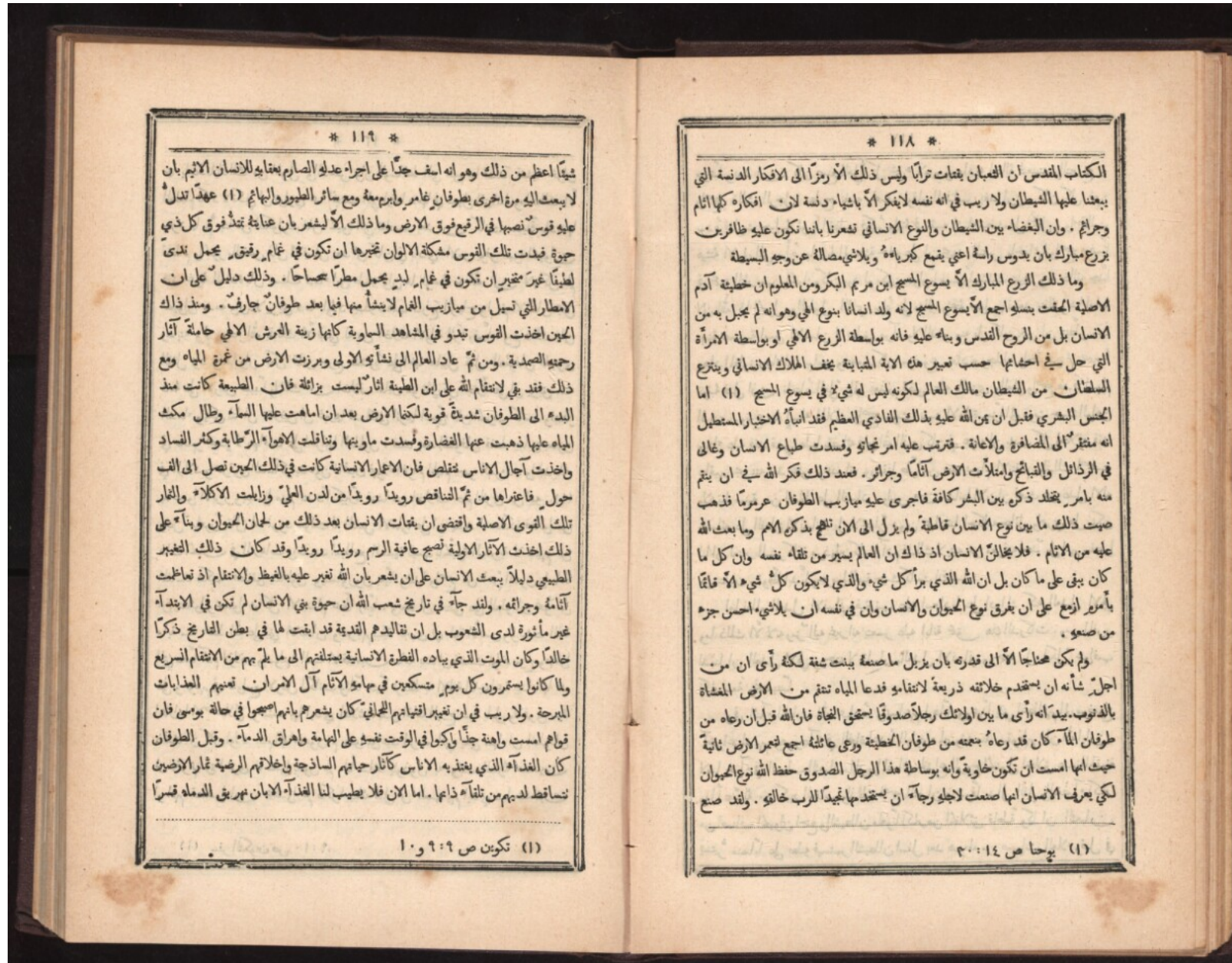
فعند ذلك انقلب لديه المناظر واصبحت الارض غير الجمرة عنك كما كان يرأها
اولا اذ لم يكن يثقف منها شيئا الا بعد مقاساة العناء والمناعب ولم يعد يرى السماء
صافية ناطية . واما نوع المحيوان طرا الذي كان علة ارتياحو وزهو فقد بدا لديه هائلا

* 117 *

مرعبا وبعد ان كان صنع العلي كل شيء لادبر وسعادته احواله لتعينو والتبرجج به
واصبح ذلك الرجل يطرح نفسه تحت اوقار العذاب بعد ان كان كل شيء
يوده فثارت حواصة ثورة انبطلت فكره وارزته في نفسه اشياء تبعث على الخجل واستحالت
هيئة الاولى التي برأ بها ربه الى هيئة خمته على ان يجهد النفس باخفافها واصبح منغصا
في غمر الغريب والحياء وكان يود لو يكون متواريا مستورا وشئت عليه روية خالقه جدا
لان الله ذا المحول والطول الذي برأه على مثاله ونمطه حواس تسعد عقله وبدا امامه
بهية محسوسة امسى الانسان لا يطبق مرآه ولا الدنو منه بل كان يبتنى ان يبتطن في
وهاد المناوز رجاء ان يباين وجهه من كان موضوع سعادته وجنله واخذ من ثم صبره
يوزنه قبل ان ناجاه العلي واتى بعذر قضى عليه بالخزي والعار واصبح هذفا لسهام
الردى . ونزع منه اساه الملاك واصبح موت نفسه الامارة رمزا الى موت جسده الزاهر
وبناء عليه فقد قضى عليها بقضائه فان الله الذي كان في عزه ان يثيب كل اخلاقه فقد
عاقبه بجرمته بعد عثوه وعصيانه ورثنا طرا من بكه سهام الانتقام ولذلك اصعبت
ولادتنا مبنية من اصلها على الفساد . وليس من شأننا الان ان نبعث عن عدل الاله
بقضائه على النطرة الانسانية بل لايحول دون عبادتنا احكامه حائل ولعمري هل يمكن
لنا ان نعتبر البشر كافة مردولين كايينا آدم فذلك لا يتبعه عن معرفه احد بل انهم سقطوا
من عليين سقوطا ابديا وحرما الجنة حيث كانت لذائنا

اما نظام العدل الانساني فيترتب عليه اسعادنا على ادراك كه العدل الالهي
وما ذلك الا لانه رمز اليه غير انه يتعسر عليه ابانة عمق هذه الدركات . ومن المنير
لدينا ان العدل الالهي ورحمته لا يقاسان بالعدل الانساني ورحمته بل لكل عواقب
اكثر سعة وتخصيصا

وفي اناء اعانت الله عبادته واساعم ارهابا ووعيدا في اعطافهم الى موضوع
آخرا لدمهم وهو رجاء في النجاة اعده البارئ لمبرئيه منذ سقوطهم فان الله ابان
لنا حواء في انساب الثعالب المزور المضاهي لخداع الروح الخنول اخلاق عدونا الموقنة
وما اعد له من كبير العقاب ولذلك اصبح الثعبان مرشوقا بنبال القلى والبغضيا . اكثر
من اصناف المحيوان اجمع والشيطان ملعونا اكثر من الخلائق قاطبة وكا ان الثعالب
يستتر متسابا على بطن فيستبهر الشيطان اسفل بعد هبوطه من صهوات العلاء وقيل في



* ١١٨ *

الكتاب المقدس ان الثعبان يفتات تراباً وليس ذلك الا رمزاً الى الافتكار الدنسة التي
 يبعثها الشيطان ولا ريب في انه نفسه لا يفكر الا باثياء دنسة لان افكاره كلها اثم
 وجرائم . وان الغضاض بين الشيطان والنوع الانساني نفعنا باننا نكون عليه ظافرين
 بزور مبارك بان يدوس راسه اعني يسمع كبرياءه ويلاشي مصالاة عن وجوه البسطة
 وما ذلك الزور المبارك الا يسوع المسيح ابن مريم البكر ومن المعلوم ان خطيئة آدم
 الاصلية الحقت بنسله اجمع الابنوع المسيح لانه ولد انساناً بنوع الهي وهوانه لم يجعل به من
 الانسان بل من الروح القدس وبنائه عليه فانه بواسطة الزور الالهي او بواسطة المرأة
 التي حل في احشائها حسب تعبير هذه الابة المجابية يخفف الهلاك الانساني وينتزع
 السلطان من الشيطان مالك العالم لكونه ليس له شيء في يسوع المسيح (١) . اما
 الجنس البشري فقبل ان يمن الله عليه بذلك الفادي العظيم فقد انبأ الاختيار المستطيل
 انه منفرج الى المضائق والاعانة . فترتب عليه امرجاته وقسدت طبعه الانسان وغالى
 في الرذائل والتبائع وامتلأت الارض اثاماً وجرائم . فعد ذلك فكر الله في ان ينم
 منه بامر يتخذ ذكر بين البشر كافة فاجرى عليه ميازيب الطوفان عرماً فذهب
 صبت ذلك ما بين نوع الانسان قاطبة ولم يزل الى الان نلح بذكر الامم وما بعث الله
 عليه من الانام . فلا يخالف الانسان اذ ذاك ان العالم يسير من تلقاء نفسه وان كل ما
 كان يبقى على ما كان بل ان الله الذي برأ كل شيء والذي لا يكون كل شيء الا قائماً
 بامر ازمع على ان يفرق نوع الحيوان والانسان وان في نفسه ان يلاشي احسن جرم
 من صعو .

ولم يكن محتاجاً الا الى قدرته بان يزيل ما صنعه بيئت شقة لكه رأى ان من
 اجل شأنه ان يستقدم خلقاته ذريعة لانتقامه فدعا المياه تنقم من الارض المفسدة
 بالذنوب . بيد انه رأى ما بين اولئك رجلاً صدوقاً يستحق النجاة فان الله قبل ان رجاه من
 طوفان الماء كان قد رجاه بجمعه من طوفان الخطيئة ورعى عائته اجمع ثم ارض ثانية
 حيث اتمت ان تكون حاوية وانه بواسطة هذا الرجل الصدوق حفظ الله نوع الحيوان
 لكي يعرف الانسان انها صنعت لاجل رجاء ان يستقدمها نجدة للرب خالقو . ولقد صنع

(١) يوحنا ص ٣: ١٤

* ١١٩ *

شيئاً اعظم من ذلك وهو انه اسف جداً على اجراء عدله الصارم بعنايه للانسان الاثم بان
 لا يبعث اليه مرة اخرى بطوفان عامر وابرم معه ومع سائر الطيور والبهائم (١) عهداً تدل
 عليه قوسٌ نصبا في الرقيع فوق الارض وما ذلك الا ليشعر بان عناية تتد فوق كل ذي
 حيوة فبدت تلك القوس مشكاة الالوان تخبرها ان تكون في غمام رقيق يحمل ندى
 لطيفاً غير متغير ان تكون في غمام لبد يحمل مطراً محسناً . وذلك دليل على ان
 الامطار التي تسيل من ميازيب الغمام لا ينشأ منها فساد طوفان جارف . ومنذ ذاك
 الحين اخذت القوس تدو في المشاهد الحاوية كانهما زينة العرش الالهي حاملة آثار
 رحمة الصمدية . ومن ثم عاد العالم الى نشأته الاولى وبرزت الارض من غمر المياه ومع
 ذلك فقد بقي لانتقام الله على ابن الطينة اثار ليست بزائلة فان الطبيعة كانت منذ
 البدء الى الطوفان شديقة قوية لكتما الارض بعد ان اماهت عليها السماء وظال مكث
 المياه عليها ذهبت عنها الغضارة وسدت ماويتها وتناقلت الاموات الرطابة وكثر الفساد
 واخذت اجمال الاناس تنقلص فان الاعمار الانسانية كانت في ذلك الحين تصل الى الف
 حول فاعتراها من ثم النقص رويداً رويداً من لدن العلي وزالمت الاكلالة والغار
 تلك القوى الاصلية واقتضى ان يفتات الانسان بعد ذلك من لجان الحيوان وبناء على
 ذلك اخذت الاتار الاولى تصبغ عافية الرسم رويداً رويداً وقد كانت ذلك التغيير
 الطبيعي دليلاً يبعث الانسان على ان يشعر بان الله تغير عليه بالفيض والانتقام اذ تعاطلت
 اثنامه وجرائمه . ولقد جاء في تاريخ شعب الله ان حيوة بني الانسان لم تكن في الابتداء
 غير مأثورة لدى الشعوب بل ان تقاليدهم القديمة قد اثبت لها في بطن التاريخ ذكراً
 خالداً وكان الموت الذي يباهه الفطرة الانسانية يستلهمهم الى ما يلم بهم من الانتقام السريع
 ولما كانوا يسمرون كل يوم متسكعين في مهام الاثام آل الامرات تعينهم العذابات
 المبرحة . ولا ريب في ان تغيير اقبياتهم الخلق كان يشعروهم بانهم اصبحوا في حالة يوسى فان
 قوام امست واهنة جداً وكبوا في الوقت نفسه على الهامة واهراق الدماء . وقبل الطوفان
 كان الغذاء الذي يغتذ به الاناس كائنات حياهم الساذجة واخلاقهم الرضية غمار الارضين
 تنماضت لديهم من تلقاء ذاتها . اما الان فلا يطيب لنا الغذاء الا بان مهربى الدماء قسراً

(١) تكوين ص ٩: ١٠



* ١٣٠ *

عما باخذنا لذلك من الهول والدهش وإن الوسائط التي تقوم بها قصدة تغشية خوان
الطعام تكاد لا تكفي أن توارى عما أجهت التي ارتقا دما في سبيل اقتياتنا. وما ذلك إلا
جزء ما يلزم بنا من الكوارث فإن المحبة التي تقلصت بعد أن كانت مديونة بأدبها
المظالم والجور بالقص فإن الإنسان بعد أن كان في بادية الأمر يوفر حياة الحيوان
فقد اغتره العادة بأن يسلك دما ابن طبيبه وإن ما أوصاه به الله أن لا يأكل لحم
الحيوان يدمه وإن لا يريق دما أولاد جبلت ذهب أدرج الرياح ولم يتم الإنسان بحق
رعابته ولم يوحه الله بذلك إلا ليبقي له من أخلاقه الأولية اثرًا رصيًا. ومع ذلك فإن
القتل زاد وقسا وإن يكن قاتن حرج صدره على أخيه هائل قبل الطوفان فاجرى
دمه على الأرض صبيحًا ولأملك من أخلاق قاتن هو ثاني من اجتبر على أن يريق مثله
الدماء ويمكن لنا أن نتقضى أن غيرها قد اتقى اثرها السيئ فإن الحرب كانت وقتئذ
في عدم بحيث لا يهاجم على احبارها العالمون. فنشأ بعد الطوفان فقط جبابرة يعتون
في البلاد ويخربون الدساكر يدعون فاعينهم فولاد اغرام الهيام بسمو السوءدد والجذب
بناصبوا الأبرار ويبعدون منهم عددًا كبيرًا فنشأ من أخلاف حام الخزي من ابيه (١)
رجل ملعون يقال له نمرود سؤلت له النفس الامارة على أن يشيد له مملكة فغالوا من
ذاك الحوت في الثمرات واخذت المطامع النفسية تلعب بالمحبة البشرية لا تنعيم عن
المفاسد شكيمة فطفتوا بقتالون ويتساورون بغيا وعدا واصبح من اعز الفنون واسماها
ان يتفانوا ويجعلوا هياكل الاجسام عظاما رمية. وبعد ان مضى على الطوفان نحو من
ماية سنة سخط الله على بني الانسان وضربهم ببليّة كبرى هي بليّة الألسن ولوليت اللغة
التي علمها آدم لأولاده وتداولها السنة الاقدمين عامة بعد ان تشمت اولاد نوح وهاموا
على وجوههم في شوارع الارض لكثرت وثاقا متينا ترتبط به الالة الاجفاعة بيد انها قد
اعتزلوا الضحلال وعشت بها ايدي الملاشاء لدن اقامة البرج في بابل ولا فرق في
ذلك ان كان اولاد ادم الجاحدون لم يفتوا بمواعيد الرب التي يعنى منها ان الطوفان
لن يفرم مرة اخرى فاخذوا يبنون لهم لجأ شامخا يلوذون به وقت النازلة محصنين
اوانهم قصدوا ان يخلدوا لم ذكرنا بيناته قبل ان تلعب بهم ايدي سبائ مشتملين

(١) سفر التكوين ص ٩: ١١

* ١٣١ *

وذلك ما يدل عليه سفر التكوين فاحيط العلي سعيهم بأن صدقهم عرف تشييد
ذلك البرج الباذخ أملت ان تنطح شرفته روق الغمام فارتفع بينهم الشقاق
والاضطراب ضاربا بينهم وبين لغتهم السجاف الاولى المستور فتناست عندهم
ومن ثم اخذوا يجتثون الى امر وقبائل واخذت تنوع بينهم اللغات ودل على
الوسوسة التي تعنى من البليّة برج بابل الدال على الاضطراب وليس ذلك الا كاتهام
خالدين القطر الانسانية على ان الكبرياء هي مصدر الانقسام والبليّة بين البشر.
فذلك ما كان بدء العالم كما يستفاد من تاريخ موسى فكان ذلك الابتداء في بادية الامر
سعيدا ثم تشوه بالحق والكوارث المخارقة. فان استلقتنا الانظار الى كيفية بروج بالظن الى
تاريخه القدير نراه عجيبا عريبا وهذا اليد يستمر كما نعلمه عند النضر فيه معتبرين ان
الحبس الشري لا يزال في قبضة الخالق الذي انشأه من العدم المحض بمجرد كنهه ورعاه
بصلاحه وساه بحكمته وعافيه بنسطاس عدله وانك برحمته وهول يزل راسخا لسلطانه.
وليس العالم كما زعم بعض الفلاسفة انه مؤلف من كل ثلاث بعضها على سبيل
الاشناق وليس كما زعم بعض من هم احصفت منهم وهوان المادة كانت منذ الازل فتلقها
خالق الكون فاصبح حيثن امركيان الكون لا يتعلق بالخالق نظرا لجوهر الوجود او
نظرا للحال الاولى لكنه قيد لما نوايس ليس بوسعه ان يناقضها.

لكن موسى والاباء الاقدمين الذين روى لنا عنهم النبأ الاكيد يشون لنا بذلك
آراء سديدة وهي ان الاله الذي يستلقتنا اليه الكليم قابض على سلطان اخر عظيم
وفي وسعه ان يبرم ويتريل مثلا يشاء ويقبض للطبيعة نوايس يفوضها متى اراد. ولما نساء
اكثر بني الانسان اراد ان يبدولوا بهم فاخذ من ثم ييدي الاعاجيب المهرية فالجأ
الطبيعة الى ان تزايل نوايسها الفانية ولذن ذلك طلق بين انه هو السلطان المطلق
الذي يبرم وحده ان يحفظ وثاق النظام في العالم.

ولارب في ان بني الانسان نسوا خالته لان ثبات ذلك النظام العظيم لم يكن
صالحا الا ليعلمهم انه خالدهم من ثناء ذاتو وذلك ما حلمهم على ان يعبدوا العالم طرا او
النجوم والعناصر او كل الاجرام التي يتألف منها. فلما اراد الله ان في بعض ظروف مهمة
تنقض ذلك النظام ابدى جودة عطفي فلم يكونوا اذ ذاك يعجبون او يندعشون من
ذاك النظام لانهم كانوا قد اتقوا بل انه كان يعظمهم على ان يتوهوا لكثرة غرهم وعه



* ١٢٢ *

بصائرهم ان الابدية والاستقلال خارجان عن الله

وتاريخ شعب الله الميث بتسلسله وبصلاح اولئك الذين كتبوا باستقامة اولئك الذين رعوهم من العائلة باعنائهم عظيم بذكر تلك العجايب صريحاً وبيدي لنا سلطان الخالق المطلق على كل مخلوقاته سواء كان قد اخضعها لنواميس الطبيعة او يوهبها لاني تكون مهابة للروضح لنواميس غيرها اذا آل الامر ان ينذر عبادهم القاطنين في الضلالة باعمال غريبة

فذلك هو الاله الذي يتبنا عنه موسى وهو الاله الفرد الصمد الذي يحق ان يعبد . عبد من قبل موسى الاباء وهو الاله ابراهيم واسحق ويعقوب فشاء ابونا ابراهيم ان يقدم له ابنه الوحيد قرباناً وكان ملكيصادق المرموز به الى المسيح كاهناً له وقدم له نوح لدن خروجه من السفينة معرقات واعترف به هابيل الصدوق اذ قدم له اعز شيء لديه وخلف الله على آدم بعد هابيل بشيث واظهر آدم عينة لبيوته اذ اخرجهم من بين يديه وانه هو وحد الذي يرفع عن عوائق ذريته اثنال المشاق المبرحة

فيا الله من فلسفة عظمى تعبتنا على ان نقف على علة وجودنا وبالة من تقليد عظيم برعى لنا ذكر هذه الصنائع العجيبة وبالة من شعب ذي بر وفداً هو شعب الله الذي يتسلسل تسلسلاً غير منفصل من بدء العالم الى ايامنا هذه ويحفظ دائماً هذا التقليد وهذه الفلسفة المقدسة

الفصل الثاني

في الكلام عن ابراهيم والاباء

سيدي . لا يخفى عليك ان شعب الله كان في عهد هذا الاب الصديق في رعاية نظامية ولذلك لا يند عني ان اضرب عن الثبيان عنه لديك فاقول . ان ابراهيم ولد سنة الثلاثماية والخمسين بعد الطوفان حين كانت حيوة بني الانسان مدينة وان كانت وقتئذ غدت تقلصت فان نوح استعز بالله في مقربة من لثة ابراهيم وكان ابنه سام في ريق حجاته ففضى ابراهيم معه في لثة الحيوة اعماماً كثيرة

فيا سيدي ان حانت منك التفاته البصرة الى ذلك العالم الحديث الذي كان

* ١٢٣ *

وقتئذ كانت مبتلى بما الطوفان تر عجباً . ولا سيما لما كان بنو الانسان التريبين بهذا المقدار من بداهة الامور لا يفتقرون الى معرفه وحده الله وما يفرض عليهم من القيام بخدمته ليعرفوا التقاليد التي حفظت منذ آدم ونوح الى ذلك الوقت الذي هو وشيك من الاصل جنياً . فضلاً عن ذلك فقد كان ذلك التقليد من الامور التي لا يقيم عليها العقل تكراراً بنوع ان تلك الحقيقة البينة لم تكن على شرف التماسي بين البشر وليست حال الدين على ذلك الموائل الى عهد ابراهيم اذ لم يكن بنو الانسان مفتقرين الى معرفة الرب الابان تدلم على ذلك عقولهم وذاكرتهم بيد ان العقل كان ضعيفاً يعرفه فساداً واختلال . وكلما كانت البشر يتفادون عن الاشياء الاولى كانت شوسوس تصوراتهم التي تلقونها من آياتهم فعق الاولاد منمردين وتزق عنهم شعار الاداب وابوا ان يذعنوا لكلام اجنادهم المعمرين اعماماً ولكثرة مغالهم بعد كل هذه الاجيال في تلك الاخلاق الخسنة واشكوا ان لا يعرفهم . واصبح الجنس البشري مغطاً عن المدارك العقلية يخط في مهامه الخسنة والعيبة وازع على ان لا يعبد الا ما تستقر عليه حاسة البصر ولذلك فنت عبادة الاوثان في اقاصي الارض

واما الروح الشرير الذي اطلق الانسان الاول فكان يجني ثمره خداعه وبشاهد غوائل كلامه لما قال لادم وحواء انكما تصبران من الالهة ومن حين تنو بذلك الحديث معها فكر في نفسه انه سيدب التهويش والاضطراب في فواد الانسان ويجعله يزج تصوره بالله بتصوره لمخلوقاته عازماً على ان يهتدى اسمه القدوس الذي هو محصور في عزته الالهية فركب بذلك متن الفلاح وليث البشر اللجائون الدمويون يتصورون في الله تصوراً مهباً وهذا التصور ثبت بقوته الخاصة . بيد انه لما امتزج بالتصورات الخاتمة من المشاعر عكف البشر على ان يعبدوا كل ما فيه قدرة وقوة ولذلك اصبحت الشمس والنجوم التي تظهر قوتها عن بعد والنار والعناصر التي مفاعيلها عامة من الامور الاولى التي تحق لها العبادة العامة من البشر كافة ثم الملوك العظام والجبابرة القاطنون الذين كانوا اصحاب جرأة وصوله . ثم الذين اخترعوا اشياء مهمة للطائفة البشرية امسوا من الذين ادبت لهم الكرامة الالهية وعوقب البشر بتخضوعهم لحواسهم وامست تلك الحواس فحصل حق في كل الامور ولم يكن للعقل ان يصددها عن صنع الالهة التي ادبت عبادها في جميع الارض



* ١٢٤ *

فلما بدا الانسان حينئذ قاصباً عن وضع نظامه الاول ولكم اصبحت فيه صورة
الله فاسدة . فليت شعري هل من العدل ان يقال ان الله برأه في تلك الامبال الصبية
التي كانت على وشك الازدياد يوماً بعد يوم وذلك الميل الغريب قد حمله على ان
يعتاض عن عبادة مولاه الطبيعي بعبادة كل ما تراه مقلناه فهل ذلك لا يدل بنوع
جملي على ان يدا غريبة لعبت بعقل الانسان فافسد كل ما صنع الرب حتى لم يبق
لذلك الا آثار قليلة فعلم الانسان بصيرة وناه في ليل الضلالة مغروراً في عبادة
الوثان ولم يكن في ذلك الوقت شيء يصدفه عن ذلك فها الشرقيشا وكاد يجيم على
قاطبة البسيطة . ولما فكر المهيمن المتعال انه ان لم يبعث اليه بدواء شاف يند في الارض
طراً ونحى عن عقول البشر معرفة الله دعا عبك ابراهيم وتبص له واحيلو عبادته وامر
ان يحافظ على الاعتقاد القديم في تكوين العالم وفي العناية الخاصة التي يمس بها
الرب الامور البشرية . وذهب صيته في اقاصي الشرق ولم يكن العبرانيون وحدهم
يخفون له بل الامميون ايضا وقد كانوا يتفاجئون بانهم من اخلافه . وقد عرف
اسماعيل عند العرب ان اصلهم لم يستمر الخيانة عندهم دليلاً على اصلهم ولم يكونوا
يخفون في اليوم الثامن من مهلاذ الطلل حسب عادة اليهود بل في السنة الثالثة عشرة
استناداً على ما علمناه من الكتاب المقدس عن اسمعيل ابيهم وليفت هذه العادة محنونة
عند المحدثين . وشعوب اخرى عربية يذكرون ابراهيم وامراته قنطرة وهؤلاء هم الشعوب
الذين يعزوم الكتاب المقدس الى هذه النسل وكان ذلك الاب كداني الهند ونبع
هؤلاء الشعوب في معرفة الارصاد الفلكية وكانوا يفتنون بان ابراهيم له الباع الاطول
في فن التنجيم وقد زعم المؤرخون السوربيون انه استولى على العرش ملكاً في دمشق وانه
اتى من انحاء بابل وبنين انه غادر مملكة دمشق ليسكن بلاد كنعان التي دعيت فيما
بعد يهودية . لكننا الاجدر بك ياسيدي ان نتق بما ينقله عنه تاريخ شعب الله وقد اسلفنا
ان ابراهيم كان عائلاً عيشة الاقدمين قبل ان اجتزا العالم الى مالك وقد كانت له
السلطة على اهل الذين كان عائلاً معهم عيشة رعائية مشهورة بالسذاجة والبر وكانت
متراباً تلك من الموائى والعبدان والفضة شيئاً كثيراً ولكن لم تلك شيئاً من اقاليم
وفسح الارض . ومع هذا وان كانت في مملكة غريبة فبند كان مجتمراً ومستغنياً بالو
عائلاً عيشة الملوك وما ذلك الا لان يد الله كانت تقوم بناصره وترب اليه المكرمة من

* ١٢٥ *

ناظره نظراً لما كان عليه من طيب السيرة ونزاهة النفس وكان يوافي الملوك الذين
يرومون احاءه فشاع من ثم انه كان ملكاً . وقد اجمع الحرب مراراً فصرأ عن سذاجة عيشته
وجنوح الى الصلح ولم يجرب الحرب احباً الا ليدافع عن المظلومين الذين كانوا يواخونه
فاخذ يشارم ظافراً ظفراً عجمياً ووهبهم اموالهم التي انتزعها من اعدائهم ولم يبق في يد
منها الا العشر الذي قرره الله وقسماً جازي به الذين جاهدوا معه في ساحة القتال ومع
هذا كلهم لم يجزئهم هدايا الملوك قبولاً ولم يبالك ان يرى اجداً يزعم انه جعل ابراهيم
غنياً ولم يشأ ان يكون مديوناً لغير الله الذي كان يقوم بناصره ولذلك كان يحفظ له في
صدره ايماناً حياً وبوهدى له رضوخاً تاماً . وما يدل على امانته نزح من ارض ابيه
لياتي مهاجراً الى الارض التي اعد لها له الرب ودعاها اليها ولما رآه اهلاً لان يبرم معه
عهداً عقد معه معاهدة موثوقة بشروط واعلن له انه سيكون الله واله اخلافة اي يستمر
قائماً بناصرهم وهم بعدونه الها مفرداً فاطر السموات والارض ووعده بارض في ارض
كنعان لتكون مركزاً للدين وموطناً سرمدياً له ولاخلافه طراً . ولم يكن لابراهيم في
بادى الامر اولاد لان امراته سارة كانت عاقراً فقسم الله بصرمدته وجوهر ذاته انه ين
عليه من امراته العاقر بذرية تكاثر كنجيم السماء ورمال البحر . وام ما يذكر هو ان
كل الشعوب الذين كانوا جائفين عن طريق الحق يعبدون الاوثان او عزاليه عنهم
انهم سيباكون ويو بسلاوي يزدلفون الى معرفة الله التي لا بركة الا بها . فلهذا اصبح
ابراهيم اباً لكل المؤمنين واختار الله ذرية ليكون مصدراً تنبعث منها البركة المزمعة ان تند
في اقاصي الارض وهذا الوعد مجي مجي المسيح الذي تنبأ عنه اباونا بانه يكون مزعماً ان
يأتي من نسله وان يكون منتقداً من لجة الاتام كل عابدي الاوثان وسائر شعوب الارض
ولهذا اصبح هذا الزرع المبارك الذي وعدت به حواء زرع ابراهيم وابيه . فهذا هو ركن
المعاد وعنده والشروط التي ابرمها الله مع ابراهيم . واتبلى نفع هذا المعاد في
الخيانة التي يتبع منها ان هذا الاب الصالح بناطه وعائنه بالله . ولما اخذ الرب بيارك
ذرية ابراهيم لم يكن له اولاد وغادرة الله بدون بين من الاعوام كثيراً . ومن ثم ولد له ولد
دعا اسماعيل وكان موهلاً لان يكون اباً لشعوب عظيمة غير الشعب المصطفى الذي
وعد به العلي اياه ابراهيم . بل ان هذا الشعب يخرج منه ومن امراته سارة التي كانت
عاقراً . وبعد ان تقادمت على ولادة اسماعيل ثلاث عشرة سنة ولد لابراهيم ولد دعا



* ١٢٦ *

اسحق ابي الضحاك وابن المشاشة وابن المجرات والمواعيد ويتبين من ولادته ان اولاد الله
الاحياء يلدون بالنعمة
ولما ترعرع اسحق وزادت نشأته ورجا ابوه ان يرى منه اولاداً اسحق الله مصداق
ابن ابراهيم فامر ان يسرع به الى ذروة جبل عيبه له كي يذبحه فذبحه الله للرب . فوضع
ابراهيم الامر وقاد ابنه الذي وعده به العلي ان المسح وشعوباً كثيرة تنشأ منه ولما رفع
الجارية فوق حجر واصبح الوليد على وشك الرموق ناداه العلي من العلان ان ارفع اليد
عنه محققاً حجتك رضوخ الولد وايه . ولم يعتما بعد ذلك بفنل الاختان واصبحا كرمز
الى يسوع المسيح بتقدمه ذبيحة لله وقد ذابت نفسها مرارة صليبه واستحقاقاً ان يصير من
اجداده ولما راي الله ان ابراهيم ثابت الامانة انجز له كل مواعيد وبارك عائلته وبها كل
ام الارض ولا ريب في ان الله واظب على الدفاع عن اسحق بن ابراهيم وعن حقيق
يعقوب وكلاهما تسنن باعمال ابراهيم ونحوها لمورجها لها واستسكا بالاعتقاد التدم والعيشة
الرعاية ونظام العالم القديم وهوان كل ابا عائلة كان يناط بهدو سياسة عائلته . ولم يكن
القلب الذي كان ينشأ بين البشر ذريعة لتغيير الاثار القديمة في الدين وسلوك ابراهيم
واولاده .

وبناء على اعاد الرب لاسحاق ويعقوب المواعيد التي وعد بها ابراهيم وزيادة على
ان شاء اولاً ان يدعى باله ابراهيم فقد رغب في ان يلقب ايضاً بالو اسحق ويعقوب
فعاق هولاء الثلاثة بطلون بلاد كنعان تحت رعاية الرب ولكنهم كانوا في تلك
الارض غريباء محاريج لا يملكون من اجزائها شيئاً . ولما تصور يعقوب جوعاً هاجر الى
ارض مصر فها هالك نسله واصبحوا كما قال الرب جيشاً كبيراً . ومع ذلك ولو ان
الشعب الذي ادخله الرب في ميعاده اقتضى ان ينو نسله وتنتفي البركة النسل فلم
يتقاعد هذا الاله العظيم عن ان يتغير البعض منهم بمحض ايامهم بعبث . وبيان ذلك هو انه
بعد ان اصطفى ابراهيم من بين الامم تخير من اولاده اسحاق ومن توأمي اسحق يعقوب الذي
دعاه فيما بعد اسرائيل .

ولقد فضل يعقوب على عيسو بالبركة الرسمية التي نالها من اسحق ومن المترران
هذه البركة التي حازها يعقوب في بادى الامر اخلاصاً قد كانت بعناية صدي لان هذا
العمل الرمزي كان قد تأهب بسر ابي منذ كان الاخوان مستقرين في احشاء رفقا

* ١٢٧ *

لأنها كانت وتقدر تشعر بتراع عظيم في بطنها فضرعت لله طالبة من لدنه ابضاح ذلك
فاجابها ان في احشائك شعبين اكبرها يودي للاصغر رضوخاً . وقد تمت هذه النبوة بان
ترك عيسو لشقيقه حقوق الكورية وصديق له على ذلك يمين ولما باركه اسحق اناط
بعمدته هذه الحق التي من الرب نفسه عليهما . اما تفضيل الاسرائيليين اولاد يعقوب
على الادوميين اولاد عيسو فقد ثبت بهذا العمل الذي يدل ايضاً على تفضيل الوثنيين
المدعويين حديثاً للعباد يسوع المسيح على الشعب القديم

ولقد كان يعقوب اثنا عشر ابناً اصحبوا اثني عشر ابناً اصل الاثني عشر سبطاً ولقد
كانوا برمنهم موهبين للدخول في العهد . واما يهوذا فقد اصطفى من بين اخوته قصد
ان يكون اباً للملك الشعب المصطفى وآباً للمسيح الذي وعد به آباؤه ومن الامور المقترة
ان عشرة اسباط قد غالوا في الترهات والمجد فصلوا عن شعب الله . وان ذرية ابراهيم لم
تسفر راحة البركة القديمة ابي الدابة وارض كنعان والرجا الوطيد في مآتي المسح الا
ان سبط يهوذا وحده تلقب باسمه جميع الاسرائيليين فدعى يهوذا واصبحت البلاد التي
يقطنونها يقال لها يهودية وبناء على ذلك فقد كان الانتخاب الالهي بدو دائماً عيبه في
ذلك الشعب الجسداني الذي كان مزيجاً ان يسفر بواسطة التنازل الاعتيادي . فلما
كان يعقوب على وشك الموت واولاد يكتنفونه طالبين البركة منه راي بالروح سر ذلك
الانتخاب فابان له الرب حالة الاثني عشر سبطاً كيف تكون بعد ان يقطنون ارض
الميعاد فاروضها بكلام موجز يتضمن اسراراً لا تحصى .

فلما اخذ بناجي اخوة يهوذا اني بنصاحه تشك العقول وتغير الالباب وتبين انه
خارج عن ذاته ولما انتقل بالمحدث الى يهوذا ترفع الى مثابة اعلى فقال . يهوذا اياك
بمحمد اخوتك . يدك على قنل اعدائك يمجده لك بنوايك يهوذا شيل اسد . من
فريسة صعدت يا بني جنم وريض كاسد وكبيرة فمن ذا يتيمه . لا يزول صولجان
(ابي السلطة) من يهوذا ومشتري من صلبه حتى ياتي شيلو وتطعمه الشعوب . وقد
روي في نسخة من الكتاب ليست اقدم من النسخة التي اخذنا عنها انه قال كلاماً زيادة
عما ذكرنا وهو حتى ياتي من حفظ كل شيء لاجلو . وسائر النبوة منوطة بالحال التي
يقطنها سبط يهوذا في الاراضي المقدسة واما الكلام الاخير الذي اوردناه فلا يدل في
كل الوجوه الا على الذي ياتي من لدن العلي خادماً لازادي ومفسرها ونحوها المواعيد



* ١٢٨ *

ومنها للشعب الجديد وهو يسوع المسيح اي مسوح من الله .

واما يعقوب فلم يتكلم عنه بصراحة ووضح اليهود لان المسيح موهل لان
 يلد منه ولم يكن ايماره الى يهوذا وحده بل الى كل الامم التي تجاوزت اسباطها الى سائر
 بعد ان لعبت بهم ايدي التزييق . وكل الاناظر النبوية في غاية الصراحة
 والوضوح وليس فيها الا لفظة صولجان فاما على اصطلاح لغتنا علامة للملك فقط وعلى
 اصطلاح اللغة المقدسة تدل على السلطة والسلطان والنفوذ وقد توجد هذه الاستعارة
 في كل سفر من الكتاب المقدس وقد بدت في اياته وجملة في نبوة يعقوب وكانت
 مأرب هذا الاب الصدوق ان يقول ان في ايام المسيح كل سلطة تزول في بيت يهوذا
 وذلك دليل على ان نصير مملكة برمتها قاعاً صافاً .

وبينا لذلك ان ما في المسيح يشار اليه بمجادين عظيمين وهما ان مملكة يهوذا
 والشعب اليهودي يندثران اندثاراً كبيراً وان مملكة كبرى تتألف من كل الشعوب
 ترشح لنشأة المسيح وهو يكون ملكاً عليهم ومتبني اوطانهم وآمالهم . اما شعب يهوذا فلم
 يعثر عليه في الكتاب المقدس الا في صيغة الافراد اكونو شعب الله واذا عثرت باسدي
 على تلك اللفظة في بعض المحال مجموعة اي الشعوب فالذين يعتادون على قراءة هذا
 الكتاب المقدس يهونها غير الشعب اليهودي وهؤلاء الشعوب نراهم موعودين بالمسيح
 حسب نبوة يعقوب . وهذه النبوة العظيمة تتضمن باوجز الفاظ كل تاريخ شعب يهوذا او
 تاريخ المسيح الذي وعد به وتدل على كل تسلسل شعب الله ولم تزل عاقبة ذلك في حيز
 الوجود . وبناءً عليه فليس من المتعني ان اجهلك لديك في ايضاحها لانك تحصل
 عليها دون نصب وكذا وليس عليك الا ان تلاحظ تاريخ شعب الله وتفهيم معنى هذه
 النبوة اذ ينفع لديك جلياً بما تنبئك عنه الحوادث

الفصل الثالث

في موسى والشرعة المكتوبة ودخول شعب الله الى ارض الميعاد

بعد ان مات يعقوب مكث شعب الله في مصر الى حين ارسالية موسى اي نحواً من
 مائتي سنة وعلى هذا مضى نحو اربع مائة وثلاثين سنة قبل ان من الله على شعبه بالارض

* ١٢٩ *

التي وعد بها . وقد ورد ان يعقوب مختار به على الثقة بكلامه ويقتنوا ان لا بد من ثمة
 ذلك في الوقت المعين من حكمته السرمدية

وكانت آثار الامور بين الذين اراد ان يهيم اراضيهم وغنائمهم غير كاملة . وذلك كما
 اوعز بها لابرهم اذ كان منتظراً ان يتقم منهم دون شفقة ورحمة بايدي شعبه المختار
 وقد آل الامر ان ينزع لهذا الشعب الزمن لكي يتكاثروا وينعموا الارض الحية لم ويجلوا
 فيها عروقاً ويغرضوا فيها قاطناتها الذين لعنهم الرب

وقد اراد ان يجسموا في مصر اثال الاسترقاق وما ذلك الا لكي يجيئ مقدمهم
 عند نوال الحرية بنجائهم بمجرات غريبة وتجتمع قلوبهم على محبة الله ويبشرون رحمته الى
 الابد فهذه هي مأرب العلي وقد اندثرنا بها لبعضنا على ان نخافه ونعبده ونودع ونستظفر
 بالامانة والصبر .

ولما جاء الوقت مع جوار اولاده واستصراخهم فاعوز الى موسى ان اذهب الى مصر
 وملئ الولادي من وثاق العبودية .

فبدا الله امام هذا الرجل العظيم بطريق لم يبد لها لغيره من قبله فظهر له بنوع
 يدل من جهة على العظمة والجلال ومن اخرى على السلطان والامال . واوعز اليه انه
 هو الذي هو وان كل ما سواه ليس سوى شبح وقال له انا هو الكائن (اي ان الوجود
 والكمال بمنحصان به تعالى وحده) وتخذ اسماً جديداً يدل على الحمية والوجود كانه
 لها مصدر . وهذا الاسم العظيم المرهب السري لا يمكن ان يترك به واراد ان تكون
 عبادته متينة به . وليس من مآري ان ازبدك علماً برؤيا مصر وقسوة قلب فرعون
 وعبروا البحر الاحمر والغمام والبوق المأفك والرعشة الهائلة التي تراءت لشعب الله على
 ذروة جبل سينا حيث كتب الله على لوحين من حجار قتيده وصايا الدين والالفة الاجتماعية
 الاساسية ونص ما تبنى على موسى بصوت رجيير . ورغبة في ان تكون هذه السنة مربية
 تاماً امر الرب موسى ان يولف جمعية ذات حرمة تضوي على سبعين مشيراً وتدعى
 مجلس تدعى لشعب الله او مجلس شورى الامة المستقر فيها الله جهوراً وامراً وتفسر شئ
 بحضوره وذلك بانظار عزته وقدرته بنوع عجيب . ولم يكن الرب قد ابرز الى ذاك المحين
 شيئاً خطأ ليكون للبشر دستوراً بل ان اخلاف ابراهيم كان مفروضاً عليهم ان يجتنبوا محنك
 بذلك اشعاراً بالميعاد الذي امنن عنه الرب مع الامم المصطفاة . وكانت هذه العلامة



* ١٤٠ *

تبعهم على ان ينغزلوا عن سائر الامم الذين يؤدون للالهة الكذب وضوحاً وعبادة،
وفضلاً عن ذلك فانهم كانوا لا ينامون عن ان يحرسوا على حرمة المعابد لانهم كانوا
يذبحون ما وعد به الرب آباءهم وكانوا يعتقدون انهم مندوبون ان يستمروا شعباً يعبد
اله ابراهيم واسحق ويعقوب كأن الله اصبح مسيحياً. فاقضوا ان يعرفوا باضافته الى اسماء الذين
كانوا يعبدونه اذ كان عنهم لائذاً ومعامياً

ولم يكن من مشيتهم ان ينبط بجوار بني الانسان اسرار الدين والمعابد فند جان
الزمان الذي فيه ان يوقف امتداد الاصنام التي امتدت بين الجنس البشري
وكانت تكاد تلاشي ما تبقى من النور الطبيعي

ولا ريب ان الضلالة في ايام ابراهيم كانت خافتة النور وبعد ان استأثرت بوجه
ربوبها الناس يعرفون الله في فلسطين ومصر فان ملك صادق ملك سيم استمر عارس
الكهانة لله الذي فطر السماء والارض (١). واولئك ملك جبريل وظليته المسمى باسمه
كانا يحشيان الله ويحلفان باسمه التدوس ويحجبان من معظم قوتهم. وكان فرعون ملك
مصر تاخته الرعدة من عهد الله الرهيب. اما في عصر موسى فقد نهضت تلك الامة على
على الفساد واصبح الله العلي في مصر منجماً غير معروفاته الى الشعوب طراً بل انه اله
العبرانيين وكان الناس هنالك يعبدون كل شيء حتى نوع الحيوان وخيشاش الارض.
وكل ما ترى نواظرهم على الارض كانوا يدعونه الهاً فقدوا الحالة هذه العالم الذي فطره الله من
العدم الممت هيكل للآوثان فغالى النوع الانساني في نياقي البطل والاعتصاف حتى اصبح
يوودي العبادة لما تبعته عليه النفس الامارة بالبغى والمكرات ولا غرو من ذلك
فان الانسان كان يخال ان كل قوة لا يحصى منها ولا مناص لا بد من ان تكون الهاً
فلذلك رأى ان قوة شهبوت التي تبعته على العليش عدماً وقسراً تزله كل المزايا فتعدها
الهاً له لانها تجذبه الى الخفاء وهو عار من شكينة تنبؤ عن مهابي ذلك الضلال. فاقام
هياكل شتى وامسى للتبائع التي تائف منها النفوس الالية دخل في مقدمة القرائين

ومع هذا كوك فقد دخلت القسوة في الدين فانه بعد ان اجرم اضطرب باله فظن
ان الله العلي من الد اعدائهم فكفرا انه لا يمكن له ان يسترضيه بذبايح اعتيادية فاجترأ بفتح

(١) سفر التكوين ص ١٤: ١٨ و ١٩

* ١٤١ *

الفكر ان يسفك دم ابناء نوعه ويقرنه بدم البهايم ذبيحة. ولما استولت عليه المخاوف فاعمت
بصيرته توصل الاباء الى ان يقدموا ولدانهم محرقات للالهة بدلاً من الجوز قشاع ذلك
في عهد موسى وكان جزءاً من اجرام الامور بين الذين وكل الله امرائهم الى الاسرائيليين.
يبدأ ان هذه المنكرات لم يكن الامور بين يرتكبونها وحدهم بل ان بني الانسان طراً كانوا
يقدمون للالهة بعضهم ذبايح ولم يخل صنع من فصح الارض الا بدت فيه تلك الالهة
التي اوجب بغضها للنوع الانساني ان تقدم لها القرابين البشرية. وتوغل الانسان في
الخشونة والجهالة حتى انه توصل الى ان يعبد كل ما تصنع يده وقدراته يصنع في الغائيل
روحاً الهية. واولئك القبايل الى ان بنى ان الله هو الذي صنعه متوهماً انه قادر ان يصنع
الله. ولولم يكن الاختيار ابدى لما ان الضلال مرسوخ في سيرة الانسان وغير قابل
للعلم لقد عليه تكبر. وبناء عليه قلاشي يصدنا عن الحكم بان النوع الانساني يستاهل
الحري فان اول الحقائق التي بدل عليها الكون والتي ليس ثمة تأثيرها مضاهاة است
قاصية عن ناظره كثيراً. وان التقليد الذي لبث مستظهر كان على وشك الاضمحلال
واستحكمت في مثابو خرافات حجة منفعية من الكفر واله. ولما رأى الله ان قد جان لان
اذ اذهان البشر لم تكن تعي الحقيقة ارتأى ان يجعلها مرعبة كتابة وامل ان يهذب شعبه
بالفضائل بواسطة نوايس كثيرة خاصة عكف على ان يصنعها خطياً. ودعا موسى لهذا
العمل فجمع هذا الرجل البر تاريخ الاجيال الماضية اي تاريخ آدم ونوح وابراهيم واسحق
ويعقوب ويوسف او بالاحرى انه جمع تاريخ الرب وصنعوا العجيبة. ولم يوجه الامر
ليبحث بعيداً عن تقاليد اجداده السالدين لانه ولد بعد موت يعقوب بخير من مائة سنة
وان مشايخ عصره امكن لم ان يكونوا سنوات حجة مع ذلك الاب الصدوق. وقد كان
ذكر يوسف حياً وان العجايب التي كان الرب قد صنعها عن يد وزير ملوك مصر
العظيم كانت لا تزال اذ ذاك وارث جوية ثلاثة اواربعة انفار كانت متصلة بنوح
الذي شاهد اولاد آدم فكان اذ ذاك يشهد بدهاء الاشياء. وبناء عليه كانت تقاليد
النوع الانساني القديمة وتقاليد عائلة ابراهيم سلة الائتلاف لان ذكرها كانت وقتئذ لا تزال
حجة ولا غرو ان رايها احياناً موسى يتكلم في سفر التكوين عن كل ما حدث ماخفاً في
الاجيال الغابرة منكم يتكلم عن اشياء مستمرة كانت مفرقة اذ تبقى منها آثار مهمة لدى
الام المجاورة وفي ارض كنعان



* ١٢٢ *

ولما كان ابراهيم واسحق ويعقوب قد قضوا تلك الارض اقام كل منهم فيها اثرا
تدل على كل ما حدث لهم وقد استمرت الى عصر موسى المنازل التي فيها والآثار التي
احضروها في تلك المفاوز لتستفي منها عيالهم ومواسمهم . وقد عرفت الاطوار الروائح التي
ترامى لهم الله عليها فقدموا له ثمة محرقات وبجارة التي اقاموها او كرسوها لتكون آثارا
تذكرها الاجيال التالية والاحداث التي كانت تحوي رفاهم القدسية . وكانت ذكرى
اولئك الافراد باقية في تلك البلدان والاصناف الشرقية حيث ام كثيرة لم تسب منها من
اخطاهم . ولما دخل الشعب العبراني في ارض الميعاد فشت بينهم ذكرى اجدادهم
وكانت المدائن والاطوار الروائح والصخور الصماء توعز اليهم عن اولئك الاشخاص
المشهورين وتذكرهم بالروايا العجيبة التي اثبت الله بها امانتهم القدسية الحقة ولا غرو ان
كل من عتد علم بالاثار القدسية ولو جزئيا فبهم حالا ان البشر الظاعنين كانت لهم
الرغبة في ان يقيموا آثارا كذلك يستقيمونها الى ما سباني وم عليها محافظون . وقد كان
خلقاوم بصرون على كل ما كان ذريعة لذلك البناء وتلك مزايا كان من شأنها ان
تجعل الفارخ نائما . وبعد ان مضت على ذلك اعولهم همكوا في فصل الحجارة ونحتها
وصنعوا بها تماثيل بعد ان كان من قبلهم يقيمون اعداة ضخمة بحجارة خشنة . ولما ادلة
قاطعة على حفظ تواريخ الازمنة الخالية خطأ في القليلة التي حفظت فيها معرفة الله لان
البشر لم يهملوا ذلك ابدا ومن المثير انهم كانوا يعلون اولادهم اناشيد في الاحتفالات
والاجتماعات كانت توبد الاعمال المشهورة التي حدثت في الازمنة السالفة ومن ثم تولد
الفريضة وتغير فيما بعد على اساليب مختلفة . ولما اسلوبه الاول فلم يزل الى الان
محفوظا في القصائد والانشائد المستعملة عند الاقدمين لمدح الالهية والابطل وفي ايامنا
هذه عند الامم التي لا تعرف اصول الكتابة

ولا ينكر ان تلك الاناشيد بلغة المعاني جدا ذات انفس سامية طيبة النسق
جديرة بان تغل الطبيعة مجاسها . فضلا عن ذلك فانها متضمنة اوزانا شتى تنوع بها
معانيها وتطرب بها السامع وتذك العقول وتجر الابواب وتنبهت على حفظها الذائفة .
واكثر من استعمال تلك الاناشيد وبهمك فيها شعب الله فموسى اشار الى جم منها وكان
يذكر من انواعها المصراع الاول . وكان الشعب يعرف الباقي ونظم هو نفسه على
ذلك النمط انشودتين احدهما تنصن عبر الاسرائيليين البحر الاحمر وغرق البعض من

* ١٢٣ *

اعداء الرب في لجة البحر واضطراب البعض من كثرة الروح والخشية والاخرى تنصن
تذكىة للاسرائيليين على تكريمهم بحيل الله والابهار الى خبراته وعظم معجزاته . واقتنى اثر
ابناء الاجيال التالية لان الله وما برأ من العجايب كانا موضوعا لكل نشيد وقد كان الله
يوشي بها الى اوليائه الاطهار وقصاري الامران كل شعر يشد العقول ويدله القلوب قد
كان يغنى به شعب الله

وتغنى يعقوب بتلك الاناشيد النبوية متضمنة كل ما ازعج ان يحدث لبيده وقد كان
كل سبط يحفظ بسهولة ما يناط به ويتعلم ان يسمع الرب العظيم بنيواته والصادق
في تنبيهها .

وكل ذلك وسائل استخدمها الرب ليحفظ الى وقت موسى ذكر الشومرون الآتية .
وان موسى الذي عرف كل ذلك رفعه الروح القدس فوق كل شيء والهمة ان يكتب
صنائع الرب بالتدقيق واليسط وبساطة نعمت على الامانة والعجب من اعمال الله نفسه .
وقد اضاف للانشاء القدسية التي كانت تحوي نشاء ابناء شعب الله على ما كتبه من
الاناشيد القدسية المعجزات التي صنعها الله في شأن خلاص شعبه ولم يكن موسى يقيم على
مصدق كلامه دليلا سوى ما رآه ابصاره لانه لم يكن بانهم ينبل بعهد عن مداركهم ولم
يأتهم بما يحدث في الكهوف العميقة ولم يكلمهم ابدا بل كان كلامه مبنيا على الصراحتين الواضوح
خفية ان يبعثهم على الرتبة فيرشدوه بحجر الظن ويكذبوه . فشيد نوايس الاسرائيليين وحكم على
العجايب التي شاهدوها عيانا وهك العجايب قائمة بتغيير الطبيعة فورا على اناطر متغايرة
قصص تحايرهم وعقاب اعدائهم فانسطر البحر قسمين وانفتحت الارض وانزل الله لهم من
الملاء ماء واجرى لهم من فداد الصخرة الصماء ماء قراحا بان ضربها موسى بعصاه واقام
لهم في الارجح علامة تقودهم من تسارهم وصنع لهم معجزات اخرى استمرت اربعين عاما . ولم
يكن في ذاك الحين الاسرائيليون يفوقون غيرهم في جودة العقل ولم يكونوا اذكي من
الشعوب الذين تغلبت عليهم مشاعرهم وما أمكن لهم ان يفرو بوجود اله غير منظور بل
كانوا يشاهدون سوام في الخشونة والعجيبة ان لم نزل اكثر من غيرهم جلالة اما هذا الاله
غير المنظور فكان لا يزال يبدو لهم محسوسا بمعجزات مستمرة وكان موسى يجهد دائما في ان
يجعل في عقولهم من ذلك تأثيرا ومن كثر ذلك اخذ بافكارهم كل ما اخذ واصبح له عندهم
عظيم وقع فاشعر بالرب بسط بصنع كل شيء بكنهه وادرك اخيرا ان هذا الاله ليس



* ١٢٤ *

سوى عقل وروح وفهم . ولما اخذت عبادة الاصنام التي زادت جداً منذ عهد
ابراهيم تغشي وجه البسيطة اصبح نسل هذا الاب البار برئاً وحده من ذاك الدنس
وشهد له بذلك اعداؤه . واما الشعوب الذين لم ينسوا تماماً الحقيقة والتقاليد فكانوا
يعتبرون قاتلين . انه لم يبصر انما في يعقوب ولم ير اصرافاً في اسرائيل انه لا عياقة في
يعقوب ولا عرافة في اسرائيل الرب الهه معه وهتاف الملك فيه

ولما رأى موسى انه لا مندوحة له من ان يرخ في غنولم رحمة الله وتخصيص العبادة
به جعل شانه كان يكرز على مسامحة قاتل ان هذا الاله الهى يصطفى له في ارض الميعاد
محلاً مفرداً حيث تتم فيه الاحتفالات وتقدم له فيه الحرفات والقرابين والعبادات العامة
ويضا كان الشعب يعم على وجهه في القباقي والفتار صنع موسى تابوت العهد وجعله
قابلاً للاعتقال من محل الى آخر وقد كان لديه بنو اسرائيل يقدمون القرابين لله الذي
فطر السموات والارض وقد تعطف عليهم بان يحبب معهم القباقي ويقودهم في الفتار
والمناور

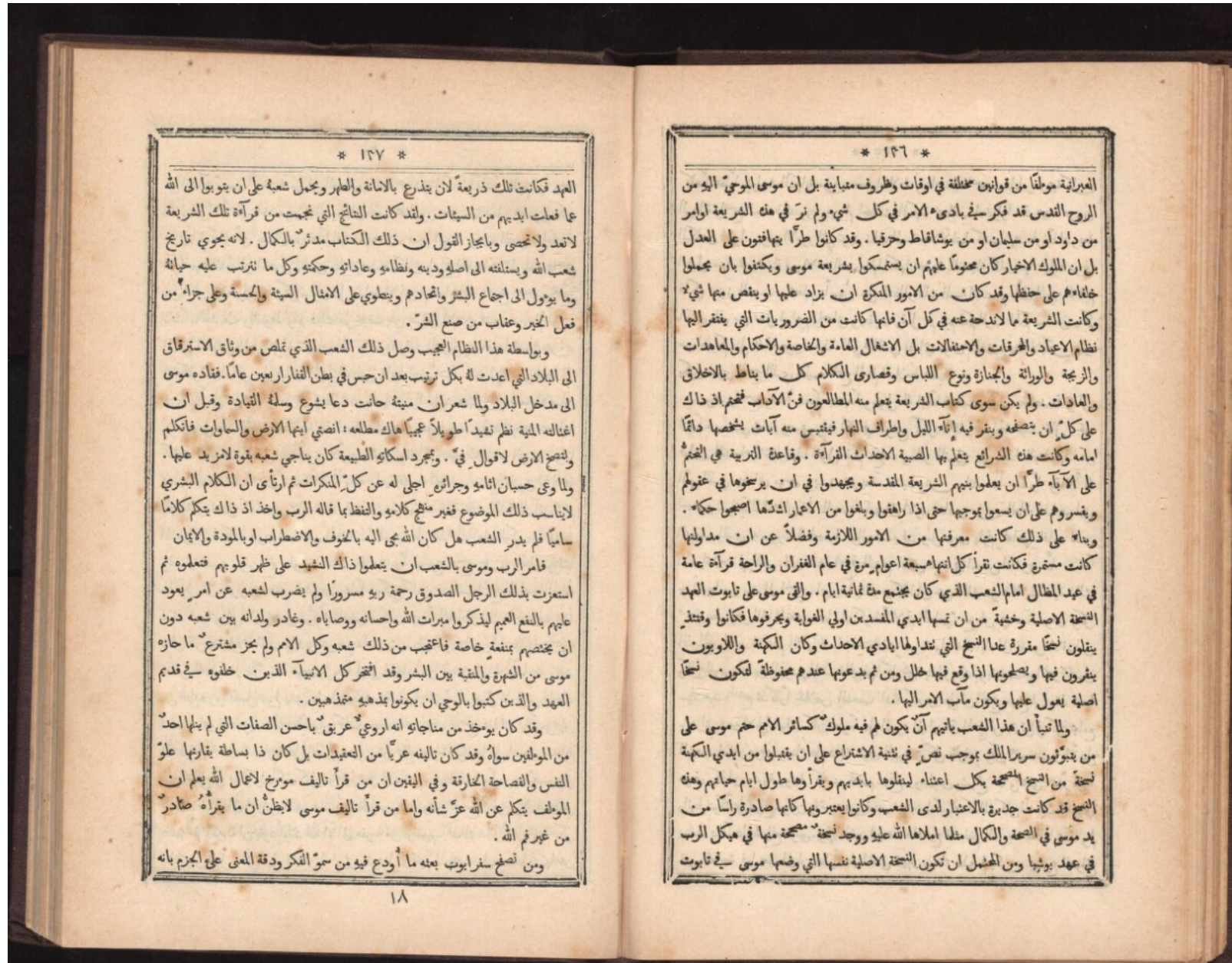
وعلى هذا المبدأ والاساس كانت السنة موطئة ولا بدع فانها لسنة عادلة ذات نفع
منفعة من الحكمة والبساطة والبلاغة ولقد كانت وثاقاً بين ربط الالته بين البشر ويجعل
الانسان يزولف الى ربه . وزاد موسى على تلك السنن قوانين تجري بموجبها الاحتفالات
الدينية المقدسة واعباداً مشهورة توغر الى المعجرات التي كانت ذريعة لبقاء شعب اسرائيل
وايقن لم مراراً حجة انهم مزعمون ان ينجوا في اشغالهم ان ليشوا مستمسكين بعروة السنة والا
فيحل عليهم من العقاب الشدة ولان حين مناص . هذا ما قاله الشارع واقتضى ان يكون
هذا الامر مقرراً لديه من قبل الرب ليعمله ركناً مستو . وانفع من الحوادث جلياً ان
موسى لم يتكلم عن نفسه واما القوانين التي القاها الى بني اسرائيل وان كانت تبدو في
ايامنا غير منيعة فقد كانت قبلاً ضرورة جداً لانها كانت توثر شعب الله على سائر
الشعوب وكانت كحاجز يمنع شعب الله عن عبادة الاوثان وان لا يطوخوا بنفوسهم
كباقي الشعوب

وقد تخبر سبطاً واحداً من الاثني عشر سبطاً وانا ط بهدو القرابين والاعشار وكل
ما يختص بالاشياء المقدسة وما ذلك الا ليحفظ الدين وكل تقاليد شعب الله . وانا ط
لاوي واخلائه بالله تكريماً له كعشر الشعب وغير من سبط لاوي هرون ليكون

* ١٢٥ *

كاهناً عظيماً وتوارث الكهانة من بعد اخلافة وبناء عليه اصبح المناير مرعية كل
الرعاة واصبح السنة دائرون ومن ثم اخذت الكهنة تعاقب استمراراً منذ عهد هرون
الكاهن الاول . ومن الامور التي تزيد تلك السنة جلالة انها كانت تهد طرقاً لشريعة
افضل منها غير محملة من الاحتفالات مثلها لكنها مخضبة بالفضيلة اكثر منها . واما موسى
فلما بعز الشعب ويجعلهم يأسون على انتظار تلك السنة اثبت لهم ما في النبي العظيم
الذي باقي من نسل ابراهيم واصحاب يعقوب وقال لهم قيم لكم الرب الهكم نبياً من بينكم
من اخوتكم مثلي له سمعون . فهذا النبي الذي يضاهي موسى المشترع مثله لا يمكن ان
يكون سوى المسيح الذي تعليمه يصلح العالم اصلاحاً عظيماً

ومحرم المسيح وحده شعباً جديداً ويقول له ايضا فرضت عليكم سنة جديدة وقال
ايضاً من يجني يحفظ وصتي وقد تكلم في موضع آخر باكثر صراحة حيث قال . قد
قبلت لتندماه لا تفتلوا وانا اقول لكم الحق . وسائر القول على هذا النمط فهذا هو
النبي الذي يضاهي موسى ويشهد بشريعة جديدة وعن مائة تنبأ منذراً وقائلاً له
تسمعون . ونسباً لذلك ان الله لما بعث بابو الى الارض نادى من العلاء هذا هو ابني
المحبيب الذي يو سررت له اسمعوا . واليونفسو قد رمز موسى بارقم نحاسي اقامه لدى
الاسرائيليين في القفر . لان لدغة الارقم التدم الذي تنبت في الجبس البشري سماً مدقماً
يبرأ منها من يبرزو الى المسيح . اي يبرأ بقتله وكما ابان عن ذلك هو ذاته ولما في ذلك
فحجة نظر وهو لما اذا لا يخص هنا بالذكر الا الارقم النحاسي . مع ان في سنة موسى وكل
الذبايح والكبر الاعظم الذي نصبه باحتفالات سرية . وادخله اياه الى قدس الاتداس
وكل طقوس الدين اليهودي المقدسة التي فيها كل شيء يظهر بالدم ويتبرن عليها نحر الحمل
في عيد النضج تذكاراً لخلاص الشعب ادلة كبرى على ان المسيح مزعم ان ينفذ شعبة
بأهراق دموه الالهي . وقد كان مهنوماً على اليهود الى ان اتى المسيح ان يقرنوا في كل جماع
الشعب اسفار موسى وبناء على ذلك ترى اليهود في كل ظرف وان لا يستندون الا على
موسى وكما ان مدينة رومية كانت تحترق شرائع روميلوس وشرائع نيا والاثني عشر لوصفاً
واثنياساً تنوكاً على شرائع سولون ولاسجديين تعتبر قوانين ليكورك كذلك كان الشعب العبراني
يستند دائماً على شرائع موسى . وفي الايتين ان هذا المشترع قد نظم الشريعة نظاماً محكماً ولم
تس الحاجة فيما بعد الى ان يطرأ عليها ادنى تعبير وبناء عليه لم يكن مجموع الشرائع





* ١٢٨ *

من انشاء موسى . وخشية من ان العبرانيين تآخذهم نشوة الكبرياء لدن ظنهم ان رحمة الله لم تحل الا عليهم اخذ موسى ينجيهم بان الله له مختارون حتى في نسل عيسو لم يكن من امكانه ان ينش بينهم قلعيا افيد لم من صبر ايوب وحزنه الذي اناط الله امر بهمة الشيطان المختول ليضيق عليه ويذهب بكل انواع المبرحات الموقفة . فاصبح عربيا من رفقته ولولده وكل سلوى على بساط الارض ثم اصابه الله بقرع جسمه وامتنع باطنا بالتجديف والفتنوط ومع ذلك فلم يجنف عن طريق الايمان فبين من ثم ان النفس الطاهرة ذات الامانة تقوم نعمة الله بنصرها وقت التجربة وتضافرها قسرا عن الافكار الخبيثة التي يبادها بها العدو الخناس فانها تستمر في حيز الامانة وتبعد الى ذرى القائل عالة بان ما يترام عليها من التواب والنازلات دليل على ضعة الانسان ووهو وعلى حكمة الله غير المتناهية . فذلك ما تنقبه من سفر ايوب . ولرعاية هيئة عصرية كانت امانة هذا الرجل الصدوق ذريعة لان تترام عليه الخيرات الزمنية . واما شعب الله فقد هب من سنة الغفلة وفته ماهية فضيلة العذاب وشرع يذوق لذة النعمة المزمعة ان تعلق ذات يوم بالصليب . بيد ان موسى قد ذاق تلك اللذة لما أثر تجمش المشاق وما تكبد هو وشعبه من النائيات السود على ملذة البلاط الملوكي في مصر وغضارة تعيبو . ومن ثم علق الله يذيقه ما يبيد ليسوع المسيح من العار ولأسيا لما اركن الى الفرار في منفاه مدة اربعين عاما . وكرع كاس مصائب المسيح لما اصطفاه الله لينفذ شعبه وأنجي . ان يجتهد ثم ردم المستمر لما كان معرضا للخطا وعلم ما يصرف في شأن امر نجات اولاد الرب وابدى عن بعد ما سيمرتب عليه امر الخلاص الاعظم وقت مجي مخلص العالم . فلم تتر متفلا موسى بروية ارض الميعاد عن قرب بل انه راها عن بعد من اعلى ذروة الجبل . ولم يشق عليه ان يكتب انه غير مستحق الدخول الى ارض الميعاد لعدم امانه فاستحق عتابا عظيما وان كانت خطيئته صغيرة . فاصبح عتابه دليلا على ان الله ذو غيرة عادلة صارية على الذين يمتنون عن منهج طريقه ولاسيا على الذين تقسم النعمة على ان يسلكوا باكثر كمال من غيرهم في الامانة . وبيد لنا ايضا من صدف موسى عن الدخول الى الارض المقدسة سر اعظم من هذا وهو انه مع كل معجزات التي صنعها لم يمكن له ان يتوكل ولا الله الا الى مقربة من ارضهم . فذاك دليل على ان لم يكن الناموس كالشيء بل لا يمكن له ان يتوكلنا الى تقيم المواعيد بل جعلنا نحيها عن

* ١٢٩ *

بعدوا بعبارة اخرى انه يتوكلنا الى قرب باب ميراثنا لان يشوع الذي يكون باسمه ورفعة مقامه نائبا عن مخلص العالم احق منه في كل شيء وهذا الرجل الذي كان احط من موسى في كل امر كان يتعالى عليه بشرف اسمه وهو الذي انيط بهدوء ادخال الشعب الى الارض المقدسة . وبظهوره المبين جزرت مياه الاردن الى الورا وسقطت اسوار اربحا من تلقاء ذاتها وانجسبت الشمس في كبد السماء وامكث الله اولاده في ارض كنعان طاردا منها شعوبا كثيرة منطوية على الرذائل والمفساد ولم شعبه ان يكافحهم بالقضاء وجعل عدوهم لم امرا طيعيا حرصا عليهم من ان يكتسبوا عاداتهم السيئة ولقد اوسعهم اصنافا واحمل عليهم شعبه تخافوه خوفا عظيما وبعد ان اخرجوا من تلك الاصقاع تخلت منهم فرقة الى افريقية حيث كشف فيما بعد على آثارهم وظهور يشوع في تاريخ قديم . وبعد ان وطن يشوع الاسرائيليين بظنهم المبين في اكنة الاراضي المقدسة اخذ يشاطرهم اجراءها هو والامازار الكاهن وروساء الاسباط وفاقا لسنة موسى فنال سبط يهوذا من ذلك التسم الاكبر لانه فاق منذ عهد موسى غيره بالعدد والبأس ورفعة المقام . ثم استأثرت رحمة الله بيشوع وواصل الشعب الاسرائيلي فتوح ارض الميعاد وقد شامت العزة الالهية ان يكون سبط يهوذا في مقدمة الاسباط اجمع فالملت ان في عزها ان تسلم الارض اليه ولا ريب ان هذا السبط قد قمع الكنعانيين وظفر بهم واستولى على اورشليم التي اُهِيت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الملك وقد كانت تدعى من قبل سلّم وكانت ملكيصادق ملكها في عهد ابرام . وان ملكيصادق يعني منه ملك العدل ويدعى ايضا ملك السلم لان سلّم معناه السلم وقد قرر بذلك ابرام واعتبره كالكاهن العظيم كان اورشليم اُهِيت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الدين فانبطت في بادئ الامر بهمة اولاد بنيامين . ولما كانوا على جانب من الضعف وقلة العدد لم يمكن لهم ان يطردوا منها البابوزيين قاطنيها الا قدمين ولذلك آل بهم الامر ان يجالطوهم . وقد كانت امبال شعب الرب في عهد القضاء مقبابة في الخبر والشر . وبعد ان مات الشيوخ الذين شاهدوا معجزات الرب اصبح ذكر تلك المصائب يكاد يكون نسيا منسيا وبنح شعب الله الى عبادة الاوثان . وقد كاف الله يعاقب من يرتكب ذلك المنكر عتابا صارما ويقوم بنصر كل من يرعوي عن غرتو .



* ١٤٠ *

وبناء على ذلك دبّ الإيمان بعناية الله ويصدق مواعيد موسى ووعيد في قلوب
الصالحين يوماً بعد يوم لكما الرب كان يهيئ لهم الفوز عظيمًا. وطلب الشعب أن
يكون لهم ملك فاقام الرب لهم شاول الذي رذله بسبب آثامه ثم ازرع على ان يقيم له
سلالة ملوكية يخرج منها المسيح فتقرر ان يكون ذلك من سبط يهوذا فاصطفى منه راعيًا
يقال له داود وهو اصغر اولاد يسى ولم يكن ابوه واخوته بعالمين باهليته وبما سترشح له
واما الرب فعلم طيب سريته وحسن طوبى فكرسه ملكًا بيد صموئيل في بيت لم
منبت شعبه

الفصل الرابع

في الكلام عن داود وسليمان والملوك والانبياء

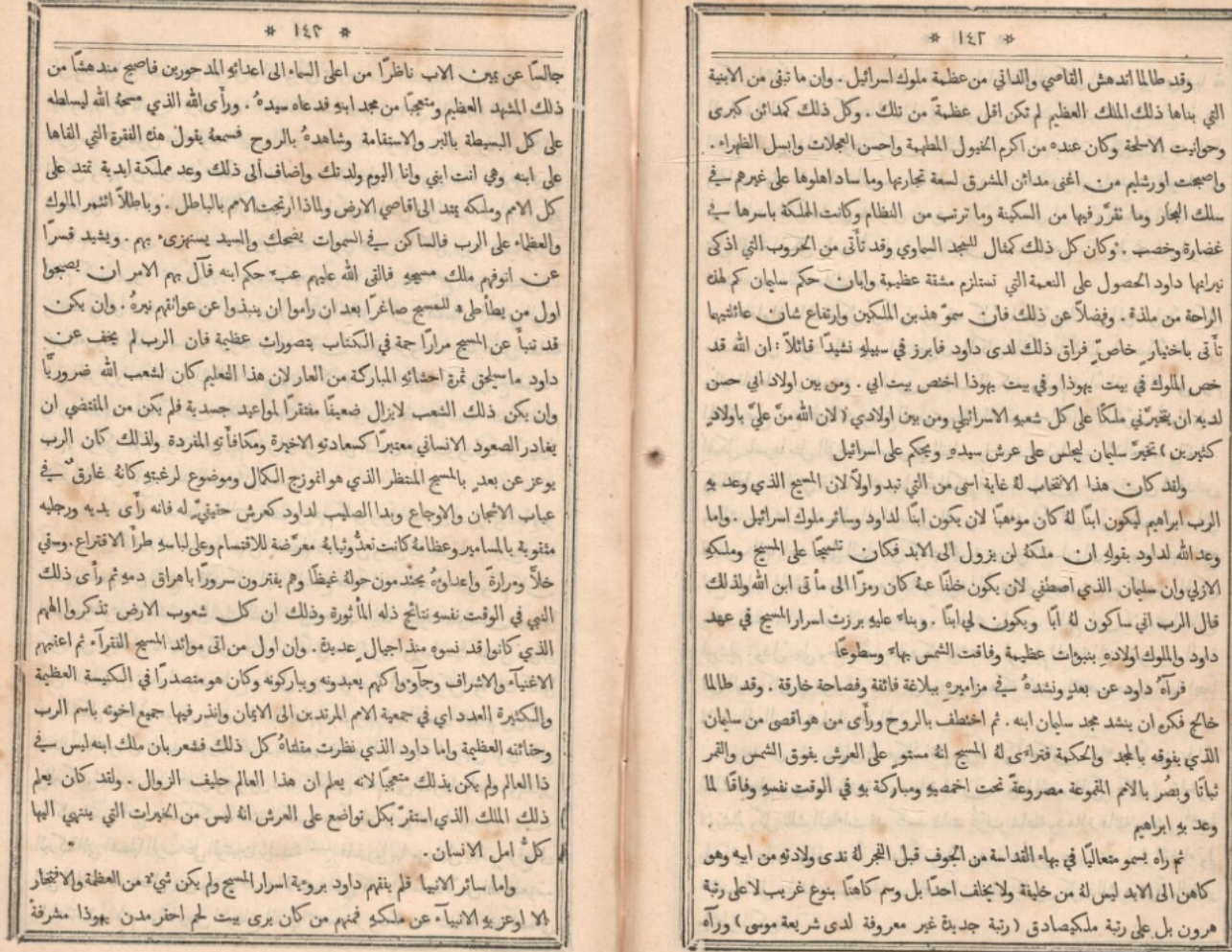
في ذلك الحين اتخذ شعب الله له هيبة جديدة وثبت الملك في سرية داود فنشأ في
بادي الامر ملكان من تلك الاسرة ليسا على اتفاق بالسليقة لكنهما كانا مجلبة لكل
دهشة وحيرة فان داود كان يود احتدام الحرب والفتوحات فظهر بياسه على اعداء
شعب الله واتى رعية الحق في كل الشرق وسليمان كان على جانب من الرصانة والحكمة
وذهب صيته بذلك داخل مملكته وخارجها فانال شعبه غشاة الترف والسعادة
لكثرة عافته على الامن والسلام. بيد ان تسلسل الامور الدينية تسلمت انظارنا الى
هذين الملكين ونحسنا على ان نسرّح طائر النظر في حياتهما فنقول: ان داود تيّر في اول
الامر تحت اليهودية وكان قادراً ظاهراً ثم رشح لشوكته كل الاسرائيليين فترفع من
اليابوزين قلعة صهيون التي كانت لاورشليم حصناً منيعاً ولما استولى عليها بجولو وطولو
جعلها حسب امر الله مركزاً للاحكام والدين وشاد بيته على قمة طودها واقام حوله
منازل حجة دعاها مدينة داود واقام بواب ابن اخيه باقي المدينة واصبحت اورشليم ذات
هيبة جديدة ووطن اولاد يهوذا سائر البلاد وخالطهم اولاد بنيمن اقليلوا العدد
لما تابوت العهد الذي اقامه موسى وكان الرب مستويًا فيه على الكاروبيم وكان
فيه لوحا الوصية في غاية الرعاية والحفظ فلم يكن له محل بناط به. فنقله داود باحتفال
الى جبل صهيون الذي نفعه باعانة الرب العظيم القدرة وما ذلك الا ليحكم ثم عز وجل

* ١٤١ *

ويكون لائماً عن داود واورشليم والملك. واما المظلة التي كان الشعب يودى فيها لله
العبادة في البرية فقد كانت لا تزال في غباورون حيث كانت تقدم الذبائح لله على
المدبح الذي شاده موسى وكانت ذلك باقياً الى ان يشاد هيكل ليركز فيه المدبح
والتابوت ويتم نعمة عبادة الرب. ولما ظهر داود على اعدائهم وقمهم وامتدت فتوحاته الى
نهر الفرات ظاهراً دار في خلعه ان يصرف جلّ عنايته في ان يعزز العبادة الالهية فعين
محل اقامة الهيكل بامر الله على ذروة الجبل حيث ابراهيم عول على تحرابه الوحيد
قصده عن ذلك ملاك الرب

فاقام اذ ذاك الهيكل رسماً واحرز فيه كل ما جلّ وغلا من المواد واعده له كل
ما سلب من الملوك والشعوب المدحورين ولما كان فاتحاً سقاً للدماء صدّه الله عن
بنائه فاناط امر تشييده بسليمان حليف السكينة والسلام فبناه اذ ذاك على رسم
المظلة وصنع مدبح المحرقات ومدبح العطور ومنارة الذهب ومائدة الخبز المقرب لله وادوات
الهيكل بأسرها مثل التي صنعها موسى في القنار. ولم يصف عليها موسى الا العظمة والفناء.
واما التابوت الذي قام باعبادته رجل الله الكليم فوضعه سليمان حيث قدس الاقداس
وذلك في محل لا سبيل الى الوصول اليه وما ذلك الا دليل على عظمة الرب التي
لا يقرب اليها احد وعلى السماء التي كانت محجورة عن بني الانسان الى ان يهبط منها المسيح
فتفتح ابوابها المغلقة بسفك دمه الطاهر. وبدا الله مجلالاً وجبروتاً يوم تكرس الهيكل
وتغير تلك المناهضة مقراً لاسمى ومتمدى لعبادته ولوجب عليهم ان لا يذبحوا خارج
اورشليم. ودل على وحة الله وحة هيكله واصبحت اورشليم المدينة المقدسة وصورة البيعة
لان الرب كان في عزوه اذ ذاك ان يستوي في هيكله الحق واصبحت صورة السماء ايضاً
لاننا نال السعادة بابرار مجد الله

وبعد ان شاد سليمان لله هيكلًا اقام صرحاً ملوكياً فكان بناء عظيمًا يليق بهذا
الملك العظيم وبني بيتاً للترمة دعاه غابة لبنان. واما القصر الملوكي فكان زينة اخرى
لاورشليم وكل تلك البنايات قد كانت ذات غرر شاهقة ودهاليز فائقة ومماشٍ فسحة
واروقة عظيمة واقام عرشاً سلطانياً وسدة رفيعة يستوي عليها عند ابراز القضاء ولم
يستقيم لكل ما شاد سوى خشب الصندل. وقد كان كل ذلك مرشوقاً بالنضار
والبحارة الكريمة





* ١٤٤ *

بان ولد فيها وانه صعد الى اسمي من ذلك ورأى يخرج من ذلك منذ القديم منذ ايام الازل من حجر
ايه ومنهم من كان يرى بتولية امو قاتلاً هذا جانوبل (اي هذا الاله الذي معنا)
يخرج من حجر يتول هذا الولد العجيب الذي يدعوه الله. ومنهم من كان يراه داخل الى
الهيكل ومنهم من كان يراه مجيئاً في قبر حيث ظهر على الموت وفي اثناء انذارهم بمجيئهم
لم يضرىوا صفحا عما لحق من العار لانهم رأوه مباعاً وعلموا من قبل قدر الدرهم التي بيع
بها بانها ثلاثون من الفضة وعرفوا استعمالها وفي عرض ما كانوا يرونه عظيماً ومرتفع
المقام كانوا يرونه مجتراً وغير معروف بين بني الانسان وانه اصبح محبوباً للبشر بذلك
وعظفته وكانوا يدعونه احقر البشر ورجل الآلام الحامل كل الخطايا المبدية الرحمة
غير المعروفة المشوه بسبب قروحه وبهذا كان يشفي جروحنا وانه عومل معاملة
ذي الجرائم وقادة الاشرار الى العذاب وسلم نفسه كالنخلة البرية بكل سكينه وارباح الموت.
وذرية كبرى مأهولة لان تلد منه تلك الذرية وانزل الله على شعبه انتقاماً لعدم
ايمانهم. ولكي تتم النبوة افشى بهم الامر الى ان حسبوا السنين الى مجيئهم وذلك امرين
لا يتكرر الا من كان خامد البصيرة والبصر

وليس الانبياء قد نظروا المسيح فقط بل انهم كانوا رمزاً الى اسرارهم واسميا رمز
الصليب لان اكثرهم قد تحشروا مشاق الاضطهاد للعدل وشكروا لنا بعد ايمانهم البر والحقيقة
الذين اضطهدوا في المسيح. فلقد كان الاله واليشاع هدفاً للاضطهاد المستمر ولكم كان
اشعباً هزماً وخبرة للشعب والملوك الذين قتلوه حسب تقليد اليهود المتواصل ورجعوا
زكريا بن يوياداع بالحجارة وكان حزقيا غارقاً في لجة الحزن وارميا في مشاق متواترة
بكل اللسان عن تنبائهم. وقد طرح دانيال مرتين في جب الاسود وكل اولئك كانوا
هدفاً لكل اضطهاد موبق ويظهروا لنا جميعهم بانهم وجدوا ان الشعب القديم وان يكن
مستنزماً بالهموم يعضد بالبركة الجسدية بسبب ضعفه فان اقوياء اسرائيل اولي التقى
والبركان يتنانون خبز الشجون ويخرجون سابقاً الكاس المنة لابن الله رجاء النجاة. ويقدر
ما كان اقدم المسيح مقدساً كانت تلك الكاس مرة. ولقد رأى الانبياء بوضوح كيف
البركة التي اعطاها الرب على الوثنيين بواسطة المسيح فانذروا بها من قبل بكلام ترفع الى
اعلى البلاغة فان اصل يسى وداود قد بدا لاشعبا الذي كانه راية معطاة من الله للشعوب
واياه ترحي الامم. واما رجل الاوجاع الذي اصبح قروحاً علة شفتائنا فقد اضطهد

* ١٤٥ *

ليصل الوثنيين بنضجة في دمه والمعودة ولا يجترى الملوك ان يبدوا امامه حديثاً وراثة
مثلة من لم تمنع بواذناه وحي اليه لم يكونوا يعرفونه فهو الشاهد الذي ناله الشعوب
والقائد والمعلم الذي بُعث به الى الوثنيين. وقد انحاز في عهد شعب مجهول الى شعب
الرب وهرع اليه الوثنيون من جميع الانحاء ولا يسبانه صديق صهيون الذي كان نوره
ينال في الافاق وهو المفضل صهيون الذي بقي كالنبراس وسوف يراه الامم وجميع
الملوك سوف يعرفون ذلك الرجل الشهير في نبوءات صهيون

فما قد صرح به بزيادة ابضاح واكثر بيان واخص صفات. وهو انه قد دعي
بالرجل العريق في الكياسة المصطفى بنوع خاص من لدن الله الذي سر به وقد بُعث
به ليقتضي للام وتنفاتي ستة الجزر التي تدعوها الامم العبرانية اوربا والامصار القاصية
لا ينفذ ولا يسمع له صوت خارجاً لانه لطيف وديم الاخلاق لا يسمي الاباء المروضه
ولا يرسل دخان الكتان ولا يضيق على بني الغرباء الجرمين بل صوته الرخيم يدعوم
اليهم ويكسر الكريمة تاخذ بايديهم. سوف يفتح عيون العميان فيصرون ويخلص من زوايا السجون
محبوباً ولا يكون له من السلطنة اقل من الرفقة. ومن اعرق صفات ان يقرن الرحمة بالقوة
ولذلك بدوخ صوته الرقيق اقصى العالم ويجعل الارض واجنة مائنة دون ان ياخذ
ساكنها غمراً ولا يكون مأثوماً منه اوراخاً وهذا الذي كان في اليهودية يكون معروفاً
لا يتنصران يكون ركناً للاتحاد بين الله وبني الانسان بل يكون نوراً لجميع الامم ايضاً
ولا يكون في زمان ملكه العجيب الانوريون والمصريون والاسرائيليون الا شعباً واحداً
لرب وتصيح كل الامم شعباً اسرائيلياً مقدساً ولا تكون اورشليم مدينة خاصة بل تؤدج
الفة جديدة حيث يلتئم فيها كل الامم من اوربا وافريقيا واسيا. وبدوخ تلك الانصار
الرب الذين يغفم الرب بعلاياته ليكشفنا عن مجده لجميع الامم ويصيح المصلطون
الذين كانوا يدعون باسم اسرائيل يدعون منذ ذاك الآن باسم آخر حيث تتم المواعيد
بانتقاب ابدي السعادة وان الكهنة واللاويين الذي كانوا الى ذاك الآن من نسل
هارون يخرجون من ثم من بين الامم. وتخل محل الدبايح القديمة ذبيحة اخرى أكثر
منها قبولاً وطهارة ويحتشد يعرف لماذا كان داود يشهد كاهناً من مرتبة جديدة وسوف
ينزل الصديق من السماء كالطلل وتنبث الارض الخالص الذي يثبت معه العدل لان
السماء والارض تتحدان معاً مشتركين بولادته. ذاك الذي يكون ساءاً بارضاً وتبدو



* ١٤٦ *

طرق أخرى للفضيلة في العالم بأمانه وتعليمه وترسخ العبة التي يحيط من لدنه عز وجل في القلوب وينفجر كل شيء لدى عجبهم وقد آلى الله على نفسه ان تودي له السجود كل ركعة ويسمى بـ كل لسان ويعترف بنوحي

فهاك قصاً من العجائب التي ابداهما الرب للانبيا في عهد اولاد داود ولدواود نفسه قبل غيره فكتبوا جميعهم تاريخ ابن الله قبل ما ناه بأنه مزع ان يصير ابن ابراهيم وداود . وبناءً على ذلك تسلسل الامور طراً بالمقاصد الالهية بكل دقة وتظام لان ذلك المسيح الذي قد بدا عن بعد كانه ابن لابراهيم قد بدا عن قرب كانه ابن داود وان الملك معدله وان معرفة الله التي ذاعت في كل العالم أصبحت كأنها دليل قاطع على ما ناه وقد تقرر ارتداد الامم الى الايمان الحق والبركة المزمعة ان تحل على كل شعوب الارض التي وعد بها منذ زمان مديد ابراهيم واسحق ويعقوب . وقد كان كل شعب الرب على وشك ذاك الانتظام ومع ذلك فلم يفتأ الرب بقوده بنظر غريب فتعاهد مع داود معاهدة جديدة ووعد بان يذود عنه وعن كل الملوك خلفائه ان استمروا ويعون حسب القوانين التي منحهم اياها بواسطة موسى والافبرحم بالعقاب الاليم . وعلى ذلك ان داود تغافل عن تلك الوصايا فكان اول من نجس مشاق العتاب ولما تاب عن خطيئته مكفراً عنها رضي الله عنه وانقله بالنعم والخيرات فاصبح اقودجاً يتسنى به لكثرة صلاحه ولذلك توارث الملك في بيته وطالما اقتفى سبلان اثره بالبر والتقوى فكان سعيداً . بيد انه ضل عن طريق هدايته شيئاً ومع ذلك فقد عفا الله عنه لحبه لداود عبده لكنه توقع بنصاير سوف يوقعه على ابنه وعليه قد ابان للآباء حسب حكمته السرية انه بقي لأولادهم ثواباً او عقاباً يتكفل بها المستقبل وما ذلك الا ليعلمهم مستميرين على الرضوخ لاورامه بشأن مهامهم العائلية وتنفيذاً لهلك الاوامر اسلم رحبهم ذاته لمشيرين ذوي غرة فتنافست مملكته بانحياز عشرة الاسباط عنه وفي غضون انفصال تلك الاسباط المتني عن الله وملوكهم كان اولاد يهوذا ذوي الامانة بالله وبصية داود مستمسين بعروة العهد وامانة ابراهيم وواخام على ذلك اللاويون وسبط بنيامين فلبثت مملكة شعب الله موطة بذلك الاتحاد باسم مملكة يهوذا واستمرت سنة موعية بكل ما لما من القوة .

وكانت الله لايزال يذكركر عبده مع ابراهيم واسحق ويعقوب قسراً عن العبادة الوثنية والفساد العظيم الذي كان بين عشرة الاسباط المنفصلين ولذلك لم يلبس ذكر

* ١٤٧ *

ستو بين اولئك المتخردين فاستمر يدعوم الى ان نوبوا عجيزات كثيرة وبانذارات متواصلة كان يبعث بها اليهم بلسان ابنائه الابرار . ولما فصلت قلوبهم وثادوا في الآثام والجرائر انف من الرقي بهم ولذلك طردهم من ارض الميعاد قاطعاً عنهم الرجاء بالآيات البها .

واما تاريخ طويلا الذي كان في ذلك الحين نفسه وفي ابداً اسر الاسرائيليين فبين لنا منه سلوك ابناء الله الذين بقوا بين الاسباط المنفصلين لان ذلك الرجل الصدوق قد انحبس عن تادية الرضوخ للاثان طالما كان بين الاسباط قبل المسي وقصاري الامران كان يرى السعة حق الرعاية لانه كان يجاهر بعبادة الله في هيكله في اورشليم دون ان يجمع بـ الاقتداء الذريع او يردعه عن ذلك ذعر او خوف . ولما كان اسيراً في نينوى ومستهدفاً لهام الاضطهاد لم يبرح ثابتاً في التقوى والبره وعائلته . وتضع من المجازاة التي نالها هو وابنه في تلك الارض ان الله كان له وسائل خفية قهراً عن الاسر والاضطهاد بان يظهر له ابدية البركة المنة لمن يرى السعة لكنه كان يرفع افكارهم الى العلاء بواسطة المشاق التي كانت تنميهم وكان بنو اسرائيل يعرفون بواسطة انذار طويلا وارشاده ان يد الرب التي كانت تعاقبهم بضرب العصا ومع ذلك فقد استمر معظمهم على العتو والعداوة واما بنو يهوذا فلم ينجح بهم مثال اسرائيل ولم يرعوا عن غرورهم فلبثوا بهم متمثلين فواصل الله انذارهم بواسطة انبيائه الذين كان يبعث بهم بالتواتر ليمهروا في الليل ويستيقظوا في الصباح كما يقول هو نفسه وما ذلك الا دليل على اهتمامه الابوي . ولما غالوا في انجذاب انفسهم وتحرك عليهم غضبه وتوعدهم بان يعاملهم كما عامل اخوتهم المتخردين .

الفصل الخامس

في حيوة الانبياء ووظيفتهم واحكام الرب المعلنة بالنبوات

ليس في تاريخ شعب الله ما هو اهم من وظائف الانبياء فان اناساً كثيرين كانوا متباعدين عن البشر بعيشتهم ومتردين بالسة خاصة وكانوا في منازلهم يعيشون معيشة جمهورية تحت ادارة رئيس يتبعه الرب عليهم . ولقد كانت عيشتهم في الفاقة والنشغ





* ١٥٠ *

ثابتين في عبادة الله لكان ذلك الهيكل الذي هو زينة العالم ابدياً لا يمحوه كروا الايام .
فخرج الله عنه فاذا في الاثوريون فيه النار فاحرقوه . واما قول اليهود ان هيكل الله هيكل
الله هيكل الله هو عندنا فقد ذهب ادراج الرياح زاعين ان ذلك الهيكل في وسع ان
ينفذهم وحده فناء ذواليد القوة ان يدلم على ان نجاه المرة ليست موقوفة على بناء
الحجارة بل على قلوب انطلت على الطهر والامانة

ولذلك عرض هيكل اورشليم لان يصبح بياباً وكوزة للسلب واصبحت كل
ادواته الثينة التي وقفها اليه الملوك الصديين فريسة لمطامع ذلك الملك المجرد . الا ان
سقوط شعب الله اذيع ان يكون مثلاً لكل الارض وانذاراً لانا نرى في هذا الملك العتي
الظافر صفات كل الفاتحين الذين كانوا عصياً لضغب الله فكان جل جلاله ينفذهم آلة
لتنفيذ احكامه العادلة ثم ينفذ احكامه فيهم لان نبوقولصر الذي قد استلام بقوة الهية واصبح
ظاهراً ظهوراً فائقاً عاقب جميع اعداء شعب الله وبيان ذلك انه رغب على الادوميين
والعمونيين والميتانيين وسلب ملوك سوريا املاكهم وانحمت مصر التي التفت على عواقي
اليهود نير الاسترقاق هدفاً لسهام هذا الملك الجبار فانه انتقم بالجزية يد أن بامه لم يكن
اقل مضرة على يهوذا فان الشعوب لم ينهزوا المحين الذي اوسعهم به الرب رجا الايام
اليه فوقي فيها كل ما كان قائماً وقوض نبوقولصر قضيب غضب الرب ركن كل شيء
وقد اصبح هو نفسه على جرف سوف بنهار . واما الرب الذي قد تحذ ذلك الملك آلة
يعاقب بها شعبه واعاداه ترك قصاصه لهبة بين القوة

الفصل السادس

في قضاء الرب على نبوقولصر والملوك خلفائه وكل دولة الاثوريين

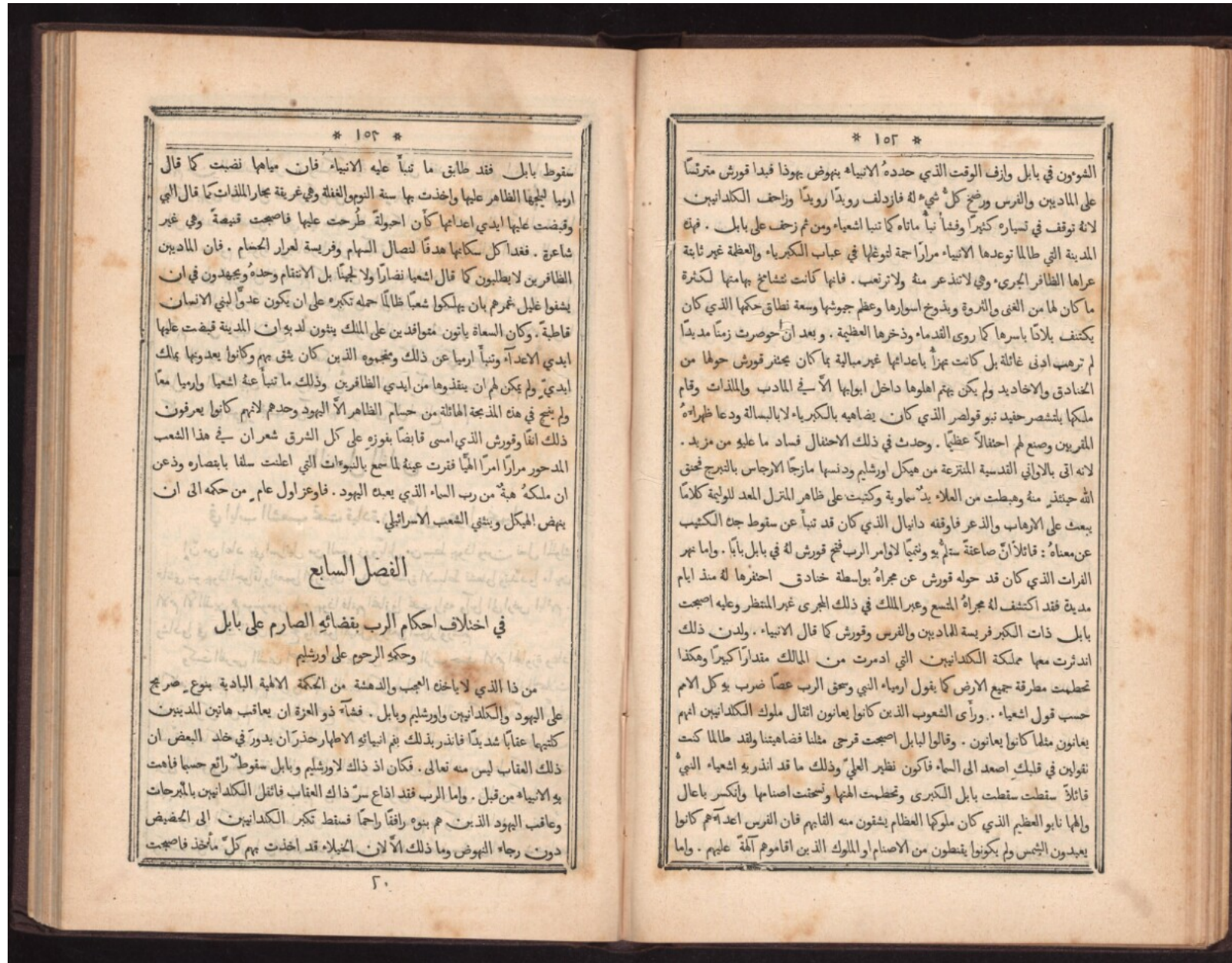
ان الرب لم ينجب على شعبه ما كان مزعماً ان يحل في ذلك الملك الذي كان
يعنهم ويضيق عليهم وفي دولة الكلدانيين التي تخذهم اسرى وخيفة ان يصحبوا جاثمين
الى جب الكافرين وسوددم اخذ الانبياء بنذرهم بان ملك الاشترار قريب الزوال
فان اشعياء الذي شاهد ما اتصل اليه نبوقولصر من العز والمثعة والجبوروت تنبأ بانه
سيهبط مدحوراً وتصبح ملكته طامسة دارة وذلك قبل ان يبرز الى عالم الوجود وقد

* ١٥١ *

كانت بابل حضرة جناً لما تنبأ هذا النبي عما ستصل اليه من الباس والشوكة . وبعد
ذلك يقبل من المحين رأى ما لم بها من الدثار وعلى ذلك كانت الفلجيات التي تنشا
في المدائن والممالك التي طالما ارعنت شعب الله او تنعمت من خصائصه تكتب في تلك
النبوءات التي كانت لا يضي عليها قليل من المحبت الا نتم وان اليهود الذين
عوقبوا بكل صرامة شاهدوا سقوط السامرة وادوم وغزة واسكولون ودمشق والمدائن
العمونية والموآبة العدوتين اللذابين وحاضرات المالك العظيم كصور ملكة الجعوثانيين
ومعفس . وثاب التي كان لها مائة بوابة سقطت مع غنا سينوستريس وبنوا نفسها مركز
ملوك اثور الضاهدين وبابل ذات الخيلاء والكبر الظاهرة على غيرها المثيرة بما اغتمت .
وكل ذلك ثم قبل اليهود اوفي الثامن اوبعدهم بقليل كما كتب في سفر الانبياء .

وبلا ريب ان اورشليم سقطت في ذاك المحين نفوساً لكثرة ما تحملت من المجرائر
والمكرات بيد ان الله لم يدعها فاصمة جبل الرجاء فان اشعياء الذي تنبأ عن سقوطها
رأى موضعاً الجيد وانه عينة اوعز قبل ميلاد قورش باقبي عام الى انه ينقذها وان ارميا
النبي الذي لا يفتك في سمو نبوءات وعذ الشعب بالايبام السنة السبعين بعد السبي وما
ذلك الا ليبيدي لم ما سيعتورهم من الهلاك عقاباً على تكرارهم للجحيل وفي اثناء السبي كان
الشعب مرغى المحرمة بسبب انبيائهم الذين كانوا يندرون الام والملوك بما سيطر عليهم
من الموقفات .

ونبوقولصر الذي كانت تودي له العبادة شر لدانيال خاشعاً لأن الدهش
اخذته اذ شعر بالاسرار الالهية التي كانت دانيال يبشرها لديو . واعلم بما سيفضي عليه
فكان انفاذه عقيب ذلك دليلاً على مصداق ما قال . فان ذلك الملك الظافر كان
يجتئل في بابل التي جعلها اعظم المدن وامتعاق قوة واجه مدينة اشرفت عليها الشمس
فوقف له الرب هنالك في المرصاد لينكس اعلام عظمت فكتان في حكمه بعيداً لانتهم
بجسده قرحة طالما كان مترسماً على جنوده وفي كل ايام فتوحاته وكانت مشرقاً على
السقوط في بيته تطبيقاً لنبوء حزقيال ولكنة ما كان متحدياً في الكبر والصلف تعالى
فوق العالم الانساني . ففاجأه الله اذ ذاك بالضربات الويلة وذهب بعقله وطرح به
بين البهايم الا انه لما جاء المحين المتاح الذي اوعز اليه دانيال رجع الى عقله وثاب الى
رب السماء الذي جعله يشعر بقوته بيد ان خلفاءه لم يستنوا باعماله فتغيرت حينئذ





* 102 *

فمنهم من الصفات الغريبة وملكة في دولة بابل فقد قال النبي ارميا ان ذا
الكبر يهوى الى اسفل مدحوراً وليس من اجترعهم بناصير وقد قال اشعيا النبي ان
بابل الشديدة المختزاة التي هي مثابة عظمة الكلدانيين ستصبح طامسة دارة مثلها
اصبحت صدم وعورة . وبغادرها الرب آتية قنوطه . بيدان ذلك العناب الصارم
لم يوقعه على اليهود بل انه قاصمهم كما يقاص الاب بيه المشردين امل ان يجفوا عن غرثهم
مزلفين اليه رضوخاً فيقتلوا ما فعلوا ان تابوا اليه نادمين ويسدل حجاب الصبر على
زلاهم . قال الرب لا تفرح يا عدي يعنوب فاني انا ملك واني اتيد جميع الامم . واما
انت فلا ايدك بل اوديك بالحكم ولا اغفر لك كأنك ذكي . وعلى هذا قد اخذت
بابل من الكلدانيين اخفاً موبداً . واسلمت لشعب آخر ونهضت اورشليم بعد ان
كانت دائر بنوع عجيب . وآب اليها بنوها من كل اصقاع العالم .

الفصل الثامن

في ايام الشعب تحت قيادة زروبابل وعزرا ونحميا

ان من اعدا بني اسرائيل من السبي زروبابل من سبط يهوذا ومن نسل الملوك
فانثى بنو يهوذا اجواقاً واقبعوا الارضين . بيد ان عشرة الاسباط تسعوا وتبدوا ما بين
الامم الا الذين هم موسومون باسم يهوذا فانهم انحازوا تحت رايه وآبوا الى ارض اباؤهم .
وشاذل في ذلك الحين المذبح واقاموا الهيكل ورفعوا اسوار اورشليم
وكبت القريس الذين اصبحوا ذائدين عن شعب الرب حصد الامم المجاورة وعاد
الكاهن العظيم الى مهام امره والكهنة الذين لمكن لهم ان يبنوا تملصهم بواسطة السجلات
العامة . وكل من لم يبين ذلك اصبح مرفوضاً وعزرا نفسه الذي كان كاهناً ومعلماً في
السنة والحاكم نحميا اصطلح كل الفساد الذي طرأ منذ السبي وحملوا الذهب على ان
يرعى الناموس بكل دقة ونظام . وكان الشعوب يصيرون العبرلة معها على كل الزلات
التي سببت لهم ذلك العناب الاليم . واذعنوا ان موسى تنبأ عن كل ذلك وكانوا جميعهم
يعتلمون في الكتاب كل ما كان عبد الرب يتوعدهم به وكانوا يشاهدون تنفيذ .
وكانت نزع النبي ارميا والاباب الذي وعلوا به بعد سبعين سنة من الاسر يدعاهم

* 100 *

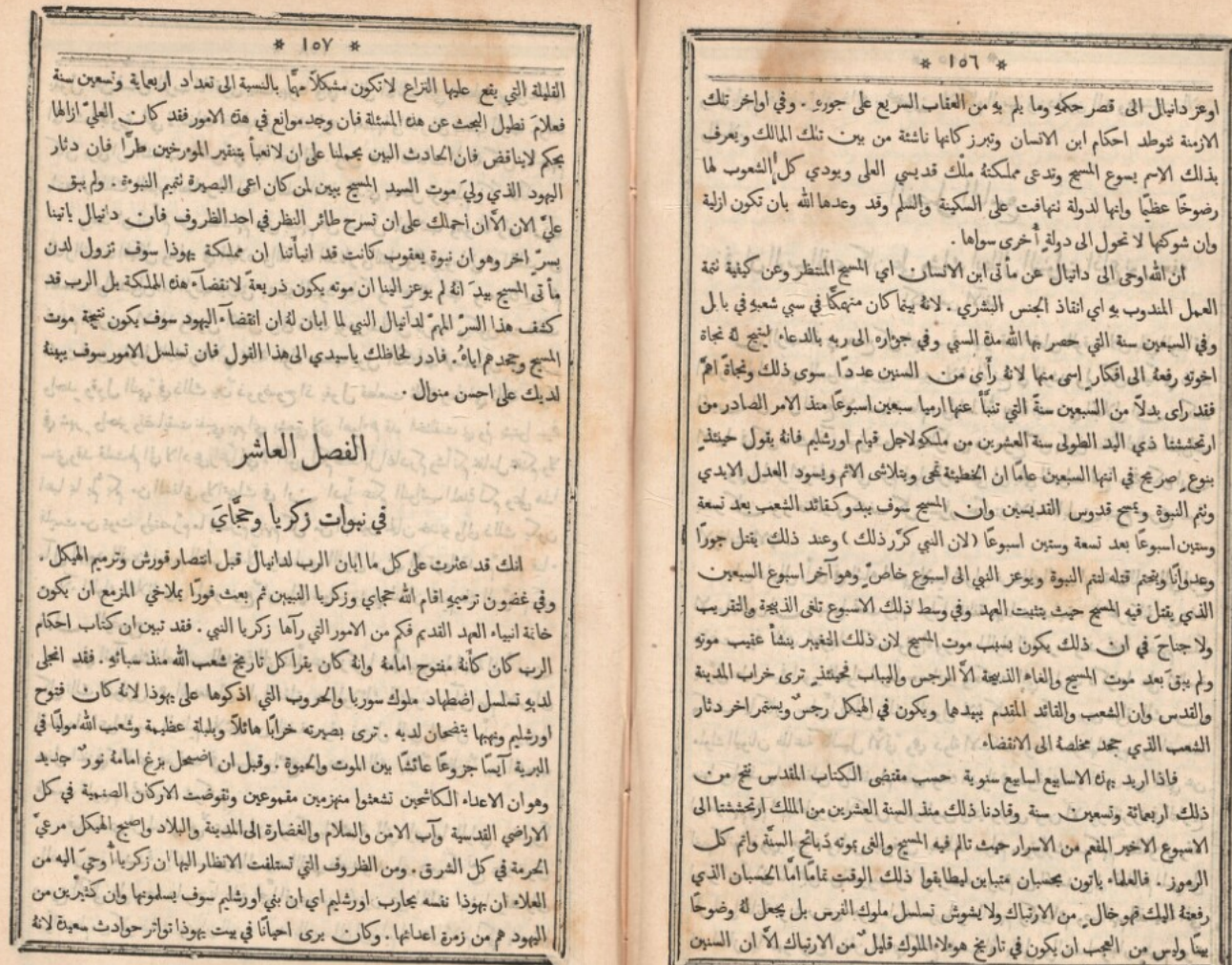
ويعزيانهم فاخذوا اذ ذاك يرضخون لاحكام الرب ويردلفون اليه ويمشون بالامن
والسلام .

الفصل التاسع

في ان الرب الذي كان على وشك ابطال النبوات اذاع نور حفي
اكثر من الآنف

ان الرب الذي يصنع كل شيء في حينه قد استعان الوقت لان باني الوساطة
المخارقة العادة اي النبوات بين شعبي . لانه رآه نبي في الرشد ولم يكن باقياً في ذاك
الحين الى ما في المسح الاخشاعة عام . وانا لله بعمه ابنه ذي الجلال ان يسكت
الانبياء في كل ذاك الان لبني شعبي معظراً من هو مزعم ان يكون منفذاً لتلك النبوات
وفي اواخر الاوقات التي عزم فيها الرب على ان ياتي النبوات لان في فكره ان
ينشر كل نور حقائقه ويكشف كل اسرار حكمته الالهية فابان بنوع صريح اسرار
الاوقات الالهية .

فان دانيال رأى في انشاء السبي ولاسيا نحو اواخر ذاك الحين اربعة الممالك التي اربع
الاسرائيليون ان يمشوا تحت رايها مراراً مختلفة هيئات متباعدة . ولا غرو ان نبي قد
ذاعت في تلك الاجزاء حكمته وتقواه ورعت الملوك له الحرمة وقد تحق بعضهم سنداً
يعول عليه في امور الدولة لفرط حصافته وحكمته التي دارت ذكراها على الالهية
وكشف عما كان مطوياً بشأن تلك الدول لانه كان مزعماً ان يرى دولة ملك من
ملوك اليونان طاعة كالسبل الآتي وفي دولة الاسكندر وعند سقوطها تقوم دولة اضعف
منها ويخضع لها الشقاق والانقسام فتفي هذه الدولة في دولة خلفائها الذين بنوه النبي عن
اربعونهم وهم اشباط طور وسلاوكوس وبثولوس واتينغونوس . ومن الامور المقررة في التاريخ
انهم كانوا ذوي جراءة وبأس بنوقون بذلك سواء . وتوارث شوكتهم خلفاءهم وقد
اوعز ايضاً الى ما اجماعاً من الحروب وما اوغرت صدورهم من الحسد والى اتحادهم المبني على
الرياء والخيانة ويشير عن جور ملوك سوريا ومطاميرهم وكبريائهم وصفاتهم الذميمة التي
قد امتاز بها اثنيونخوس ايفان الذي كاشع لشعب الله بالنبي والبصاء وجار عليهم . وقد





يقول عن لسان الرب انا اقوى بيت جهودا واني اذلل المالك التي اضطهدتي واعاقب
الملك المجاورة التي لا تنفك تضطهدي . فقد ارتد بعضها وانحاز الى شعب الرب . ولقد
كان يرى ان الشعب غائص في لجة انعام الله . ومن جملة انعامات الله انه كان بناجهم
باتصهار الملك الفقير الطاهر السليمة والقلب المنفذ الذي يدخل اورشليم راكبا اناثا
وبعد ان انبأهم عن سعادتهم على بنيتهم عن تسلسل المصائب وهو انه رأى ان
النار انهمت الهيكل وساد في البلاد والعاصمة الدثار والقتل والجور وما اتى يوالملك من
العمى والعدوان اما الرب فيرفق بشعبه المنبذ جانباً ويضع له راعياً ويعصده يده ثم
تخدم المحروب الاهلية وتحول الحال والى ذلك يوعز بدلائل فردية ويكون به ذلك
الحين لدن سقوط ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك حسب قول الكتاب فيسقطون في شهر
واحد وقول النبي في ذلك بين ذووضوح اذ يقول قطعت ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك
في شهر واحد وضابقت نفسي بهم اي بشعب لان اهواءهم قد اختلفت في ولم يبتوا في
سبي وقد قلت لم اتى لادعي راعياً اي لا اكون لكم قائداً بل اعاذكم وشأنكم بحال محكم ولا
اعبا بما يلزمكم من الفتاق ولا انهمك في ان ادرأ عنكم النواصب المنة لكم وعلى هذا
فليت من يموت ولينصرم ما ينصرم وبهم كل من الباقين لجان خدو والى ذلك يكون
مآل اليهود الذين نصحهم الرب عدلاً وقصارى القول ان السقوط قد تم بعد فنا
هو لا الملوك الثلاثة وان ما هو مزعج ان باقى سوف يبدي لنا ان تنجم هذه النبوة لم يكن
قليل الوضوح .

وفي اثناء هذه المصائب العديدة التي تنبأ عنها زكريا جليلاً يتبين لنا بلية اشد من
كل تلك النوازل وهي انه بعد ان سار الفتاق بين اولئك الشعوب وآل هم الامر الى
السقوط باعوا الرب العظيم بثلاثين من الفضة . وقد توصل النبي الى ان رأى بروماه
حقل الخرفي الذي صرفت في سبيله واصبح من بعد ذلك بليّة عظيمة بين الشعب
فقتل قلوبهم وتغطيت شوكهم .

فيا سيدي ان لسانى لى عن تبيان نبوة زكريا العجيبة التي رأى بها الراعي مضروباً
والفتات مبددة والشعب يروى الى ربه الذي طعمه ولقد رأى دموعاً تسح عليه فتوق
دموعاً أفتكى على وحدها وحنناً عليه فجاء اقوى من الحزن على الملك يوشيا وقد رأى
امراً اعظم من كل ذلك وهو ان الرب بعث بالرب الى اورشليم ليدعوا الامم لكي يصفوا

* 109 *

بشعبو ويقطن هو بينهم .

اما ما قاله حجاجي بشأن ذلك فقد كان عرباً عن كل اطرافه ومفرغاً في غالب
الفرائض لان الشيوخ لما كان بين الهيكل الثاني كانوا يسمون العبرات حزنًا والنباعاً
مقابلين سودد البناء الاول بالبناء الثاني الذي هو تبة الفاقة والفقرا اما النبي الذي
كان اسمى معرفة منهم فقد كان يندرم بمجد الهيكل الثاني ويوعز على الاول وبين لم
انه يقام بين يتظلم الامم وهو المسح الموعود به منذ الفين سنة ومنذ ابتداء العالم ليكون
منقذاً للامم وهو الذي سيدعو في الهيكل الاخير لان الرب يحب فيه السلام وكل الارض
تشهد بما في مخلصها ولا يبنى لمائة الا قليل من الحين وان الازمنة المهيأة لحيته قد اصبحت
من آخر الازمنة .

الفصل الحادى عشر

في نبوة ملاخيا آخر الانبيا وتقيم الهيكل الثاني

لما ناهز مجاز الهيكل اخذ الشعوب يقدمون الذبائح يد ان اليهود ذوي النعمة
والدناية همكوا في تقدمه فراين ذات عيب وارتفع اعتبار ملاخيا الذي كان بينهم
على ذلك فانه لما كان يرى فراين اليهود ذات الرجس كانت يرى قرباناً ذا طهر
عرباً من الدنس موهباً لان يقرب لله ولا يكون ذلك في هيكل اورشليم فقط بل في
فسح من الارض من مشرق الشمس الى مغربها ليس من اليهود بل من سائر الامم الذين
يصبح اسم الرب بينهم عظيماً كما يقول النبي

ويرى ايضاً مثل حجاجي مجد الهيكل الاخير والمسح الذي تحمل فيه ركابه خطراً
الا انه كانت يرى في الوقت ذاته ان ذاك المسح هو الله نفسه الذي كرس له ذاك
الهيكل لانه يقول عن لسان الرب هتفا ابعث يلاكى ليهبل الطريق امام وجي
ولكن ذلك باقى الى هيكله الرب الذي انتم تطلبون وملوك الميثاق الذي انتم تبتغون .

يبعث يلاكى وهتفا الملاك المبعوث ذو السودود الساي ولي الهيكل والمبعوث هو
الله يلع هيكله كما يلع موثة الخصاص وهو المبعوث الذي يطلبه كل الشعب الذي باقى
ليضع ميثاقاً جديداً ولذلك دعي ملاك الميثاق او العهد .



* ١٦٠ *

وإذا تخم أن يبدو هذا الآله المبعوث من قبل الرب في الهيكل الأخير فان مبعوثاً
آخر يسبقه ويهد له الطريق . ومن ذلك يتضح أن المسيح يسبقه البشير وقد أوعز الله عن
صفات ذاك البشير إلى النبي ملاخي وأنه يكون كالنبي المشهور بالظاهر والتداسة ورقة العيش
والسلطان والغيرة .

وعلى هذا أن النبي الأخير من الشعب القديم قد أبان كل صفات النبي الأول المزمع
أن يأتي بعث وهو البشير المجدد بشير الخالص الذي سيبدو . ولم يكن شعب الله يستأني إلى
ذاك المحين نبياً بل كان يتنصر على سنة موسى .

ولذلك أتم ملاخي نبوته بهذه الكلمات اذكروا سنة موسى عهدي التي أوصيته
بها في حوريب إلى جميع إسرائيل هتذا ابعت إليكم باليا النبي ويعطف قلوب الآباء على
البيين ويرد قلوب البين إلى آباءهم . ويظهر للبين ما كان يستنظر الآباء . وضرب الرب
إلى شريعة موسى الأنبياء الذين تكلموا حسب منظورها وتاريخ شعب الله الذي الله الأنبياء
اذ كانت مواعيد التاموس وبعد بداهة مفررة بمجاذب ظاهرة . ولقد كانت كل ذلك
مكتوبة بعناية كبيرة ومنصوصاً حسب ترتيب الأزمنة وهذا ما غادره الرب لتعليم شعبه
لما إلى الأنبياء .

الفصل الثاني عشر

في زمن الهيكل الثاني وثرة العقابات والنبوات الأخيرة

والغاء عبادة الأصنام وطرد الأنبياء الكذبة

ان هذا التعليم قد سبب تغيراً عظيماً في أخلاق الأسراليين ولم يكونوا يفتخرون
إلى الروما ولا للاندازات الصريحة ولا للنجرات الغربية التي كان الرب يستقدمها في
شان انقاذهم بل أن الأدلة التي بانست لديهم كانت كفراً لهم في ذلك . وإن قلة أمانتهم قد
لاشتمت المحوادث التي تمت لديهم وانبأت بصائرهم فانتوا راغبين ومن ثم ضعفت أيمانهم
إلى عبادة الأوثان التي كانوا يتهاقنون عليها بنوع غريب . وذلك لأنهم لم ينجسوا بمجدهم
إله آباءهم غاراً وكانوا يذكرون دائماً بوقولصر وما تهي . لم عن الخراب ومع ذلك
فقد نشأ الخراب في وقت ادنى ما كانوا يتخالون . ولقد كانوا يجمعون من رجوعهم في الوقت

* ١٦١ *

المحدود قسراً عن كل الأمور البادية ويسبب من عين لم يردم . ولم تكن أبصارهم ترف
على الهيكل الأخير لا يشعرون بما سبب خراب الهيكل الأول وما من شأنه قيام
هذا وبناء عليه كانوا يثبتون في سبيل الأمانة بكنتمهم التي كانت الأحوال طراً
تشهد لها .

ولم يبق بينهم أنبياء كذبة لأنهم سمحوا عنهم وانفوا من عبادة الأصنام . وبنات
ذلك ان زكريا قد تنبأ أن هذين الأمرين يحدثان لم وهاك ما قاله حزقيال في ذاك
الشان : في ذلك اليوم يقول رب الجنود اهلك أسماء الأوثان من الأرض ولن تذكر إلى
ما بعد واتزع من الأرض الأنبياء الكذبة والروح النجس وإن تنبأ أحد إلى ما بعد
يقول له أبوء وأمة اللذان ولداه لأنني من أجل انك انت تكلمت بالكذب باسم الرب
ويمكن لك ان ترى في النبوة نفسها ان ما بقي من القول ليس باقل قوة من هذا . ووقت
هك النبوة بوضوح وجلاء فإن الأنبياء الكذبة تواروا في عهد الهيكل الأخير وتكص
الشعب عما صنعوا واهملوا وانفوا من ان يسموا لهم كلاماً وعكفوا على ان يطالعو
موظفات انبياء الرب الصادقين ولم يكونوا وقتئذ يحتاجون إلى إيضاح ما كانوا يجمعون من
النبوة لأن المحوادث كانت تتم كل يوم وتصبح دليلاً على مصداق ما كان الأنبياء
يثبتون .

الفصل الثالث عشر

في السلام بين الشعب وفي من تنبأ عنه

لاربي في ان الأنبياء طراً وعدوا الشعب بسلام عيم ولم تزل تطالع بكل ارتياح
ومسرة ما أوعز اليه أشعيا وحزقيال بشأن الان السعيد المزمع ان يأتي عقيب سباء بابل .
فان ما كان خراباً أصبح مرموماً واقيمت المدائن والديساكر زاهية وكثرت الشعوب
وتكثت اعلام الأعداء الكاشحين وأخصبت الأرضون وابتدت الفضاة والترف في
المدائن وسادت فيها المكينة وأصبحت مرتعاً للسرقة والسلام ووعداً شعبه يسكنة مسترة
دائمة فقبضوا على ناصيتها في آبان حكم الفرس وكانت أوامر الملك قوريش مرمم الدولة
تقرر لليهود راحة طول أيام الحكم . وقد كانت العيون تحديقهم في عهد كل من



بدعى افسوروش ويبرهون ما تبها لم من الاذلال والفاويق . فتعطف الله عليهم ولا فهم
اذ كانوا يستعبرون واحال قلب الملك حالاً عنهم ونقم لم من عدوهم هامان . وبعد ان
مر ذلك الحادث سريعاً ذهبت عنهم الروعة واصبحوا دون رهبة وليسوا يهزنون . وكان
الانبياء يندونهم بان يودوا الرضوخ للملوك الذين يتولون امرهم بالله فانقادوا الى ذلك
صاغرين . وبما على ذلك كان الملوك لا يعاملونهم بالقسوة والغلظة بل كانوا يرفقون
بهم ويأخذون بايديهم ولا يحملونهم من الجزية ما يهظم فارناحي الى ذلك وعاشوا في
رقة العيش حسب نوايسهم . وكان اذ ذاك السلطان الكهنوتي بينهم مرعى المحرمة فكان
الكهنة العظام يقيدون اهواءهم ولا يغادرونها تجمع بهم وكان المجلس الشورى الذي اقامه
موسى برعى ماله من السلطان وكانوا يحرون بينهم السلطة في الحيوة والمات دون
ان يتداخل احد في اشغالهم وذاك ما كان الملوك بامرهم يو . ولم يغير دثار دولة
الفرس شيئاً من احوالهم فان الاسكندر لم يهلك حرمة هيكلهم بل استعجب من نوايسهم وزاد
في اكرامهم الا انهم ارفعوا قليلاً في عهد خلفائهم الاولين . فان بولماس بن لاخوس
باغت اورشليم وقاد الى مصر مائة الف من الاسرى بيد الله توقف فوراً عن ان يكون
لم مكاشحا بالقبض او بالاحرى لم يفضهم قط بل عزم على ان يخرجهم عن تأدية
الخضوع للملوك سوريا اعدائهم والحق . بقال انه لما اخضعهم اتاح لم يحقوق سكان
الاسكندرية عاصمة مملكتهم او بالاحرى صدق على المحقوق التي كان الاسكندر موسى
هذه المدينة قدمن بها عليهم ولما سبر اعمالهم ورأهم من تركوا مخلص النية والامانة
ادخلهم في سلك عسكرهم واناط بهم ديتهم المراكز المهمة . فان كانت اللاغديون قد رعو
لم مقاماً فان السلاسيديون عاملهم احسن معاملة فان سلاكوس نيكاتور رئيس هذه
العائلة اقامهم في اقطاعهم وادخلهم حفيد انتيوخوس الاله في كل مدائن اسيا الصغرى
فانتشروا في البلدان اليونانية عائدين حسب نوايسهم ومتمتعين بكل ما لمكان تلك
الارجاء من الحقوق مثلما كانوا في الاسكندرية واطلاكية . وفي ذاك الحين امر بولماس
فيلادلفوس ملك مصر بشر بعثهم ان تخرجهم الى اللغة اليونانية فعرف الامم اذ ذاك
دين اليهود وجعلت بالملوك والشعوب الهية ان يسيروا الهيات والصلوات النقية الى
هيكل اورشليم واصبح اليهود رائعين في مجوعة الامم والسكنية تحت لواء ملوك سوريا
وتنعموا براحة لم يتنعموا بثلاثها في عهد ملوكهم

الفصل الرابع عشر

في ابطال الصلح واعادة تقييد وانقسام الشعب المقدس
واضطهاد انتيوخوس

ان الشعب المقدس لو لم يند بينهم الشقاق لما كان السلم فيهم هوياً ولقد
مضت عليهم من الاعوام ثلثماية وهم رايعون في حلبة الاثراح الذي تنبأ عنه الانبياء
يوم دخل فيهم الصلح والحمد واوشكا ان يهلكهم . فان بعض عظامهم الاعيان خانهم
رجاء ان يداهدوا الملوك ليقالوا منهم حظوة لانهم شاؤوا ان ينالوا الشهرة اليونانية
واثروا الحمد الباطل على الجهد الخفي الذي كانوا يقتسمونه وهم يرون اهلهم اذ كانوا
يحافظون على سنت اجدادهم . فمكفوا على اللغو والتصرف كسائر الامم . وكانت هذه
الامور المحدثه تبعث الشعب على الدهشة والذهول . وبدت في طي ذلك الزرع عبادة
الاوثان كأنها فرقة في عيون كثير من اليهود . فضلاً عن ذلك فانهم لم يكونوا يتقدي
الكلمة والرأي في انتخاب الكهنوت العظيم الذي كان في اسي مكانة في الشعب . وكان
ذوو المطامع النفسية يزدنون من ملوك سوريا أمل ان يترشحوا الى ذاك المنصب
المنيع وكانت هذه الوظيفة المقدسة جراً لاولئك المصانعين الا ان الحسد والشقاق بين
بعض افرادهم اتاهم بمصائب ودوايه جسيمة داهمتهم والمدينة المقدسة . وحدث حينئذ
ما قد اعزنا اليه وتنبأ عنه ذكرنا النبي . وهوان هواناً نفسه بقاوي اورشليم فسلم
المدينة سكانها وهي انتيوخوس ملك سوريا ان يهد ذاك الشعب المنقسم رجاء ان
يغنم غناه . وبدا حينئذ هذا الملك مطامعاً لكل ما قاله عنه دانيال النبي : اي طامع
خميس مصانع جائر ونج كافر معتوه يشيح بانفاد ان كان منصوراً ويانف من نفسه
ان كان مدحوراً . فوجع اورشليم مستعداً لان يصنع ما يشاء . وكان يعز زآماله على
انقسام اليهود لاجل قرة جسده وفاقاً لما تنبأ عنه دانيال وغالى في القسوة اذ دخل
المدينة وبعثه كبريائه وعظيمة نفو على ان يرتكب قواش تنفر منها النفوس . وابدى
كلاماً لم يشان العلي كما تنبأ النبي ايضاً . فتتبع للنبوات الصادقات وتقمه بما اقترف
الشعب من الجرائم المتكررات اتاح الله له قرة ضد المحرقات الدائمة ودين الهيكل الذي



احترمة من قبل الملوك اسلافه وسلب منه امواله اقصمت خزينته المحاربة . وامر باليهود
 ان يعبدوا الالهة التي كان اليونانيون يعبدونها مدعيًا انه يساوي عوائد شعبي . مع ان
 ذلك كان ليثني اولام مطامعو ولاسيا انه كان يود لو يعبدون المشتري والامبيان
 الذي اقام تماثله في الهيكل نفسه . ولما كان يتوق نيوقلصر بالكفر والاعتراف بهيك
 في ان يلقي الاعياد والسنة الموسومة والدبايح والدين ويبعد الشعب برمنه الا ان الانبياء
 قيدهم بشكيرة خيفة الجوع . فان متنبيا تصدى له واجرز كل الاخيار وصنع ابنه
 بهوذا المكاني هو وقيل من الناس افعالا عجيبة وظهر هيكل الرب ثلاث سنوات ونصف
 سنة بعد ان تدنس وهذا كله تنبأ عنه النبي دانيال ثم علق مجارب الادوميين والام
 الذين اجتمعوا مع انتيوخوس . وبعد ان استولى على امنع حصونهم ومعاقلم اثني ظافرا
 صغير النفس كا تنبأ اشعياء ومنشدًا اناشيد بالرب الذي اتى يرب يدو اعداء شعبي
 وهو مضرّج بدماهم . ولم يبق ظاهرا على اعدائهم قسرا عن المجنود العظيمة التي كان
 يقوم بامرهم قادة انتيوخوس . ولم يكن دانيال يعين لهذا الملك الكافر الا ست سنوات
 لضطهد شعب الرب . وشعر في الوقت المعين سابقا في مدينة بعمال بهوذا الجريئة
 فبادنه الشجوت والارواح فأت كا قال عنه النبي تعمسا وليس بيد انسان بعد ان
 اعترف باله اسرائيل اعترافا لم يبيح من بعد ذلك نفعا . وليس من الامور ان
 ارفع اليك البأ عن المحروب التي قام باعبائها خلفاؤه ضد اليهود وعن موت بهوذا
 مخلصهم او عن فوز اخويه يونانان ومعان الذين تعاقبا في الكهنوت واقاما بشدة الباس
 مجد شعب الرب واعاداه الى ما كان سابقا . فعمل جميع هؤلاء الافراد ان ملوك سوريا
 وكل الشعوب المجاورة قد تأملت قلوبهم عليهم عدوانا . ومن الامور التي كانت تبغهم
 على الاسف والنبور انهم كانوا يرون مرارا جمعة بني بهوذا يندمجون في شكتهم ضد
 وطنهم اورشليم وقد كان ذلك الامر الى ذلك الحين غريبا الا ان النبوة عنه كانت قد
 صدرت في ما مضى . وكانوا في غضون تلك النوايب بكون امورهم الى الله فلم يتقنروا
 ولم تنفهم تلك النوازل بل استمروا اشداء اقوياء واستمر الشعب تحت لواهم سعيدا
 مقيوطا وتخلص من وثاق عبودية الامم في عهد سمان المحبر والمجاز اليه خاضعا له ولبنو
 بارادة ملوك سوريا ورضاهم
 وان ورقة الوثيقة التي بمقتضاها نقل شعب الرب لسمعان واخلاقه السلطة العامة

والحقوق الملوكة كانت على جانب عظيم من الاعتبار وهي تحوي مانصه : وهوان
 سمان وذريته يتمتعان بالسلطة الى ان يأتي الحفيقي الامين .
 ولما كان معناتا منذ كانوا على القضاء الالهي وشاعرا بان السلطة منوطة ببيت
 داود منذ اقامة الله على العرش ملكا وانما سترد اليه عند جئته المسبح وان يكن ذلك
 بهوع رمزي واسى من كانوا ينتظرون جعلوا للكهنوت اجلا مسمى بنفوض على السلطة
 في غضون عاتدين تمت الوينهم منتظرين ذلك المسبح الذين وعدوا بما تاء من قدم
 الزمان . وبناء عليه نهضت مملكة بهوذا المستقلة وتغيرت لها ملكا يتولى زمامها . فان
 ذرية يعقوب استمرت مالكة على سبط بهوذا ومن انحاز اليه وملكت باستقلال وسكينة
 في الارض التي عينت لها .

وزها اذ ذاك الدين اليهودي دائما ونال من لدن الله دلائل جديدة فان
 اورشليم التي كانت انتيوخوس سيداتس مجاصرها مضيقا عليها نجت من ذاك الحصار
 نجاة تبعت على الحيرة والدهشة لان ذلك الملك لما رأى الشعب عاكفين على تأدية
 فروض دينهم غير عابيين بما لم يهم من العسروشة الجوع تحركت الشفقة في قلبه ونظم
 هدية تستمر سبعة ايام في قضاء اسبوع المظالم القدسية . ولم يكتف بان ينش الكرب
 عنهم بل كان يعث اليهم ذبايح يقر بها في الهيكل غير عابيين انها تكون مومنة يمدون
 بها سغبهم في تلك الآزمة الشديدة . ويخدم نص العلماء المؤرخين ان اليهود كانوا
 يحتفلون السنة السابعة وهو انهم يدعون الارض في انائها غير مزدرة رجاء ان تال
 بذلك راحة وذلك طبق ما نصه موسى وكان اليهود في اكبر فاقة الى كل شيء وملك
 سوريا في وسعوان ييخدم طرا دفعة واحدة . لانه كان يراعى له انهم اعداء له الداء
 فاراد الله ان ياخذ يدي شعبي وينقذهم من تلك الوطلة الشديدة فانزل في قلب الملك
 الرحمة عليهم غير باعث بلاكنته ليقنوا اعداءهم كالسابق والمجاه الى ان يتعجب من
 الاسرائيليين الذي لم تصدمهم الاخطار الويلة والنوايب الجسيمة عن حفظ قوانين دينهم
 الشديدة ولذلك من عليهم بالحمية والسلام . وكان الانبياء قد تنبوا ان الرب اقلع عن
 ان يستمر منذ شعبه بالمجرات كالايام السالفة بل يستقدم لذلك حكمة الالهية الرخومة
 ومع ذلك فلم تكن هذه الوسيلة اقل مقبولة من تلك وسوف تبدو بنوع حسي مع تواتر
 الالام وبواسطة منقول هذا القدير الالهي اخذ يوحنا هيركان الذي اشتهر بالمجراة



* ١٦٦ *

والأقدام لدى عساكر اتيوخوس يستولي على وطنه عتیب موت ذلك الملك .
وفي عهد أوسع اليهود نطاق فتوحاتهم فأنهم اختفوا السامرة وفاقاً لما تنبأ عنه
حزقيال وإرميا وقمعا الأديبيين والفلسفيين والعوميين أعداءهم الكاشيين ودينوم
بدينهم تطيقاً لنبوذة زكريا . وقسراً عن بغضاء الشعوب المجاورين وحسدهم شيدوا لم
مملكة جديدة في مملكة المكابيين فانصلت الى أكبر درجة من السعة خلا الطول الذي
حازته في أيام داود وسليمان وكان ذلك تحت لواء كهنتهم الذين أصبحوا في ذلك
الحين ملوكهم

وهالك الهيئة التي مكث بها شعب الرب في عرض تلك التقلبات وقد كانت تارة
مرضوضاً تحت صدمات الغناب وتارة متعلداً تحت أوقار النواصب وأنه يجير بالشهادة
للملكة الإلهية والعناية الصديقة التي تعامل العالم معاملة متباعدة كلاً حسب ما يستحق

الفصل الخامس عشر

في انتظار المسيح وما يستند عليه وتاهب ملكه وعود الامم

ان الشعب لم يبرح في أية حالة كانت يوطد آماله على ماني المسيح اذ كان مرتقباً
انعاماً جديدة تنوق عطية على كل ما نال الى ذلك الحين ولم يكن احد
يعتقد ان الايمان بالمسيح ومجراته الذي لم يبرح بين اليهود الى الآن قد انتقل اليهم من
ابائهم وانبيائهم وذلك من ابداء الامة لان الله لم يعث اليهم نبوءات جديدة ولا نبوءات
جديدة مئة تسلسل تلك الاعلام المديقة اذ كانوا هم نفوسهم يذعنون بان لا يقوم بينهم
نبي بقصد الحكمة الإلهية ومع ذلك كانت امانتهم بما في المسيح اقوى منها في الأيام السالفة
وكانت الامانة شديدة فيها لما شادوا الهيكل الاخير حتى انه لم يكن من المنتفي ان
يكون انبياء يتتلى الشعب وكانوا يثابرون على الامانة بالنبوءات القديمة التي شاهدوا
مغزاها مراراً حجة بكل دقة ونظام . وان ما كان لم يتم بعد منها لم يكونوا منذ ذلك
الحين يرتابون في تقييده ولم يعانوا ان يفتوا بان الرب الصادق بكل شيء يتم كل
ما يناط بالمسيح في حيو اي اعظم موا عيك وعاد غيرها
ومن الذين ان كل تاريخهم وما كان يطرأ عليهم يوماً فيوماً لم يروا الا ما كان للنبوءات

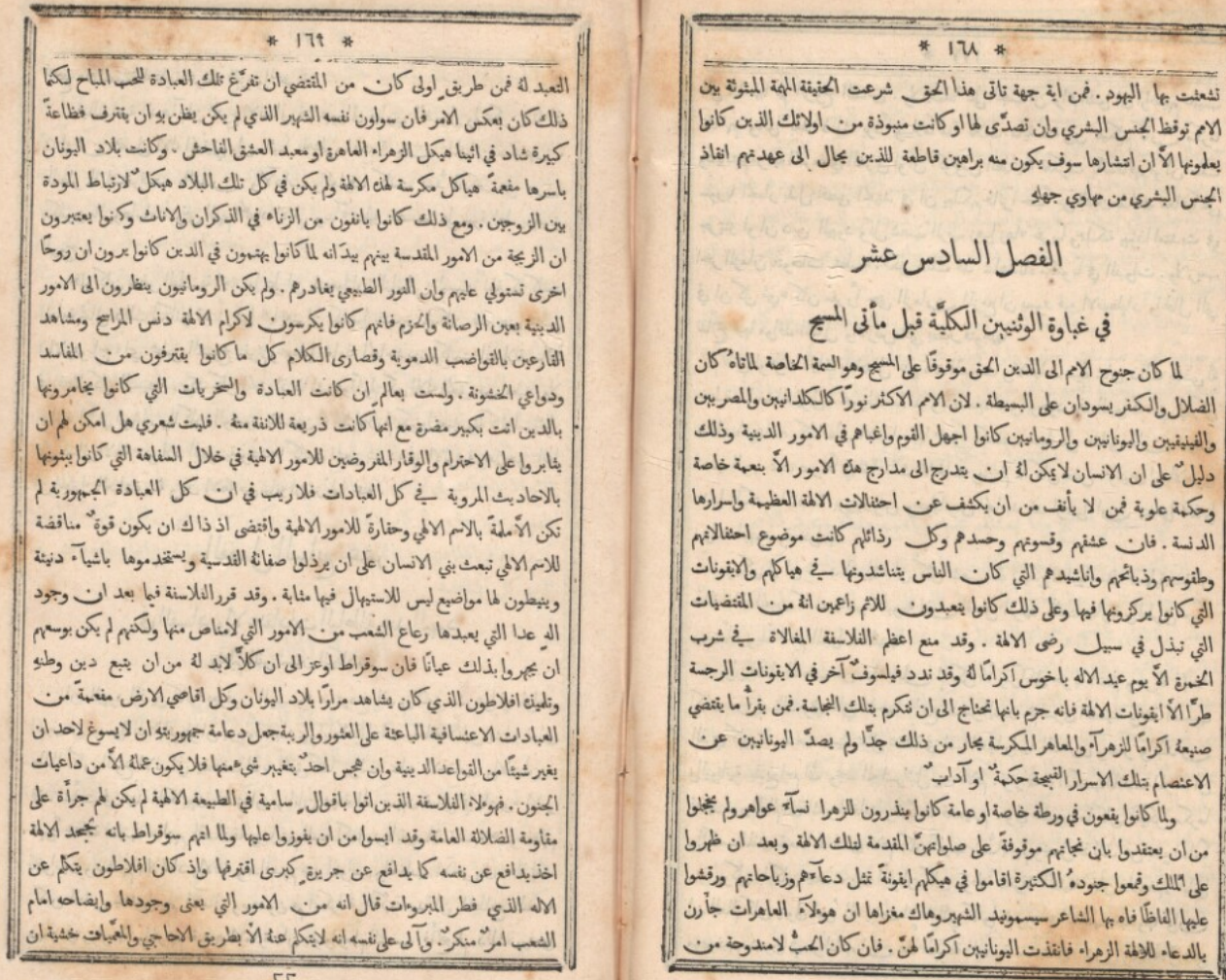
* ١٧٧ *

التي اتاحها لم الروح القدس . ولا يحملنا على العجب ان نراهم انشروا الى اراضهم عتیب
سبائهم ونالوا بعد ذلك برداً وسلاماً مدة ثلاث مائة سنة وان هيكلم كان مكرماً
وديانهم مرعية المحرمة في الشرق او ان كوموس الطائنية تعكرت بانشقافهم او ان ملك
سوريا الجبار بذل أقصى الجهد في ان يهلكهم فانثراً حقة من المحن بذلك معاقباً على
جرمتهم او ان دين اليهود وكل شعب الرب زهوا زهوا غرباً ومملكة يهودا امتدت في
اخر الزمان بتفوحات عظيمة . فكل ذلك قد شاهدناه مكتوباً في النبوءات . ولا رب
في ان كل شيء كان مقررأ حتى الزمان المزيع ان يهود في الاضطهاد والحال التي
تأجج فيها مواقد القتال والارض التي يصير فتوحها

انني اوعزت اليك بالاجلال عن هذه النبوءات والاصحاب في شان ذلك بقضي له
خطبة سابعة الدبول . فحسبك ما قد رايت منها فتفق بوجود هذه النبوءات التي في ركن
عقائدنا وعادته وكلما غالى الانسان بها متجراً اكتشف منها على حقائق فان نبوءات
شعب الرب تمت صريحاً في انباء تلك الاوقات ومن ثم لما كان بعض الوثنيين او بالاحرى
عدوا الكتب المقدسة يورفيريوس وجوليانيوس الجاحد قد ارادوا ان يتنبؤوا تخذوا
نبوءات اليهود وتسلوا بها

ويمكن لي ان اثبت لديك ان كان شعب الله لم يكن له انبياء مدة خمماية سنة ان
حالة ذلك الحين كانت بأسرها نبوية لان افعال الرب كانت جارية والطرق مهيأة
رويداً رويداً لتتم النبوءات القديمة

وان انشاء الشعب من سبائهم بابل لم يكن الا رمزاً الى حرية اعظم وجزيلة المجدا
اكثر من تلك وهي التي اتاحها المسيح للبشر الذين هم اسرى الخطيئة واخذ الشعب
الذي كان قد نشعت في محال مختلفة في اسيا العليا واسيا الصغرى ومصر والبلدان
واليونانية يذيع اسم الله ومجد اله اسرائيل بين الامم . وترجمت الكتب المقدسة المترجمة ان
تصير نور العالم الى اشر اللغات وتقررت قديمهم . وفي غضون ما كان الهيكل مكرماً
والكتب المقدسة مداعة لدى الامم كان الرب يثبت اياهم ويجعل لذلك عن بعد اساساً
وكل ما كان يحدث بين اليونان كان توطئة لمعرفة الحقيقة فان فلاسفتهم اباؤنا
ان العالم كان يتولى امره اله بياين الالهة التي كانوا هم ورعاع الشعب بعدونها وان
مورخهم يثبتون في مولفاتهم ان هذه الفلسفة السامية نشأت في المشرق وفي الحال التي





* ١٧٠ *

تصبح هذه الحقيقة العظيمة عرضة للزعم والخبرة
في البداية الدهاء أن النوع الانساني قد عور الى مهاوي الخمول ولم يكن له اذ
ذاك ان يجعل الاله الحقيقي وإن اثينا العظمى المتبررة بين المدائن سيدته
بالنظر لما استغرقت بالتمدن والآداب والمعارف كانت تشد الذكور على من
يتكلمون بالروحانيات وتبي لهم المجدد الالهي وبناء عليه قضت على سقراط بزهق
الروح .
فلو كان بعض الفلاسفة اجتروا على ان يذيعوا ان الفاتل ليس آله كما كانت
العامة تخال ذلك لكانوا قد أرغوا فيما بعد ان يكذبوا نفوسهم ولكن قد جزم مجلس
(الارهاج) اي مجلس الشيوخ بتدعيمهم وعوملوا معاملة المجاهدين وكانت الضلالة سائدة
في اقطار كل البسيطة . وقد كان الحق اذ ذاك زهوقا ولم يكن للاله الحق من معبد ولا
عبادة الا في اورشليم ولما كان الوثنيون يقدسون له القرايين لم يكونوا يعتبرونه كالواسرائيل
بل كاسرائيل الاله . وبلاد اليهودية وحدها كانت تشعر بتفرد في الالهية وتعلم حتى العلم
ان اجتراء العبادة بينه وبين الاله من شأنه ان يزيلها عنه .

الفصل السابع عشر

في الفساد والاعتقادات الباطلة عند اليهود
وتعلم الفريسيين الكاذب

ان اليهود الذين كانوا يعرفون الرب وهم مستودع الدين الحق شرعوا في اواخر
الحين ان يسووا اله ابائهم وان يمزجوا بعبادتهم اياه اعتقادات باطلة لاثنيق بشاؤ تعالى
طلما كان النوع الانساني يضعف لديه الحق كلما نالت عليه الاحقاب والاحيان .
فقد نشأت في عهد المكابيين منذ زمان يونانان شيعة الفريسيين فقالوا في بادئ الامر
شبهة عظيمة لسبب تعاليمهم الصادقة ورعايتهم السنة اكمل رعاية وسلاسة مسعاهم وحفظهم
للقوانين وعيشتهم بالاتحاد والالفة ومدافعتهم عن الفواب والغرائب الآخرين فلذلك
كان الناس يحفظونهم الامال ويودونهم لكرامة الاكفة يد ان المطامع النسبية
دبت في رؤوسهم واغريهم نفوسهم الامارة بان يتولوا زمام الشعب فأنتج لهم ذلك ورفعوا

* ١٧١ *

على الأمة لواء السلطة واصبحوا حاكمين بالامور الدينية وتعاليمها واحالوا رويدا
الفقار الدينية الى اعتقادات باطلة لا تفيد الا صلاحتهم وسلطتهم التي زعموا ان يكلوا لها
الضمير ولذلك اوشك روح الناموس الحقيقي ان يزول . واشترى من ذلك كثير يكرمهم
وتقنهم بنفوسهم وادعائهم وقد آل بهم ذلك الادعاء الى ان يعزوا لنفوسهم الهيات
الالهية . واما اليهود المعنادون على تلك الانعام المستنيرين منذ اجيال مدينتهم يعرفون
تعالى فتذهب عن اذهانهم ان الجودة الالهية فرقتهم وحدها مجاننا عن سائر الامم فشرعوا
يعتبرون نعمة كانتا دين متعظم لهم . وبما انهم شعب مبارك منذ التي سنة ومصطفى منه
تعالى فكروا في نفوسهم انهم وحدهم يستأهلون معرفة الرب وخالوا انهم من جنس اخر يباين
الاناس الذين كانوا يرونهم عارين عن تلك المعرفة . وبناء على ذلك كانوا ينظرون
الى الامم بالمخافرة الآفة ولما كانوا من نسل ابراهيم بالمجد كانوا يتوهمون انهم متفوقون فوق كل
النوع الانساني ولذلك كانت تصاعد في رؤوسهم خمرة الكبرياء ويفكرون انهم قد يسون
حسب الطبيعة لا حسب النعمة ولم يستمر هذا الضلال بينهم اما الفريسيون ادخلوا في
تلك الاعتقادات في اواخر الايام اذ كانوا يطلبون المجد بسبب علمهم ورعايتهم المدققة
لطقوس الشريعة . ولما كانوا لا يفكرون الا بان يكونوا ممتازين عن البشر كافة ضاعفوا
كثيرا اعمالهم الظاهرة وابانوا الذي الناس ان افكارهم تقاليد حقيقية مع انها مناقضة لشريعة
الرب كل المناقضة

الفصل الثامن عشر

ذيل لما مر من فساد اليهود ودلائل سقوطهم
وفاقا لما تنبأ عنه زكريا النبي

ان هذه الافكار وان لم تكن بموجب امر عام كفاعة في جمعة اليهود الا انها كانت
ترجع تدريجا بين الشعب الذي خفي اضطرابا وبللة وقربا . وبدأت اخيرا الانقسامات
التي هي داعية سقوطهم كما قال الانبياء بسبب الشقاق الذي حدث بين المكابيين . وقد
كان حينئذ المسيح قريب المآلي لاثنيق له من ذلك الحين الا نحو من ستين عاما وذلك
لدى تناضل على الكهوت التي كانت السلطة الموكية متعلقة بها هيركان وثرزاول



* ١٧٢ *

ولما اسكندر جني . فهاك الوقت العيس الذي يفر فيه التاريخ العلة الاولى لدثار اليهود
قدعا الاخوان يوبوبوس ليقضي بينها فاقضها للدولة الرومانية ونزع الملك حينئذ
عن الملك انتيوخوس اخر ملوك سوريا الملقب بالاسيوي وان سقطت هؤلاء الملوك الثلاثة
معاً دفعة واحدة هو ابتداء السقوط المنوع عنه بالفاتح صريحة في نبوءات زكريا النبي .
ومن البين والمقرر في التاريخ ان تغير احوال سوريا واليهودية قد تغير بواسطة يوبوبوس
بعد ان انتهى حرب متريدات وكان اذ ذاك مناهياً للرجوع الى رومية فرب احوال
الشرق على تلك الصورة وابان النبي ما هو . ومع ان يتم لدن خراب اليهود وهوان احد
الاخوان اللذين ركبوا تحت الملك يسي اسيراً بنوده يوبوبوس هاشاً طرباً بما نال من
الظهور عليه والاخر وهو هيركان الزامن يتبع عنه يوبوبوس الفاج الملوكي ويسلبه من
ملكه قسماً عظيماً ولم يبق له من السلطة الا الصورة مع انه كان على وشك فقدانها ولدى
ذلك اصبح اليهود يرضخون للرومان يث ويؤدون لم خراجاً فكان دثار ملكة سوريا
باعثاً على خراب ملكهم لان تلك الملكة المجاورة لملكهم اصبحت اقرباً من الدولة
الرومانية . وذلك ما ضاعف شوكة الرومانيين ولم يبق حينئذ لم محيص الا بان يتذلوا
لما راضعوا ولهذا شرع ولاية سوريا بينهم كون في مداخلات متواصلة في اليهودية وغدا
الرومانيون متبوئين البلاد واضعفاً بالتواتر قوة حكومتها باوجع متباينة . وبواسطتهم اعتل
الولاء في يهودا من ايدي المكابيين الى هيرودوس الغريب الادوي ولما كان هذا الملك
منطوياً على الجور ومذاهناً مصانعاً باعقاده يدين اليهود غير كل مبادئ الحكم
التدنية ولم يكن هؤلاء اليهود احراراً في اعمالهم في ذلك الوقت مثلاً كانوا في عهد
الفرس والسوسديين ولم يكونوا مهنين الا بان يعيشوا بالامنية والطائفة لكن حبط
بذلك مسعاهم فان هيرودوس الذي قد اتى على عوائدهم نير الاسترقاق هوش كل
شيء ثمة وغير حسب هوى نفسه الخلافة الكهنوتية واومن سلطتها بل جعلها دون نظام
وقيد . واضعف ايضاً المجلس الشورى فاصبح من المتعسر عليه ان يبرم امراً . فامست اذ
ذلك السلطة العامة في يد هيرودوس والرومانيين الذين كان هذا الملك في بادئ
الامر من الراضعين لولاهم وبناءً عليه نزع اركان حكم ملكة اليهود .
واما الفرسيين والشعب الذي لم يكن يصحج الا لاحاساسهم كابدوا من ذلك
عرق القرية ولحقا يعانون البؤس مبرحين تحت اثقال عبودية الامم تعاملمهم بالحفارة

* ١٧٣ *

وتكاثمهم بالعداوة والبغضاء . ولذلك رغبوا في ان لا يكون المسيح الذي سيأتيهم الا فاتحاً
يوقع الرهبة في قلوب السلطنة التي تعينهم تحت اوقار العبودية الباطلة وبناءً عليه
ذهب عن بصائرهم ما تنبأت عنه الانبياء ما سولم به من العار ولم تكن تترقب ابصارهم
وتترصد للماح اذانهم الا النبوءات التي تنذرهم بالانتصار المبين وان يكن ذلك الانتصار
الذي اندثرت بمآناه الانبياء مبيناً لما كانوا يرغبون فيه .

الفصل التاسع عشر

في الكلام عن المسيح وتعليمه

لما تنكست اعلام الدين ونشوت احوال اليهود في اخر حكم هيرودوس اذ كان
الفرسيون يدينون الشريعة بالمعائب بعث الله بالمسيح الى الارض ليعبد الحكم لبيت
داود ويجعله اسماً ما كانوا يخالون منذراً بالتعليم الذي ازمع الرب ان يعلمه للبشر
فذلك الولد العجيب هو الذي دعاه اشعياء الرب القدير واب المجلد الاتي ورب
السلام فقد ولد من بكر عذراء في بيت لحم حيث ذهب لفررسلة فجلست به من الروح
القدس واصبح منذ ولادته قدوساً . وكان عيب ولادته موكلاً بموهبه اليه وحده ودعي
مخلصاً لانه ازمع على خلاصنا من وثاق الخطيئة وعند ولادته بدا على النور نجم في المشرق
رمزاً الى النور المزمع ان يبريه الامم فتوافد اذ ذاك اليه الوثنيون مرتدين وبعده ان مر
على ذلك حين من الزمان ذهب ذاك الرب المتظفر الى هيكله المقدس حيث رآه
سمعان انه جمد اسرائيل ونور الامم النضالة . ولما ان وقت الانذار بالانجيل دعا يوحنا المزمع
ان يبيء له الطرب كل الكهنة الى الثوبه وجاز بصوته في البرية التي كان يقضي
حياته فيها منذ نعومة اظفاره في التفتيش والدعة والبر وعرف الشعب الذي لم يكن يسمع
منه تخشعية سنة صوت نبي آتة ايليا المجدي وكان مستعداً ان يقضه مخلصاً لما ظهر له من
قداسه العجيبة . اما هو فكان يوعز اليه من لم يكن هو املاً لان اجل سير حداثته ومن ثم اخذ
المسيح يندب انجيله وينشر الاسرار التي كان يراها وهو في تجرايه منذ الازل وقد اقام
اركان يعمد بدعوة الاتي عشر صباءاً وجعل بطرس راياً ضائباً وممازاً عن غيره يتوع
صريح . وذلك ان الانجيليين طراً لم يحفظوا لعدد الرسل رتبة مفررة لما كانوا ياتون



* ١٧٤ *

محببتهم الا انهم يذكرون دائماً بطرس في مقدمتهم كأنه رئيسهم .
ودوخ المسيح اليهودية وافاض عليها جريل انعاماً فانه كان مهنماً بمرض المرضى
رافقاً بالخطاة مبيناً انه هو الطبيب الحق وكان يسبح لم بان يزدلفوا اليه وذلك كان
دليلاً للشر على انه قابض على السلطة والرحمة معاً فانتفاً بذلك كل من ظعن قبلة
ولقد كان يندر بأسرار عالية وبهبتها عظمة وكان يسب فضائل سامية وكان
يهيب في غصون ذلك نوراً ثاقباً ومثلاً عظيماً ونعمة علوية وبهذا بدا مثلاً نعمة وحسن ومن
امتلاي نحن كلنا اخذنا .

وكل ما بدا منه استمر منطقاً على بعضه سواء كان على حياته او تعليمه ونجابه . لان
الحقيقة دائماً كانت تبدو في كل ما هو له . وكل ما صنع يدل على انه سيد النوع الانساني
ومثال الكمال .

وهو وحده قد عاش بين البشر مستطعاً ان يقول امام الجميع دون ان يكذب احد :
من منكم يمكن له ان ينوبي على خطيئة ويقول ايضاً : انا نور العالم والذي ارسلني هو معي
ولم يدعي وحدي لاني افعل ما يرضي كل حين .

واما اعاجيبه فهي من مرتبة خاصة وذات صفات حديثة لانها ليست سمات في
السماء كما كان اليهود يطلبون بل كانت في بني الانسان رجاء ان يشعروا من علاقتهم
ولارب في ان تلك الاعاجيب قد كانت رافة أكثر منها قوة دون ان نبحث كثيراً على
الدهشة بل كانت تلين القلوب . ثم كان بينها بسلطانه لان الامراض كانت تخضع والشیطان
له فكان العيان اذا تكلم يصرون والموتى يخرجون من ارواسهم والخطايا تغفر للخطايين
فكانت مبادي تلك الاعاجيب منه وهو مصدر فعلها وقد كانت قوة تخرج منه
وتشفي الجميع ولهذا لم يفعل احد اعاجيب عظيمة كهذه ولا عذبة نظيرها ولذلك كان
بعد ان تلاميذه سوف يصنعون باسمه معجزات اعظم منها لان القوة التي فيه كانت
عظيمة جداً .

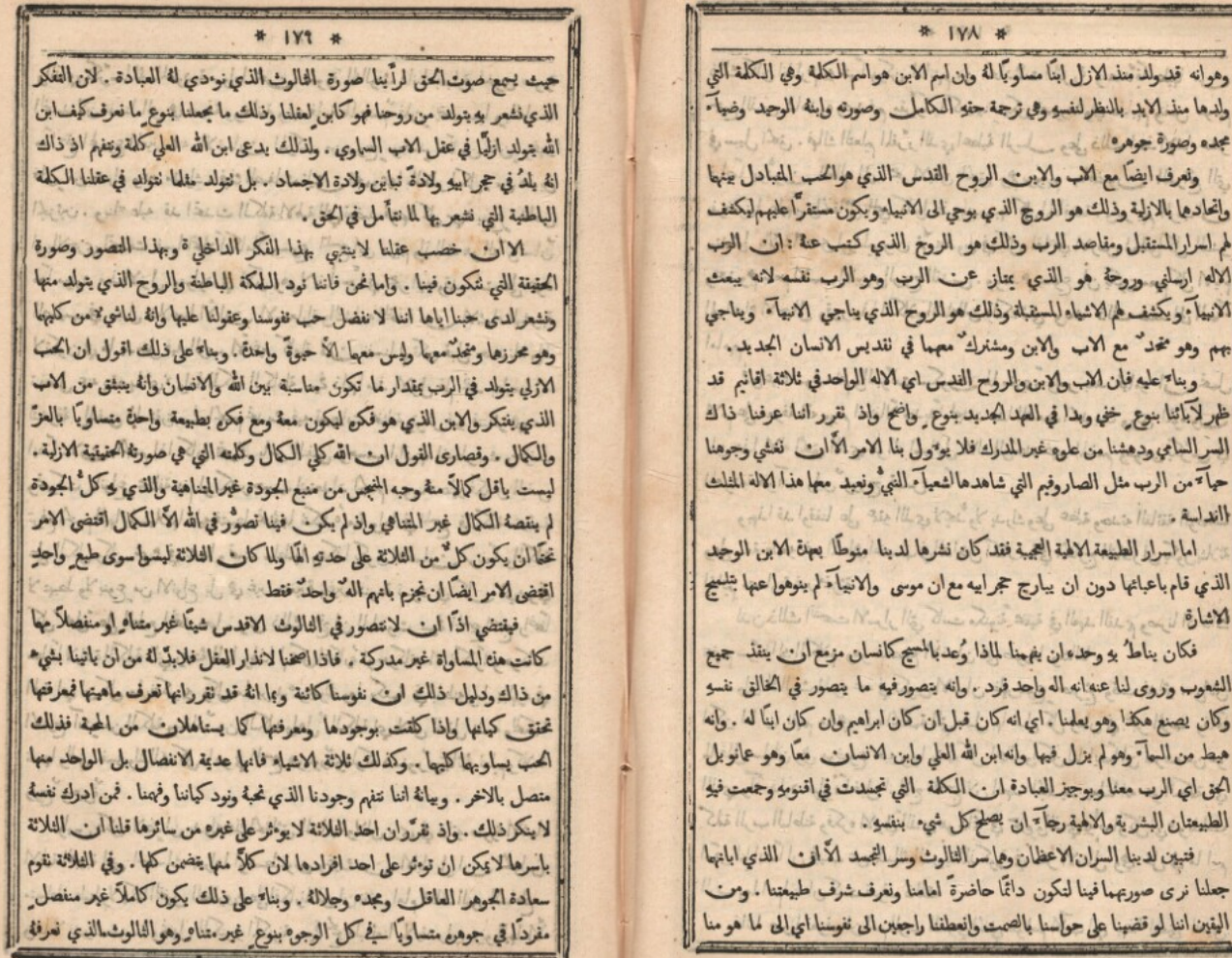
فمن لا يعجب من ضعة تعليمه السامي فهو لئال للاطفال وخير
للأشياء . وبلوغ انه ممتلي من اسرار الرب الا انه لا يدوانه منهش من ذلك كمائر
البشر الذين يترأى لهم الرب . فانه يتكلم بذلك طبعاً كأنه ولدهته الاسرار وفي هذا
الجد . لا زلت لالمو وينطق بوزن ليتمكن ومن النوع الانساني من احتالوا

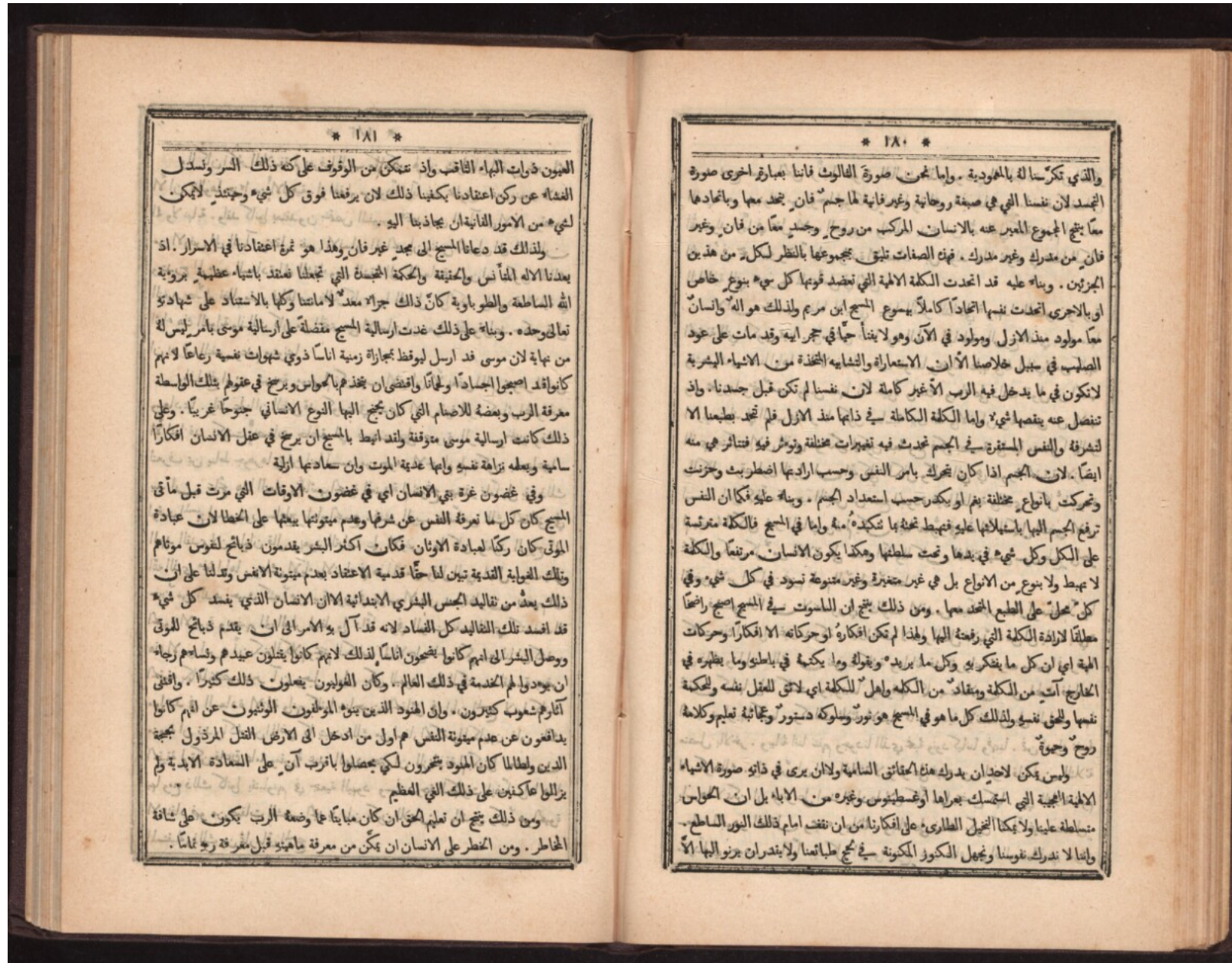
* ١٧٥ *

وان يكن قد بحث يوالى جميع البشر فلم ينهك في بادى الامر الا في ضئاف
اسرائيل الضالة لانه ارسل اليها بنوع خاص لكنه اعطى الطريق لاياب السحرة
والوثنيين فان امرأة سامرية عرفت ان هو المسيح الذي كان شعبها ينتظر فلما كان
ينتظر اليهود . وتعلمت منه اسرار العبادة الجديدة التي لم تعد تناط بمكانة واحدة وتزعمت
منه امرأة كنعانية وثنية شفاء ابنتها وان يكن قد اظهر انه يرفضها واقر في حال متباينة
ان الوثنيين مثل اولاد ابراهيم . ويتكلم عن تعليمه كانه مزعم ان يندر في كل البسيطة
حيث يقوم ثم يصح منيولاً ولم يكن الناس الى ذلك الان نظروا له مثيلاً . وكان تلاميذه
يعجبون من ذلك ولم يكن يحفي عنهم ما سيكادون من المشاق والمكابد . وكان يوعز
اليهم عما سيبدونهم من الاضطهاد والمجور والحاديات والاعمال الكاذبة والاخوة الكذبة
والتراع الداخلي والخارجي والاعمال المزعج ان يجتنب بكل المشاق وابان لم ان سوف
يصير في اخر الزمان ضعف كثير في الايمان وتقل الحجة بين الرسل وتلبث الكهنة
والحق في عرض تلك المخاطر غير مترعزين

فهاك نظاماً للاحوال جديداً فلا يوعز اولاد الله بمكافاة جسدية فان المسيح
ابان لم حياة مستقبلة وبينا هو يبدل اقدامهم على ذلك الانتظار يعلم ان يفصلوا عن
الاشياء المحسوسة واصبح الصليب والناموس ميراثهم على الارض وابان لم ان يقتضي ان يتفوقوا
باب السماء عذوة وقد داس هو اولاً الطريق التي اوعز الى بني الانسان عنها . ولقد
كان يندر مجتائق بسيطة تدهش اصحاب الغواية والمفكرين وكان يغشي تكبر القريسين
ومداهم الخفية ويبين ما يحرف الشريعة علماءهم بتناسيرهم وفي غصون توبيخ اباهم
كان يراعي حرمة وظائفهم وحرمة كرمي موسى الذي كانوا يشعرونه وكان يتردد الى
الهيكل ويجعل الناس على ان يحترموه وكان يبعث الى الكهنة بالبرص الذين شفاهم .
وهذا كان يعلم البشر كيف يقتضي ان يعلو العيوب دون ان يلوا بالسلطة المانمة
من الرب وكان يبين ايضاً ان جمعية اليهود ما برحت قمرأ عن فساد اعضائها . الا انها
قد كانت على وشك دثارها لان الكهنة والقريسين كانوا يديرون على المسيح شعب
اليهود الذي كان دينة قد تحوّل الى اعتقادات باطلة . ولهذا لم يكن يحمل الخلف
الذي كان يدعوه الى عبادة حنيفة بل صعبة . وبنياً عليه اصبح اصلح البشر وافضلهم
بل معدن القداسة والجودة موضوع الحسد والبغضة . ولم ينفر منهم ولم يتفاد عن ان









* ١٨٢ *

ولما كان أكثر الفلاسفة لم يعرفوا الرب مما ينبغي لهم أن يتفهموا بان النفس غير مادية
 إلا أن يحالوها جزءاً من الألوهة . أو الهة أو موجوداً أزلياً غير مخلوق غير متغير لا يبدو
 له ولا نهاية . ولقد كانوا يعتقدون بنفص النفوس فينتقلون من السماء إلى الأرض وتصلهم
 من الأرض إلى السماء . وتنقل نفس الإنسان إلى الحيوان ونفس الحيوان إلى الإنسان
 ويتدرج المرء من السعادة إلى الشقاء ومن الشقاء إلى السعادة دون أن يكون لذلك
 التغيير حداً أو نظاماً منقطعاً فيها من ظلمة كان فيها العدل . والحكمة والجمود الإلهية في
 أثناء هذه القوالب ولذلك كان من الشتم على الإنسان أن يعرف الله وقواعد حكمته قبل
 أن يعرف النفس وعدم ميوئتها .
 ولهذا يتبع أن شريعة موسى لم تكن يجب الإنسان إلا بعض الملوك يجرهم النفس
 وسعادتها . ولقد علمنا أن النفس قد تكونت في بادئ الأمر بقوة الرب كسائر المخلوقات
 إلا أنها قد تكونت بصفات خاصة أي صنعت على صورة الرب ونحو ذلك
 لتعرف بين بنات جوهراً وتوقن أنها ليست من جواهر الأجسام ولم تكون باجتماعها .
 بيد أن نتائج هذا العلم وعجائب الحيوة العديدة لم توضح حيثنر تماماً بل بقي ذلك
 لوقت المسيح ليبدو بنور ساطع . أمام الجميع . ففسر الرب بعضاً من تلك الحقائق في
 العهد القديم لأن سليمان قال ويعود التراب على الأرض ما كان يعود الروح إلى
 الله الذي منحه إياها . وعاش الآباء والأنبياء في هذا الأمل وقال الذي دناها سوف يأتي
 حين من الدهر حيث كثير من يرقدون في تراب الأرض يعتقدون بعضهم إلى
 الحيوة الأبدية وبعضهم إلى العار ليظفروا دائماً . وفي الوقت نفسه الذي اكتشفت له
 هذه الأمور أمرى أن يكتم الكلام ويختم الكتاب إلى الأجل المسمى لكي يبين لنا أن كشف
 الحقبة بكاملها يخص بغير أن وجيل . وإن يكن لليهود شيء الكسب المقدسة بعض
 مواعيد في السعادة الأزلية وأنهم كانوا يتناجون بالحقائق في إبان المسيح لأنها كانت
 مزمنة أن يبدو أكثر من الماضي كما تبين ذلك من أسفار الحكمة والمكابيه فإن تلك
 الحقبة لم تكن قاعدة عامة ومفرقة عند اليهود حتى أن الزنادقة لم يكونوا يعترفون
 بها ومع ذلك كانوا يقبلونهم في جمعة اليهود وفي درجة الكهنوت أيضاً . وأما هذا
 الاعتقاد فهو من صفات الشعب الجديد بأن يكون للأنبياء وللدين ركن هو الحيوة
 المستقبلية وذلك من غارماني المسيح

* ١٨٣ *

ولذلك لم يكتفد أن يقول لنا أن الحيوة السعيدة والأزلية منوطه ببنى الرب بل
 أنه قال لنا بماذا تقوم هذه الحيوة لأن الحيوة السعيدة هي أن تكون معه في مجد الله أيه أو هي
 أن نرى مجده في مجراه من ابتداء العالم وإن المسيح يكون فينا كما يكون في أعضائنا
 وإن حب الآب الأزلي نحو الابن يتبدلنا وينمينا بالانعام نفسها وقصارى الكلام
 أن الحيوة السعيدة هي أن نعرف الإله الواحد الحق في المسيح الذي أرسله الآب أن نعرفه
 المعرفة الحية وهي الروية الساطعة المعبر عنها بوجه يتألق وجهها دون حجاب أي أن
 الروية التي تكون فينا صورة الرب وتكلمها حسب قول القديس يوحنا نجعلنا تكون
 شبهه لأننا سنبه على ما هو عليه
 ويعقب هذه الروية حب لا مزيد عليه وفرح عظيم وانتصار غير محدود . ويترجم
 المشدون قائلين هلوليا وإميرث في اورشليم السماوية وبذلك تراح كل الأتراح وتتم
 الشهوات ولا يبقى إلا مدح الرب وجوده الإلهية . فضلاً عن ذلك الثواب الجديد
 فنحن أن يبرز المسيح أفكاراً جديدة بشأن الفضيلة وأعمالاً أكمل من الأعمال السابقة
 وأظهر منها . ولذلك كانت المحبة غاية الدين وروح الفضيلة ومخلص الناموس الأنا
 يمكنا أن نقول لغاية يسوع المسيح أن كمال هذه الفضيلة ومفاعيلها لم تكن معروفة تماماً بل
 أن يسوع المسيح قد علمنا أن تكفي بالله وحده وحسنا على محبة الله رجاء أن يشهد
 بذلك ملك المحبة وشيئين كل واجباها ولو افترضت بنا إلى أن نبغض نفوسنا ونستمر على
 مقاومة الفساد الطاريء على قلوبنا . ولقد فرض علينا أيضاً محبة القريب وحسنا على أن
 نجعل ذلك قائماً في جميع الناس دون أن نستثني من ذلك مضطهدينا وفرض علينا
 أيضاً ردع شهواتنا الحسية كأننا نقطع بذلك أعضائنا الخاصة أي اخضع ما يتعلق
 بالقلب وفرض علينا الرضوخ لأوامر الرب حتى أننا نبش إلى ما يرسل لنا من
 الدوائب . وفرض علينا الضمة بحب العار أكراماً لجد الله ونعتقد أنه لا يوجد أهانة نكتسبها
 أمام الناس إلا يكون لنا أهانة أخطئ منها أمام الرب بسلطة خطايانا . وبسلطة ركن
 المحبة تكمل جميع مراتب الحيوة البشرية ولهذا قد آتت الرغبة إلى هيئتها الأصلية ولم بعد
 حب القريبين مغترراً وأرث هذه الجمعية المقدسة لأزول الأعداء زوال الحيوة . ولا يرى
 الأولاد أسهائهم يبدلن بخالات لم وبدت العيشة البتولية كاتتدأ في حيرة الملائكة
 الذين لا يهنمون إلا بالله وبمحبة الطاهر . وشعر الرومساء أنهم خادمون مروضون ومكرسون



* ١٨٥ *

صاحب الفضيلة العظمى المحقة من بحسب النوع الانساني وبمجي له الشر والقي لا يبقى له
شهادة على برارته الا ضيمره وانه بعرض لكل مله واهانة وينفي به الامر الى ان يعلو
على الصليب ولاتانيه فضيلة باعانة بسيرة ابي تلمسه من العذاب الاليم . اخلا يظهر
من ذلك ان الله وحى بهذا التصور الى احد الفلاسفة ليكون في ابيه وقيين منه ان
الصدق له مجد وراحة وسعادة غير التي ينالها على الارض فان وضع هذه الحقيقة
ويبان كالمناوع عظيم الوضوح وخطر الحيرة لمن اعظم الاعمال التي في وسع الانسان
صنعها والحال ان الله قد رأى هذا العمل عظيماً فخصه بالمسيح ابنه المنتظر اي الانسان
الذي جملة اقنوماً واحداً في ابيه الواحد

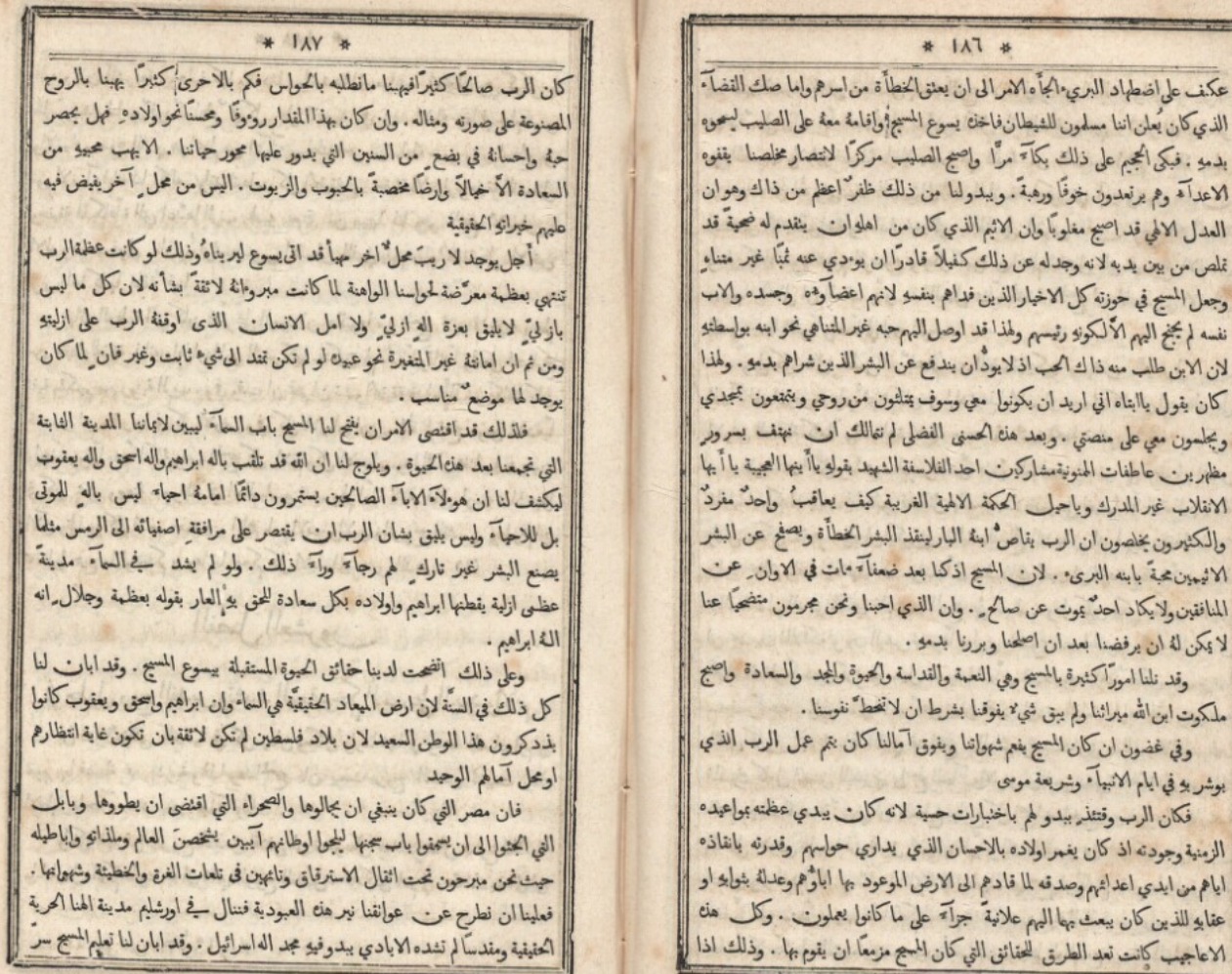
وعلى كل حال فليس امر أعظم من النصيلة يمكن ان ينقص بالمر نزل من
السما الى الارض . واي شيء كان من ارادة هذا الاب ان يبرمه أكثر من ان يظهر على
الارض النصيلة كاملة والسعادة الازلية حيث المصائب العظيمة تنودها اليه
فلو اعتبرنا كل ما هو سامر وخاص بسر الصليب لتعسر على عقول البشر
قابلة ادراكه اذ تبين لنا ظهور فضائل بالصليب لا يقدر على تبيينها الا الانسان الاله
وليس يمكن لاحد سواه ان يكون بمثابة الدبايح القديمة وبلغها ويستبدلها بذبيحة
ذات عظمة واقدار لا نهاية لها . وقد تأتي منذ ذلك الحين ان لا يتقدم لله الا هو نفسه
فهاك العمل الديني الذي قام بعينه المسيح على الصليب وهل كان يمكن للاب الازلي
ان يجد بين الملائكة او بين البشر خضوعاً بوارى خضوع ابنه الم محبوب لديه لما اسدى
حجابه له طوعاً دون كرم في سبيل مسرته اذ رأى ان لا يوجد احد يتمكن من نزعها
منه قسراً عنه . وان لساننا لناصر عن تبيان اتحاد ارادته التامة بارادة الله وعن حبه
الذي كان بقرنه بالله الذي قد اصطلح به العالم . وقد استغرق بذلك الاتحاد غير
المدرك كامل الجنس البشري واصطلح السما والارض وانفس بشهوة عظيمة في بحر ذلك
الدم حيث له صبغة ينبغي ان يسطيع بها مع كل اصحابها وخرج من قروحاته نار حبة
الله على الارض المزمنة ان تحرق الارض طرا وهاك ما ينصر عن ادراكه عقل كل
انسان وهو العدل الذي انما هذا الاله الانسان الذي سخر ان العالم يقضي عليه ليعلي العالم
مقضياً عليه موبداً بسبب هذا الحكم العظيم . فقد انت ديتونة العالم فيطرح رئيس هذا العالم
خارجاً كما حكم على ذلك يسوع نفسه . وان النجم الذي تولى على العالم انزع ان يتقدم السلطة لاهل

* ١٨٦ *

انفساً بمصالحهم وعرف المرثوسون . امر الرب بالسلطة الشرعية ولو غالوا في استعمال
سلطانها وذلك ما لطف مشقة الخضوع تحت سلطة رؤساء جاثريين . ولم تعد الطاعة
تفوق على المسيحي المتقي .

وقد ضم المسيح لهذه القوانين مشورات للكمال السامي وهي رفض المملكات وقضاء
الحيرة في جسم كانه لم يكن جسماً . وغادر كل شيء وذهب المساكن كل شيء رجاءاً ان
لا يملك الا الله وحده ويعيش يسير من الشيء كان معيشته من الدم الجسد وذلك
السير ينتضي انتظاره من العناية الالهية .

الا ان اخص شريعة للتجمل هو حمل الصليب لان الصليب هو امتحان الايمان
الحق وركن الرجاء الخفي وثنية الهبة الكاملة وقصارى الكلام هو طريق السما . فقد
مات المسيح على صليب عاني جملة طول ايامه ويرغب في ان يتبعه الانسان حتى للصليب
ولا ينال احد الحيرة الابدية الا بهذا الشرط . ولول من اخضع بعدة الزاجحة المستقلة
رفيقه الذي كان معه على الصليب فنال له انك تكون معي اليوم حقاً في الفردوس واذ
ارتفع على الصليب انشق بجانب الميكيل من اعلى الى اسفل وانفتحت ابواب السما
بدخلها القديس يوسف وبعد انزاله عن صليبه وخروجه من رمسه بدا لتلاميذه مجيئاً
وظاهراً على الموت وذلك بدم على اهم لانيوتون تحت الجسد لا بالصليب وانهم لا يجدون
طريقاً سواه . وبناء على ذلك مثلت في شخصه صورة النصيلة التامة التي لا تمك على
الارض شيئاً ولا تنتظر منها شيئاً ولم يحسن بنو الانسان جراً ما الا بالضهد الدمع مع انها
لا تفتأ ترسمهم خيراً فكانت اعمالها من داعيات عقابها . فقد مات يسوع لا يرى مئة في
الدين اغرقهم في لجة جبله وافضالوا لامانة في اخدايو خلاصه ولا عدالة في الذين قضوا
عليه ولم تنقذ برارته التي انضمت امام الجميع . ونبت عنه ابوه الذي يؤامله كل ملائكة واسلم
الصدق لاعدائيه ومات متروكاً من الله والناس . بيد انه قد اقتضى ان يصرح للرجل
الصالح انه لا ينتظر لدى تخديق المشايخ والمخاطر اليه الى سلوان انسانيه او ادلة حجية
من قبيل العناية الالهية بل يكفيه ان يحسب الله وبقى به موقناً انه يتكره دون ان
يبدى له ادنى سمة الا انه قد خصه بسعادة ابدية وقد نقرأ عقل الفلاسفة في البحث عن
الفضيلة فرأى ان اعظم الاشرار من يمكن له ان يوارى خبثه عن الناس ويتصانع امامهم
بالصلاح فيقتنون بانه صالح وتعلمهم النصيلة على ان يرعوا حرمة . فبين من ذلك ان





* ١٨٨ *

الرب لان الشريعة روحانية كلها وتقودنا مواعيدها الى مواعيد الانجيل وهي كركن لها . ويدول لنا نور فرد ساطع في كل محل لانه بدا في عهد الابهاء وغا في ايام موسى والانبياء . ويصوم الذي هو اعظم من الابهاء . وسلطته اسي من سلطة موسى ونوره اسطع من نور الانبياء . اياته لنا بكاله . ولند انيطت كل الحقيقة ابي حقيقة الاسرار وحقيقة الفضائل وحقيقة المكافاة التي اعدها الرب لمحبيه بدمه من بينها لنا وهو المسيح الانسان الاله وحسب قول ماري اوجسطينوس الانسان الذي يقوم مقام الحقيقة على الارض ويريناها كأنها قائمة فينا

فهاك العظمة التي كان يتغير على اليهود ان يطلبوها من المسيح لانه لا شيء اعظم من حفظ الحقيقة بذاتوا واضرارها الي البشر كلها . فتكون لهم ملاذاً وقاتلاً وتجعل ابصارهم نفية وتكلمهم من روبة الرب . وفي وقت ان نغم ان تبدوا الحقيقة لمداية البشر بكالها كان قد سن ان يندربها في كل الارض وفي كل الازمان ان الله لم يبعث موسى الانبياء واحداً وفقاً لمعنا لكنه وهب المسيح كل الامم وكل الاحيان . ودليله ان مختاربه مرحون في كل محل ويعتد مبسوطه في العالم باسم تستمر لم اما . لانه قال لرسوله اذهبوا الآن وتلقوا كل الامم معمدن ايام باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحتفظوا جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الابهاء الى منتهى الدهر . (١)

الفصل العشرون

في حلول روح القدس وتشديد البيعة وحكم الرب على اليهود والامم

ان نشر الحقائق السامية في كل زمان ومكان وارساخها في وسط الفساد لزم ان تقوم بها فضيلة غير بشرية ولهذا وعد المسيح بان يبعث بروح القدس لتثيت رسوله الاطهار والاحياء جسد يبعثوا احياء ازيلوا

ولكي تظهر قوة الروح القدس اقتضى ان تدوب كل ضعف فقال يمسوح فللاميكة وانا ارسل اليكم ما وعد به ابي (اي الروح القدس) فامكنوا انتم في هذه المدينة الى ان

(١) متى ص ٢٨ : ١٩ و ٢٠

* ١٨٩ *

تلبسوا قوة من العلماء .

فمكنوا انتقالاً لذلك الامر في العلية اربعين يوماً وحل الروح القدس بينهم في الاجل المسمى وان الالسة النارية التي هبطت على تلاميذ المسيح تدل على منعولية كلامهم ومن بعد ذلك اخذوا يندرون ويشيرون . وادى الرسل شهادة يسوع لانهم كانوا على امانة ان يعملوا كل صنوف المشاق ليقروا انهم رأوه منبعثاً من الموت وكانت الحجزات تشعب اقوالهم فارند ثمانية الاف من اليهود بواسطة انذارين قام بها بطرس . وسحت عيونهم بالبكاء على ضلالتهم وتطهروا بالدماء التي امرقوها

وبذلك اقيمت البيعة في اورشليم بين اليهود قسراً عن مجد اكثر الشعب وابدى تلاميذ المسيح للعالم محبة وبأساً وخلافاً دمة لم نبد من قبل في الله اجماعية ابداً . ولما ساد الاضطهاد كثرت الامانة وتعلم اولاد الرب من آن الى اخر ان لا ينجسوا الى الال ملكوت السموات . ولما اليهود فقد صوبوا عليهم بكثرة خباياهم انتقام الرب وقرىوا اليهم المشاق الويلة التي كان يتوعدهم بها ولقد كانت احوالهم تزداد سوءاً وفي غضون ما كان الرب يفرز من بينهم كثيرين ليضمهم الى مختاربه بعث بالقدس بطرس ليعمد قارئ المائة كورنيلوس الروماني . فانه علم في يادي الامر برويا من العلماء وفي ما بعد بالاخبار ان الامم مدعوون لمعرفة الله لان يسوع المسيح الذي شاء ارتدادهم ناجى من العلماء بولس الرسول المزمع ان يصير معلمهم . واقام لديه معجزة غريبة لم يسمع الى ذلك الوقت نظيرها فتحول الدين المسيحي بعد ان كان مضطهد اليه فقط الى محام يباداه بالتلى والمكاشفة الى ان يكون منذراً غيوراً على الايمان ايضاً وكشف له سر دعوة الامم بسبب رذل اليهود الناكرين للجميل الذين اسندوا ومتوغلين في القبايع وما يبعثهم على عدم استئصال الانجيل وبسط مار بولس يد يوحى الامم واخذ يتكلم بكل فصاحة وبلاغة عن كل تلك الامور الهامة وفي حل سبأ لم المسيح ويصيح اول من يقوم من بين الاموات فيبشر بالنور الشعب والامم . وعلق يثبت قوله بموسى والانبياء . ويدعو الامم الى معرفة الرب باسم يسوع المسيح المنبعث من الموت وتقاطر الشعب والامم الى الايمان اجواقاً وابان مار بولس جنته ان دعوتهم من النعمة التي لا تميز بين اليهود والامم . قدبت الحدة في قلوب اليهود مستنيطين وتوامروا على القدس بولس حثيث منه لاسيما لانه كان يندب الامم ويردهم الى الاله الحق فسلوه للرومانيين مثلاً سلوه يسوع



* ١٩٠ *

المسيح فاحتمت دولة رومية غضباً على البيعة الجديدة واصبح يرمون المضطهد لجميع
 البشر اول من اضطهد المؤمنين وامات القديسين بطرس وبولس فتكرست رومية
 بدمها . وتبديت في حاضرة المملكة كرسي للدين الخاص بسبب اشهاد القديس بطرس
 رئيس الرسل . بيد انه كان قد اذف الوقت الذي كان الرب مزعماً فيوان يتم من
 اليهود المصريين على اناهم لان الانقسام قام فيما بينهم واعمت الغيرة القاسدة بصائرهم
 وجعلت بني الناس طراً ياتون منهم وكان انبياءهم الافاكون يخاتلونهم بمواعيد ملك
 وهي . ولما اتخدعوا اي خداع وانغمسوا في لجة الغرور تعمرو عليهم ان يجنبوا السلطة
 الشرعية او يتصرفوا على جرائم المستظلمة فغلب الله عليهم ثم واثم السيرة فتبدوا على
 الرومانيين الذين اذا قوموا مر العذاب والفتك . وتطلس نفسه الذي تم دثارهم قد قر
 انه لم يكن الا آلة تصويها يد غضب الرب عليهم وابادهم ادرينانوس فهلكوا . وقد
 كانت كل ادة الانتقام الاله عليهم لانهم طردوا من اوطانهم وتشعلوا اسرى وعبيداً
 في كل المسكونة . فلم يبق لهم من هيكل ولا مذبح ولا ذبيحة ولا وطن واتخذت آثارهم من
 كل يهودا

بيد ان الرب قد اعد له منذ الازل شعباً اخر يهودي له فروض العبادة لان
 الامم تنعت ابصارهم واتخذوا بالروح مع اليهود الابيين الى حجر البيعة . وبناء على ذلك
 اتخاذا الى اخلاف ابراهيم واصبحوا اولاد الايمان وورثة المواعيد التي وعد بها ابراهيم
 فصار الجميع شعباً واحداً وبدت على وجه البسيطة ذبيحة جديدة وهي الذبيحة التي اوغر
 اليها الانبياء في نبوءاتهم

وعلى ذلك المتوال تمت نبوة يعقوب بكل دقة وضبط اي ان بني يهودا يريدون
 اكثاراً من البدء على كل بني اخوته . ولما كان يستمر حافطاً على نوع ما السلطة
 عليهم فقد نال الملك اخيراً مبرئاً له واصبح على طول المدى شعب الله مخصصاً في
 سبطه وملكاً باسم . وتكاثر يهودا الشعب العظيم الذي وعد به ابراهيم واصبح يعقوب
 واستندامت به المواعيد الاخرى اي عبادة الرب والهيكل والذبايح والاحتفاء على
 ارض اليعاد التي لم تكن لتدعى الا يهودية لان اليهود فسروا عن احكامهم النهائية قد
 استمرروا جمعية واحدة وشعباً واحداً في مملكة واحدة منظمة راغبين لسنة واحدة . فلبث
 ملوك وقضاة واعيان يتولون امورهم الى ان اتى المسيح . ولدن ما ناه اخذت مملكة

* ١٩١ *

يهودا تندثر حيناً بعد حين وبعد ذلك تم دثارها وطرد منها اليهود ايسين من
 الابواب الى ارض ابايهم واصبح المسيح رجلاً الامم ومنتهى امامهم ملكاً يحكم شعباً جديداً .
 ورغبة في رعاية الخلافة والاتصال اقتضى ان يعلم الشعب الجديد في التديم حباً
 قال مار بولس ان الرتبة البرية اذا طمعت في الرتبة البستانية اصبح شريكاً
 لها في دسها . ولهذا اتفق ان الكنيسة المشيدة في بادئ الامر من اليهود قبلت في
 حجرها الامم لتصبح شجرة واحدة وجمعاً واحداً وشعباً واحداً وتشركهم طراً بمواعيدها ونعمتها .
 ولا تعلق اذ ذاك لكل ما حدث لليهود غير المؤمنين على عهد قسباسيانوس
 وتطوس بشعب الله بل ان ما طراً عليهم كانت كفتاب البنوديين الذين لسبب
 عصيانهم الابن الموعود به ابراهيم وداود لم يلبثوا يهوداً ولا اولاداً لابراهيم الا حسب
 المجد ولتد مجد المواعيد التي كانت مزعومة ان تكون بركة على كل الامم . وعليه
 ان البلية الاخيرة التي المت باليهود لم تكن كسبي بابل وليست كتوقيف الحكم والسلطة
 في شعب الله والخدمة في الدين لان الشعب الجديد الذي تكون وامتزج بالشعب
 التديم يسوع المسيح لم ينتل من اليهودية واخذ في الامتداد والهاء دون انقطاع من
 اورشليم حيث نشأ الى اطراف المسكونة واصبح حينئذ الام الذي اتخاذا الى اليهود
 اليهود الختيفيين ومملكة داود الختيفية يرضوهم للشرائع والنجيل يسوع المسيح ابن
 داود

وبعد ان تشيدت هذه المملكة الحديثة لا يعجب من دثار كل شيء في بلاد
 اليهودية لان الهيكل الاخير لم يعد يصلح لشيء بعد ان ام المسيح كل ما قيل بالانبياء .
 لانه قد نال الفخر الموعود به ما في المسيح المطلوب من الامم . وقد كانت اورشليم اتت
 كل ما كانت مندوبة اليه لان البيعة كانت قد تكونت فيها ومن ثم اخذت اغصانها
 تمتد في كل اطراف الارض ولم تعد اليهودية او اليهود من اعظام الرب او الدين . وقد
 كان من العدل ان يشعلوا في الارض غناً لتساق قلوبهم

وذلك نفس ما كان مزعماً ان يمل بهم في زمن المسيح تطبيقاً لما فاه به يعقوب
 وداوود وزكريا وجميع انبيائهم ولكن بما انهم يهودون يوماً ما الى المسيح الذي مجدوه
 وان اله ابراهيم لم يكن قد افرغ كل كوز رحمة نحو ذرية هذا الاب الامين فقد رأى
 وسيلة ليس لها من نظير في تاريخ العالم وهي ان يحفظ اليهود خارج اوطانهم



بدناهم ويقيم زماناً أطول من زمان الظاهرين عليهم لعدم وجود آثاره للآثوريين
الأقدمين والماديين والفرس واليونانيين والرومانيين لأن دناهم قد غنت واختلطوا
بالأمم الأخرى. أما اليهود الذين كانوا قريصة لحوالة الأمم المشهورة في التاريخ لبنا
بعدهم وإن الرب لم يرغمهم إلا ليجعلنا منتظرين ما هو مزعم أن يصنع بباقي هذه الأمة
البائسة بعد أن صلب عليها احساناً سابقاً ومع ذلك كانت قسوة قلوبهم وسيلة لخلاص
الأمم الذين يرون بين أيديهم الكتب المقدسة غير المرتاب فيها التي تبين يسوع
المسيح وأسراره. وما نراه أيضاً في الكتب المقدسة عنها الرعاية بكل اعتناء من اليهود
هو عي قلوبهم ومشافهم وعلى هذا تنبئ العبرة من مصائبهم. وعدم امانتهم اصبح ركناً
لما كنا لانهم بذلك يملكوننا مخافة الرب وقد صاروا انموذجاً موبداً لاحكامنا
الصارمة على بنيه المجاحدين وذلك لئلا نتفخر بالنعمة المعطاة لابائنا.

وقد يحتم علينا أن ندقق بالنقص عن السرا العجيب الذي يراعى بوجاهة الافادة
للتوحي الانساني وليس لنا حاجة لكلام البشر لكي ندركه لأن الروح القدس قد اراد
أن ينسزلنا ذلك بواسطة القديس بولس الرسول. فاملي وطيداً على أن تصيح لما قاله
هذا الرسول للرومانيين

فبعد أن تكلم عن يسير العدد من اليهود الذين اعتنقوا الانجيل وعن قسوة
غيرهم شرع يتفكر في ما يصير اليه الشعب المغمور بالنعمة الالهية فيكشف لنا بذلك
عن الشرع التي تجنيها بسقوطهم والعمرة المزمعة أن تنشأ يوماً ما من رجوعهم الى الايمان
فقال: «العل اليهود عثروا حتى يستطووا حاشا بل بزلهم حصلت الامم على الخلاص
لا غارهم فان كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للامم فكيف بالآخرى امتلاوهم.
لانه ان كان رفضهم هو مصلحة العالم فما يكون قبولهم الا حياة من بني الاموات.
وان كان الاصل مقدساً فكذلك الفروع. وان كان بعض الفروع قد كسر وقد كنت
انت زيتونة برية قطعتم فيها فصرت شريكاً في اصل الزيتونة ودمها فلا تتفخر على
الفروع فان اتفخرت فلست انت تحمل الاصل بل الاصل يحملك ولكل قول ان
الفروع قد كسرت لاطم انا. حسن انها من اجل الكفر قد كسرت وانت بالايمان
ثبتت فلا تستكبر بل خف فانه ان كان الله لم يبق على الفروع الطبيعية فلمه لا يفي
عليك انت ايضاً

فمن ذا الذي لانا هذه الرعة عند ما يستمع كلام الرسول وهل يمكن لنا أن لا نخشى
من انشقاق الرب اللاحق باليهود منذ اجيال عديدة فان القديس بولس بينهما من
قبل الرب قائلاً ان كفرنا سيجذب اليها عتافاً كهذا وبناً عليه فلتصيح لكلام الرسول
القائل: فانظر اذا الى لطف الله وشده اما الشدة فعلت الذين سقطوا واما لطف الله
فلك ان ثبت في لطفه ولا يفتطع انت ايضاً وهم ان لم يثبتوا في الكفر يقطعون لأن
الله قادر ان يطعمهم لانك ان كنت قد قطعت من زيتون بري بالطبع وطعمت
على خلاف الطبع في زيتون. يستأني فكيف بالبحري هؤلاء الذين هم فروع طبيعية
يقطعون في زيتونهم الخاص

وارتفع هنا الرسول فوق كل ما قاله ودخل في حجر مشورة الرب فقال فاني
لا اريد ان انا الاخوة ان تحملوا هذا السر لئلا تكونوا عند انفسكم حكماً وهواناً على قد
حصل لجانب من اسرائيل الى ان يكون قد دخل ملء الامم وهكذا يخلص جميع
اسرائيل كما كتب سيأتي من صهيون المنشد وبصرف النفاق عن يعقوب وهذا هو
عهدي لم حين ازيل خطابهم

فمن الاله قد نقلها القديس بطرس عن النسخة السبعينية حسبما كانت عادة
لانها قد كانت متعارفة في كل الارض. وانها لا قوى عبارة في النسخة الاصلية اذا
استقرت متصلة لأن النبي يتكلم أولاً عن ارتداد الامم ويقول ان القاطنين في الغرب
يحافون اسم الرب والقاطنين في الشرق يرون مجدك ثم رأى الشعيا عن بعد الاضطهادات
التي توكل لئلا البيعة كبر مقتض مغوار ثم كشف له الروح القدس عما هو مزعم
ان يحمل في اليهود فقال وباني لصهيون القادي وللذين يتوبون عن الوثن في يعقوب
يقول الرب هذا عهدي معهم يقول الرب روجي فوك وكلامي الذي جعلته في
فمك لا يبرولان من فمك ومن فم نسلك ومن فم نسل نسلك يقول الرب من الان الى
الابد

فيبين لنا النبي بنوع صريح ان المخلص الذي لم يعرفه صهيون وقد مجده بنو
يعقوب سوف يأتي بعد ارتداد الامم اليهم ويخضعهم الانام. ويصح لم ادراك النبوات
بعد ان كانوا قد فقدوه زماناً مديداً. حتى ان هذا الادراك تعاقب من يد الى يد
في الاجيال كافة حسبما يشاء الرب ويكون هذا الحادث العجيب. وعلى هذا



سوف يودع اليهود وبعد ايامهم لا يعودون بصلون الى الابد ولكن لا يؤمنون الا بعد ان يتلى الغرب والشرق او بعبارة اصح بتلى الارض كلها من خوف الرب ومعرفته وابان الروح القدس للقدس بولس ان رجوع اليهود موقوف على محبة الرب لا باهم ولهذا تراه يتم ما قاله بهك الكلمات :

اما من جهة الانجيل فهم اعداءكم واما من جهة الانتخاب فهم احباة من اجل الآباء لان مواهب الله ودعوته في بلا ندامة. فكما انكم كنتم حيناً باله وتلم الآن رحمة من اجل كنتم قد شاء الله ان يتجنّبكم لتكونوا بنائبهم كذلك هؤلاء ايضا كنتم الان لاجل رحمتكم حتى بنالوا م ايضا رحمة لان الله اغلق على الجميع في الكفر ليرحم الجميع ورحم بشعر الجميع بالاحتياج الى نعمته فيالغنى الله وحكمته وعلو ما اعد احكامه عن الادراك وطرقه عن الاستقصاء من عرف فكر الرب ومن كان مشيراً ومن سبق فاعطى له فكافأ . ان كل شيء هو منه وبه والى فلما لمجد مدى الدهور آمين

ذلك ما قاله القديس بولس بشأن انتخاب اليهود وسقوطهم واباهم ثم ارتداد الامم المدعوين ليكونوا بنائبهم ويردوهم في اخر الاجيال للبركة الموعود بها ابائهم وفي يسوع المسيح الذي مجده وبين لنا ايضا هذا الرسول انتقال نعمة الرب من شعب الى اخر لكي نأخذ الرعدة كل الشعوب عند فقدانها ويثبت لنا ايضا قوة هذه النعمة التي بعد ان ردت الامم استأثرت لمنعولها الاخير بان يكتب كثر اليهود ويردع خبيثهم ومكرهم

وبسبب مشورة الله السديدة بقي اليهود في وسط الامم حيث لعبت بهم ايدي الفتنين وهم تحت اثنال الاسر الآتهم لبثوا على حالتهم المردولة فاقددين لسبب كنتم المواعيد التي اعطى ابائهم اياها ومحالين عن ارض المعاد ولم يكن لهم من ارض يروثونها بل استمروا عبيداً ابان رحلو واين حلوا لاشرف لم ولا حرية ولا هيئة شعب .

وكابدوا تلك الاحوال ثمانى وثلاثين سنة بعد ان صلبوا المسيح واستخدموا الزمان الذي اعطى لهم ليرعوا عن اغوائهم ويهربوا بان يرفعوا الرسل ويضطهدوهم . وفي غضون ما كان الشعب القديم مردولا لسبب كنتم كانت الشعب الجديد اخذ في الغالب . يوماً بعد آخريين الامم . وقد انفصلت المعاهدة التي عاهد بها انفا ابراهيم حسب

المعاهد بكل الشعوب الذين كانوا قد نساوا الرب لان البيعة المسيحية تدعو اليها كل البشر . ولما كانت مستحكة في معمة العذاب مدة اجيال عديدة ابانت للبشر ان لا يطلبوا السعادة على الارض .

فهاك باسدي ثمة معرفة الرب ومفاعيل هذه البركة العظيمة التي ينبغي ان ينظرها العالم يسوع المسيح فكانت على القوار تحمل على بيوت مشايعة وشعوب متواصلة وكاث البشر ينتدون من يوم الى اخر فيشعرون بما وصلوا اليه من الفضلة بعبادتهم للوثان . ولقد كان المسيحيون يغيرون هيئة العالم ويتبدلون في كل الاصناف فصار عن قوة الرومانيين دون ان يمددوا او يثربوا بل كانوا يتجشون كل انواع العذاب .

وسرعة هذا التغيير المخارقة العادة هي عجيبة ظاهرة فان يسوع المسيح كان قد تنبأ ان الهجة بنذري في كل الارض وتمت هذه النبوة حالاً بعد موته وكان قد قال ودافا رقتهم ابن الانسان اي ان صلبه سوف يستعمل اليه كل شيء ولم يكن الرسل اقربا مسيرهم الا قال ماربولس للرومانيين ان ايمانكم يشربه في العالم باسره وكان يقول للكلوسيين ان الانجيل يبشرو في كل مكان

وقد وصل اليكم كانه قد وصل الى العالم كله الذي يثربو ويثربو . ومن التحدث في التقليد ترى ان القديس توما قد انذرو في الهند وسائر الرسل في البلدان العاصية وليس بتيسر هذه الحقائق من حاجة الى التواريخ فان الاعمال تبينها صريحاً ومن هنالك يتضح مطابقة كلام القديس بولس للرسل باستناده على مزمار النبي : سب في كل الارض خرج منطهم وفي اقطار المسكونة انبت كلامهم

وفي زمان الرسل خلفهم لم تكن بلاد قاصية وسكونة الا بشر فيها الانجيل فبعد ان مضى على موت المسيح مائة من الاعوام كان القديس جوستينيانوس بعد من زمره المؤمنين كثرين من البربر وكثيرين من الفحل الرجل الذين يترحلون من مقرر الى اخر على عجالات وليس لهم من موطن مقرر . وليس ذلك من نوع الفلو والمبالغة بل امر مقرر كانوا يبرزونه وتشد لدى الملوك والعالم كله واتي بعد ذلك بقليل من الزمان القديس ابرينوس وزاد عدد البيعة وكان الاتحاد عجباً لان ما كان يعتقد في سيفه غالبا واسبانيا وجرمانيا كان نفس ما يعتقد في مصر والشرق وان لم يكن في العالم



* ١٩٦ *

الانيس واحدة لم يكن يرى في الكنيسة من اقصى العالم الى اقصى الانور حثيفة واحدة وكلما ازدلف المرء قليلاً يأخذه العجب والدهشة من النجاح الذي كان للبيعة . ففي وسط القرن الثالث بين نرتوليانوس اوريجانوس ان شعوباً برمتها قد انحازت الى البيعة ولم تكن منها وإن الذين كانوا قاطنين في اقصى العالم المعروف لم يحسمهم اوريجانوس منها لكنا اني من بعده ارنوب فهم الى موطنها

فعلى ايدي شيء عثر العالم حتى سارع منها قسراً على يسوع المسيح فاذا كان عثر على بعض من الاعاجيب فيكون الرب قد تدخل بنوع صريح في ذلك العمل وان لم تكن في ذلك الحين حدثت امامهم اعاجيب فارتدادهم وقشعر من اكبر الاعاجيب واعظها ودخول فيالحق حجة في اسرار سامية وان رضوخ عدد غفير من العلماء واتباع اناس لا يفتقون باشيء عثر الصديق لمن الغرائب والعجائب

يبدان عجيبة العجائب ان ساغ لنا القول في ان الفضائل السامية والاعمال الشاقة قد كثرت والايمان بالاسرار في العالم قاطبة فان تلاميذ المسيح خطوا خطوات سبدهم في الطرق الشكة فقد كانوا معرضين لكل شيء في سبيل المحيطة ومتفتين آثار مخلصهم وكانوا يقدمون على الملأ جنلاً وفرحاً أكثر منه على الملأ

ولا يمكن لنا ان نحصى اولئك الذين افترقوا حباً بسد مغب المعسرين . ولا اولئك المبتسئين الذين اثروا الفقر على الغنى ولا العذارى البارات اللواتي تسنن على الارض بالملانة ولا الرعاية المتشعرت الذين كرسوا ذواتهم خدمة للجميع وقد كانوا دائماً لا يتجدون اللبالي بالعباء والسهر باذلين نفوسهم حباً بقطاعاتهم . ولقد كانت التفشقات والندامة في اعلى ذروة من السيادة فان القضاء وقتئذ لم يكونوا يقضون على المجرمين البائسين بأكثر مما كانت الاثيمون يقضون على نفوسهم وقضلاً عن ذلك فقد كان الابرياء هم اقربون نفوسهم بقوة عظيمة بسبب الميل الفاسد الذي يحملنا على الخطية . وقد اصبحت حيرة القديس يوحنا المهدا الذي بدت عجيبة بين اليهود ذائعة بين المؤمنين فامتلات السباب والفقر من الذين اقتنوا آثاره وكثرت السالك حتى ان الذين كانوا يطلون الكمال الاعظم قد كانوا يتوغلون في وهاد الارض . ولقد كان جم غفير يعتزلون عن العالم ويلتذون بالحياة الرياضية والروحية بواسطة سكهم القفار هناك القار السجينة التي نجحت من الانجيل فان البيعة لم تكن اقل غنى بالامثال من

* ١٩٧ *

التعليم فان تعليمها قد بدا مقدساً وانشأ زرعاً كبيراً من القديسين وان الله الذي يوعران الفضائل السامية لانتهم الا بنجتم المشاق الويلة قد شاد بيعته على الاشهاد واراد ان تلبث على تلك الحال مدة ثلاثة اجيال دون ان تخامرها راحة ولما ابان باختيار مديد عدم احتياجه للمساعدة البشرية والسلطة الدنوية لاقامة بيعته دعا اليها الملوك واقام قسطنطين الاكبر ذاتاً عنها ومحامياً . فعند ذلك توافدت الملوك من كل صقع ونادى للبيعة وكل ما قاله الانبياء عن مجدها قد تم امام العالم كله .

وكا ان البيعة لم تنعم ايدي العدو الخارجي كذلك لم توقع بها الانقسامات الداخلية سواها . فقد بدت البدع التي تنبأ عنها المسيح ورسله واخذت تضطهد البيعة وعلق المبتدعون بناصيون اكثر مما كان بناصيا الملوك ومع ذلك لم يضيق ذاك الاضطهاد عليها الا بعد ان انتفضت مناصبة الوثنيين لان النجيم في ذاك الحين افرغ ما عده من القوة ليعلل ابناء البيعة بناصيون بعد ان كانت اركانها قد توطدت بتدبير ابصار اعدائها الفاضين عنها اليها . فلم تلبث ان استكتت وظنفت فتمتع بالراحة التي نالها في عهد الملك قسطنطين الا بدأ اريوس الذي يباهيها بامور ويلة لم تكن اذ ذاك الحين تجسدها واخذ قسطنطين بن قسطنطين الملك يرفق الكاثوليك في كل الارض فان الاروسيين كانوا قد خالوه والنجوه الى تثبيت بدعتهم فاخذ يضطهد المسيحيين اشد الاضطهاد وهو يوجه عليهم الحرب باسم المسيح فوفت البيعة المجترقة تحت سلطة جوليانوس المجاهد الذي استخدم كل الوسائل لانلاف الدين المسيحي ولم ير له من ذريعة لتنبه ذلك الا بان يثير الاحزاب التي كانت تناصبه وخلفه فالانس الجائع الى الاروسيين قسطنطين لكه كان اشد منه عنوا وجورا

وقد دب الحقد في قلوب بعض الملوك سواء ففنا اثره بالعطوف الى بدع اخرى والذود عنها . فشعرت الكنيسة بالاختبار ان يقضى عليها بان تنكبد مشاق على عهد الملوك المسيحيين ليست باقل ما تنكبدته على عهد الملوك الوثنيين وراث ان من النعم عليها اوراق دم بنينا للدفاع عن تعليمها او بالاحرى للذود عن كل قاعة منه . فلم يكن بد من بنوده خالياً من تصويب سهام بنينا عليها لان كثيرين من المشيعين نزحوا من مجرها ناكبين ذمامها واخذوا يطارحونها . لكنها واث راقم قد



قاموا ضدها يناوشوها فقد رأيتهم كما قال المخلص مدحورين قسراً عما ضافهم الملوك
العظام . وإما أبناؤها المتخفون فقد كان ذلك الامتحان كافياً لتثبيت ايمانهم وذلك
كما قال القديس بولس . ان الحق نثبت اذ تعرض لناوشة وليست البيعة غير مزعومة

الفصل الحادي والعشرون

في بعض ملاحظات خاصة باليهود ونبوءات يسوع المسيح

يها كنت عاكفاً على ان ارفع لدى جلايتك الربا عن تسلسل ما رآب الرب في
ادامة شعبه بالتواتر تحت على حوادث كثيرة ذات بال تستلقت اليها الانظار فليكن
منسوحاً لي ان اعود ارفع عنها حجاب الغموض فتقف اذ ذاك على حقائقها .

غير اني احقق الامل بان تعبر بتوقع خاص سنوط اليهود فأت كل ظروفه
تتوكل لتثبيت الانجيل . وقد اتصلت اليها بواسطة مؤرخين من اليهود والوثنيين يوثق
بهم كل هذه الحوادث التي اراد الرب ان تكون ذريعة لسقوط اليهود . وان لم ينهم
هؤلاء المؤرخون مقاصده .

فلم تزل ابدىاً نداول مؤلفات المؤرخ يوسيفوس اليهودي العالم باحوال امته
فانه قد اساد بلاده بنا كلفه الموعزة الى اثار اليهود القديمة وما كتبه فيها كلام مذهب عن
الحرب الاخيرة التي كانت علة لدثار تلك الامة وقد كانت هو نفسه يشهد منها بحكم
الوطن بما مورية خطيرة .

وكتب اخرى قديمة عند اليهود تطبق على ما ذكرناه لان عندهم شروحا قديمة على
الكتب المقدسة من حملتها شروح بالكلدانية في ذيل توراتهم ولم تكتف بدعوتهم
العلوم اي التعليم براعون حرمته كالكتاب المقدس وهو يطوي على مقالات واحكام
قام بها العلماء الاقدمون وان تكن اجزاء ذاك التاليف ليست من قرن واحد فان
المؤلفين المذكورين فيه اخيراً قد كانوا في اوائل سجل الكتاب المقدس وفيه نرى
اثاراً حسنة في مقاليد اليهود القديمة وبرامير قاطعة لاتناعم وان يكن فيه خربلات
عديدة الا ان اكثرها كان بعد المسيح

ومن الامور المحزنة ان الانتقام الاثني لم يهبط اليهود اكثر منه عندما اندشروا اخيراً

وذلك يثرون به عياناً .

ومن الاحاديث الصحيحة المذكورة في العلوم والمدينة من جميع الرابطين ان اشياء
غريبة كانت مستهزة الضياع قبل دثار اورشليم باربعين سنة اي في عصر ينطبق على
شك موت المسيح . وقد كانت معجرات متوالية تحدث في الهيكل يوماً بعد يوم فالتجأ
احد الرابطين المشاهير الى ان يهتف ذات يوم قائلاً يا ايها الهيكل يا ايها الهيكل
علام تضطرب وعلام تخيف نفسك بنفسك

وهل من امر جلبي لدى الجميع اكثر من ذاك الدوي الذي سمعه الكهنة في
بيت المقدس وقت عيد المظال وذلك الصوت الجهوري الذي خرج من الهيكل هائلاً
فلترجحن من هنا فلترجحن من هنا واعان الملائكة القديسون الذاتية عن الهيكل
انهم يقادرون وما ذلك الا لان الرب بذله بعد ان كان قد جعل فيه مقامه اجيالاً
مديدة .

وقتل يوسيفوس المؤرخ وتاسوس الروماني نفسه ذلك الحادث الغريب وشعر به
الكهنة وحدهم ولكن قد بدا لدى الشعب طرأ حادث آخر لم يتأت لاحد الشعوب
ان يرى مثله وبيان ذلك هو ان يوسيفوس المؤرخ يقول ان احد القرويين هتف قبل
احتدام نار الحرب باربعة سنوات قائلاً : صوت خرج من الغرب وصوت خرج من
الشرق وصوت خرج من مهاب الرياح الاربعة صوت ضد اورشليم وضد الهيكل وصوت
ضد الذين تزوجوا حديثاً واللواتي تزوجوا حديثاً وصوت ضد الشعب كله ومن ثم
استمر بصرخ ليلاً ونهاراً الويل الويل لاورشليم وكان يضاعف صراخه ايام الاعياد
غير متفرق بكلمة اخرى عدا ذلك ولم يحجب احداً من كانوا يسمعون عليه ومن كانوا
يلعنونه او يمسنون اليه الا هذه الالفاظ الرهيبة وهي الويل الويل لاورشليم قالني عليه
الذي وحكم عليه القضاة بان يجلد بالسباط فكان يجيب على كل سؤال يوجه اليه ولدى
كل جلدقة تلم يودون شكوى بالكلام ذاته اي الويل الويل لاورشليم فيسوا منه
والطائف معتقدين انه معنوه . فدوخ القرى والدياكر وكررتك الالفاظ الرائعة وليست
على ذلك المنوال مدة سبع سنوات دون ساقمة او ضمير .

وحينما كانت اورشليم مضيقاً عليها محاصرة كان داخلها يتطوّر حول اسرارها
صارخاً بجهر الصوت الويل الهيكل الويل للمدينة الويل للشعب ثم قال الويل لي



* ٣٠٠ *

فعد ذلك فاجأ، حجر كبير مرشوق بالمخيق فصرعه على الأرض قتيلًا
فيا سدي من ذا الذي لا يوقن عند مرآة ذلك المشهد ان الانتقام الالهي بدأ جليًا
في ذلك الانسان الذي لم يكن الا ليقفه باحكام الرب الذي ابعثه قوة واقتدارا لكي
يعدد بصراحة مصائب الشعب وهلك اخيرا بحكم ذاك الانتقام الذي اندربه منذ مدة
مدبرة قبل وقوعه . وما ذلك الا ليعلمه عبيداً وسينا ليس لانه تنبأ عنه وقرره مراراً بل
لانه اصبح ضحية له ايضاً .

فالذي الذي تنبأ بمصائب اورشليم يدعى يسوع ويضع من ذلك ان اسم يسوع اسم
الخلاص والسلام مزعوم ان تحول لليهود الذي لم يعبثوا به في الخلف دلالة سيئة عليهم
واما اولئك المجاهدون الذين نبذوا وراء ظهورهم يسوع الذي اندرهم بالنعمة والرحمة
والحيوة فقد بعث الله اليهم يسوع اخبريندرم بمشاق وبيلة لا ينبغي بها دواء وبوشك خراهم
الذي لا يحصى منه ولا مناص .

فلنص اذاً في عباب احكام الرب بنور كنيته المقدسة . وسرى ان قد قضى على
اورشليم والمهيكل بالذمار مرتين مرة في عهد مختصر الملك واخرى في عهد تيطس . وفي
ذبتك العديدين لم يبدُ عدل الرب بالطرق نفسها وان يكن حقيق في الذمار الاخير
حقاً بينا

ولكي تدرك تسلسل ما رآه الرب ينبغي في بادى الامر ان تتوكل على الحقيقة
المكررة في الكتاب المقدس وهي ان من عاده قضاء الانتقام الالهي ان يسلط علينا
شهوئنا المرذولة فننتوح بالمفساد فنصنع صفاً عن نصائح الحكمة وعمياً عن روبة الطرق
المنفوخة امامنا المودعة الى التقيية وموهبين لان نعلم نفوسنا لكل ما بلقي بنا الى التهلكة
وبخائل شهواتنا بالدهان والندليس فتثبت على كل عمل مجرأة غير موازين قوتنا مع
قوى الاعداء الذين اغضام الرب يسبح بكل ذلك عناباً على ما افترقنا من الجرائر
وعلى ذلك المنوال كان ذمار اورشليم وملوكها بيد مختصر ملك بابل فتكادوا به
صاب الويل ولهذا شعروا مراراً بان اثارهم تعود عليهم بالقتل والنكبات فدناوا له
مقربين . وكان ارميا يوعز اليهم من لدن الله ان الرب فوض امرهم لهذا الملك وان
ليس لهم فرج الا بان يكونوا له صاغرين ويحملوا اثقال نيره . فقد كان يتاجي صدقيا
الملك وشعبه قائلاً طاطوا رؤوسكم تحت نير ملك بابل وادوا له العبادة تقيوا . علام

* ٣٠١ *

نوت انت وشعبك وعلام تنبل هذه المدينة خراباً فلم يثقوا بكلامه . وبينما كان مختصر
يضيض عليهم في المدينة مكتنفهم بمرسات عظيمة كانوا يثقون بالانبياء الكذبة الذين
كانوا يدعونهم بان الصريباتهم عن قريب فقد كانوا يحاطبونهم باسم الرب مدعين
انهم مرسلون من لدنه قائلين . اني سمعت نير ملك بابل وانامن الان الى سجين اردوا الى
هذا المكان جميع اية بيت الرب التي اخذها مختصر .

فجذب الشعب هذه المواعيد الكاذبة وعلقوا بمجتهلون مفاضة الجوع والظاء والمشاق
الكليّة واقضت بهم الوقاحة الى ان لا يبقى لهم لدى الظاهر عليهم رحمة ولذلك اندثرت
المدينة وحرقت الهيكل واصبح كل مستاصلاً

وقد كان من ذلك ادلة بيّنة تدع اليهود بشعرون بان يد الرب تدهمهم . ولكي
يبدولدهم انتقام الرب صريحاً في دثار اورشليم الاخير كما بدا لديهم في دثارهم الاول
عثرنا على الغرور عمو والوقاحة نفسها وعثرنا القلب ذاته

وان يكن تدهم صوب عليهم الاسلحة الرومانية وابدوا من الوقاحة شيئاً عظيماً
ليزحروا عن عوايتهم نير الرومانيين الدائنة له الارض باسرها فلم ينصد نيجوس دثارهم
بل انه وداً مراراً ان يعاملهم بالرفق والثودة ليس في ابتداء الحرب فقط بل بعد
ان رأى ان لم يبق لهم من يك مفراً لانه كان قد اخذ عنوة حول المدينة سوراً باذخاً محصناً
بمرسات وقلاع امنع من قلاع المدينة لما بعث اليهم يوسيفوس وطهيم احد رؤساء
شرطتهم وكهنتهم اذ كان اسره من بينهم وهو يدافع عن وطنه . فاخذ يحضهم على الرضوخ
فلم تسمع بهم نصائحهم وقد ابرز اليهم ادلة قاطعة على وجوب طاعتهم فانباهاهم ان السما
والارض مخالفتان على تنكيلهم وان دثارهم بالعناد من الامور التي لا تدح منها . وان
نجاههم موقوفة على رحمة نيجوس وناداهم بجهر الصوت قائلاً انفضوا المدينة انفضوا ونفوسكم
انفضوا هذا الهيكل العجوبة العالم الذي يرعى الرومانيون حرمة ويود نيجوس نفسه ان
لا يراه منقوضاً الا باسف عظيم ولكن ما الجملة في انفاذ اناس يثابرون على ان يصرخوا
على هلاكهم فان انبياءهم الكذبة كانوا يطغونهم ولذلك لم يصحوا لاقوال ذاك الرجل
ونصائحهم . وقد كانوا في ازمة شديدة لان كثيرين منهم كان لهم بهم الجوع الشديد فكان
يبنى منهم أكثر من الحرب وقد افضى بهم الامر الى ان الوالدات يأكلن اولادهن
فقطط عليهم نيجوس رائياً واقسم بالهوان انه لم يكن علة لدثارهم . وفي اثناء المشاق التي كانت



* ٢٠٢ *

تناصهم كانوا يعتقدون بالانبياء الكذبة التي كانت تعدهم بالاستيلاء على العالم وفضلاً
عن ذلك اتهم راوان المدينة فخلصت من يدهم عنوة وشيت فيها النار من كل
جانب ولم يبرعوا عن اغواهم بل لبوا بصيغون لاقوال الانبياء الافاكين الذين كانوا
يغروهم بالمداخلة بمجملهم على اليقين بان يوم انقازهم قد حان فلبوا على ذلك والرحمة
عنهم قاصية فقتل الفاتح اذ ذاك منهم خلقاً كثيراً بعد الحسام وقوض المدينة من
اركانها ولم يبق سوى بعض قلاع يستقيمها آثاراً للاجيال التالية فهوت اورشليم ولم يبق
منها حجر على حجر

فانك ترى ياسيدي ان ما حلّ على اورشليم من النكبات والمصائب في ايام حزقيا
قد حلّ نفسه عليها الان وان تيقنوس لم يكن الاّ بلاغاً من قبيل الرب كيقنصرلهلك
اليهود بالكيفية نفسها فاننا نرى في اورشليم العصيان نفسه والجوع عنة والاذمة ذاهبا
وسايط نجايم ذاهبا وعين الطغيان وذات التمورثس العناد ولكي تكون المضاهاة
تامة بكل الوجوه حرق الهيكل الثاني في عهد تيقنوس في الشهر والنهار الذي حرق
فيها في عهد يقنصر وكل شيء كان قد كتب عن ذلك آنفاً ومع ذلك لم يتبه
الشعب لوعيد الله وانذاره .

الا ان بين دثاري اورشليم واليهود بوياً عظيماً وكل هذا الاختلاف بين ان الدثار
الاخير قد تمّ بصرامة غريبة بانتقام الرب فانّ يقنصر اضرم النار في الهيكل اما
تيقنوس فقد استخدم اكثر الوسائل لرعايتو غير مبال بهما تنوّه يولديه اعضاء مجلس
الشوروي قائلين ان لم تقوض اركان هذا الهيكل فاليهود يستمرون على التمرد والعن
لكن لما انت الساعة النعيمة ابي اليوم العاشر من شهر آب وهو الوقت الذي حرق
فيه هيكل سليمان احرق هذا الهيكل المستكرم احد جنود الرومانيين وقد حمله على ذلك
وحيّ الاهي كما قال يوسيفوس المؤرخ وبانه ان نفراً من ارفاقه اصعدوه الى نافذة
الهيكل حيث اتى النار قسراً عن تعزيم تيقنوس لذلك امام جميع الرومانيين واليهود
وقسراً عن جنوح الجنود الطيبى الذين كانوا يودون ان يسلموا منه ما كان فيه من
الاشياء الثمينة اخرى من ان يجرقوها فاذا علم بذلك تيقنوس اسرع حالاً وامر بان تغمد
النار في جميع شيء ما استعمله من الوسائل فان النار اضطربت يوم من كل جانب
وحولت ذاك البناء العظيم الى رماد .

* ٢٠٣ *

فان كان عناد اليهود في عهد الملك دليلاً على منعول انتقام الله الريحب عليهم فكذلك
بالاخرى عنادهم في عهد تيقنوس الملك فقد كان اليهود وقت حصار اورشليم الاول
متوافين على الاله وتائب القلوب اما وقت ان دثرها الرومانيون اخيراً كانت قلوب
اهاليها متنافرة موجبة قسمة الشقاق . فكانت تغرق بذلك امعاءها ولم يكن عند
قاطنيها حتى على الرومانيين مثلاً كانوا يحفنون على بعضهم ويتهافنون على المباغضة .
ولهذا لم يتجدد في المواقع الخارجية قتلى منهم يتندار ما يتجدد في المواقع الداخلية لانهم
بعد ان كانوا يحالون الاعداء عن اسوارهم اندفعوا على بعضهم وعلقوا يتبارون بسنك
الدما . وكان يهاذب المدينة طرفان من الجور والسلب فعلت بها عوامل الخراب
واصبحت كقناع صنف مغطى بمشيت الفتى وغدا رواساً وما يتنازعون على السلطة
واصبحت حالها نضاهي حالة النجم حيث التكر واللبلة والرجز . والابالسة يودون قلى
اعدائهم وهكذا كان الحال كون في اورشليم فانهم كانوا يجهدون في سبيل المباغضة

فليقن ياسيدي ان انتقام الرب من اليهود يقنصر هو صورة انتقامهم منهم بتيقنوس
فل من مدينة شاهدت هلاك احد عشر كوة من سكانها بحصار واحد مدة سبعة
اشهر

فهاك ما شاهدته اليهود في حصار اورشليم الاخير فلم يجملهم الكلدانيون شيئاً مثلاً
لان سبأهم عند الكلدانيين لم يستمر اكثر من سبعين سنة اما بعد حصار اورشليم فقد
بادتهم النابات ستة عشر جيلاً وهم يتنون تحت اوقار العبودية في العالم كله لا يجدون
لم من يرحح عن عواقبهم الاّ قتال الباهظة او يخففها قليلاً . ولاغرو من ان تيقنوس قد
رفض تبارك الشعوب المجاورة على انتصاره ونيز ما اسدوه له من التيجان والمكرامات
على ظفره فان الظروف الغريبة وحقق الرب العظيم على اليهود وبده التي تنك ظاهره
عليهم حمقه على العيب من كل ما جرى وبعبته على ان يقول انه ليس بظاهر بل هو
آلة في يد غضيب الرب

ولم يكن يمدرك ذاك السر لان الساعة الموقفة عليها معرفة الملوك الرومانية
بما في المسح لم تكن انت الى ذاك الوقت بل كانت ذلك الوقت اضطهاد البيعة
واذلالها ولذلك لم يعرف تيقنوس الجريح التي يعاقب الرب اليهود عليها وان يكن قد
عرف ان اليهودية درست بحكم من لدته تعالى فعلة هذا الانتقام هي اكبر الذنوب وهو



* ٢٠٤ *

ذنب لم يسمع يوا الى ذاك الوقت اي قتل الم
ولقد تسبب بوا انقام لم يزل في العالم مثل . بيد اننا لو حدثنا الى الامور يعيون
البصرة وتخربناها حق القري لما ندعنا العلم بعناب اليهود وجرمتهم الكبرى .
فلتذكرن كلام المسيح حقا تنبا لم عن دنار اورشليم والميكل فائلا لا يترك هنا حجر
على حجر الا ينقض وكان قد تنبا لم عن حصار هذه المدينة المجاهدة وما سيجي بها من
الاسوار وان بنينا نعمل بهم ايدي البومس فيتضوون جوعا وان انبياء كذبة يطقونها .
وكان قد حذر اليهود ان ايمان اهلهم قريب ولوعز اليهم بادلة قاطعة تشعربا
حلولا وابان لم تسلسل آتاهم التي انسبب لم تلك العقابات الرائعة وقصارى الكلام
انه كان قد اسلف لم عن تاريخ الحصار وغوائله ودنار اورشليم
فاعلم باليدي انه تنبا لم عن كل ذلك وقت الامور جاء ان لاندب عنهم
علة نكبتهم لانه كان في مقربة من اعناو حين قال لم . ها انا ارسل اليكم انبياء
وحكماء وكتبه فتمهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تعبدون في مجامعكم وتطردون من
مدينة الى مدينة لكي ياتي عليكم كل دم زكي يسلك على الارض من دم هامل
الصديق الى دم زكريا بن بركيا الذي قتلوه بين الهيكل والمذبح . الحق اقول لكم
ان هذا كله سياتي على هذا الجيل . يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين
الهاكم من مرة اردت ان اجمع بنيك كاتجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تر يدي
هوذا يترك يترك لك خرابا .

فهاك تاريخ اليهود فاتهم عهدوا المسيح في شخصه واخاوا واثاروا كل الارض على
رسلا ولم يدعوا لم راحة في اية مدينة كانت وقد حملوا الرومانيين وملوكهم على ان
ينفذوا السلاح على البيعة الجديدة ورجعوا القديس اسطفانوس بالهجرة وقتلوا يعقوبين
الذين كانا على جانب عظيم من الطهر والنفى فاكتسبا مراعاة الحرمة حتى لديهم وذبحوا
القديسين بطرس وبولس بسيف الامم وذلك كان ذريعة لهلاكهم لان ما اهرقوا من
ذلك الدم ودم الانبياء صارخ من لدن الرب بالانقام لتصبح بيوتهم ومدائنهم كلها طامسة
دارسة ولا يكون دنارهم اقل من انهم وكان يسوع ينذرهم ان وقت ذلك قريب وان
هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله اي ان المعاصرين سوف يشاهدون كل ذلك
اما الآن فاصح لما انيتك بوعا بقي من نبوة فادينا لانه عندما كانت مقدما على

* ٢٠٥ *

اورشليم قبل ان مات بقليل من الزمن عطف فواده شفقة اذ رأى ما سيجل عليها من
الويلات والمشايق بسبب الامور فرنا اليها باكتها وقال :
لوعلت انت ايضا في يومك هذا ما هو لسلامك لكه الان خفي عن عينيك
انها ستاتي عليك ايام يحيط بك فيها اعداؤك بترسك ومحاصرونك ويضيقون عليك
من كل وجه ويهدمونك وينوك فيك ولا يتركون فيك حجرا على حجر لانك لم تعرفي
زمان افتقادك

فيها الكلمات اوعز صريحا الى كيفية الحصار وغوائل انقام الرب الاخيرة لكن
لم يكن يقتضي ان المسيح يذهب للذاب قبل ان ينقل على اورشليم بالنصا الذي
تعمله لعمامتها اباه سوء المعاملة فانه لما كانت حاملا على غائفو صليبه وهو ذاهب
الى جبل الجبلية وكان يقفوه ليف كبر من الشعب والنساء اللواتي كن يلعن
ويغن عليهن فحانت منه اليهن الفتاة قائلا

يا بيات اورشليم لا تبتكين علي بل ابكين على انفسكن وعلى بنيكن فها انها تاتي
ايام يقال فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والفدي التي ترضع
حينئذ يبتدون يقولون للرجال اسطفي علينا ولاكنا غطينا لانهم اذ كانوا صنعوا
هذا بالعود الرطب فاذا يكون باليابس . ان كان بهذا يتعذب البري الصديق فباذا
يتعذب الخطاة

هل ربي ارميا دنار اليهود باكرشدة من هذا وهل كان يمكن للخطى ان يستعمل
غير الانفاط باكرشدة ووضوح لينهم على مشافهم وباسهم فقد اوعز اليهم عن الجوع
المدقع انه يهلك بينهم ونساءهم اللواتي نصبت ائداوهم ولم يبق لمن سوى العويل
بينه اولادهم واللواتي الجأ من الجوع الشديد الى ان ياكلن ثم يملون .

الفصل الثاني والعشرون

في ان نبوءة يسوع المسيح الشهيرتين يتضحان بتتبعها وبشهادة التاريخ
ان النبوءات التي اتينا بالبناء عنها قد تنبا بها امام الشعب اما التي لم يتفق بها
الا امام تلاميذك فانها ذات بال لا مندوحة من استلقات الاحداث اليها وانهم لو خذ من



* ٣٠٦ *

كلامه عن دثار اورشليم وديار العالم قاطبة ولم يكن ذاك الوثائق دون سررها في غايته .

فان مدينة اورشليم الطوباوية التي اصطفاها الرب وظالما مكنت تنتظر الميعاد والعهد قد كانت رمزا الى الكنيسة والماء حيث يبدو الرب لدى بنيو ولذلك نرى من الانبياء كثيرين قد ضمو ما بناط باورشليم الى ما بناط بالكنيسة والجد الايدي وذلك في اثناء خطاب واحد وهو من اسرار النبوءات ومفاتيح افهامها واما اورشليم المردولة المجاعة مخلصها فهي رمزا الى جهنم وسكانها الخائفون هم كالحالكين وقضاة المسح عليهم موروث قضاة على كل الارض اذ بان في آخر الاجيال بكل عزو ليدين الاحياء والاموات ومن دأب الكذب المقدسة والوسائل التي تقوم باعبائها لترسخ الاسرار في عقولنا ان نرجع في التعليم الرباني بحقيقة وعلى ذلك مزج مخلصنا تاريخ اورشليم وخرابها بتاريخ انتصاء العالم وذلك يبدو في الخطاب الذي عليه يدور محور كلامنا لكن لا نخال ان كل هذه مزوجة ببعضها حتى انه لا يمتاز ما بناط بكل منها بل ان المسح قد ميز كلاً بصفات خاصة يمكن ايجازها ولكن يكفي ان ايقن كل ما بناط بدثار اورشليم واليهود .

واذ كان الرسل مكتشفين يسوع نحو الامم كانوا يديرون الى الهيكل وما حوله من الابنية معجبين جداً من مناعة البناء ونظامه وحسن حجارته فرأى اليهم المخلص واخذ يقص عليهم قائلاً انظروا هذا الهيكل الحق اقول لكم لا يترك هنا حجر على حجر الا ينقض فتعجبوا من كلامه وسألوا متى يصير كل هذا اما هو فاذ لم يتأ ان يجعلهم يلقون في اورشليم لدى دثارها اخذ يبينهم عما سيتوارد عليها من المصائب على التتابع لانه اراد ان يكون انفصال الاخبار عن الاشرار بخراب المدينة رمزا الى الانفصال الذي يحدث في الزمان الاخير فقال لم سوف تكون اوبة وجماعات وزلازل في اماكن شتى ومصادفة على ذلك فقد قال المؤرخون ان تلك الحوادث الوييلة التي حدثت في ذاك القرن لم يكن لها من تدبير في القرون الغابرة ثم قال سيصير في كل الارض بلايل واخبار حروب وستقوم امة على امة وتعدت في كل الارض قلاقل فذلك يمل لنا كل ما اجري اخيراً في حكم يهرون فان الدولة الرومانية اتي الارض كلها التي كانت رابعة في مجرورة السكينة منذ انتصار اوغسطس وعهد خلفائه شرعت تنزع لان غالباً واسبابها

* ٣٠٧ *

وكل مقاطعات الدولة الرومانية علقت تنفوس بوقت واحد فان اربعة ملوك تألبت قلوبهم معاً على يهرون واخذوا يتناظرون وان ظهرا الملك وعساكر سوريا وجرمانيا وفيالق اخرى من الشرق والغرب تصادموا في مواقع القتال ودوخوا تحت قيادة ملوكهم الارضين من اقصاها الى اقصاها ليتبا خصامهم بهارك دموية ولكن لا يكون المنتهى اذ ذاك كما قال ابن الله : وسوف يتجشم اليهود من ذلك مشاق عمومية الا انه سوف يحل عليهم نوائب خاصة وهذا كله اول الخصاص

ثم اضاف الى كلامه ان قال ان بيعته المضطربة منذ تقيدها سوف تكابد اضطهاداً جديداً اشق من الاول في ذاك الحين ولقد ذكرنا ان يهرون اراد ان يبيد في اخر ملكه المسيحيين وامات القديسين بطرس وبولس . واما اضطهاد الذي اثاره اليهود حسداً وبقياً فقد عاد عليهم بالدثار بعد ان الاجل المسح لم يكن الى ذاك الوقت قد تعين . لكنه قد كان يلوح ان ما في السماء الدجالين والانبياء الكذبة هو الاجل المسح لدثار اورشليم الاخير

فان الذين سددوا آذانهم عن استماع صوت الحق آكل بهم الامر الى ان يصعبوا بالانبياء الكذبة هالكين . ولم يحفز المسح عن رسو لحلول تلك المشاق في اليهود فانه اوعز اليهم ان سوف يقوم كثيرون من الانبياء الكذبة ويضلون كثيراً وقال ايضاً سيقوم مسيحوا كذبة وانبياء كذبة

فلو كنت تعرف اخلاق اليهود لفهميت بان الوصول الى ادراكها امر ذو صعوبة فلقد انبأناك انهم بعد ان ختلهم الانبياء الكذبة وسبوا دمارهم ولا سيما في عهد حزقيا انقوا من اقوالهم ولا لبا على ان لا يسمعو لم قولاً وكان قد مر على ذلك اكثر من خمسمائة سنة ولم يبد في اسرائيل انبياء كذبة واما التجميع الذي كان بين يديه وبينهم رباط الاخاء فقد استيقظ وقت ماتي المسح وان الله الذي يقبض يمينه على الارواح الخداعة قد اطلقها وشاعها لكي تخرج باليهود وتخن المؤمنين وتبين ذلك فان الانبياء الكذبة لم تظهر بقدر ما ظهرت عقيب موت المخلص ولا سيما في وقت حرب اليهود وعهد يهرون كان قد اجمع تلك الحرب فتكثرت اذ ذاك كما اشار الى ذلك يوسيفوس المؤرخ شتى ضاق الحسبان دونها وكانت تخال الشعوب وتجذبهم الى بطون الكفار بالبحر والمكر وتعدم بالفرج التريب



* ٢٠٨ *

ولذلك اشار المسح بنو ماوا الى البرية حيث يتوارى الانبياء الكذبة وكانوا بالمحققة
يمجدون الشعب غمة الى دناره الاخيرة. ويمكن لك يا سيدي ان تقول ان اسم المسح
الذي تعمس على اليهود ان يخلصوا بدونه كان متزيجا تلك المواعيد الباطلة وانك
سوف تنق على ما هو اهل لا قناعتك

ولم تكن اليهودية وحدها عرضة لذه الغر العشاء بل كانت كل مقاطعات الدولة
الرومانية مثلها فلم يكن من زمن مثل ذلك نبينا التاريخ فيو عن العدد المدبد الذي
اتصل اليه الانبياء الاكفون وعما عثوا وزعموا ان يدركوا حقائق المستقبل ويختلوا الشعب
بهمهم كسبون الجسباني والباس وابولونيوس تانوس وجسم غنير من السمرة المذكورين
في التاريخين الديني والدنوي فكل اولئك بدوا في هذا الجيل حيث بذل المجيم جهده
ليوطد ملكة المزعزع واثار المسح الى ذلك بقوله سوف يقوم في ذاك الوقت ولاسبا
عند اليهود عدد كثير من الانبياء الكاذبة ومن يشبه ليلامو يرى ان هذا العدد
يتكاثر قبل دنار اورشليم وبعده اوفي ما قرب منه ويضاعف الخداع التعليم الكذاب
والعجائب الباطلة فيعز زويسي رجسا وبكاد المختارون يفتدون لو كان ذلك ممكنا
ولست بناكر ان قد يحدث في آخر الاجيال شي كذا او اكثر منه مكر الانا قد
اسلفنا ان ما حدث في اورشليم هو محض رمز الى ما يحدث في آخر الزمان اما المسح
فقد ابان لنا ان هذا الضرر منقول غضب الرب على اليهود وسببا هلاكهم. وقد ثبت
هذه النبوة واقعي الامر لان كل شي قد تحقق بشهود عدل لا تنبذ شهادتهم فاننا
نرى نبوة ضالاه في الانجيل ونتمها في تاريخها ولاسبا تاريخ يوسيفوس
وبعد ان تنبأ يسوع المسح عن كل ذلك قاصدا بنو ماوا نلنا هذه من المشاق

التي توعد بها اورشليم اخذ يورد عليهم أدلة خراب هذه المدينة الاخر

ان الرب لا يبين هذه الادلة لخاريو دائما لانه لدى العنابات الصارمة التي تظهر
قوته امام الامم طرا قد يضرب احبانا الصديق والحاضي معا وما ذلك الا لان الوسائل
التي يستخدمها في سبيل عزل الواحد عن الاخر هي اشد قطعاً ما تبدو لدى حواسنا
فان الضربة التي تسحق الثبوت تأتي لها فصل الحبة. وينتفي التبر بالنار التي تحرق
بيس الثبن وهكذا ينتج بالعقاب فكما يهاك بو الاثيمون كذلك يخلص بالصالحون
واما في خراب اورشليم فلنك نضع الهيئة الدنوية الاخرة ويظهر غضب الله صريحا على

* ٢٠٩ *

المجاهدين لم يشاء الله ان اليهود الذين اقبلوا الانجيل يخاطبون من سوام. ولذلك
ابان المسح لتلاميذ بادلة بيته عن وقت نزوحهم من المدينة المرذولة. وقد استند
حسب عادتو على الانبياء الاقدمين الذين كان منصرفا وخاتمة لم. وبعد ان ذكر ما فاه
يو دانيال عن دنار اورشليم الاخير قال هاتي الكلمات مد فمى رأيت رجاسة الخراب
التي قبل عنها بدانيال الذي فائمة في المكان المقدس وكما قال القديس مرقس
قائمة حيث لا ينبغي فحيتن الذي في اليهودية فليهرب الى الجبال ويذكر القديس لوقا
ذلك نفسه بالفاظ مختلفة قائلا:

واذا رايتم اورشليم قد احاطت بها الجنود فاعلموا حينئذ ان خرابها قد اقترب
فحيتن الذين في اليهودية فليهربوا الى الجبال والذين في داخلها فليخرجوا والذين في
البلاد فلا يدخلوها

ان الانجيليين يفتنون عن معاني اقوال بعضهم وان قسنا هذه الآية يسهل لدينا ان
نتفهم ان الرجاسة المذكورة في دانيال هي الجنود حول اورشليم وهكذا عبر عنها الانبياء
القديسون ويوبد لنا العقل مصداق ذلك. لان الرجاسة حسب عادة الكتاب
تدل على الصنم ومن ذا الذي يجهل ان الجنود الرومانية كانوا يعملون على الوثنيهم
صوراتهم وتماصرتهم الذين كانوا يتعبدونهم اكثر من كل الالهة. وقد كانت تلك
الاولوية موضوعا تحيلهم على عبادة ما عليها ولما كان دخول الاصنام الى الارض المقدسة
محرمًا بامر الله لم تدخل غمة العلامات الرومانية ولهذا ترى في التاريخ ان الرومانيين
طالما اعتبروا اليهود لم يسموا بادخال علاماتهم الى اليهودية ولذلك عند ما عبر
وتيلوس هذه المقاطعة ليكر على العربة محاربا استنادا على رواية التاريخ كان يقود
جنوده دون علامات لان الرومانيين كانوا يمتنعون وقتشدين اليهود ولم يكن من
رغبتم ان يسموا هذا الشعب ما يناقض دينه

اما في ابان حرب اليهودية فلم يبق الرومانيون براعون شعبا عازمين على استنصالة
وبناء عليه كان يكتشف اورشليم وقت حصارها اصنام توازي ما كان للرومانيين من
العلامات ولم تبد رجاسة بهذا القدر لا ينبغي ان تكون في الارض المقدسة وحول
المهيكل

وبعترض على ذلك بان هل هذه العلامات العظيمة هي نفس ملوهم المسح



تلاميذه وهل كان الوقت يحكمهم من الأركان إلى الفرار لما أخذ نجوس يحاصر اورشليم
قافلاً أبوابها غير ممكن! لاحد منها الخروج . فعلى هذا عيو ثوقف غرامة هذه
النبوة فان اورشليم حوصرت مرتين في ذاك الحين فقد حاصرها في بادى الامر
سيتوس والي سوريا سنة ٦٨ بعد المسيح وحاصرها مرة ثانية نجوس بعد ذلك بربع
سنوات اي سنة اثنين وسبعين ولم بعد في الحصار الاخير من وسيلة للفرار لان نجوس
اخذ يذل المجهد في الحرب وباغت اليهود المائلين في اورشليم وقت عبد الفصح ولم
يكن لاحد من وسيلة إلى النجاة . وقد احبطت المترسات التي اقامها حول المدينة أمل
الاهالي في الأركان إلى الفرار يده انه لم ير شيئاً من ذلك في حصار سيتوس فانه اقام
عليه حصاراً في حين يبعد عن اورشليم ستة اميال . وكان عسكره يحيط بالمدينة غير
مثنى لسبل ذلك اخذوا المترسات بل كان يوجه الحرب دون اعتناء ولمث على
ذلك الى ان بارحه الفرصة من فتح المدينة فان الروح والمنازعات الداخلية وكثيراً من
حزب الرومانيين كانوا ذريعة لافتحها فلم يكن في ذاك الابان مراً لم يحاول النجاة بل
ان التاريخ يذكر صريحاً ان كثيرين من اليهود خرجوا من اورشليم . فكان اذ ذاك
وقت الخروج والعلامة التي اعطاها ابن الله تلاميذه ولذلك قد ميز كل صراحة بين
المحصارين فان المدينة تكون بالحصار الاول محاطة بالمجود فقط ولا تكون محاصرة
حقاً فيكون للذين في اليهودية ذريعة إلى الفرار إلى الجبال وتكون بالحصار الاخير محاطة
بترسات واخاديد فيكون القضاء على الذين داخلها بالهلاك

فامتثل المسيحيون كلام سيدهم وإن يكن قليل كبير منهم في اورشليم واليهودية فلم
تعتبر تارخ يوسيفوس اوسواه على أن شيئاً من ذلك العدد كان لدن افتتاحها وعكس
ذلك ان المسيحيين لجؤوا إلى مدينة يلا في الجبال الدانية من التقار على حدود اليهودية
والعربية وذلك كالة مقرر في تاريخ الكيسمة وكل ما نله اليها الآباء الاقدمون
ومن ذلك يمكن ان نستخرج كم من مرة احتذر المسيحيون بنوع صريح اذ لاشي ام
من انفصال اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح من الذين امنوا به فان منهم من قطن في
اورشليم لمعاقب عن اثمهم ومنهم من ترح من المدينة كما ترح لوط من صادم ولجئوا إلى مدينة
خبرة ومنها كانوا يراعون وهم في روج وهول كل مفاعل غضب الرب واحكامه التي
شاء ان ينقذهم منها

وقد يوجد عدا نبوات المسيح نبوات تلاميذه منها نبوات القديسين بطرس وبولس
وذلك لان اليهود لما كانوا يبرجونها بالاذاب الالم وما شاهدان ليسوع المسيح المنبعث
من الاموات انذارهم اذ سلحوا للام بدثارم القريب وقالان اورشليم لا بد من ان
تفتقر من الاساس وان اهله يهلكون جوعاً وقنوطاً ويقتلون من ارض آباءهم نفياً
موجباً وبمسون مشعثين في كل المسكونة كالاسرى ولذلك اجل قريب المآتي
فهذه المصائب برمتها سوف تحل عليهم لانهم هزئوا بابن الله وامتنوه بعد ان بدا لديهم
بمعجزات عظيمة

فهذه النبوة قد حفظها الآباء الاقدمون عن لسان الرسل وتمت حالاً بنوع صريح
وقد فاه القديس بطرس بنبوات كثيرة وهي اما ان تكون قد اوجبت اليه بنوع خاص او
عند تغييره كلام سيده فان فليغون احد موثقي الوثنيين قال حسب ما يشهد اوريجانوس
ان كل ما فاه به هذا الرسول قد تم بكل دقة

وعلى هذا لم يكن يحدث شيء لليهود الا تنبأ لهم عنة وتبدو لدنيا علة مشفاه بمخارهم
ليسوع المسيح وتلاميذه لان ابان النعمة والرحمة جرى عليها القضاء وكان قد ارف
ابان الهلاك

فاصبح اذا جد نجوس في انفاذ اليهود والميكل عبناً فان الحكم عليهم كان قد
صدر من العلاء فاصبحت حجارة النباء كالحيا المشور

وان يكن احداً الملوك الرومانيين قد جرب عبناً ان يبع دثار الهيكل فقد جرب
سواه عبناً ايضاً ان يهضه وقد فكر جوليانوس المجاهد الذي شرع ان يحارب ضد
المسيح بان يكذب نبوته ولما قصد ان يقيم للمسيحين اعلاء الفاء من كل ناحية تنازل
وايهض ضدهم اليهود المزدولين من العالم ويعتم على ان يقيموا هيكلهم وقدم لم مبالغ
عظيمة وعضدهم بكل قوة الدولة الرومانية . فاصح الى هذا الحادث ياسيدي وانظر
كيف الرب يرذل الملوك الجبابرة فهذا يشعنا به جميع الآباء القديسين والمؤرخين
الكنائسيين ويبنونه بأنا لا تزال من ازمانهم . واقتضى ان الوثنيين انفسهم يتفقون
ذلك لان اميانوس مارسيلينوس الوثني الذين والمدافع بغيره عن جوليانوس ينشأ عن
عن هذا الحادث بقولهم لما كان البيوس يعضد والي الاقليم ويسرع بهار الباء على
قدر امكانه هب من الاساس كرات نارية وزعزت اركان العار هزات قوية واحترق



* ٢١٢ *

الفعلة الذين آبلوا الى اعالمهم وقد اصبح من المستحيل الدنومن ذلك اهل فنبذوا العمل

واما مورخو الكنيسة فيوردون التبا عن ذلك الحادث بدقه كبرى ويذكرون ان نار السماء خامرت وقتئذ نار الارض . وقصارى القول ان كلام المسيح اصبح ثابثا وذلك ما حمل بوحنا الذهبي الثم على ان يقول ان الرب اقام على الصخرة بيعة لا تنزعزع ودار الهيكل ليس يوسع احد امهاضه اي لا احد يمكن له ان يفوض ما اقامه الرب ولا احد يمكن له ان يقيم ما فوضه

ولدى عن آلات اورشليم والهيكل ونزول الى الشعب نفسه الذي كان انفا هيكل الرب الحي واصبح الآن عرضة لغلبة ومن المتررات اليهود اصبحوا اكثر سقوطا من هيكلهم ومدبنتهم لان روح الحق لم يبق بينهم وبطلت النبوة وبرحت المواعيد التي كانوا يسندون عليها آمالهم ولم يبق شيء قائم في ذلك الشعب ولم يترك من البناي حجر على حجر

وانظر الان كيف سلوا نفوسهم الى الضلال والى اية درجة اتصلوا فكان المسيح قد قال لم : انا انت باسم ابي فلم تقبلوني وان اتي اخر باسم نفسه قبلتموه ، فمئذ ذاك الحين استولى عليهم القتل حتى اهتم صاروا متأهين ان يسلموا انفسهم لانه لم يكنهم ان الانبياء الكاذبة سلوا المدينة الى تيجوس فان اليهود واصل اياهم من اليهودية طردهم منها لان حبيهم لاورشليم حمل كثيرين منهم على ان يخذلوا مفلوحي . في رسوبها العاقبة . وهاك مسيحيا اخر دجالا ياتي وبشم خرابهم لانه بعد ان مضى على افتتاح اورشليم خمسون سنة شرع برخوخياس المردول اللص الجرم يقول في الجبل نفسه الذي مات فيه مخلصنا انه كوكب يعقوب المذكور في سفر العدد . لان معنى اسمه ابرن كوكب وتقدم لليهود كانه المسيح ففنا اثره اكيباس اشهر الربانيين وكل الذين يدعوم اليهود حداثهم ودخلوا في حزب هذا الرجل دون ان يبتد لهم علامة تدل على بطل . غير ان اكيباس كان يقول لم ان المسيح لا يلبث الا ان يبذوقهم اليهود من كل الدولة الرومانية وانما زل الى برخوخياس الذي كان يعدم ملك العالم قتل ادرينانوس منهم نحو من سائة الف ووضع على عواتهم نير اليهودية ونفاهم من اليهودية نيكاً موبدا ومن ذا الذي لا يدري ان روح الكذب قد استولى على قلوبهم فانهم لم يقبلوا محبة الحق

* ٢١٣ *

والخلاص ولذلك بيعت اليهم الله بعمل الضلال حتى يصدقوا الكذب فمها كان النفس فانه كان كافيا لخداعهم فقال في هذه الايام احد مناقي الشرق عن نفسه انه المسيح فاخذ اليهود يجمعون حوله وشهدناهم في ايطاليا وهولاندا والمانيا وماس يتأهبون ليعمل امتعتهم ويتركوا كل شيء وينبعو ويكرروا حالا انهم مزعمون ان يستولوا على العالم لما بلغهم ان مسيحهم اسلم وترك دين موسى

الفصل الثالث والعشرون

في ضلال اليهود التابع لما انف وكيفية تعبيرهم عن الانبياء

لا تعجب من سقوط اليهود في هذه الفرع ولا من تشعيمهم في هذه العاصنة بعد ان جنوا عن طريقهم فهذه الطريق كانت قد رسمت لهم في النبوات ولا سيما في النبوات التي كانت توعد الى وقت ماني المسيح فنبذوا هذا الان يتر دون نتيجة ولهذا تزلم وقتئذ جاثمين الى الاقل مزورين عن الطريق

ايذن لي هنية كي ارفع لديك تسلسل غرهم وكل كدحهم في وروج الحق وان الطريق التي يضل بها تنصل بالطريق العظمى واذا اعتبرنا ذلك من حيث ابتداء الضلال امكن لنا السعي في الطريق المستقيمة بكل تأكيد

فقد راينا باسيدي ان قد يوجد نبوتان تبيين لليهود وقت ماني المسيح وهما نبوة يعقوب ونبوة دانيال وكشافها تشير الى آثار مملكة يهوذا في وقت جئمة المسيح الان دانيال يبين ان دنار هذه المملكة العالم سوف يكون ناتجا عن موت المسيح وقال يعقوب بنوع صريح ان المسيح الذي يكون رجاء العالم اي مخلصا لم ياتي وقت سقوط ملك يهوذا ويقيم له مملكة جديدة لا تكون موهلة من شعب واحد بل من كل شعوب الارض وان كلام هذه النبوة لا يمكن ان يخرج لغير معنى ويتبع تعبيره من تقليد اليهود القابض بهذا الخصوص

ومن ذلك نعلم الاعتقاد النافع بين الربانيين الاقدمين والمذكور ايضا في التلوي وهو انه في الوقت الذي ياتي فيه المسيح يبطل وجود القضاة اي انه لاشيء اهم عندهم لمعرفة مجي المسيح من ملاحظة وقت سقوطهم في هذه الحالة العيسة التي ذكرناها

* ٢١٤ *

وحقيقة الامر ان بدءهم كانت حسنة. ولو لم تكن افكارهم متهمة بالعظيمة الدنوية لما كان امكن لهم ان يجهلوا المسيح الذي كانوا يحاولون بسلطته كذبه حتى يشتركوا بملكه فالركن الذي وضعوه كان مفرراً حالاً عندما جازهم هيرودس الاول وحدث التغيير في حالة مملكة اليهود ابان لم وقت سقوطهم المرسوم في النبوءات فلم يكن عندهم من ربيب في عجيء المسيح وفي ظهور هذه المملكة الجديدة لانه كان مزعماً ان يجد فيها كل الامم وما نثر لديهم صريحاً ان قد نزع منهم كل سلطان بالموت والحياة وهذا كان لديهم تغيراً عظيماً لانه قد كان محفوظاً لهم دائماً الى غاية ذاك الحين مها كان السلطان الذي رضى له حتى انهم في بابل في اثناء اسبابهم لم يبرحوا مستولين عليه وما بين ذلك تاريخ سوسان. وهذا كان تقليداً ثابتاً عندهم وقد نبذ ملوك فارس الذين اتهموا الى اوطانهم هذا السلطان بموجب اوامر خاصة قد لاحظناها في محلها وقد ذكرنا ايضاً ان الملوك السلوسيديين قد ضاعفوا هذا التمييز وما انتصروا ولا حاجة هنا لذكر ثانية ملك المكابيين لان اليهود قد عتقوا واصبحوا اشداء وربة في قلوب اعدائهم وقد اكنى يوبابوس الذي اوتهم كما ذكرنا ان يفرض عليهم جزية ومجملهم بحالة تمكن الشعب الروماني ان يتصرف فيهم لدى الاقتضاء كما يشاء. ولذلك قد ترك لهم ملكهم وراي له كل سلطته ومن البين ايضاً لدى الجميع ان الرومانيين كانوا يتصرفون هكذا وكانوا لا يمسون الحكومة الداخلية في البلاد التي كانوا يتركون فيها ملوكها الوطنية

وعاية الامران اليهود انفسهم بدعون انهم فقدوا هذا السلطان بالموت والحياة اربعين عاماً فقط قبل دنار الهيكل الاخير ولا ريب ان هيرودس هو اول من اضر بحريتهم رجاء ان ينم من مجلس السنداران لانه اضطر هو نفسه ان يتحكم فيه قبل ان يصير ملكاً. ثم لكي يجمع اليه كل سلطة اخذ بقوض هذه الجمعية التي كانت كجمعية المشايخ المشبه من موسى وكجلس مشورة الشعب الدائم اذ كان يجري السلطان العالي. فمن ثم فقد هذا المجلس رويداً سلطانه حتى انه اضاعه تقريباً عند عجيء المسيح الى العالم فصارت الاحوال سيئة جداً في عهد اولاد هيرودس لما صارت مملكة اركيلاوس التي كانت حاضرها اورشليم تحت ولاية معتدين من قبل ملوك رومية. وفي هذه الحال السيئة لم يبق لليهود ادنى سلطان في الموت والحياة حتى انهم اضطروا الى ان يلجأوا الى يولاطوس يمينيوس المسيح الذي كانوا يرغبون في موته في اية حالة كانت ولما

* ٢١٥ *

او عز اليهم هذا الوالي الواهم ان يقتلوه ثم انفسهم اجابوه بصوت واحد لا يسوع ان نجت احداً

ولهذا قتلوا يعقوب اخا يوحنا بوساطة هيرودس والثاني ايضاً القديس بطرس في السجن. ولما ازعموا على موت القديس بولس اسلموه للرومانيين كما صنعوا يسموع المسيح. ولما نذر ذوي الغيرة الكاذبة (اي الذين آلموا على نفوسهم ان لا ياكلوا ولا يشربوا حتى يقتلوا الرسول) فبدل على انهم كانوا موقنين بهبوط سلطانهم لقتلوه شرعاً وان يكونوا قد رحوا القديس اسطفانوس بالمحجارة فذلك كان ناجماً عن ثورة لم يمكن للرومانيين الفكن من ردعها لان المؤيحين تلك الثورات كانوا من المدعويين بذوي الغيرة

وبناءً عليه اصبح من الشؤون المثبتة من المؤرخين ومن اقرار اليهود واحوالهم ان نحوقت ما في المسيح ولا سيما لما شرع يشرع بالجيلوا كان اليهود قد فقدوا السلطة الزمنية وما امكن لهم ان يشاهدوا فقد هذا السلطان الابتذكرون نبوة يعقوب التي كانت تنذرهم ان في زمان المسيح لا يبق بينهم سلطة ولا قضاة ولا سلطان. وقد لاحظ احد مؤرخهم الاقدمين هذا الامر اقران الصولجان قد خرج من يهوذا ولم تبق السلطة بايدي مشايخ الشعب لان السلطان العام نزع منهم وهبط مجلس السنداران ولم يستمر اعضاؤه يعتبرون كقضاة بل كعلمين وهكذا قد حان الان حسب اعتقادهم لمجيء المسيح. وبما انهم كانوا يشاهدون هذه العلامات المفررة لما في المسيح الملك الجديد الذي يتبدلوا ملكه فوق سائر الامم فكروا بالحقيقة انه مزع ان باثي فشاخ الدنيا عه في البلدان الدانية واكدوا في الشرق كله ان سوف يخرج من اليهودية من ملك الارض عن قريب. وذكرنا سبت وسباتون هذه الانشاعة المستندة على آراء مفررة ونبوة قديمة في كتب اليهود المقدسة وذكر يوسيفوس هذه النبوة بالحرف الواحد وقال ايضاً مثلهما انها في الكتب المقدسة ولا ريب ان اعتبار هذه الكتب كان عظيماً جداً في الشرق لان قد شهد مراراً عديدة ان ما تنبأ به كان قد تم بانواع مختلفة وظروف متباينة وان اليهود كانوا متيقظين اكثر من غيرهم لبراعوا هذه المحاولات التي كتبت لتعليمهم ولهذا قد عرفوا زمان ما في المسيح الذي او عز اليه يعقوب وحده بسقوطهم وهكذا ملاحظاتهم بشأن حالتهم كانت موقفة ولم يبرحوا زمان ما في المسيح بل



* ٢١٦ *

عرفوا انه مزعم ان باقى في الوقت الذي انى يو بالحقيقة . ولكن باللعجب من ضعف
البشر وتكبرهم للذين سبوا جهاهم النطيع . فاخى تواضع الخلف عن هؤلاء المكبرين
العظيمة الحقبة التي كان يلزمهم ان يحدوها في المسيح بل انهم كانوا يرغبون في ان يكون
ملكاً كملوك الارض ولهذا قال مداهنوا هيرودس الاول انه هو نفسه الملك الموعود
يو لليهود لانهم كانوا في دهشة من عظمة هذا الملك وفخره لانه اغنى اليهودية ولو كان
جائراً وهذا ايضا مما سبب بدعة الهيروديين المذكورة في الانجيل مراراً وعند الوثنيين
انفسهم لان الشاعر ريس وشارح اشعاره يخرنا ان الاناس كانوا يحتفلون في اليهودية
مهلاد هيرودس الملك كما كانوا يحتفلون بنهار السبت وذلك كان في زمان يهرون
ايضاً

وقد سقط في هذا الخطأ عنه ايضاً يوسيفوس المورخ فان هذا الرجل العالم
بالنبوءات كما يقول عن نفسه اذ كان كاهناً ومن اخلاف الكهنة انه درى بحقي هذا
الملك الموعود به يعقوب وان ذاك الحبي كان يقارب لوقت هيرودس لانه بين لنا
بكل اعتناء دثار اليهود الذين ولكن بما انه لم يرقى امتوشياً يوافق افكاره ذات المطامع
كما ظن في المسيح اخروقت النبوة وهاها لوسبازيانوس مؤكداً ان هذه النبوة تدل
على هذا الملك الذي صار امبراطوراً في اليهودية .

وعلى ذلك كان يعاكس معنى الكتاب الاقدس لبوطد دهانة فياله من اعنه
البصرة فقد ود ان ينقل امل يعقوب ويهوذا الى الامم ويطلب يوسبازيانوس ابن
ابراهيم وداود وبني ملك وثنى من هو مزعم ان ينير العالم وينقذهم من الاصنام
وكانت ظروف الزمان تقوم بنصره ولكن يفا كان بني يوسبازيانوس ما قاله
يعقوب عن المسيح كان ذوو الغيرة الدأبون عن اورشليم ينسبون ذلك اليهم وبالكوكو
على هذا المبدأ وحك كانوا يعدون نفوسهم بملك العالم ويؤيد ذلك يوسيفوس وبهذا
كانوا ارض من لانهم كانوا لم يخالوا انهم قصد ان يطلبوا نعيم المواعيد التي اعطى
آباءهم اياها

فلماذا لم ينقوا عيونهم عند سماعهم هذه الاشاعة العظيمة التي كانت تفرح اذانهم لما شرع
الربل يندرون الامم بالانجيل وينشدون ملك المسيح في كل الارض
واية ملكية اعز من هذه الملكة فانها تقبض على زمان الفتوى ويتصرها الحق

* ٢١٧ *

على الاصنام ويشربها بالحجوة الازلية للامم الضليلة وان ملكة القياصرة لم تكن سوى
زهاء باطل بالنسبة لهذه الملكة الحقيقية . بهذا لم يكن لهذا الملك الزهو الكافي لدى عين
العالم .

فيجب على المرء ان يقصي عنه الافتخار البشري ليعرف المسيح . ومن الثابت ان اليهود
كانوا يعرفون الزمان ويربون الشعوب المدعويين لاله ابراهيم يسوع المسيح وتلاميذه
حسب نبوة يعقوب ومع ذلك لم يعرفوا هذا المسيح المعلن لم بجميع الادلة ولوانه ثبت
ارساليته في مئة حياتيه وبعد موتيه بكل انواع العجايب فنجده هؤلاء العميان لانه لم يبد
يو الا عظيمة العاربه عن كل الظواهر التي تؤثر في الحواس ولانه كان اتياً لقمع
مطامعهم للقيام بنصرها .

ومع ذلك كانت الظروف والحوادث تقسرم على ان يخالوا احياناً اوهاهم قسراً
عن عمه قلوبهم . وكانت الاشياء تعد بظهور المسيح في وقت السيد له العزة حتى انهم
فكروا ان يوحنا المعمدان يكون هو المسيح لانه ادهشهم بعيشته القشفة والخارقة العادة
والعجيبه وبدا انهم اكتفوا بزهو هذه الحجة العجيبة لانهم لم يحدوا عظمة العالم كلها كانوا
يطلبون واما حيرة المسيح البسيطة والاعتقادية فكانت تجعل هذه العتول الساذجة
والمتزلعة تائف منه لانهم لم يكونوا يتأثرون الا ما يورث في حواسهم . وخلا ذلك
فما انهم كانوا قاصدين عن كل ما يؤول الى ارتدادهم الحقيقي لم يشأوا ان يعجبوا الا ما
يعتبرونه امراً لا يقتدى به . وبناء عليه لم يثقوا بيوحنا المعمدان الذي فكروا ان يكون
مستاهلاً ان يكون المسيح لما هدام الى المسيح الحقيقي . واما المسيح الحق الذي كان
يقسمهم على اقتفاء اثره عند وثوقهم به بدا لديهم دنياً جداً لدن تستنهم به

وبناء على ذاك التصور الذي قام باعبائهم اليهود لدى بدو المسيح في تلك الاثناء
كان عزيزاً جداً حتى ان ذلك استخرفا بينهم اكثر من عصره لمخالوا ان ثمة
النبوءات لا بد لها من سعة . ولا يقتضى ان تكون محصورة في معنى مقرر ولذلك لم يكن
يقنع بينهم مئة نحو من مائة سنة الا عن المسيحيين الافاكن الذين كان القوم يفتونهم او
عن الانبياء الافاكة الذين كانوا يندرونهم . ولم ير شي يضا في ذلك في الاجيال
الماضية ولم يغالي اليهود باستعمال اسم المسيح الى وقت ان كان يهوذا المكابي يفوز بالظالم
بظفر عظيم او وقت كان اخوه سمعان يعظمهم من نير عبودية الامم او وقت ان كان



* ٢١٨ *

هبركان الاول بفتح البلاد مقدراً عظيماً لان الوقت وهذه الادلة لم تكن بموافقة واخذوا في وقت المسيح يتكلمون عن كل هؤلاء السحاة واما السامريون الذين كانوا يطالعون في خمسة اسفار موسى نبوة يعقوب اتخذوا لم كاليهود سمحاء لانه بعد ان تقدم على ماتي المسيح زمن قصير اقبلوا اثر المبتدع دوزبه

وسمون الساحر الذي هو من تلك البلاد كان يزعم ايضاً انه ابن الله وكان يدعي تلميذه منادراته مخلص العالم وكانت الاميرة السامرية تعتقد منذ ايام يسوع المسيح انه سوف يأتي لانه كانت مفرراً لدى الشعب وكل من يقرأ نبوة يعقوب ان المسيح مزعم ان يبدو لدى احوال كذلك

ولما مضى الزمن وشق عليهم ان ينتظروا امراً عرف اليهود بالاخبار ان السحاة طراً الذين تباينوا لم يكن منهم الا بقدرهم فقط من مشاقهم بل انهم ثقلوا عليهم فطال عليهم الزمن حينئذ دون ان يبدو بينهم سمحاء حديثاً. واما يرخوخياس فهو آخر من اقرؤا بارسالتيو في بداية الاعصار المسيحية الا ان التأثير القديم لم يبرح قائماً وبدلاً من ان يعتقدوا بظهور المسيح كما فعلوا في اياك الملك ادرينانوس اخذوا يتفهمون في عهد خلفائهم الانطونيين ان المسيح بارز في العالم لكنه لم يبد للعيان لانه منتظر اليه النبي ليكرسه وذاك الثقل كان ذاتاً بينهم في ايام جوستينانوس. وقد نرى في التلمود تعليماً آخر اقترحه اقدم علماءهم فانه يقول ان المسيح قد اتى جسداً قال الانبيا لكنه متوارف في رومية بين المتكدين ذوي المسكة

بيد ان هذا اليوم لم يزل لدى العقول قبولاً وقد التزم اليهود ان يقرأوا ان المسيح لم يات في الوقت الذي كان يحق لم ان ينتظر في وقت حسب النبوات القديمة فمطلوا الى لجة اخرى واشكوا ان ينقلوا من مائة لتقام الزمن على وقتهم وقد اقبلوا الكثر منهم قول احد الرابانيين المشهورين المخطوط في التلمود فانه لما رأى ان الوقت قد مضى قضى على ان الاسرائيليين لم يعد لهم ان ينتظروا المسيح لانه قد بعث اليهم بمثل حزقيال الملك وحقيقة الامر ان هذا الراي لم يكن لدى اليهود سديداً بل كان عندهم مكروراً لكن لما تعرض عليهم ان يعرفوا الاوقات التي عيستها الانبياء ولم يكن لهم ان ينصلحوا من حيلة تلك الورطة اعتمدوا تلك الالفاظ التي في التلمود وتخذوها ككفاعة لاعتمادهم وهي: ان كل اجل معين لماتي المسيح قد اصبح فارطاً وبناء عليه ان كل

* ٢١٩ *

من بعين زمن مجيبو يصبح معلوماً ومثل ذلك مثل سفينة ماخرة في الم اجتفتها الريح عن تسيارها المستقيم فقطط الربان من سلامتها فيترك حينئذ الامور تجري سبغ اعينها ويدع القنادير سري حسب هواها

ومنذ ذاك الحين امتطوا غارب الجهد ليلفوا النبوات التي تعين وقت مجي المسيح ولذلك لم تصلق وجوههم من ملاشاة تقليدات ابايهم وكل ذلك من دأهم اذا استمروا على نزع هذه النبوات من ايدي المسيحيين

وقد افضى بهم الامر الى ان قالوا ان مغزى نبوة يعقوب ليس منوطاً بالمسيح واما كتبهم القديمة فتقيم على قولهم هذا فكراً فان التلمود يعزو هذه النبوة للمسيح وشرحا لمفترها بطابق شرحهم الذي حازلدهم اكثر اعتباراً وذلك اننا نرى في تلك الكتب هذه الالفاظ نفسها وهي ان اخلاف يعقوب وكل شعب اسرائيل سوف ينحصر في بيت يهوذا وملكنة يهوذا ويخرج من هذا البيت قضاة وروساء الى ان ياتي المسيح ويصير مملكة جديدة مولفة من كل الشعوب

وذلك ما كان يشهد به امام اليهود في بداية الاجيال المسيحية اعلامهم الذين ذهب صيتهم بالشهرة والاعتبار فبايهم وعسر عليهم ان يلغوا بقعة هذه التقليدات المقررة ولهذا لم يجتزئ اليهود على ان ينكروا ان نبوة يعقوب منوطة بالمسيح ولو كانوا قد انكروا انها تطابق لماثاه ولم يركبوا من تلك الجراءة الا بعد ان مضى على ماتي المسيح زمن طويل يوم كان المسيحيون يضيئون عليهم بالمجدال وكانوا قد رأوا ان تقليداتهم نفسها تحرق بهم شرراً

واما نبوة دانيال فكانت تحصر عي المسيح في حيز زراعية وتسعين سنة منذ السنة العشرين لمكرا غشتا ذي البد الطويلة

ولما كان هذا الحيز ينتهي في سنة اربعة الاف للعالم كان اليهود تقليد قديم وهو ان المسيح سوف يبدو نحو آخر سنة اربعة الاف للعالم ونحو القرن سنة بعد ابراهيم ودليل ذلك ان رجلاً عظيماً شهيراً لدى اليهود يدعي البابا غيراليا الذي علم ذلك قيل ميلاد المسيح ولم يبرح تعليقه مخطوطاً في التلمود

فقد رأيت باسدي ان هذا الاجل قد تم بمجي مخلصنا لانه بدا بالمحقيقة نحو القرن عاماً بعد ابراهيم واربعة الاف عاماً للعالم ومع هذا كله فلم يعرف به اليهود ولما حبطت



* ٢٢٠ *

أما لم زعموا أن آثامهم قد اخرت عبي المسح الذي كان مزعماً أن يأتي ومنطوق الخارج
مقرر بنس إقرارهم فما اصفق اوجههم واجهلهم فأنهم قد علّقوا بارادة البشر حلول
اجل عبي الرب صريحاً في نبوة دانيال
ومن المشاكل التي تعرقل اليهود أن دانيال يرتقي أن وقت عبي المسح يكون قبل
دثار اورشليم وبناء عليه فلما تم هذا الحادث الاخير اقتضى أن يكون الحادث المزمع
أن يتقدمه قد تم ايضاً

فنجف يوسفوس عن جادة الصواب وذلك قد حسب جيداً الاسابيع التي يتأق
بعدها دثار اورشليم ولما رأى حلول هذا الحين إذ أقام ينجوس الحصار حول اورشليم
ذهب عنه الرب في حلول الوقت لدثار هذه المدينة يذاته لم يعتبر أن هذا
الدثار اقتضى أن يتقدمه عبي المسح وموته وبناء عليه لم يتهم إلا نصف النبوة
وأما اليهود الذين عقّبوه فارادوا أن يصلحوا هذا الخطأ فاعتقدوا رجلاً من نسل
هيرودس يدعى اغريبيا كان الرومانيون قد امانوه قبل دثار اورشليم بقليل من
الزمن وزعموا انه المسح ولما علم انه ملك اغريبيا انه المسح المذكور في نبوة دانيال الذي
لكّن ذلك دليل عه بصائرهم إذ من المحال أن يكون اغريبيا هو الصديق وقديس
القديسين وانتهاء النبوات كما كان مزعماً أن يكون المسح الذين تنبأ عنه دانيال وخلا
ذلك فإن موت اغريبيا الذي كان اليهود ابراهيمه لا يمكن أن يكون موت المسح المذكور
في دانيال. فبناء عليه أن ما يزعمون ليس سوى افاصيص فارغة. فإن اغريبيا الذي هو
من ذرية هيرودس لم يبرح أن يكون من حزب الرومانيين وقد نظر اليه ملوكهم بعين
الرعاية والرفق ولذلك قد تولى الامور زمناً مديداً في احدى مقاطعات اليهودية بعد
افتتاح اورشليم كما يشهد بذلك يوسفوس ومعاصروه

وعلى هذا أن كل ما يتبرحه اليهود لبطلان هذه النبوة بحول لخرمهم وم انفسهم
لا يفتنون بهذه التخييلات السخيفة وإن امن مجنّ لدفعهم هو في المبدأ الذي اعتقدوه أن
لا يحسبوا أيام المسح وهذا تمش عيونهم عن الحق اختصارياً. ويتكرون النبوات
حيث الروح القدس نفسه قد حسب السنين ولكن في اثناء ما هم يتكرونها اصحبوا
تضمونها ويبنون حقيقة منطوق هذه النبوات عن عه قلوبهم وهبوطهم
فلينبئ على النبوات كل ما يشاءون وقصارى الكلام ان دثارم

* ٢٢١ *

الذي اوعزت اليه قد تم في الوقت المعين والحوادث اقوى من كل تنفيرهم فانه لولم
يأت المسح في هذه الاحوال السبئية لكان الانبياء الذين يتنون بهم قد خاتلوم وخادعوم

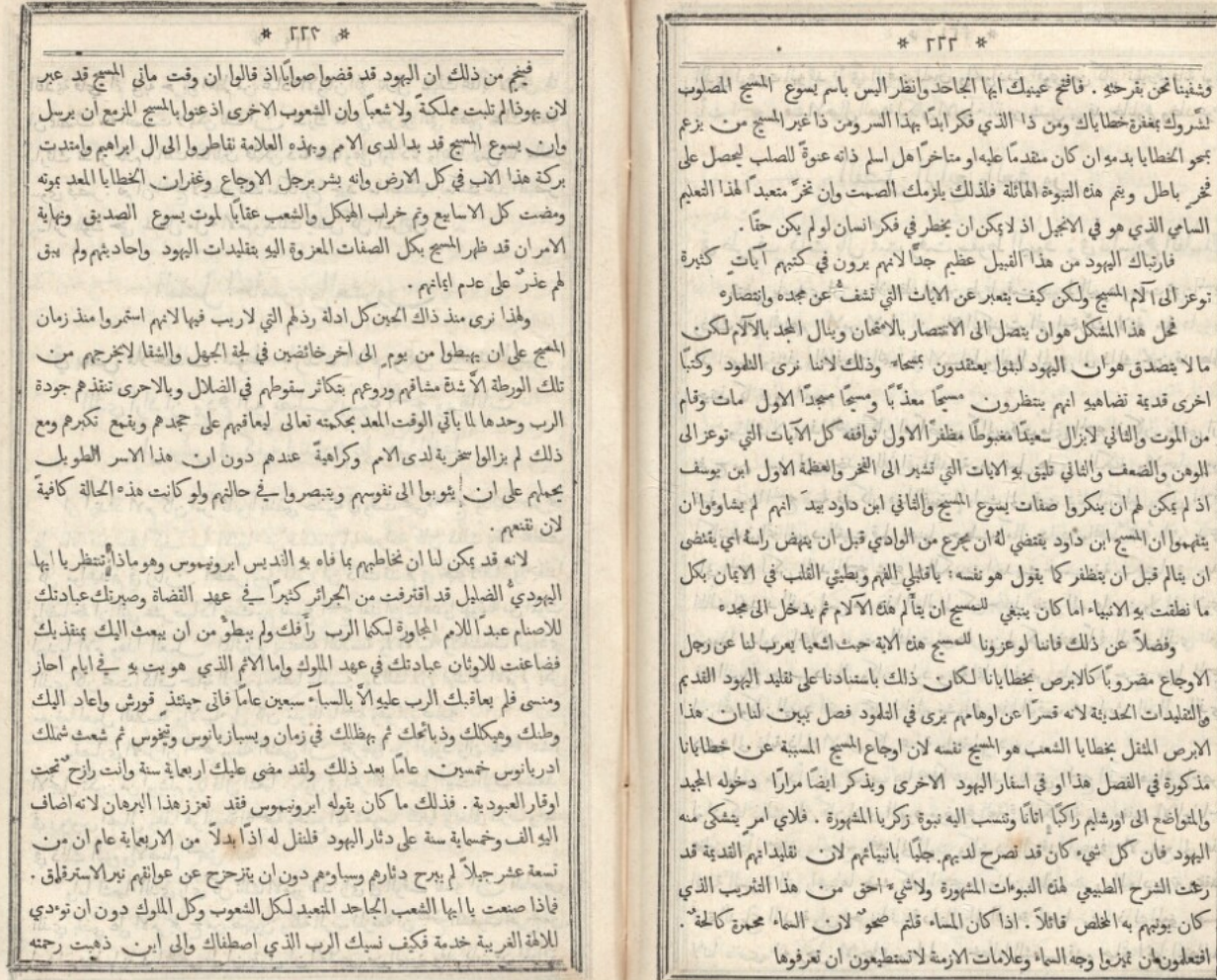
الفصل الرابع والعشرون

في ظروف ذات بال تمت وقت سقوط اليهود وفي تناسيرهم الفاسدة

يتنضي ياسيدي ان تلاحظ امرين طرأ وقت هبوط اليهود ووقت عبي المسح
وذلك تنضم لغمامهم. الامر الاول ان وراثة الكهنوت التي استمرت لآنية منذ هارون
قد انتهت وقتئذ والثاني ان التمييز في الاسباط والعيال المرعي الى ذاك الحين قد بطل
حيثنكر كما يفرون انفسهم.

وذلك لان هذا التمييز كان امراً ضرورياً الى وقت ما في المسح اذ كان يتنضي ان
يخرج من نسل لاوي خدمة اللاوي المقدسة ومن نسل هارون الكهنة والاحبار ومن
نسل يهوذا المسح نفسه فلو كان هذا التمييز لم يلبث الى وقت دثار اورشليم وما في المسح
لكانت ذبائح اليهود الغيت قبل حينها وحطت آمال داود وانحطت مجته بان يدعى
باني المسح لكن لما بدأ المسح شرع به الكهنوت الحديث حسب رتبة ملكيصادق وبدأ
الملك الجديد الذي ليس من هذا العالم فلم يكن حينئذ يتنظر الى هارون ولا الى لاوي
وهوذا داود واخلائهم. ومن الثابت ان هارون لم يكن متفضلاً في الوقت الذي نلغى
فيه الذبائح حسب دانيال وكان داود وبنه انما ما فرض عليها لما خرج منها المسح
ابن الله وكان اليهود انفسهم يجحدوا امهم مشوا في هذا الوقت عيونهم الى العيال الذي
دعوه الى غاية ذاك الايمان بكل عناية واحترام ديني.

وليس من دأبنا ان نضرب هنا صفحاً عن احدا دلة عبي المسح الذي هوام واخص
لوا دركنا ذلك وإن كان لدى اليهود موضوع العثرة والكراهية وهو مغفرة الآثام باسم
مخلص متألم منخفض الجناح راغى الى الموت وكان دانيال قد اوعز في الاسابيع الى هذه
السبة السرية التي راعيناها حيث كان المسح مزعماً أن يقتل وينتصر الميعاد يموت وتنفذ
قوة الذبائح القديمة وإن احزننا نبوة دانيال الى النبوة اشعيا نرى ذاك المعنى نفسه
لأننا سرى انه رجل الاوجاع وحامل خطايا الشعب وقدم حياته لاجل الخطايا





* ٢٢٤ *

القدية فاي ثم واية جريئة اعظم من عبادة الاوثان التي تتل عليك غنايا لا يمكن لها ان تخلصك منه انتصبت لا يمكن لك ان تدرك ما هي الجريئة التي تنصي عليك شفقة بارتك تذكر كلام ابائك القائلين فليكن دمه علينا وعلى اولادنا وايضا ليس لنا ملك سوى قيصر. نعم ان المسيح لا يصير لك ملكا اربع جيداً ما اصطفيه امكث عبداً لقيصر وسائر الملوك حتى يدخل مل الامم وبذلك يخلص كل اسرائيل

الفصل الخامس والعشرون

في بعض ملاحظات منوطة بارتداد الامم وعمق مقاصد الرب الذي اراد ان يردم اليه بصليب يسوع المسيح وبرهانات مار بولس في كنيته ارتدادهم على هذا النمط

ان ارتداد الامم كان امراً ثانوياً يقتضي حدوثه في وقت مجيئ المسيح ودليلاً صريحاً على ما ناه فقد نوهنا كيف تنبأ الانبياء عن ذلك وبابة صراحة كان ذلك وقد تحققت كل مواعدهم في زمان المخلص ومن المقرر ان ذلك قد تم في حينه لا قبلاً ولا بعداً وايضا حان ان اثني عشر صياداً بعث بهم يسوع المسيح بعد ان شاهدوا نبوءة من الموت ليهدي الامم وهذا العمل الماثور لم يستطع الفلاسفة ولا الانبياء ولا الشعب اليهودي الذي كان تحت اكاف حماية الرب ومعتصماً بناموسه وذلك لان ارتداد الامم لم يكن معرضاً لعمل الفلاسفة والانبياء بل كان منوطاً بالمسيح وهو ثمره صليبه

وقصارى الامر ان المسيح ورسله افنضوا ان يخرجوا من اليهود وان بداهة انتشار الانجيل تكون من اورشليم وكما قال اشعيا . يكون في اخر الالهام جبل بيت الرب مستعداً في ربووس الجبال وهذا هو البعثة المسيحية وتجميع اليه شعوب كثيرة وبغالى الرب وحده في ذلك اليوم والاصنام تتحقق البتة

واما اشعيا الذي رأى كل تلك الامور فقد رأى في الوقت نفسه ان التاموس الذي يقضي على الامم يخرج من صهيون وكلمة الرب المزمنة ان تصليح الشعوب تخرج من اورشليم وهذا ما بعث المخلص على ان يقول ان الخلاص من اليهود وقد كان من المرافق

* ٢٢٥ *

ان النور المجدد المزمع ان يبر الامم الخائضة في عباب الجهالة يمتد في كل الامصار من المكان حيث كان لا يبرح فيه الى غاية ذلك الحين . وقد كانت الامم مزمنة ان تشارك وتقدس بيسوع المسيح ابن داود وابراهيم وقد لاحظنا ذلك مراراً حتى يد اننا لم نلاحظ العلة التي بها كان يسوع متكبداً غوائل الصلب والعذاب وحده منفذاً للامم وظاهراً على الاصنام . ففسرنا القديس بولس هذا السر العظيم في الفصل الاول من رسالته الى اهل قورنثية فمن الشوون الخطيرة ان تنهم هذا الكلام من اوله لانه قال لان المسيح لم يرسلني لاعمد بل لا يبشر لا بحكمة الكلام لئلا يبطل صليب المسيح فان كلمة المالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصين في قوة الله لانه قد كتب سايد حكمة الحكماء وارذل عقل العلاء فاين الحاكم واين الكاتب واين فاحص هذا الدر اليس الله قد جهل حكمة هذا العالم . فلا ريب في ذلك اذ لم يمكن للانسان ان يخلص من اجولة غرته فاذا كان العالم وهو في حكمة الله لم يعرف الله بالبرهان فقد يحسن لدى الله ان ينفذ الحكمة اي سر الصليب حيث الحكمة البشرية لا يمكن لها ان تدرك شيئاً الا بومن ما رب الحكمة الالهية العجيبة ان الله جعل الانسان في العالم حيث حكمة الخلق تبدو لديه كيف امال بصره بكل عظمتها وغناها ونظامها الكامل ومع ذلك لم يعرفه الانسان لان الخلق التي كان ينفذ ان تستنض افكارنا الى العلاء قد اوقفتها واصنع الانسان الاعي عبداً بكل جهالة وخشونة ولم يكنوا ان يعد عمل الرب بل افنضوا الامر الى ان عبد عمل يديه وقد كان دينة متوقفاً على افاصيص ذات هزة وبخيرة كالافاصيص التي تتداولها الصبية الاحداث فنجف عن الجادة القوية وجعله الرب بساء بوجه اخر لان العمل الذي يوول الى حكمته لم يوتر فيه تأثيراً

فعرض عليه عمل اخر حيث عقله لا يحيط علماً وتجاربه الفكر وليس ذلك الا صليب يسوع المسيح ولا يمكنه ان يدرك هذا السر بالبرهان بل باسر العقل تحت طاعة الايمان وهي قادرة على هدم الحصون فيهدم الآراء وكل علو يرتفع من معرفة الله

فاذا نفهم في هذا السر حيث اله المجد حامل العار والحكمة الالهية تعامل معاملة الجبون وحيث ذاك الثابت بعظمته الطبيعية لكنه اخلى ذاته اخذاً صورة عبدر صائراً في شبه البشر وموجوداً كشر في الهيئة فوضع نفسه وصار بطيع حتى الموت موت الصليب . فن ذلك تشبيل افكارنا وحسب قول القديس بولس لاثني اجمل من هذا الذي لم



* ٢٢٦ *

يكن منيراً من العالم

فهاك الدواء الذي اعده الرب لشفاء داء عبادة الاصنام لانه كان يعرف عقل الانسان ويعلم انه لا يلائي بالبرهان الضلال الذي لم يكن البرهان وضعة واضال تسقط بها مبرهنين لان الانسان يزنك احياناً بقياس وبرهانه. اما عبادة الاوثان فقد تأتت من علة مناقضة لتلك لانها طرأت لدى ضعف الحكمة والقياس وتسلط الحواس التي كانت تود لو تجعل كل شيء من الصفات الماثرة بها وهذا قد اصحبت الالهية محسوسة مادية فكساها البشر همتهم والتجمل من كل ذلك عيوبهم واهوالم ولم يكن القياس له دخل في هذا الضلال المبين بل كان ذلك انقلاب الحكمة والصواب وتسلط الجنون والحق فان داولت رجلاً معتمداً بالقياس او امالته الحكمة عن خطلة الصواب ثارها تهاج واستولى عليه الداء العيا فما عليك الا ان تعزز مزاجه وتكظم حنقه والتخلق الذي يبر ذاك الثورات . وبناء على ذلك لا يبرأ جنون عبادة الاصنام يوقا الذي ناله الفلاسفة بحطهم النصيحة واناسهم السامية وبراهينهم السديدة فهل قوض افلاطون بنصاحته المدعوة ساوية مذنباً واحداً من مذاهب هؤلاء الالهة الغريبة التي كانوا يعبدونها بل كان ذلك بعكس الامر فانه اقام هو وتلامذته وكل حكماء الجمل مذاهب للالفك وزاغت عن الحق انكارهم واظلمت قلوبهم التي لا تنفذ انهم اصبحوا جهالاً بعد التول عنهم انهم حكماء لانهم عبدوا الخلالتي قسراً عن انوار عقولهم الطبيعية

افلا يحق لبولس الرسول ان يهتف باية اخرى قائلاً : اين الحكماء واين المكاتب واين فاحص هذا الدهر اليس الله هو الذي جهل حكمة هذا العالم .

وهل امكن لم ان بلغوا خرافات الوثنيين وهل فكروا ان قد ترتب عليهم ان يعارضوا علناً كل التجديف وقصارى الامر ان يجسموا الاعنات بل على الاقل الاهانة لتثيت الحق ومع هذا فلم يقوموا بسبب ذلك بل انهم كتموا حق الله وتخذوا مبدأ يقنونه وذلك انهم يتقنون بالشعب بالاشياء الدينية . ومن المقرر ان هذا الشعب الذي كانوا يافتون منه اصبح متقدماً عليهم في امور خطيرة في مسائل الدين اذ كان ييدي غاية الافتقار لكل نورهم .

فما اجدى بك ايها الفلاسفة لم يقل الرسول ان الله يظهر جهالة حكمة هذا العالم ويبعد حكمة الحكماء ويرذل فهم الفها .

* ٢٢٧ *

وعلى هذا قد ابان الرب بالاخبار ان انقضاء عبادة الاصنام لا يتم بالبرهان البشري ولم يستند عليه بشفاء هذا الداء بل انه قد اتم ترذيله بسر الصليب وقد عاجل في الوقت نفسه الداء ففتح به الدواء فاستأصل علته .

فلو سرحنا طرف الطرف في عبادة الاوثان لرايناها ناجمة عن تعلقنا بذواتنا وذلك ما بعثنا على ان نخبر لنا الهة تضاهينا ليست سوى بشر قد تعرضوا للشبهات والوهن والمعائب وقد كان الامم يعبدون افكارهم ولذاتهم واهوالم بهيئة الالهة الافاكة اما يسوع المسيح فقد اوجنا في طريق جديد لان فاقته وعاره وصلبيه تجعله طراً مكروهاً لدى حواسنا وان افضى بنا الامر الى اتباعه اقضى ان نجالي نفوسنا وتنبذ كل امر ظهرياً ونصلب لاجل كل شيء ومتى تعرى المرء من كل ما يميل اليه فساد به بصبر اهلاً لان يعبد الرب وحقيقته الازلية المزمع حيث ان يقفوا كل فروضها

فلقد ذلك تباد كل الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها على المذاهب والتي كانوا يبرونها في خزائن القلوب لان هذه قد اقامت تلك ولقد كانوا يؤدون العبادة للزهراء لان غلام الحواس كان مستولياً على الانسان الذي كان يود سلطانه

واقم لباخوس مذاهب لانه اله السرور وكان الانسان يطوح نفسه الى ملذات الحواس ويقدم لها الذبايح لانها كانت لديه لذبة اكثر من معاقرة الخمر . فاني المسيح بسر صلبه يرسخ في القلوب محبة الآلام بدلاً من محبة اللذائذ فتبددت حيثشتر الاصنام اني كانوا يعبدونها خارجاً لان التي كانوا يؤدون لها العبادة داخلاً لم يبق لها من وجود لان ذوي القلوب النقية يعاينون الله كما يقول المسيح نفسه .

ولم يبق الله يكذب في ان يجعل الالهة تضاهيو بل قد اصبح يجهد نفسه في ان يكون مضاهياً لله بقدر ما يسمح له الضعف البشري

ان سر يسوع المسيح قد ابان لنا كيف يمكن للالهية ان تلبس ضعفاً وتحد بطبعنا دون ان تنط لان الكلمة قد تجسدت والذي كانت به صورة الله وطبيعته قد تلبس بصورة العبد دون ان يفتقد ما كان له لانه غير قابل للتغير في ذاته فاتحد بطبع آخر اناطه به

فما ابان الانسان قد رغبت في ان الالهة تكون مثلك بشراً مفسوداً فما انت



بذلك ألا ذوعى مبين فالان تعرض لديك عبادة جديدة هي عبادة الله وإنسان
معاً . وبالأحرى انسان لا يفتقد شيئاً ما كان له بالتفاذه ما هو لنا فالالوهية لا يعرفها
تغير ولا تبتل عن جلالها وليس بوسعها إلا أن ترفع ما اتخذ بها
لكن ماذا الذي يكون الرب قد اخذ منا اعموبنا ووصانا جل شانه عن ذلك فانه لم
ياخذ من الانسان سوى ما صنع . ومن المقرر انه لم يصنع فيه الوصايات او العيوب بل
صنع فيه الطبع فهاك ما اخذه . ويمكن لنا ان نفهم قائلين ان صنع الميثونة وما يصحبها من
الوهن احق عقاب على الخطيئة وان لم يكن ذلك في البدء من مآرب العلي . وبناء عليه
تحسب اعمال الله العادلة ولذلك لم يتأخر عز شانه عن اخذها وبما انه تغذ عقاب
الخطيئة لا الخطيئة ابدى انه الصديق الذي بقي سواء وصاى لا الجرم الذي يستحق
النصاص

وبناء عليه بدت كل الفضائل في اله مؤنس بدلاً من الرذائل التي كان
البشر يعزونها الى الغنم ولكي يبدو ذلك في الامتحان الاخير بدت فيه العذابات المبرحة
فلا تطلب اذاً الها اخر محسوساً سواء لانه وحده قادر ان يبدد كل الاصنام وعلى صليب
بلوح الظفر للزعم ان يتدرج اليه

ومغزى ذلك ان الانتصار معلق على جهل . بادرن لان اليهود كما يقول القديس
بولس : اليهود يطلبون الايات التي بها يزعم الله بشفة كل الطبيعة كما صنع لدى
خروجهم من مصر ليعلم بنوع . بادرن ظاهرين على كل اعدائهم واليونانيون يطلبون
الحكمة اي خطياً منظمة على نسق خطب افلاطون وسقراط فاما نحن فنكتر بالمسيح
مصلوباً شكاً لليهود وجهالة عند الامم لا بايات وحكمة . واما للعدويين من اليهود
واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله لان مستحيل الله احكم من الناس ومستغنى الله
اقوى من الناس .

فهاك الضرورة الاخيرة التي كانت تقتضي ان يصوبها علينا عقاباً لتكثرت وجهلنا
الظلم لان الحكمة التي نقاد بها قد عزت سمياً حتى انها اصبحت تدول لدينا غرابة وجهالة
لدى حكمتنا ونظامها سامر حتى انه اصبح يدول لدينا ضلالاً

لكن وان كانت هذه الحكمة الالهية لا تتركها بصائرنا تدول لدينا مناعيلنا لان
الصليب قد خرجت منه قوة بددت كل الاصنام وقد شاهدنا هبوط ذلك على

الارض قسراً عن الساطلة الرومانية التي كانت تقوم بناصرها ولم يتم باعباء هذه الايات
العظيمة حكماً . أو شرفاً . أو اعزاً هذا العالم
بل ان عمل الرب قد سرى حسب مجراه لان ما كان قد بدا بعار المسيح قد تم
بدل تلاميذه وعارهم وهاك ما قاله القديس بولس في رسالته الى اهل كورنتية انظرنا
دعوتكم ايها الاخوة انه ليس كثيرون يحكماء بحسب الجسد ولا كثيرون اقوياء ولا كثيرون
شرفاء بل اختار الله الجاهل من العالم ليغزي الحكماء واختار الله الضعيف من العالم ليغزي
القوي واختار الله الخسيس من العالم ليخفي ويغير الموجود ليعدم الموجود لكي لا يتفخر
ذو جسد امانة

ان الرسل والتلاميذ كانوا من اجفرا العالم وانهم كانوا كائناً كانهم ليسوا بوجودين ان
نظرنا اليهم باعين بشرية يد انهم كانوا يظهرون على الملوك والملكة الرومانية وكان
البشر قد نسوا تكوين الخليقة فجدده الله لما ابرز من هذا العدم بيعة التي اتاح لها قوة
عظيمة ضد كل ضلال وزلزل مع الاصنام عظيمة البشر التي كانت مجناً يدافع عنها
وصنع هذا العمل العظيم بقوة كلمته كما صنع العالم كله

الفصل السادس والعشرون

في انواع عبادة الاصنام المتنوعة وفي ان الحواس والصوايح والجهل
واحترام الآثار القديمة الباطل والسياسة والفلسفة والبدع
اخذت بناصرها فظهرت البيعة على كل ذلك

ان عبادة الاوثان تدول لدينا واهنة بلهاها ومع ذلك يتعسر علينا ادراك القوة
التي اقتضت لسقوطها وخافتها عينا تين ما كان من الصعوبة في ردعها لان هذا
الانقلاب العظيم الذي طرأ على الجنس العام بدل على التساد العين الذي صار في
اصل الطبيعة والعالم قد شاخ في عبادة الاوثان وبما انه كان مسيئاً باصناموا اصبح كاسم
لا يسمع لصوت الطبيعة الهانفة ضد هذه العبادة فكمن القوة كان يقتضي لهم ذكرى
معرفة الله الحق الذي كانوا قد ضربوا عليه حجاب النسيان وتشتل النوع البشري



من وهذه الفساد التي جهر بها
فان الحواس والكهوات طراً والاغراض النفسية تنذب عن عبادة الاوثان لان
هذه العبادة كان جل نشأتها للفلذات فان العرب والملاقي واطلاق عنان الفساد
كانت جرماً من الفرائض الدينية ولم تكن الاعياد الا ملاعب دنسة كالم تكن الفة
بشرية اصبح الاحتشام فيها منفياً باكثر اعتناء بما كان في الاسرار الدينية فكيف يمكن
ان تعتاد هذه العنول المنسودة على نظام الدين الحقني الطاهر المناقض للحواس
والذي لا تعلق له الا بالخبرات غير المنظورة ولما كان بولس الرسول يتناهي فيلكس
والي اليهودية في البر والعفاف والدينونة المثبتة استولت عليه الرعدة جرماً وقال اما
الان فاذهب وكنى سمحت لي الفرصة دعوتك لان هذا الخطاب كان عسراً على رجل
يود لو يتمتع بالفلذات دون وسوسة وبأي وجه كان
اتريد ان تنظر الان فاعلية المنافع والمصلحة في الامور البشرية فاصح الان
فان النعمة الذين كانوا عاشرين ببناء هياكل من فضة للالهة ارطاميس في افسوس
وقت سقوط عبادة الاوثان التي سببها وعظ القديس بولس في اسيا ونهض اعظمهم واما
لرفقائه ان مكسهم لا يلبث ان يزولهم وليس هذا فقط بل ان هيكلاً ارطاميس العظيم
يسى محترقاً وثلاثي شتاً فشيئاً هذه العظة المسجود لها في اسيا وكل المسكونة (كما في
اعمال الرسل فصل ١٩)

فما اعظم قوة المنافع وما اقوى جسامتها متى نتجت بنقاب الغيرة على الدين فان
اولئك النعمة لم يفتنوا الى غير براهمين لتعظيم فلما سمعوا ذلك انشغلوا غيظاً وطفوا
بصيصون ويقولون عظيمة ارطاميس الانوسية واخذوا يحرقون رفقاء القديس بولس
الى المشهد حيث اجتمع الشعب وحينئذ ضوعف الصباح واستمر ساعين يفتنون
قائدين عظيمة ارطاميس الانوسية واصبح القديس بولس ورفقاؤه يكادون لا ينجون
من ايدي الشعب لولامداركة الوالي انفاذهم خشية ان يحدث مجس اعظم من
ذلك وزد فائدة الكهنة الزمعيين ان يستطاعوا هم والهنم على فائدة اولئك الذين هم
مصالح خاصة وعلى هذه زد مصالح المدن التي كان الدين الافاك يجعلها شهيرة بمدينة
افسوس التي نالت امتيازاً عظيماً بواسطة هيكلها واغناها بتاطر الغرياء اليها وبناء
عليه كانت الزوابع التي ثارت على البيعة الجديدة عظيمة جداً . ومن ذا الذي يتعجب

بعد هذا بان يرى الرسل مضروبين ومرجومين بالحجارة ومتركون كالموتى وسط الشعب
لكها فائدة اعظم من تلك ازمعت ان تهيج اعظم واسطة هي فائدة الدولة التي تثير مجلس
شيوخ الرومانيين والشعب والملك ضد البيعة .

وكان يرى في زمان قدم اوامر في مجلس المشايخ تمنع الاديان الغريبة في الدولة
والملك ادخلوا في هذه السياسة عيها المداولة العظيمة .

لان الموضوع كان تصليح المعائب التي دخلت في الحكم من القوانين الاساسية التي
عرضها سناناس على اوغسطس ان يمنع الاديان الحديثة التي كانت تسبب في الدولة
بلايل فان هذا المبدأ هو حقني لانه لا يوجد شيء يهيج العنول باكثر شدة ويحملهم على
ارتكاب الكبائر اكثر من المذاهب واما الله فقد شاء ان يبين ان تشييد الدين الحقني
لا يسبب هذه البلايل وذلك من المعجزات التي تبين ان الله هو الفاعل ذاك الصنيع
لان الكل يتعجبون اذ يلاحظون انه في برهة ثلاثمائة سنة كاملة احتلنت بها البيعة كل ما
اقتصره غضب المضطهدين لعذابها لم يكن احد من المسيحيين ابراً واثراً متقرباً ضد
الملك ولا مغفراً الى الثورات العديدة والحروب المدنية التي طرأت وقتئذ وبطاب
المسيحيين من الذاعنابهم ان يسموا رجلاً واحداً ولم يتم قط منهم احد الى هذه الحروب
لان التعليم المسيحي كان يوهل تابعيه الاحترام نحو السلطة الدينية لان كلمة المسيح كانت
اثرت في العنول تاتيراً عظيماً بقوله اعطوا ما لتبصر لقبصر وما لله

وهذا القول اناح للعنول نوراً ساطعاً . ولذا لم يبرح المسيحيون يحترمون صورة
الرب في الملوك المضطهدين الحقن وصفة هذا الخضوع تبدي في كل ما كتب لمداقعتهم
محبة النظام العام ويلوح ايضاً ان المسيحيين لم يتنظروا تشييد الدين المسيحي الامن الله
وهؤلاء البشر الذين هم على امية الموت ومنتشرون في كل لغاه الملكة والعساكر لم ينسوا
نورهم وثبوا مرة واحدة في كل هذه الاجيال التي تعذبوا فيها ولم يكونوا فقط ينعون
نورهم من التردد والعصيان بل عن التذمر ايضاً لان يد الرب كانت في هذا العمل
وليس سوى يده يمكن له ان يجس البشر الذين حملهم الجور وهاجمهم على ان يتصلوا الى
هذا الحد

وبالحقيقة ان قد كان يشق عليهم ان يعاملوا كاعداء الدولة والملوك طالما لا يتنصرون
الخضوع ولا يطلبون الانفاذ الملك وسعادة الدولة ولكن كانت السياسات الرومانية



* ٢٢٢ *

تظن ان اركانها تزعمت لما كانت تشاهد انهم يحرقون الهنبا لان رومية تنخر بانها مدينة مقدسة منذ تشييدها ومكرسة منذ البدء للعناية الالهية ومكرسة من مؤسسها لاله الحرب وكانت تخال ان المشتري يسهر حاضراً في الكابيتول اكثر من اوليك وكانت تعزواتصارها الى الدين لانها بواسطة عبادتها قد ظهرت على الامم والهنبا لانهم كانوا يتكبرون هكذا وقتئذ حتى ان الالهة الرومانية كانت مزعومة ان تسلط على سائر الالهة كان الرومانيين كانوا مستولين على سائر الامم . ولما وقعت رومية بلاد اليهودية حسب اله اليهود بين الالهة المتفوعة وبنا عليه فمن يشاء ان يولي بكون يشاء هدم اركان الدولة وبانف من انتصارات الرومانيين وشوكة الشعب . وعلى هذا ان المسيحيين الذين كانوا اعاء الالهة كانوا يعدونهم في الوقت نفسه اعداء الدولة ولذلك كان الملوك بهمكون في استئصال اكثر من البرنيزين والركومانيين والداسيين وكانوا يذكرون في تواريتهم دنار الدين المسيحي باكثر افتخار من قهر السمرانيين بيد ان افتخارهم باستئصال دين ذهب ادراج الرياح فانه كان يثو من يوم الى اخر في ظلال السيف والباروقد تالبت عليه النجبة والجور فكان ذلك عبثاً فانهم كانوا يهتمون اناساً بيقون بالفضيلة الفاتفة بارتكاب رذائل تانف منها الطبيعة لانهم كانوا يهتمون بارتكاب الفشاء مع الاقارب اولئك الذين لا يلدنون الا باللعنة . وكانوا يهتمون المسيحيين باكل اولادهم وانهم هم الذين كانوا يحسنون الى مبعضيهم ولكن قسراً عن هذا بغض العام كانت قوة الحقيقة تلزم اعداءهم ان يودوا لم شهادة حسنة وليس احد يجهل ما كتبه بليوس الشاب الى تراجان الملك عن فضائل المسيحيين وبهذا بدت برايمهم ولكن لم يفهم من العذاب والموت اذ كان يلزمهم بهذه المعاملة الاخيرة لشكلة صورة يسوع المصلوب فيهم لانهم كانوا مزعمين ان يذهبوا الى حيث يصلبون بموجب حكم جلي بقربرائهم

ان عبدة الاوثان لم تكن مصوبة كل قوبها بالعسف والجور بل كانت ترغب في بعض ادلة فان كان ركنها الجهالة وفساد الحس المشترك لانه كم من مره جهدت في ان تخفي نفسها ولم قد تنصت وتنفلت لتخفي عارها فاحياناً كانت تظاهر بالاحترام نحو الالهية لانها كانت تقول ان كل ما هو الهى غير معروف ولا احد يعرف اللاهوت الا اللاهوت وليس لنا سوا غية ان تنفوع بامور سامية كذه وبنا عليه يقتضي ان كلاً يقفوا آثار الاندس بالدين الذي في وطو وهذه الاناويل اصبح الضلال ذو الكثر

* ٢٢٣ *

المستولي على الارض عبا وانحس صوت الطبيعة الذي كان يبشر باله حقيقي مقطعا ولقد كانوا يحسنون ان ومن العقل الرابع عن قوم المحبة يحتاج الى سلطة تنبه الى الاصل وبنا عليه يقتضي ان يتعلموا الدين الحق من الاجيال الدابرة ولهذا قد ابنت لك باسدي تسلمها القوم من ابتداء العالم اما الوثنيون فبأية قدمية يتفخرون ومن منهم كان يطلع تاريخ وطو ولا يرى فيه ابتداء الدين والالهة . فقد ابان فارون وشيرون هذا الاصل دون ان تذكر سواها من المولدين او اننا نعتمد هذا العدد الذي لا يحصى من السنين مقبلاً من خرافات المصريين وافاضهم السفينة ولقد كانوا يعتمدون ليلوخوا على ان قدمتهم في موضع فخارهم . وعلى كل كانت الهتهم ثولد وفلاشي وعسر على هذا الشعب ان يثبت قدميته دون ان يبين بداعة الهو

وهناك هيئة اخرى لعبادة الاصنام هي انهم كانوا يودون لويودون العبادة لكل ما كان يعتبر الهياً فقد كانت السهاسة الرومانية تكفر قسراً عن مارة الادبان الاجبية وتاذن بعبادة الهه البرابرة بشرط ان تكون تلك الالهة تحت حيازها وعليه فقد كانت ترغب في ان تظاهر بالعدل نحو كل الالهة كما كانت نحو كل بني الانسان . ولقد كانت آوة تقدم كياه الجور لاله اليهود مع سائر الالهة ودليل ذلك اننا قد عثرنا على كتابة من جوليانوس الجاحد فيها اباحة منه اليهود بان يوطدوا اركان المدينة المقدسة ليعظم فيهم لشدة الذبايح لاله الحق ولقد اسلفنا ان الوثنين كان في عزمهم ان يودوا العبادة لله لكن مشركاً . ولم يتوقف على الملوك بان يسوع المسيح نفسه الذي كانوا يفسدون تلاميذ ان يكون له مذبح لدى الرومانيين ولم يروموا ان يعتبروا اعتباراً له ذاك الذي حكم عليه قضاهم بالعذاب والثى عليه اعياء العار كثر من مولتهم فلا نجيب من هذا الامر الذي لم تخافهم قط ربة ولكن يقتضي ان يميز في باديه الامر ما يقوى به المره لدى بعضاو الشعراء من الحوادث المتفرقة التي يخال انها مبرهنة لدي . ومن البين ان الرومانيين لم يكونوا يعززون الى يسوع المسيح جربة خاصة ولو كانوا اصدروا عليه حكماً ولذلك قضى عليه يلاطوس دون طيبة خاطر بل قد قسره على ذلك اتمام اليهود وتوعدهم . ومن الامور التي تبعث على الحيرة والاستعجاب ان اليهود انفسهم الذين كانوا علة لصلب المسيح لم يبنوا في كتبهم القديمة اقل عل له يلم حياته ولم يكن من وسهم ان يحدوا فيه جربة تفرهم بالايجاف في الآقوله ان المسيح ابن الله وما تراه في الانجيل



* ٢٢٤ *

يصدق على ذلك

وحقيقة الامر ان تاسيتوس يبيننا عن عذاب يسوع المسيح في عهد يلاطوس والملك طباريوس لكنه لم يبين لنا عن اقل جريفة اوجبت له الموت الا انه مؤسس بدعة تكتمل للجس البشري بالقبضاء او انها ممتونة لديه فما هو ذا اسم المسيح وتلاميذه ولم يكن لالد اعدائهم ان يتهوموا الا بالفاظ مبهمه دون ان يبينوا اقل حادث مقرر لما كانوا يتهمونهم

ولاريب ان الوثنيين الذين لم يروا لم من جريفة يتهمون بها المسيح وتلاميذه اذاعوا في اثناء الاضطهاد الاخير وبعد يسوع المسيح ثلاثمائة سنة اضطرابات يلاطوس الكاذبة التي بها حاولوا ان يخلطوا للمسيح ذنباً قضت عليه بالصلب ولما كانت هذه الاضطرابات لم يسع بها في الاغصاء الفارعة لا في عهد دوميتيانوس ولا في عهد نيرون الذين قبضوا على زمام الملك في بداعة الدين المسيحي وما من الاعناء المكاشحين للدين اصبح من مقرر الامر انها اختلفت فيما بعد افتراحاً ولم يكن لدى الرومانيين ادلة قاطعه ضد المسيح حتى ان اعداءه قد ابتدعوها اعباطاً

فهاك قضية اولى هي براءة يسوع المسيح غير المدنس وزد عليها قضية اخرى هي قداسة حياته وتعليمه المعروف وان احد ملوك رومية العظام اي اسكندر سفاريوس كان مندهشاً من يسوع ولطالما كتب بامره بعض آيات من الانجيل في النواحي المرقوشة على الابنية العامة حتى على قصره وانه قد كان يثني على المسيحيين الذين كانوا يظنون على الاحتياطات التي من شأنها انتخاب خدمة للاله في المتدسة ولقد كان يعرض بها لتكون افودحاً ولم يكتف بذلك كله بل كان في قصره بيعة صغيرة كان يقدم فيها قرايين كل يوم صباحاً واضعاً فيها تماثيل الارواح المقدسة بظلها صورة يسوع وابراهم بقرية من صورة اورفيوس. وكان له بيعة اخرى اصغر من الاولى اقام فيها صور اشبل وبعض الانام المشاهير اما يسوع فقد كانت له المنابة الاولى بين تلك التماثيل فذلك ما نصه احد الوثنيين ويؤيد كلمة بشهادة احد الملوك المعاصرين لاسكندر الملك الوميا اليو فقد شهد لهذا الحادث اثنان. وهما كادتا اخر يجمل على العجب كالاول وهوان بورفيريوس وان يكن قد جاهر لدن بجهنم الدين المسيحي انه عدو له فيقر في كتابه المدعو الفلسفة بالديوث بان قد يوجد نبوءات توافق قداسة يسوع المسيح. بيد ان مجد ابن

* ٢٢٥ *

الله يجل ان تكون النبوءات الكاذبة طرائق من شأنها انفاقنا على كهوف قد جعلها لدن مجيئه معقودة السان فان هذه النبوءات التي ذكرها بورفيريوس لم تكن سوى اختراع يحث لكنا بهما امر فرد وهو ما ذا كان الوثنيون يزعمون بكلام الهتهم في يسوع المسيح. فيحقق بورفيريوس انه كان يوجد نبوءة يدعى يسوع المسيح وهو رجل بر اهل لان يكون خالداً. واما المسيحيون فانهم يعكس الامر اناس يخافهم الفساد والفروغ بذكرنا نبوءات الالهة فكثت بانها تنوء عن المسيح انه رجل تعاظمت تقواه وان جده المت بو العذابات المبرحة وصعدت نفسه الى العلا بين الارواح الطوباوية وقد كانت تقول الهة بورفيريوس ان هذه النفس لا تحبب بها ادراك وقد اغرقت في لجة الضلال النفوس التي لم يفرها الحظ مواهب الاله ومعرفة المشتري العظيم ولهذا اصبح ذواها من الدعاة الالهة فلا تندوا في المسيح بل تأسفوا على ضلال اولئك الذين اتبناكم عن سوء حظهم فلاريب ان هذه الكلمات الخفية تمثل عنها المعاني لكنا تدل بكل صراحة ان مجد مخلصنا قد ارغم اعداءه ان يجهروا بمدحو

وقد يرى في يسوع المسيح امر ثالث خطير عدا بره وقد استو وهو معجزة التي قد تقرر ان اليهود لم يشدوا عليها تكبراً فاننا نرى في تلودهم التنويه عن بعض المعجزة التي قام بها تلاميذه باسمو لكم اذاعوا ان تستمر تحت غشاء الخفاء انه كان يصنع بالسحر الذي تعلقه في مصر او باسم الله غير المعروف الذي لا تدرك اوصافه والذي يصنع كل شيء بقوة حسب اليهود وانه حفي بو في قدس الاقداس بامر لا يحبط بو ادراك اولئك المسيحيين هو احد الانبياء الذين تنبأ عنهم موسى وهم مزعمون ان يفرغوا الشعب بعبادة الاصنام بمعجزاتهم المعجزة. واما يسوع الظاهر بالاصنام الذي يثبث اتحيه في كل الارض ان لا يوجد اله واحد ليس يعوزه ان يبرأ من هذه التهمة وان الانبياء المختفيين لم يمشروا بالوهية اقل من الوهية وبناءه عليه ان ما ينج من شهادة اليهود هو ان المسيح قام باعباء المعجزات ليثبت ارساليته

ودخلة الامر ان اهمهم ليسوع بانه صنع المعجزة بالحرش بو موسى نفسه فكان الاخرى بهم ان يعبروا ذلك طرفاً من نظر الفكر وقد كان ذلك اعتقاد المصريون القديم الذين اخذهم الدهشة من المعجزة التي اتاحها الرب في بلادهم ليد موسى ولذلك كانوا يجهلون عليه بانه من اكبر السحرة. ويمكن لك ان تثق على كه ذلك في بلينيوس



* ٢٢٦ *

وايلوس حيث يذكر موسى مع الساحرين المصريين ومعه المذكورين في رسالة
مار بولس اللذين ردلها موسى بهاتين واما جواب اليهود فلم يكن يصعب فانهم قالوا ان
غروب الصخرة لم يكن له مفعول ثابت ولا يكون له غاية ليقرب عبادة الله الحقيقي كما صنع
موسى وفضلاً عن ذلك ان الله يقبض على ازمة الامور ويصنع ما يحقيل ان يقتدي
به العدو وهذه المحجج نفسها نرى يسوع المسيح من هذه النهايات الباطلة ولذلك لا ننيد
كما قد لاحظنا الا ان ثبت ان عجائب المسيح غير منكورة

والحق يقال ان هذه العجائب مفرقة تقريراً محضاً حتى ان الوثنيين يتمسرون عليهم
كاليهود انكارها فان سالت الدعاة المسيحية الذي اوسعهم طبعاً منراً لذلك كل
ضروب المحاذفة من البداهة لم يكن له ان ينكر كل عجائب المسيح ولوانه طلب بكل
اعتناء كل ما يناقض الدين المسيحي لكنه كان يقول في سبيل المدافعة كاليهود ان
المسيح غنم هذا السر من المصريين اي بالصبر وانه لم ان يعزوا الى نفسه القوة الالهية
بالمجرات التي كانت يتوخاها هذا النوع الذريع ولهذا السبب نفسه كانوا يعتبرون
المسيحية كالصخرة ولم تنزل عبارة من بوليانوس الجاحد بوخمها انه يأنف من عجائب
المسيح لكنه لا ينكرها ويقول قولاً بوليانوس مثله يرسلوا الى القديس اوغسطينوس وهذا
القول كان ذاتاً لدى الوثنيين كالم

فبناء عليه لا تستغرب ان الوثنيين اقاموا المسيح بين الهتهم اذ انهم معتادون ان يعتبروا
البشر الذين يصنعون اموراً خارقة الهة واوجز طباريوس الى مجلس الشيوخ ان يودوا
ليسوع المسيح اكراماً الهياً اذ انه الانبياء عنه من اليهودية وذلك لاريد فيه فان ترتوليانوس
بذكره كاسر شائع في المدافعة التي ابرزها باسم البيعة الى مجلس الشيوخ ولم يشأ ان
يضعف دعواه البادي حقها باستناده على اشياء منكورة يسهل دحضها وان رغبت في
شهادة المؤرخين الوثنيين يقل له لبريد يوس ان ادر يانوس اقام ليسوع المسيح هياكل
كانت لا تزال في حيز الوجود في عصره وان اسكندر سافريوس اراد بعد ان ادى له
ما اثر الاكرام خصوصاً ان يشيد له مذبح عام وتقيمته في عتيد الالهة

ومن المقرر ان توقف ايماننا بالمسيح على ما نقله اولئك الذين لم يتصفوا الى لئيف تلاميذه
امراً خارج عن خطة العدل فان ذلك يكون وسيلة لطلب الايمان من غير اهلو
والوقوف على كنه الدين بواسطة الذين لا يعتبرونه امراً خطيراً لانهم يعكفون على كل

* ٢٢٧ *

شيء سواه ومن اليقين ان مجد يسوع المسيح اصبح ذا سطوع زاهر حتى ان العالم لم يتمكن
من ان لا يودعي له بعض شهادات وليس من سعي ان اورد لديك شهادة الله احق من
شهادة الالهة الملوك

ومع ذلك فاني اثنى ان قد كان لم بذلك منصف خارجي لان بعض امور سياسية
كانت تبعث على اكرام المسيح فانهم كانوا يزعمون ان الاديان طراً تعد في النهاية وان
كل الالهة البدعية تغدو شائعة لدى الجميع . اما المسيحيون فلم يكونوا يسلطون بهذه
العبادة المترجة ولم يكونوا يحفظون مراعاة السياسة الرومانية اقل مما كانوا يحفظون
ما فيها من الجور والتسوية لكما الرب اراد ان يبدأ اخر يجعل الوثنيين على ان يتركوا
الهياكل التي اعدّها الملوك ليسوع المسيح لان كنه الاصلام اعطوا الملك ادر يانوس حسب
قول المؤرخ المذكور انما اذ اكرس الهياكل المشيدة للمسيحيين تنحصر كل الهياكل
عندما وان الجميع يعكفون على الولوج في دائرة الدين المسيحي لان عبادة الاوثان
بفسها كانت تشع ان فيه قوة ظافرة لا يمكن للالهة الكاذبة مقارنتها وثبتت حقيقته
ما قاله الرسول واية موافقة بين المسيح وباعال واية الله ليحكم الله مع الاصلام وعلى
هذا أصبحت عبادة الاوثان جليلة الدثار بقوة الصليب ومردولة بذاتها وان وحده الله
اخذت بتفريق حتى ان عبادة الاوثان لم تكن في نهاية الامر قاصية عن هذا الاعتقاد
فكانت تنحصر ان الطبع الالهى متناه في العظمة والسعة حتى انه لا يمكن ان يعبر عنه بلطفة
واحدة او صورة واحدة وان المشتري ومرس وحينوس والهة اخرون ليسوا الالهة واحداً
تضع قوته غير المتناهية وتمثل باسماء متباينة لكنهم كانوا يحيلون الدين الى رمز لما كانوا
يتصلون الى هذه التواريخ المدنية بالالهة وتوليدهم المردول وعنفهم الفاحش واعبادهم
واسرارهم التي لم يكن لها اساس الا هذه المخرفات الغريبة . واما هذا الاله الوحيد فكان
العالم والانس والحيوان والنار والماء والارض والسموات والجنات المختلفة المتوفرة تحت
اجاءة الالهة او العشق فيالة من مجل واهن ذريع فانه فضلاً عن ان هذه المخرفات
كانت غرة للجميع وكل هذه الرموز مجازة احد وثيلة قد كان لا يرى ولاها الا الله
واحد هو العالم باجزائه حتى صار مركز هذا الدين الطبيعة نفسها وعلى أصبحت عبادة
المخلوقات موضوع الخلق .

ان الاعتذارات الواهنة عن عبادة الاوثان لم تنفع لدى الفلاسفة موقع القول وان



* ٢٢٨ *

يكن مأخذا من فلسفة المنوسيين أما سانس وبورفوريوس فقد طلب عضداً آخر في
تعليم افلاطون وفيثاغورس . وهالك كينية موافقتها لروحته الله مع تكاثر الالهة الدائمة
فكانا يقولان ليس الاله عظيم والله متناه في المقدرة حتى انه لا يتنازل ان يهتم
بالاشياء الدنيئة بل انه اكتفى ان يصنع السماء والكواكب ولم يتنازل ان يضع يده
على هذا العالم الحقير بل خول امره للذين تحت يده وليس الانسان صنعة يديه وان
يكن قد خفي ليعرفه حيث انه عرضة للموت ولهذا يستحيل الوصول اليه لانه نادر في العالم
وقاص جداً عنا واما الارواح السماوية التي صنعنا في كواكبنا بيننا وبينه ولذلك
يقتضي ان نؤدي لها العبادة

وليس علينا ان ندحض تخيلات افلاطونيين التي كانت ايضاً توفي من تلقاء
ذاها لان سر المسيح كان بلاشبها من اساسها فكان هذا السريتم البشر ان الله الذي
صنعهم على مثالو لا ينافي منهم البتة وان كانوا يفتقرون الى وسيط فليس ذلك بسبب
طبيعتهم الذي يراه الرب كما برأ كل الاشياء بل بسبب جراتهم التي هم انفسهم اقترفوها
وقضلاً عن ذلك فان اطباعهم لا تنقصهم عن الله لانه يتنازل ويعد معهم فيصير انساناً
وهم وسيطاً ليس الارواح السماوية التي يدعوا الفلاسفة ابالسة والكتاب المقدس
ملائكة بل رجالاً تلتهم في القوة الالهية والطبع الانساني الضعيف ويصنع دواء
شافياً لدانها

ولو كان تكبر افلاطونيين لا يستطيع ان يتنازل الى ذل الكلمة المحيطة ولكن
الم يكن يجب عليهم ان يدركوا على الاقل ان الانسان قادر ان يملك الله كالملائكة ولو
كان احقر منهم قليلاً وبناء عليه فان الانسان مواهب للملائكة اكثر ما هو خاضع لهم
ولذلك لا يقتضي ان يتعبد لهم بل يعبد معهم بالاشترك الذي صنعهم جميعاً على مثالو
وان قدما الانسان الذبايح لغير الله لم تكن من الدناءة فقط من تكرر جميلو
ولائي يوازي غرغ الوثنيين بهذا الشأن فانهم بدلاً من ان لا يعبدوا الاله كانوا
يعبدون ابالسة

ولاسيا في الاحوال التي ابدت عبادة الاوثان ضعفها لما كانت في الورطة الشديدة وفي
انتهاء الاضطهادات لما لمح المسيحيون على بورفوريوس النجا ان يقول ان الذبايح ليست
من العبادة السامية فانظر الى اية درجة من العبادة قد اتصل فانه كان يقول ان

* ٢٢٩ *

الاله السامي له المجد لا يقبل ذبايح لان كل ما هو مادي مدنس الذي فلا يجب ان
يبرز له وان الكلام نفسه لا يجب ان يستعمل في عبادة لان الصوت هو كني مادي
بل يقتضي ان يعبد سكوتاً بافكار بسيطة وان اية عبادة ادبت له على خلاف هذا النقط
غير لائقة بحالة السامية

وعلى ذلك يتأني ان الله كلي العقل لا يحيط بحالته وصف ومن اكبر الجرائر ان
نغالي في مدحو ودخيلة الامران الذبيحة ليست لله وان كانت اقراراً بخضوعنا له الشاهي
وبسلطانه المطلق علينا وبقر بذلك صريحاً بورفوريوس نفسه . اليس هذا الرأي يهطل
الدين ويجهل ذاك الذي يعترف بوانه الاله عراً عن العبادة

فان كان هذا الامر على ذاك النقط فما هي الذبايح التي كان يقدمها الوثنيون في
هاكمهم فكشف هذا السر بورفوريوس نفسه لانه قال يوجد ارواح مدمنة مخالطة ومضرة
وانها بسبب كبريائهم العياء تود لو تكون كالالهة وتبعث الدوع الانساني على خدمتها
فيجب تسكينها لئلا تنفس في فمها من هوهاش مسرور يسكن المراح والملاعب ومنها من
هو مقطب الوجه يجب روائح الدهن ويغتذي من الذبايح الدموية فابيد دحض هذه
التفصايل المستعجلة واخيراً قد كسب المسيحيون دعواهم لانه تقرر ان الالهة برمها التي كان
الوثنيون يقدمون لها الذبايح هي ارواح شريرة كانت تنهي الى ذانها الالهية بسبب
تكبرها وبناء عليه فان عبادة الاوثان لو اعتبرت من حيث هي في تدوانها ناتجة عن
الجهل السمع لكما لو اعتبرت من مضرتها بدت كعمل متقاد من بعيد دفعته الارواح
الشريرة الى اقصى درجة من الفلو . وذلك ما كان يزعمه المسيحيون وما كان يعلمه
الانجيل ويشك صاحب الزمير بقوله . ان كل الهه الامم شياطين اما الرب فصنع
السموات

فياله من جهل وعي غريبين قام بها الجنس البشري فان عبادة الاوثان التي
سقطت الى دركات الضيقة وصنفت حياء بذانها لم تخرج في حيز الوجود ولم يكن من
متنصاعها الا ان تلبس بعض بوادي وتفسر بالناظر رشيقة لها وقع في الاذان لكي
تدخل في العقول وحقيقة الامرانهم كانوا يعجبون من كلام بورفوريوس وكان يعد
جميلك تنفيذ كرجل الهي لانه كان يستمر شاعر معلو بالناظر خفية وان كانت عربية
عن المعنى حقيقة



* ٢٤٠ *

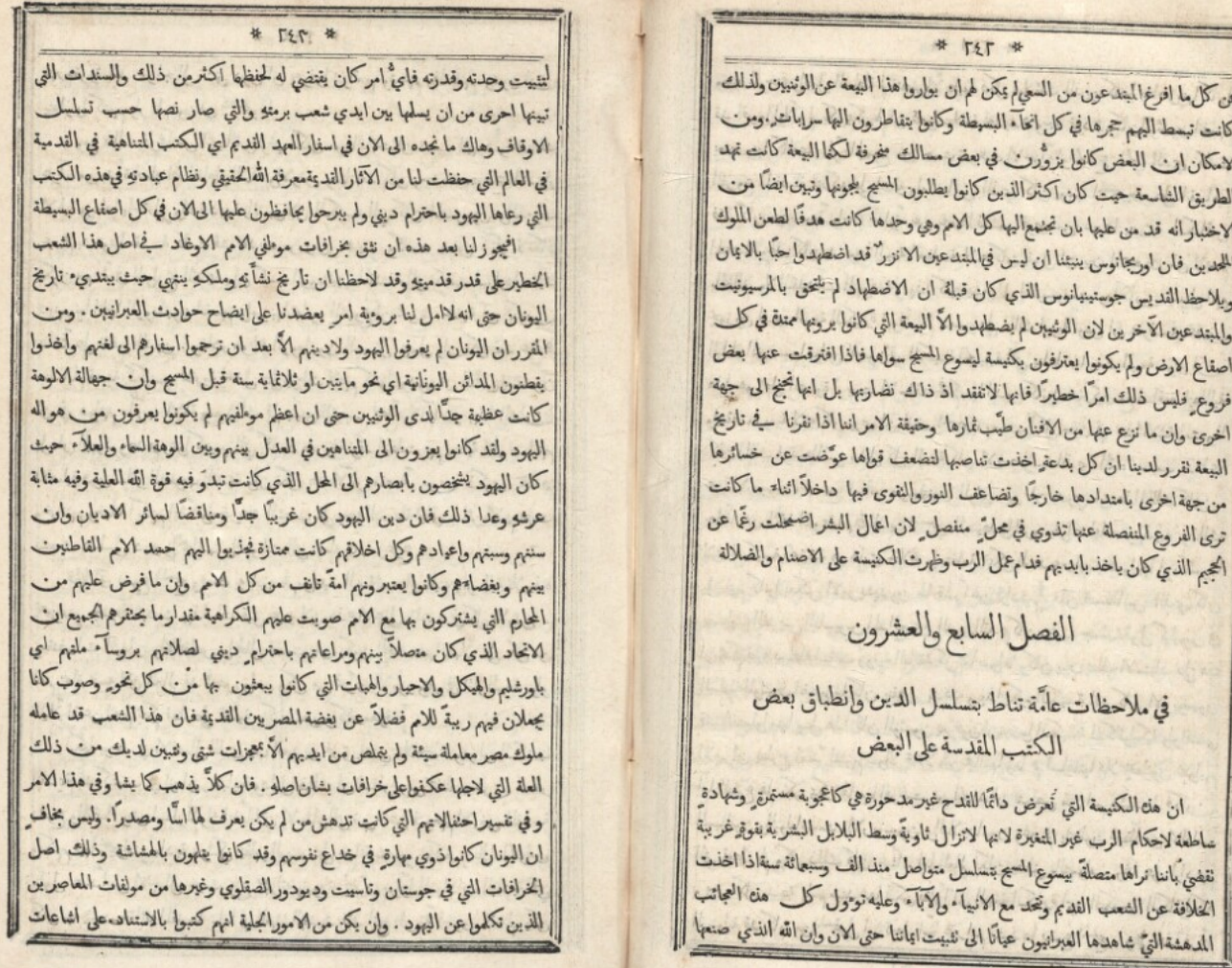
وقد خدع جوليانوس المجاهد بهذه البوادي وإن يكن عريقاً بالمهارة وأنبأنا بذلك الوثنيون أنفسهم لأن أولئك الفلاسفة كانوا يمدحون العالم بحجهم الذي كانوا ينفخون بها حقيقة أو كاذباً ويهدم الباطل ويعالاهم في شناعة المينة حتى أنهم كانوا يعدون أكل المحوان من الجوائز الكبيرة ويظهرهم المدفق ويتاملهم التي كانت تنهي بختلات باطلة ويكلامهم الموه بالالفاظ الرشقة الخالية من المعاني لكنني لم انطلق الى الآن بركن هذه العلة ولا ريب أن فداسة العوائد المسيحية وكرامة الملذات والتواضع الذي هو ركن الدين المسيحي كانت تذكر النوع الانساني وإن وصلنا الى معرفة الحقيقة بأن لدينا أن الكبرياء واللذائذ والساد متفردة بالدفاع عن عبادة الأوثان

ولقد كانت البيعة نشأ صلها بتعليقها وطول انماها . وأما هذه الأرواح الشريرة التي لم تبرح قط تخدع البشر وتعلم بطغفون بعبادة الأوثان لم تنس ما لها من الشهرة بل انها سببت في البيعة هذه البدع التي اوعزا اليها فان بعضاً من محبي التنفير وبعبارة اخرى محبي الاباطيل والشغب ارادوا ان يذيعوا فيها بيت المؤمنين فلم يكتفوا بهذه المحكمة المعتدلة التي اوصى المسيحيين بها الرسول بل ارادوا ان يلجوا على الاسرار وزعموا ان يفسوها على افكارهم الواهية . واخذ هؤلاء الفلاسفة المحدثون يترجون القياسات البشرية بالاجمان وشرعوا بقلون مصاعب الدين المسيحي لانهم كانوا يضيفون ذريعة عن احتمال الجنون الذي كان العالم يراه في الانجيل ولهذا قد نددوا استطراداً في كل قواعد الدين ابي ايمم تكروا القنوين وشريعة موسى التي هي الاس ضروري لشرعنا والوهية يسوع المسيح ونجده ونعته واسراره واصبحت كل الخفايا عرضة للافتسامات المتكئة فان سلس وغيره يوثقونا على هذا الانقسام . وكانت تبدو عبادة الأوثان مظفرة لانهما كانت تعذر الدين المسيحي كذهب حديث فلسفي سوف يحدث له ما حدث لغيره من المذاهب لانه كان يجترى كعبه الى بدع كثيرة وكانت البيعة تبدو لديهم كعمل بشري مزع ان يوهي بذائذ وكان يستج من ذلك ان لا تنوغل في التنفير في الدين اكثر من آياتنا ولان ندرج في تغير العالم

ان الله لم يتغافل عن يعيولن لدن بلبلة هذه البدع التي كانت تدعى انها مسيحية لانه قد اراد ان يحفظ فيها قوام السلطة التي لم تكن للبتدعين فانها كانت كاثوليكية عامة وكانت مشتمل على كل الازمنة وتقد الى كل الامم وكانت رسولية لان تواتر الابام والخلافة

* ٢٤١ *

ومنبر الوحدة واصل السلطة لم تقتصر الا عليها فكل أولئك الذين كانوا يغادرونها كانوا قد اقرؤوا أولاً ولم يكن يمكن لهم ان يحموا علامة تجديدهم وسمة ترمدهم وكان الوثنيون انفسهم يعتبرونها كالغصن او كالتجميع من حيث تفرعت الاجزاء او المجدع الحي الذي كانت الفروع المنفصلة تنرك على اصله واما سالس الذي كان يوثب المسيحيين على انقسامهم فقد كان يرى بيعة واحدة منارة عن غيرها تستمر اقوى من غيرها بيت الكنائس المنفصلة ولهذا كان يدعوها البيعة العظيمة لانه كان يقول ان بين المسيحيين من لا يسلم بالخالق ولا التقليدات اليهودية وهذا كان يشير الى المارسيونيت وما كان يقول انهم يجوزون لدى البيعة الكبيرة قبولاً . ولم تعم على الملك اوريلانوس ان يعرف في غضون اللبلة التي سببها يولس السموزاتي الكنيسة الخفية التي يناط بها بيت البيعة سوى ان هذا هو محل الصلوة اوبيت الاسقف فحكم بها للذين كانوا مشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومية لانه كان يرى ان لثيف المسيحيين مستمر كل حين في هذا الاشتراك . ولما كان الملك قونسطانس يبلبل كل البيعة كان الاضطراب الذي القاه بسبب دفاعه عن الاريسيين لم يمنع ايمانوا مرسليوني الوثني من ان يدري ان هذا الملك كان جانياً عن المحبة القوية الهمة للدين المسيحي البسيط والمقرر بقواعدايماناه وبمذبيته وذلك لان الكنيسة الحقيقية هي ذات جلاله واستقامة لا يمكن للبتدعين ان يفتدوا بها او يتكسوها بل انهم كانوا بعكس الامر يشهدون لها قسراً عن ارادتهم . فان قنسطانس الذي كان يضطهد القديس اثناسيوس المدافع عن الدين القديم كان يرغب حسب قول كيليوس في ان يحكم عليه بسلطة اسقف رومية الفاتكة كل ما سواها وكان يبين بطله الاستناد على هذه السلطة للوثنيين انفسهم ما كان ينقص بدعته وبهذا يكرم الكنيسة التي كان الاريسيون قد انصلوا منها وعلى هذا كان الوثنيون يعرفون ان يثيروا الكنيسة الكاثوليكية ولو اقتضى الامر ان يطرح احد لديهم سؤالا فائلاً اين مجالها وما م اساقفتها فلا يجنطون بجوابهم اما البدع فلم يكن يمكن لها ان تفرغت من الجهد ان تبليص من اسم مشيدها فكانت السبايون والبوليانيس والاريسيون والبالاجانيون وغيرهم يلقظون غيظاً من الالاف التي تعطى لم وكل ذلك كان عبثاً . اما العالم فكان ينطق بالصواب رغماً عن ارادتهم وبشي كل بدعة باسم مبتدعها لكن نظراً الى البيعة الكبيرة ابي الكنيسة الكاثوليكية الرسولية قد كان من المستحيل ان تعلى اسماً غير اسم مشيدها يسوع المسيح . وعلى هذا فرغنا





* ٢٤٤ *

غير مفرقة بعد مجازيل شتى دون ان يعرفوا شرائعهم ودينهم وفلسفتهم ودون ان ينظروا كتبهم ولربما دون ان يتصفوها

ومع ذلك فرغنا عن المجازلة والوشي فكان من الثابت ان شعب اليهود وحده قد عرف من بدء اصله الله الفاطر السماء والارض وفيما بعد كان وحده مستودع الاسرار الالهية ورعاها باحترام واهمية دينية زائدين لان الكتب التي كان المصريون والشعوب غيرهم يدعونها مقدسة كانت قد فقدت من زمن مدبر وكانت بعض آثار لا تكاد تكون مبهمة في التواريخ القديمة وان كتب الرومانيين المقدسة التي كتب اسرارها مشيد دينهم نيا انقلها الرومانيون انفسهم وامر بها مجلس الشيوخ ان تحرق خشية ان تكون عائقا على نقض الدين . وغادر هؤلاء الرومانيون السبيل مهمل وان تكن تعد عنهم منذ ايام قديمة ككتب محترمة تشتمل على نبوءات لانهم كانوا يودون ان الناس يعتقدون ان في دولهم ما رتب الالهة ومع ذلك فلم يبينوا للشعب نسخة ولا آيات بهذا الشأن بل ان اليهود وحدهم وعوا كتبهم التي كانت معروفة وقد انطلت بهم رعاية اثار ديانتهم الاصلية دون سائر الشعوب القديمة وان تكن هذه الآثار مفعية من ذكرى مجدهم وخيانتهم وخيانة آباؤهم ايضا واستمرهت الشعب على وجه البسطة لياقي سائر الامم حيث تسعت بتمسك ديو والعجايب والنبوءات التي تجعله غير مزعزع

فلما اتى يسوع المسيح وبعث يوايه بتم مواعيد السنة ثبت ارساليته وارسالية تلاميذه بمجرات جديدة فقدت بهذا التدقيق عيون لان هذه الاعمال ذاعت في كل الارض . ومتنضبات الزمان والاشخاص والحال قضت بان يكون البحث عنها سهلا على كل من اهتم بنجاة نفسه لان العالم قد غص وامن وكل من تحرى الامور وتفر في اثار البيعة ولو قليلا اذعن انه لم يحكم قط على قضية باكثر من اكثر معرفة

لكننا يوجد في الاتصال الذي بين المهديين فرق يتنضي ملاحظته وهوان الكتب القديمة قد كسبت في ازمان متباعدة ودليل ذلك ان اسفار موسى تختلف عن اسفار يشوع والقضاة وعن اسفار الملوك ايضا لان الاسفار التي نبي عن فتوحهم الارض المقدسة ومكثهم فيها بمجرات بادية . ولكي يظهر الرب على خيانة شعب عاكف على الحواس : ناول عددا من الاجيال حيث وزع معجزاته ونبوءاته ليجدد مرارا الشهادات البادية التي كان بها يشهد حقائقه المقدسة . اما في العهد الجديد فقد اتبع طريقة اخرى لانه لم يكن

* ٢٤٥ *

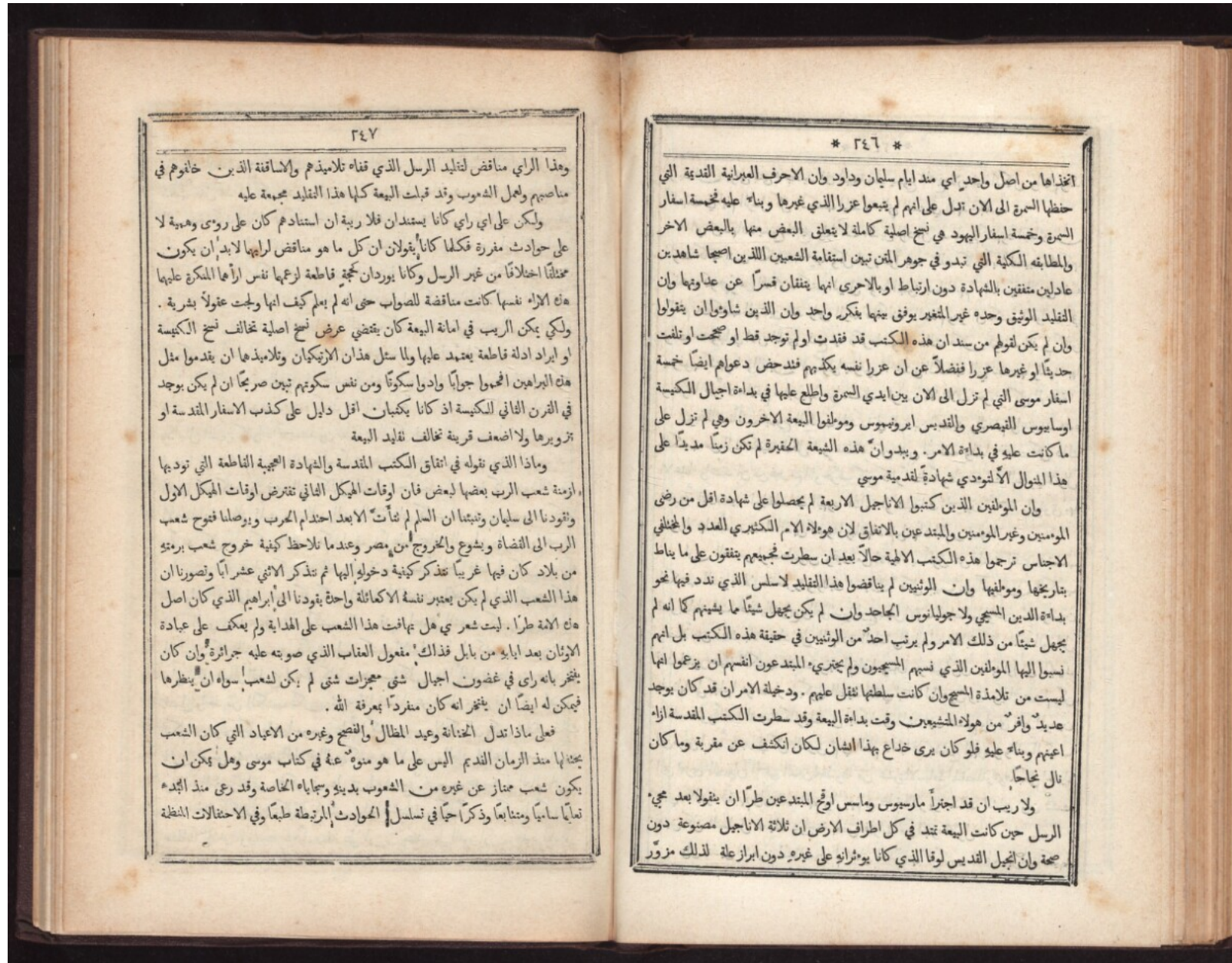
يريد ان يوحى بشئ جديد الى البيعة بعد يسوع المسيح لان فيه الكمال والقام ولهذا كتبت في ايام الرسل كل الكتب المقدسة التي التفت في العهد الجديد

اي ان شهادة يسوع المسيح واولئك الذين اراد ان يصطنعهم كمنه انبعثوا من الموت كافيية لدى الكنيسة المسيحية وكل امر طرا بعد ذلك كان آيلا لتشيدها لكنها لم تعتبر كوحى من الله الا ما كتبه الرسل او ما اثبتوه بسلطانهم . اما في الفرق نفسه القائم بين كتب المهديين فقد راعى الرب دائما هذا الظلم وهو ان تكتب المحواريث في وقت حدوثها في الان الذي يذيع فيه ذكرها . وعلى ذلك فكل اولئك الذين كانوا يعرفونها كتبوها والذين لم يكونوا يعرفونها اعتمدوا الكتب التي تتضمنها وتشهد بها وسلوها طرا لاختلافهم معتبرينها حوادث ثمينة فاعتادوا الاخلاف حرمتها كل الرعاية

وبذلك تألف مجموع الكتب المقدسة في العهد الجديد والتقدم واعتبرت هذه الكتب من البدء كتحفة لكل امر معطاة من لدن الله نفسه ولهذا استخفت كل ذاك الاعناء واعتقد ان من غير منها او حرف كان كافرا فظيعا وعليه اتصلت البنا وهي لا تزال محترمة غير متغيرة او بتقليدات اليهود الثابتة او بتقليدات المسيحيين الصحيحة والوثوق بها مقرر لانها تثبت بدما الذين كتبوها وباشهادهم واشهاد الذين قبلوها

ان القديس اوغسطينوس وغيره من الانبياء بسألون عن المسند الذي به تنسب الكتب الدنوية لازمة مفرقة ومولفين محققين فكل يجيب على الفور ان الكتب تنماز بالمناسبات المختلفة بالترابع والعوائد وتواريخ بعض الازمنة الخاصة والمولفين المخصوصين وفضلا عن ذلك بالاستناد على الشهادة العامة والتقليدات الثابتة فكل هذه الوسائل تجد لتقرر حقيقة الكتب المقدسة وتبرأوقاها وتبين مولفها وان ما بذلوا من الجهد لحفظها على كتابها هو مقدار ما يكون التقليد الذي ابقاها لنا دون ريبه وبناء عليه لم يكن ذلك معروفا فقط لدى الكاثوليك بل ايضا لدى المبتدعين انفسهم ولدى غير المؤمنين لان موسى لم يبتأ يعتبر في كل الشرق ثم في العالم قاطبة انه مشرع اليهود ومولف الكتب التي تعزى اليه وان السحرة الذين اخذوها من عشرة الاسباط المتصلة عروها بكل احترام ديني كاليهود انفسهم وان تقليداتهم وتاريخهم في غاية القربير بذلك الشأن وان شئت تحقيق كل التسلسل فعليك بمراجعة بعض فقرات من الجزء الاول

وان هذين الشيعين المتناقضين لم يجتلي احدهم منها الكتب الالهية بل انما كتبها





والعوائد العامة مستنداً بذلك على مبادئ التكوين والايان بالعناية الربانية فهل يمكن
شعب مثل هذا ان يكون دون تاريخ بني عن اصل نشأته ودون سنة تليد عاداته مدة
الف سنة مكث فيها في ملكة واحدة وهل يمكن ان عزرا شرع على الفور يفرض عليه
باسم موسى تاريخ اثاره القديمة والسنة التي دامت اخلاقه وذلك بعد ان اصبح اسيراً
وشاهد استئصال مملكته فليت شعري أية حكاية تنأى عن الصواب أكثر من هذه في
هذا الافتراض ومن يمكن له ان يعتقد بذلك دون ان يكون جاهلاً جاحداً فليكن يمكن
فقد هذه الشريعة بعد ان اعطيا هذا الشعب كان من المنتهي استئصال هذه الامة او
ان يكون طراً عليها تغيرات عديدة ومختلفة حتى تشوش معرفتها باصلها ودينها وعوائدها
فان كانت هذه البولي قد حلت في شعب اليهود وان ستم المعرفة صريحاً على
عهد صدقياً قد فقدت ستم عاماً بعد هذا الملك رغباً عن اعتناء حزقيال وارياو باروخ
ودانيال الذين كانوا دائماً يستندون عليها بمنزلة ركن قوي للدين وسياحة شعهم فاذا
فرضنا ان هذه السنة قد فقدت قسراً عن هؤلاء الصديقين وغيرهم وفي الوقت نفسه
الذي كان كثيرون فيه يتألمون اكليل الشهادة حياً بهذه الشريعة كما تبين ذلك من
الاضطهادات التي ألمت بدانيال والفتية الثلاثة فان كانت فقدت بوقت وجيز كهذا
رغباً عن كل من ذكر واصبحت هكذا مضروباً عليها حجاب السحابة وان عزرا تصرف
بها حسب مولد وهواه فيكون قد التزم ان لا يولف سفرنا واحداً فقط بل كانت لازمة
ان يولف في الوقت نفسه كل كتب الانبياء الاقدمين والمحدثين اي الذين كتبوا
قبل السبي وبعده وفي مدته وكتب الذين قد شاهدوا الشعب يكتبون واسفار
الذين كان الشعب يعي ذكرهم وليس كتب الانبياء فقط بل كتب سليمان ومزامير
داود وكل اسفار التاريخ لانه لا يكاد يوجد شيء كل هذا التاريخ حادث خطير او
فصل واحد من الكتب يمكن ثبوته اذا فصلناه عن اسفار موسى فان كل الاسفار
تتكلم عن موسى وكل ما فيها موسس على ما كتبه موسى ولا يمكن ان يكون بخلاف ذلك
لان موسى وشريعته والتاريخ الذي كتبه هو الاساس والهاد في اعمال شعب اليهود
ونظامه العام والخاص فيكون على عزرا مشروع غريب وحديث في العالم بان
يورد اشخاصاً كثيرين يتكلمون بالاساليب وانواع مختلفة . وكل منهم يتكلم بما يكون
مطابقاً للاحترام ويبعث شعباً برهته على ان يعتقد على الفور ان هذه الاسفار

في الاسفار القديمة التي كان يهودي لها احتراماً والمجديفة التي شاهد من نصها وذلك كانه
لم يكن قط يسمع شيئاً وان معرفة الازمنة الحالية والغابرة التي تليد فجأة . فهذه هي المعجزات
التي يتدب ان يسلم بها من لا يسلم بعجائب الرب ولا يقبل الشهادة التي تقر بها انه قد
قبل عن شعب برهته انه قد نظرها بعينه .

ولكن فان كان هذا الشعب لدن اباؤ من بابل الى ارض آباءو جديداً يتدارس
كهذا وجاهلاً حتى انه كان لا يكاد يتذكر وجوده لانه قبل دون فمصر كل ما شاء
عزرا ان يسه له فكيف يرى في الكتاب الذي توشى عزرا كتابته كلها وفي كتاب
نصها معاصره كل ما يقوله في الكتب المقدسة . ومن ذا الذي كان يمكن له ان يسمها
يتكلم عن شريعة موسى في محال متباعدة علانية كان ذلك امر معروف لدى الجميع .
وكان الشكل يتداولون هذه الاسفار ولقد كانت في وسعها ان يرتب الاعياد والذبايح
والاحتفالات وصورة المشيد ثانية والذبيحة والنظام وقصارى الامر ان كل شيء كان
يتم لدن قولها حسبما نص في شريعة موسى عبد الرب

واما عزرا فيدعي في الكتاب كعمل في الشريعة حيا الرب اسرئيل بوساطة
موسى وذلك بموجب هذه الشريعة والقوانين التي كانت على يده واسرى ارضهشتا ان
يزور الشعب ويرثيه ويصلح اموره ومن ذلك يتأني ان الامم انفسهم كانوا يعرفون شريعة
موسى بانها شريعة لكل الشعب وكان كل علماءهم يتدبرون هذه الشريعة كل آن
انها قاعة لا عالم و دستور لهم لان الكهنة واللاويين مبدون في المداين وترتبت
وظائفهم ومرتبتهم اتفا حسبما نص في شريعة موسى وان كل الشعب يتدبر تاجها فذلك
لسبب انه مبدع الشريعة وان كان يحدد العهد مع الرب بتوقيع خاص من قبيل كل
الاشخاص فذلك بالتوكيد على الشريعة عيها التي كانت تلي لهذا الشعب علانية بكل
صراحة صياحاً وساماً من ايام حجة امام كل الشعب الذي كان يلتم بصيغ لملطوقها
وقو يعبرها كثرية آباءو . وكان العديد الاوثر من الرجال والنساء يسعون القراءة
ويعرفون القوانين التي تعلموها منذ نعومة اظفارهم فاذا كيف امكن لعزرا ان يلو امام
كل شعب كتاباً معروفاً وهو نفسه الله ورتبه حسب هواه ولم يعثر احد على ادنى
وصة او قرينة او تعقيب فانهم كانوا يملون تاريخ كل الاجيال الماضية مبتدئين من
سفر التكوين ومنتها في عصرهم وكان الشعب الذي ازاح عن عائقه مراراً حجة نبر هذه



الشرعية تجعل هذا العبء الثقيل دون معارضة لانه سير الامور وايقن ان احقاره هذه
الشرعية جذب اليه كل اصناف المشاق التي كان يتكدها لانه منع الربا حسب نص
الشرعية وذكر الناطل وحل ما كان قد عتد للزينة ولم يبد احد نحوه مقاومة فلو قدر
ان هذه الشرعية لم تكن في حيز الوجود او كانت منسية لما رأيت شعباً من الفطرة الانسانية
يسمى بموجبها من مجرد طبعه

ولقد كان هذا الشعب برمتي يصنع لكلام حجي وذكر يا وتلخيا الذين كانوا يقتنض
يتنبئون واقتداء بالانبياء سلهم لم يكونوا يندرون الا بموسى وشرعية الرب التي اعطاه
اباهما على جبل حوريب وذلك امر معروف في كل الازمنة وتبعه الامة . وان لم يكن
ذلك كذلك فاذنا يقال في هذا الزمن عيب لدن انشاء هذا الشعب بانه قد اعتجب من
تقيم نبوة ارميا في مئة المسي سبعين عاماً فكيف اصبح سفر ارميا الذي صنعه عزرا وغيره
من الانبياء يوحذ بهتة بعين التصديق . فبأية خديعة امكن له ان يقع شعباً برمتي واليهو
الذين كانوا قد نظروا ولم يزلوا منتظرين انتاذهم العجيب الذي اندزم عنه في
كتبه او قدر ايضاً ان عزرا ونحما لم يكتبتا تاريخ عصرهما بل كتبه باسمهما مؤلف آخر
وان الذين قد صنفا كل اسفار العهد العتيق وما تلا من الاجيال عضد لها حتى ان
مزورين آخرين قد قدروا لها تاريخاً ليقروا ما اختلفوا من التزوير

وما تلك الاحاققة تبعث على التحمل قبل ان تقول ان عزرا ابرز الى الوجود فوراً
كل هذه الاسفار الجبابرة عن بعضها ناساً وزماناً يقولون انه ادخل اليها العجائب والنبوات
التي تعري الناس بان تعتبرها الالهية فتكون هذه الضلالة اشرف من الاولى لان
هذه العجائب والنبوات هي منتشرة بقدر كذا في كل الاسفار ومكررة ومنهتة بعبارة
مختلفة كثيرة الاستعارات عظيمة الوقع وباجاز القول انها داخله ضمن الاسفار هكذا
معتبرين ان يقتضي ان لا يكونوا قد تصفوها اذ لا يسهل عليهم ان ياتوا بما يضاهاها بان
يضمونها اموراً لا يود المحققون ان يروها فيها ولو صغروا كل ما يطلونه فكل ما فيها عجيب
والأفهي ركن الكتب المقدسة حتى انها تبدو قسراً عن كل اجتهاد . ولو قدرنا ان
عزرا اضاف بعد المحادث النبوات الى ما كان قد حدث في زمانه فيكون اذ ذاك
قد اضاف المحادث التي تمت فيها بعد على عهد اتيوخوس والمكابيين وغيرهم وهل
من الممكن ان يكون الله قد من على عزرا بروح النبوة حتى يظهر خداعه مضاهياً للحق

وعلى ذلك يوثرون ان يكون ذلك تزويراً على ان يكون قام به اشعيا او ارميا او دانيال
او ان كل جبل كان مطلوباً على مزور ذي سعادة يصنع له كل الشعب ومزورين
حد يثين يكونون قد التحازوا الى الكتب المقدسة محبة في الدين حتى انه بعد ان يكون
القانون قد تم وتكون الكتب قد انتشرت في كل الارض بين اليهود وترجمت الى كل
اللغات الاجنبية يكون ذلك لدثار الدين في سبيل الغيرة على تشييده . فهل من الممكن
ان شعباً برمتي يسمع دون عناء بكل ما يعتقه الهياً سواء كان اعتقاده بذلك خطأ او
صواباً وهل يأتى ان احداً يمكن له ان يفتح المسيحيين او المسلمين ان يضيفوا الى الانجيل
او القرآن فصلاً واحداً ولربما ان اليهود كانوا يتساهلون بمثل ذلك اكثر من غيرهم
او انهم كانوا لا يهتمون كتبهم المقدسة كغيرهم . فيا لها من آراء حاملة نشيت بها لما
نشأ ان نلقي عن عواقبتنا بر السلطة الالهية ولا ترتاب حواسنا واخلاقنا الا بعقلنا الضال

الفصل الثامن والعشرون

في ان المضاعف التي يتقبلونها للكتاب المقدس ينهل دحضها
لدى ذوي العقول الثاقبة

ليس من دأبك ان تقول ان البحث في هذه الامور صعب لانه لو كانت صعباً
لاقتضى ان نسل اما بسلطة الكنيسة او بالفيلسوف منذ اجيال عديدة وانكسب فاحصين
الى النهاية ولا تنتكر اننا نتخلص من هذا الشغل لدى قولنا ان يستلزم وقت شدة اكثر
ما غر يد لخالص تنقوسا ودخيلة الامراته بدون ان نغلب بهاء عظيم كتب العديد
يقضي ان ترى رسائل القديس بولس المحبة البدعية المحاوية سائر حوادث الوقت
والاشغال والمحركات التي تمت وقتئذ والتي لها صفات خاصة ولا ريب ان هذه
الرسائل التي كانت مقبولة في الكنائس التي ارسلت اليها قد انبثت في غيرها من
الكنائس فذه وحدها تكفي لتفتت العقول المستقيمة ان كل شيء في الكتب
المقدسة التي سلمها اليها الرسل .
وعلى هذا نرى ان بعض هذه الكتب يقوم بناصر البعض منها لان اعمال الرسل



تأمة للجميل وتلقوه طبعاً رسالتهم ولكن فلكي يكون كل شيء بالمطابقة لتسليم
اعمال الرسل والرسائل والإنجيل في كل مصر كتب اليهود القديمة لأن القديس
بولس وغيره من الرسل يستشهدون دائماً بقول موسى وما كتبه وما قاله الأنبياء. أوكتيوس
بعده لأن يسوع المسيح يستشهد بموسى والأنبياء والمرسلين معبراً عنها شهادات للتحقق عنها.
ومضى اراد أن يفسر أسرار يهوه بموسى والأنبياء. وإذا يقول لليهود أن موسى كتب عنه
يحمل ما هو أكثر تحقيراً لديهم لسا وبذلك يعود إلى جرئتهم تقليدناهم. ومع هذا كل
قلتها الآن لنفب على ما يعترضون هذه الشهادة المعروفة وما هو مقبول لدى كل
الاجيال إذ لا يجب أن يؤمن القديس بمجد قديمة هذه الأسفار لأنهم اجتمعت في باباينا
بنشروا تعاليم في كل اللغات ضد الكتب المقدسة. فإذا الذي يعمدونه ليثبتوا ابتداع
الاسفار الخمسة وما ذا الذي يعترضون به هذا التقليد الذي مضى عليه ثلاثة آلاف من
الاعوام وليس له من عضد سوى قوته الخاصة. ويؤخذ من توازن الامور ان شيء من
اقواله متتابع ولا شيء لديهم محقق ولا خطير بل ما يفهمون به بشأن التعداد والغال
والاسماء كلة اهرام وان هذه الملاحظات التي لا تعتبر في أي موضوع كان كمدخلات
باطلة ليس لها قوة تثبت بها جوهر الامور فانها تلغ لنا بهرامين قاطعة ضد اشياء
متنامية في الامة. يزعمون ان قد يوجد صعوبات عظيمة في تاريخ الكتب المقدسة
صعوبات لا تبرز إلى الوجود لو كانت الكتاب غير قديم او قام باعياثو رجل ماهر
حضيف كما يقولون وكذلك ان هذه الصعوبات لم تكن لو كان الشعب الذي نقله اليها
غير مدقق في رعايته على كيانته ولو كانت له الحرية في تدليل صمايه وعدا ذلك فيه
الصعوبات التي تقيم من طول الزمان إذ تتغير الحال بالنظر إلى اسماها واحوالها والتواريخ
تكون قد تباست ولم تعد تواريخ العبال تعرف ولم تصبح الاغلاط المتأناة من النسخ الملهة
لوان بعض حوادث نسخها النوع الانساني بني بعدها الاجام في جز من التاريخ ولكن
هذا الاجام هو في تسلسل الامور وفي ركنها فكلاً فكل الحوادث متناقضة وان ما هو مبهم
يفيد قديمة الكتب المقدسة ووجوب تأدية الاحترام لها

يقولون ان قد يوجد تغيير في النص لأن الترجمات القديمة لا تطبق على بعضها
وان النسخة العبرانية عنها فيها مناقضة بين بعض فقراتها في محال شتى وان نسخة السبع
تختلف ايضا في مواضع عديدة عن نسخة اليهود عدا الكلمة التي يفهمون بتغيرها

عدداً بشأن هيكلهم على جبل غر بزام والذي يستنبطونه من ذلك هو ان اليهود او عزرا
يكونون قد زوروا خمسة اسفار موسى بعد الايات من السبي فكان من المنتفى ان تكون
النتيجة عكس ذلك لان الاختلاف الذي في النسخة السامرية يفيد تثبيت ما قد قرناه
وهو ان نسخهم لا علاقة لها بنسخة اليهود ولا يمكن ان تصور ان هؤلاء المنفصلين قد
نقلوا شيئاً عن اليهود وعزرا إذ تراهم بالعكس لم يختلفوا الا بقصة لليهود وعزرا وانما
من الهيكل الاول والثاني روايتهم بشأن غريزهم ومن ذا الذي لا يرى انه لو صح زعم
المجدين لكان هؤلاء المنفصلون اجمل اليهود باختلاف الكتب لم يتبعهم لكن هؤلاء
المتبردين الذين رفضوا عزرا وكل الانبياء وهيكل اليهود الذي شاده سليمان واعده
داود وعين عمله فإذا يجتمعون في خمسة اسفار موسى الا قديمها السابقة عزرا والانبياء
وسليمان وداود القديمة المجموعة عليها الاثنان اليهودية والسامرية فما اعز سلطة موسى وما
اقوى حقيقته اسفاره الخمسة التي بدلاً من ان ترزعها الاعتراضات تثبتها بقوة عظيمة
لكك تقول من اين هذا التباين في النصوص والترجمات المتنوعة لعمرى انه لا
يتبقى الا من قديمة الكتاب نفسه وكيف اتصلت سلامة القدي تداوله ابادي الناسخين
منذ اجيال حمة واللغة الذي كتب بها بطلت ان تكون مستعملة ولندع هذه المنازعات
الباطلة ونست الجدل بكلمة واحدة وهي قليل لى اي شاء. ماذا ينتج من كل هذه الترجمات
ومن كل المتن الا الشرايع نفسها والمعجزات عنها والنبوءات نفسها وتسلسل تاريخ نفسه
وتعاليم واحد بعينه وقصارى الامر جوهر واحد نفسه. وساء عليه فما هو الضرر الناجم
من اختلاف النصوص وما الذي يهنا سوى ثبات هذه الكتب المقدسة وما ذا الذي
يمكن لنا ان نطلبه من الحكمة والعناية الصمدانية أكثر من ذلك

واما من قبيل الترجمات فمثل من سمات التزوير والحدوث كون لغة الكتاب
المقدس قديمة بهذا المقدار حتى اننا لا نستطيع دقائنها ولا يمكن لنا ان نعبّر عنها بمصاحبة
او بلاغة او بكل النوة او التدقيق الواجب للعمرى بل ان كل ذلك بينه وضحة على
قديمة الكتاب ومن شاء ان ينظر في الامور المخزونة قليل لنا هل يمكن له ان يثبت
بالبرهان او بالتقدير احد المشاكل التي براما في بعض فقرات فلا اعتداد بذلك على
صحة النسخ وبما ان التقليد لم يدع التعليم الوثيق يتعرض للنساق فان وجدت اغلاط
اخرى فتفيد للبرهان على انه لم يكن احد يحدد شيئاً بهذه الكتب بروحه الخاص



وعليه فالبك قوة الاعتراض الم يصف شيء الى ما نصه موسى فمن أين
بناى ان ترى قصة موته في آخر السفر الذي يعزى اليه والجواب ابي عجب
من ان الذين اتوا تاريخه اضافوا قصة موته السعيد الى كل اعماله لكي يبرزوا من
الكل مجموعاً واحداً

ولنظر في الاضافات الأخرى فأحصيت اهي ستة جديدة ام طمس حديث ام
قاعدة للايمان ام عجيبة ام نبوة فما من احد افكر بزيادة شيء من ذلك ولا يوجد شيء
يحملنا على الظن به ولا شيء بدله البتة لان هذه الاضافة تكونت قد ضمت الى
عمل الرب والشرعية حرمت ذلك ومن يكن قد صنع ذلك فلا رية ان يكون
صعب عثرة فماذا نقول اذا فمكن ان يكونوا قد اتوا تاريخ نسبة بأشرو او
ايم اوضح اسم مدينية حرف لثبات الزمان ومن ذلك انهم قرروا الوقت الذي به
بطل المن الماوي بعد ان اتت منه الشعب اربعين عاماً لان هذا الحادث أثبت
في سفر آخر هو سفر يشوع فعملت عليه الملاحظة في سفر موسى فبكت حادثاً
مقررًا ومشهوراً لدى كل الشعب . وبوجد اربع او خمس ملاحظات او حواشي على
هذا القطع مأخوذة عن سفر يشوع او صموئيل او بعض الانبياء الاقدمين وبما ان هذه
الملاحظات او الحواشي لا تشير الا الى حوادث معروفة لدى العامة وليس بالتسلية بها
من صعوبة فلا عجب من ان تكون قد اثبتت في المتن ووصلت اليها بالتقليد مع غيرها
فلا يبقى اعتراض ومع ذلك لا يفتكون عن اتمام عزرا وان تكن الصفحة السامرية تبين
لنا ان هذه الملاحظات ذات قدمية تفوق قدميه وقدمية انشفاق الانباط العشرة فلا
يعبأون بذلك بل يزعمون في اية حالة كانت كل امر اليه

وان كانت هذه الملاحظات عثت في جبل اقدم فاسفار موسى الخمسة تكونت
اكثر قدمية وترداد رعاية الحرمة لهذا الكتاب المقر للملاحظات نفسها بقدمية متناهية ثم
على هذا يكون عزرا قد كتب كل شيء ولكن ذهب من فأكتره ان قصده ان يجعل
موسى يتكلم ويكون جعله يكتب بكل خشونة امورا لم تتم الا بعده وعلى ذلك ايضا يعود
لازما ان نقول ان كل التأليف مختلق ومزور بسبب زيادة عبارة عليه وان شهادة كل
الاجيال والتسليم العام لا يجلده شيئاً من المنفعة . والامر بالعكس فان هذه
الملاحظات التي يستندون عليها هي براهن جديدة على حقيقة الاسفار وصدق اولئك الذين

قاموا بها وللذين تفلوها وهل حكم بذلك على تحقيق كتابه كان
بالاستناد على براهن ضعيفة ولم يكن ذلك الا لان هذا الكتاب هو عدو الجنس
البشري لانه يفسر البشر على ان يرضوا لمقاصد الرب ويقنع ايضا شهواتهم غير المنظمة
فبناء عليه يخفي عنهم في اي وجه كان ويلزم تضييقه لراحة النفس البشري

ولا تخال ان الكفر بنا في دون عوز في كل هذه الامور المستحيلة التي شاهدها
قد خاسرها وانما تنكر على موسى والانبياء المعروفين اسفارهم رغما عما بينه النوع الانساني
وكل قواعد العقل السليم ويحجج تاريخهم لان له منعولا عظيما في هذه المادة لامرهم وبما ان
هذه الاسفار مختلفة من كل هذه الحوادث العجيبة المزدانة بكل ظروفها الخاصة والمعروفة
بانها حوادث دائمة وحاضرة فاذا امكن تكذيبها سهل نكرانها والحكم باصحتها ولولم
ثبوته على ذاتها لكانت وعت من زمان مديد بذاتها . ثم بعد ان ثبت تاريخها لا يبق
امكان لانقضاء العلامة الثابتة التي تدل على الوحي الالهي الذي آثاره في أكثرها ولا
يتكرر تسلسل النبوءات الشهيرة التي تكررت فيها

ولكن يجنبوا هذه الاعاجيب وهذه النبوءات عكف الكفار على الامور المستحيلة التي
يعتقون على الدهشة ولكن لا يجب ان يخالوا انهم بذلك غلصوا من ايدي الرب لانه
انني لاسفاره المندسة دلالة الهية ليس من الممكن انزالها وهي العلاقة بين العهدين . ولا
رسم ان ليس من احد يتكران كل العهد القديم كمن قبل الجديد وانه ليس هنا عزرا
اخر يجعل اليهود على ان يتخبروا او يزعموا كتبهم المقدسة لتفائدة المسيحيين الذين يضلونهم
ولسنا نحتاج الى حجة اخرى . ويبين من تواصل العهدين ان كتبها من الوحي الالهي لان لها
مقصداً واحداً وتسليلاً واحداً فان احدها بعد الطريق والكمال والاخر يظهرها ويوضحها
واحدها يشيد بالاساس والاخر يقيم البناء وقصارى الامرات احدها يتبناى عما يبدى
الاخر كاملاً ومصنوعاً وبذلك تروى كل الازمنة مرتبطة ببعضها وتبين لنا من هذا
التسلسل ما رتب الهى وان تقليد اليهود والمسيحيين لا يتأتى منها الا دين واحد وان
اسفار العهدين ليسا الا مجموعاً واحداً وكتاباً واحداً



الفصل التاسع والعشرون

في وسيلة سهلة للتفرقي الى اصل الدين والوقوف على كنهه

ان هذا كله يضع لدى كل من يعبرها جانباً من الانبياء ولكن بما ان كل القول ليست بقادرة ان تنقري هذا القياس فلنقد القول الواحدة بقيادة بدوية لتوصها رويداً رويداً الى الاصل

فلنخبر الناس الشرائع المسيحية من جهة والشرائع اليهودية من اخرى ويتطلبوا اسما وبياسروا ما ألقوا عليه من الشرائع المسيحية وينظروا بالتدقيق الى القوانين التي ترتب عليها اخلاقها ويلاحظوا كتبنا المنقذة اي الانجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل الكاثوليكية ورموزها القديس يوحنا والاسرار والذبيحة والعبادة ومن الاسرار العباد حيث يرى تكريس الانسان باسم الثالوث الالهي والاعتراف بيسما اي السر الموضوع لحفظ تذكارات موت المسيح ومغفرة الخطايا المتعلقة بها وتدير البيعة المسيحية عموماً والبيع خصوصاً والاساقفة والكهنة والشماسة الذين دعي بهم للقيام باعباء سياستها . وكل هذه الامور الحديثة المفردة العامة لابد لما من اصل ولكن ما هو اصلها وابتداؤها يكون ذلك غير يسوع المسيح ولا هذه لاننا اذا تدرجنا من جبل الى اخر رأينا ذلك فيه لا في جبل . قبله ويكون هذه الامور قد ابتدأت مستفوعة ببداية الاسم المسيحي فاذا تقرر ان لنا معبودية وانحازتيا وكل ما ذكره فالواضع لذلك لابد من ان يكون المسيح وهو الذي من على تلاميذه بارتفاع الدرجات وذكر اعماله واسطة نعمته . وان كل الاسفار المقدسة كتبت برمتها من عهد الرجل لا قبل ولا بعد وتفرع منها اصول السلطة الاسقفية وليس لها مصدر سوى ذلك . ولا غرو ان كان في اساقفتنا رأس فذلك كان بين الرسل فمن هو الراس والاول بيتنا فهو معروف هكذا من بدء الدين المسيحي كخليفة من كان الاول والرأس في عهد يسوع المسيح نفسه اي بطرس

انني اجترى على ان اثبت هذه كلها واما الامر الاخير فهو كامر مقرر لا يمكن ان يلج بوزاع او يخامر ريب لدى سلم النية ويستعمل ان يرتاب في الاحوال الاخرى ويسهل بيانها من كلام الذين غالوا في اقامة الجدل فيها ولا فرق في ذلك ان كانت بسبب

الجمل او بسبب محبة المناقضة

فتلك في مبادئ الشرائع المسيحية ونظام المذهب فلندرجن الان في هذا الطريق عينه لنصل الى مبدأ الشرائع اليهودية واصلا وبما اتنا وجدنا تلك المسيح دون ان نتطال الى ما وراء ذلك نتقي ان تتصل بموسى بالطريق نفسها والبراهين عنها وان تتصل بالاصل الذي وضعه

ان اليهود ولنا شرائع وعوائد واسراراً وكتباً ومنذسة واحباراً وكهنة وعبادة في الهيكل وان اكثر هذه لم تزل مرعية عندهم . وان الكهنوت كان قد ترتب في عائلة هرون اخي موسى وبقي الفرق بين الطلعة الكهنوتية من هرون واولاده اذ كل يتعلق بقصصهم وكهم يصدر من هرون دون امكان ان يعزوا الى من قبله . وان النصح والاعباد الباقية ليست باقل قدمية وفي هذا النصح كل شيء يذكر تلك الليلة حيث شعب الرب قد تخلص من يبر عبودية مصر . وان عدد الالام نفسه بفصل هذين العيدين ثم عيد المظال المفامة بغصون خضراء التي كان الشعب يقطن فيها من زمن مديد كل عام سبعة ايام وسبع ليال تذكرنا لكثرتهم في البرية اربعين سنة . وقصارى الامر انه لا يوجد عند اليهود عيد ولا سر ولا احتفال الا وضعة موسى او قرره . وان يكون موسوماً بنوع ما يبد هذا الشارع العظيم

ولكن كل هذه الشرائع الدينية ليست من زمان واحد لان الخيانة وحظر اكل الدم ورعاية السبت في قبل موسى وقبل السنة المكتوبة كما يفتخ ذلك من سفر الخروج . واما الشعب فكان حافظاً هذه التواريخ وموسى نفسه نقلها الى كتابه لان الخيانة تاتي من ابراهيم في الامة ومن المعاهدة وحظر اكل الدم من نوح والطوفان . وتواتر السبت بوصفنا الى تكوين العالم والى اليوم السابع الذي باركه الرب وحيث لم عمله العظيم . وبناء عليه فكل الحوادث الخطيرة التي توصل الى تعليم المؤمنين وتثنيهم كان ذكرها مرغياً لدى اليهود وان هذه القواعد القديمة كانت تحرز في شعب الله بامتراجها بالقواعد التي وضعها موسى قواعد دين الاجيال الماضية برمتها

وان قسماً من هذه القوانين التي كان اليهود يهودون رعايتها لم تنق مرعية بينهم في هذه الايام لان الهيكل قد دثر وبطلت به الذبايح والترايين والكهنوت القديم الشرعي لان اولاد هرون لم يبقوا معروفين بين اليهود اذ كل الاسباط اختلطت معاً ولكن



* ٢٥٨ *

ان كل هذا كان لا يزال برمه لدن ما في المسيح الذي كان دائماً يعزوه كلها الى موسى لا تحتاج الى غيرها من البراهين ليحقق لدينا ان كل هذه الامور تأتي من عهد قديم ومن اهل الامة نفسها

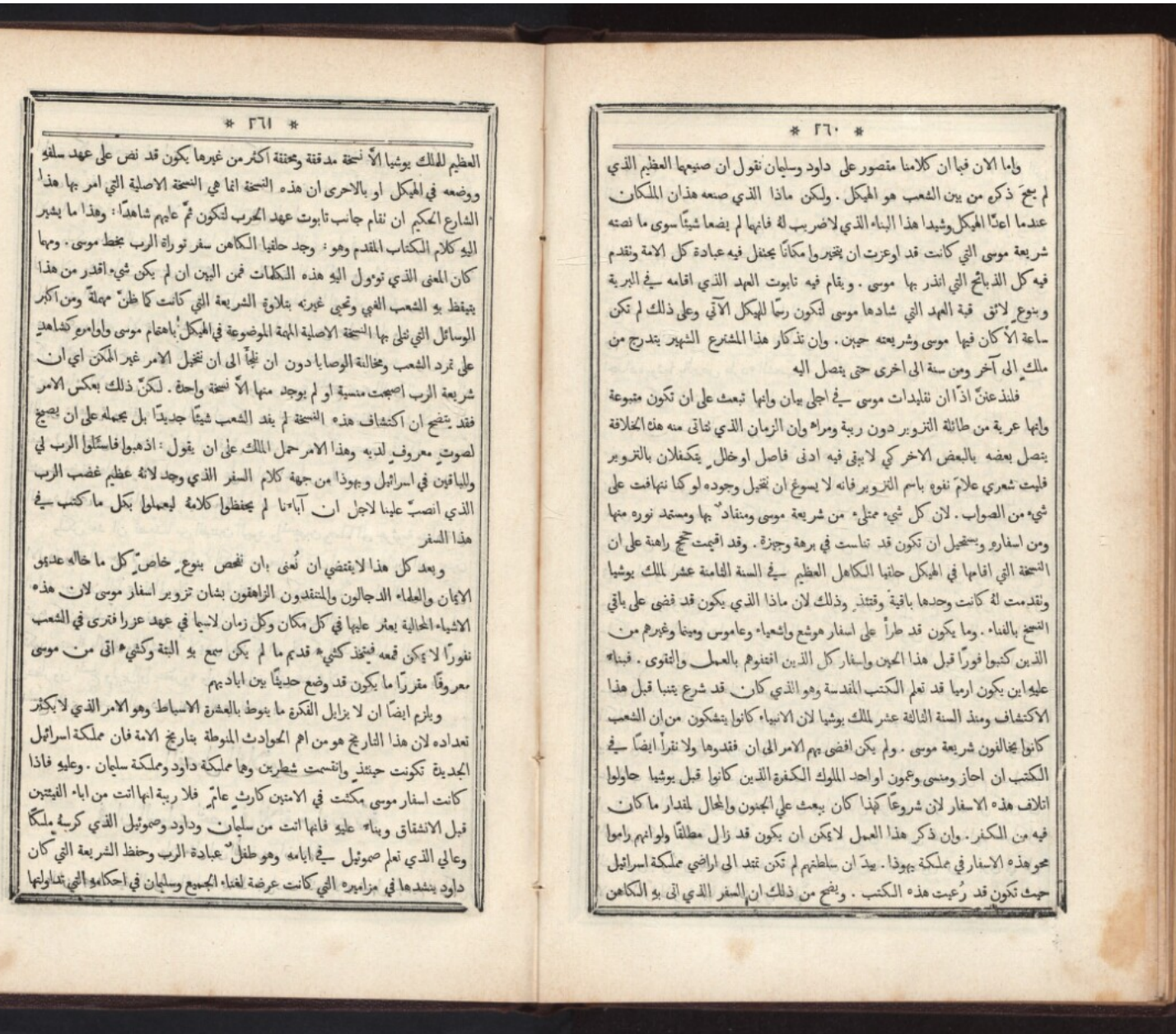
وان لم يكن ذلك كذلك فلنفر في الامور مدققين ونزبون الى كل الفوارخ اذ يمكن لنا الوقوف عليها ونقول قبل كل شيء لابد من ان نصل الى عزرا . لان المسيح قد اتى قبل اقامة الهيكل الثاني . ومن المقرر ان هذا الهيكل شيد في ايام عزرا . وان المسيح لم يذكر في انجيله الا اسفار اليهود القانونية ولكن حسب تقليد الامة الدائم ان هذا القانون قد تم واثنى في ايام عزرا دون ان يضيف اليه اليهود ادنى شيء قديماً . وكل هذا ما لا ريب فيه بل مسلم من الجميع قديماً على يكون هذا العصر كتاريخ مضاعف او محط عظيم له اهمية كبرى لتاريخ اليهود وخصوصاً لكتيبهم المقدسة . الا انه قد نثر لدينا بكل صراحة انه لا يتنفي التوقف هنا اذ في هذا العصر يعزى كل شيء الى مبداء اخر . اذ اسم موسى يبدو دائماً كاسم رجل يحترم الشعب اسفاره وكتبه وكل الانبياء الذين كانوا يعاصرونه او كانوا قبله واسفاره هي في اساس دين اليهود فلا تعتبر الان هؤلاء الانبياء موحياً بهم من العلاء بل اناساً بدوا ازمة متباينة في عهد ملوك مختلفين . وان الشعب اصاح لكلامهم معتبراً انهم منسرون للدين فيقيم من ذلك ان خلافتهم وخلافة الملوك الذين يتصل تاريخهم بتاريخهم نقودنا بصراحة الى اصل موسى الذي نتى اليه . لان ملاخي وحجي وعزرا وذكرى الذين يعتبرون شريعة موسى انها موضوعة في كل آن يتصلون بزمان دانيال حيث يبدو صريحاً ان هذه الشريعة كانت معروفة لدى الجميع ويتصل دانيال نفسه بارميا وحزقيا اذ لا يبدو الا موسى والعهد الذي عفا مع الرب والانذارات والعقوبات المنة لمن لا يدين لها . وان الجميع يتحدثون بهذه الشريعة كأنهم يعرفونها منذ صباهم . ولا يذكرونها فقط كأنها امر مقبول في حيز الكيان بل تراهم لا يتهاقنون على عمل ولا يتوهمون بكلمة الا يكون لذلك علاقة مكنونة بهذه السنة

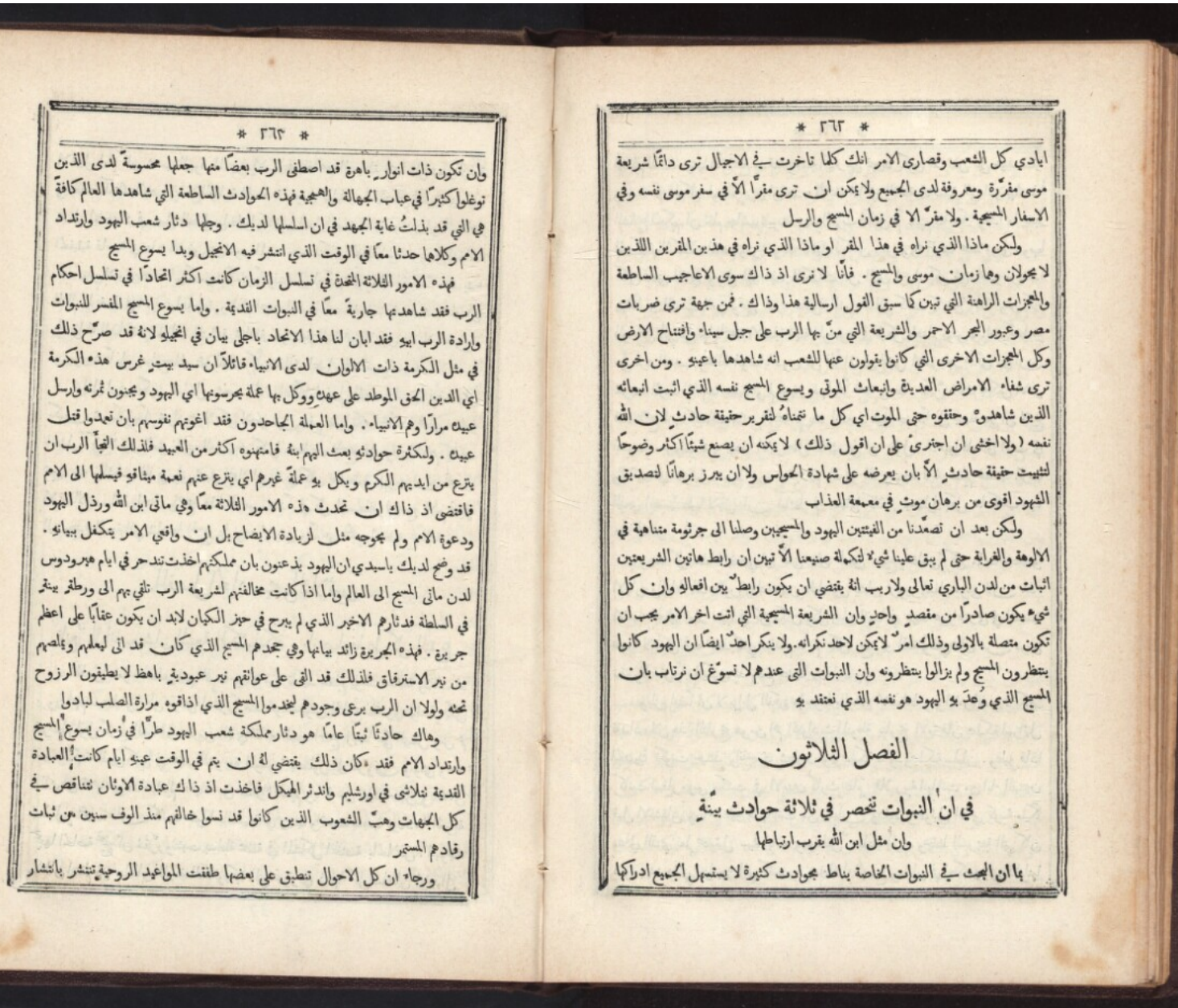
ان ارميا يوصلنا الى يوشيا حيث اخذ بنياً وكانت شريعة موسى متعارفة وتنبذ ومشتهرة لدى الجميع بانها من تأليف ذلك الذي كان الشعب يتصفها بتقليبه وتوابعه التي كان يسميها باذنبه . وقصاري الامر اي شيء جعل تنوى ذلك الملك

* ٢٥٩ *

مشتهرة في التاريخ اليس عكوفه من صغرسو على هدم كل هياكل الاصنام التي اقامت عليها شريعة موسى تكبراً ولقد احتفل باهتام خاص بالاعباد التي ابرمتها . منها عهد النصح وكل العبادات التي لم تزل مكتوبة في شريعة حزقيا واربعده هو وشعبه اذ شعر انهم خالفوها غير عابئين بالرب الذي سنها ولكن لا يجب ان تتوقف هنا . فان حزقيا قد احتفل احد اجداده بعيد النصح بكل اعتبار لائق قاضياً الارب بان يتبع شريعة موسى . ولم يفتأ اشعيا الذي يوعز اليها وقد اقتفاه بذلك غيره من الانبياء ولم يكن ذلك في عهد حزقيا فقط بل احتفاء طويلاً في ايام سلو . ولما اصيب احد اجداده يوشيا بالبرص طرده الشعب من الهيكل تطبيقاً لنص الشريعة وفصلوه عن الشعب بكل الاحتياطات التي قامت بها

فان هذا المثل المشهور في شخص ملك عظيم يبين ان الشريعة كانت دائماً متخصة لدى ابناء الشعب ومعروفة عندهم كي لاتاتي من جرثومة اقدم منه وليس يشق علينا لثرتي من امارياس ويوشافاط واذا وايها ورحبعام الى سليمان ابيه الذي يغري برعاية شريعة اباؤهم بكلامه في سفر الامثال وهو : ارجع يا بني وصية ابيك ولا ترفض شريعة امك اعتقدها في قلبك في كل حين واعصها في عنقك وفي هدبك في سيرك وتحافظ عليك في رفادك واذا استيقظت فهي تحذرك لان الوصية مصباح والشريعة نور وتوجيه القاديب طريق الحياة وفي قوله هذا لم يصنع شيئاً سوى انه كرر ما كان قد قاله ابيه داود : شريعة الرب كاملة ترد النفوس وشهادة الرب صادقة تحكم الفبي . امر الرب مستقيم يفرح القلب ووصية الرب نقية تبر العيون وكل هذه ليست سوى تكرار ما تنوه به هذه الشريعة نفسها واجراؤها وهاك ما تنوله . ولكن هذه الكلمات التي انا امرك بها اليوم في قلبك وكررها على بيتك وكلهم بها اذا جلست في بيتك واذا مشيت في الطريق واذا نمت واذا قممت واعتدها علامة على يدك . ولكن عصاب بين عينيك واكتبها على عشايد ابواب بيتك وعلى ابوابك ومن ثم قد ارشوا ان تأتي هذه الشريعة بوسائل خفية او ان في الامكان مزاولها للفكر بعد ان كان من الثمن ان تكون مالوفة ومتناقلة بين ايدي الجميع . ومن مفاعيل الخديعة انهم طغوا بكل الشعب والمجته ان يدعن بان هذه الشريعة هي شريعة اباؤهم دون ان يرى في كل الازمنة آثاراً لا ريب فيها فذاك رأي محلي





ابادي كل الشعب وقصارى الامر انك كلما تاخرت في الاجيال ترى دائماً شريعة
موسى مفرقة ومعروفة لدى الجميع ولا يمكن ان ترى مفرّاً الا في سفر موسى نفسه وفي
الاسفار المسيحية . ولا مفرّ الا في زمان المسيح والرسل
ولكن ماذا الذي نراه في هذا المرق او ماذا الذي نراه في هذين المرقين اللذين
لا يجلان وما زمان موسى والمسيح . فاننا لا نرى اذ ذاك سوى الاعاجيب الساطعة
والمعجزات الراهنة التي تبين كما سبق القول رسالية هذا وذاك . فمن جهة ترى ضربات
مصر وعبور البحر الاحمر والشريعة التي من بها الرب على جبل سيناء وافتتاح الارض
وكل المعجزات الاخرى التي كانوا يقولون عنها للشعب انه شاهدها باعيه . ومن اخرى
ترى شفاء الامراض العديدة وانبعاث الموتى ويسوع المسيح نفسه الذي اثبت انبعائه
الذين شاهدوه وحققوه حتى الموت اي كل ما تنهنا لتقرر حقيقة حادث لان الله
نفسه (ولا اخشى ان اجترى على ان اقول ذلك) لا يمكنه ان يصنع شيئاً أكثر وضوحاً
لثبوت حقيقة حادث الا بان يعرضه على شهادة الحواس ولا ان يبرز برهاناً لصديق
الشهود اقوى من برهان موثّق في معبدة العذاب

ولكن بعد ان تصعدنا من القبتين اليهود والمسيحيين وصلنا الى جرثومة مناهية في
الالوهة والغربة حتى لم يبق علينا شيء لنعلمه صنعنا الا تبين ان رابط هاتين الشريعتين
اثبات من لدن البارئ تعالى ولا ريب انه يقتضي ان يكون رابط بين افعال وان كل
شيء يكون صادراً من مفسد واحد وان الشريعة المسيحية التي انت اخر الامر يجب ان
تكون متصلة بالاولى وذلك امر لا يمكن لاحد نكرانه . ولا ينكر احد ايضاً ان اليهود كانوا
ينتظرون المسيح ولم يزالوا ينتظرونه وان النبوات التي عندهم لا تسوغ ان ترتاب بان
المسيح الذي وعد به اليهود هو نفسه الذي نعتقد به

الفصل الثلاثون

في ان النبوات تنحصر في ثلاثة حوادث بينة

وان مثل ابن الله يقرب ارتباطها

بما ان البحث في النبوات الخاصة بناط بمجالات كثيرة لا يستعمل الجميع ادراكها

وان تكون ذات انوار باهرة قد اصطفى الرب بعضاً منها جعلها محسوسة لدى الذين
توغلوا كثيراً في غيب الجاهلة والهمجية فهذه الحوادث الساطعة التي شاهدها العالم كافة
هي التي قد بذلت غاية الجهد في ان اسلسها لديك . وجعلنا دنار شعب اليهود وارتداد
الامم وكلاهما حدثاً معاً في الوقت الذي انتشر فيه الانجيل وبدا يسوع المسيح
فهذه الامور الثلاثة المتخذة في تسلسل الزمان كانت أكثر اتحاداً في تسلسل احكام
الرب فقد شاهدها جارية معاً في النبوات القديمة . واما يسوع المسيح المفسر للنبوات
وارادة الرب ايها فقد ابان لنا هذا الاتحاد باجلى بيان في انجيله لانه قد صرح ذلك
في مثل الكرمة ذات الالوان لدى الانبياء قائلاً ان سيد بيت غرس هذه الكرمة
اي الدين الحق الموطن على عهده وكل بها عملة يجرسونها اي اليهود ويمنون بغيره وارسل
عبيده مراراً ومرة الانبياء . واما العملة المجاهدون فقد اغتصبهم نفوسهم بان تعبدوا قتل
عبيده . ولكنهم حوادثو بعث اليهم ابنه فامتنوه اكثر من العبيد فذلك النجاة الرب ان
يترفع من ايديهم الكرم ويكل به عملة غيرهم اي يترفع عنهم نعمة منافع فيسلبها الى الامم
فاقتضى اذ ذاك ان تحدث هذه الامور الثلاثة معاً وهي ماتي ابن الله ورذل اليهود
ودعوة الامم ولم يوجه مثل لزيادة الايضاح بل ان واقعي الامر يتكفل ببيان .
قد وضع لديك ياسيدي ان اليهود بذعنون بان مملكتهم اخذت تندحر في ايام هيرودوس
لكن ماتي المسيح الى العالم واما اذا كانت مخالفتهم لشريعة الرب تلتقي بهم الى ورطتهم يبتعد
في السلطة فدناهم الاخير الذي لم يبرح في حيز الكيان لانه ان يكون عفياً على اعظم
جريرة . فهذه الجريرة زائد بياها وهي جرح المسيح الذي كان قد اتى ليعلمهم ويخلصهم
من نير الاسترقاق فذلك قد اتى على عواتقهم نير عبوديتهم باهظ لا يطيقون الرزوح
نحوه ولولا ان الرب برى وجودهم ليعدموا المسيح الذي اذاقوه مرارة الصلب لبادوا
وماك حادثاً ثباتاً عاماً هو دنار مملكة شعب اليهود طرّاً في زمان يسوع المسيح
وارتداد الامم فقد كان ذلك يقتضي له ان يتم في الوقت عينه ايام كانت العباداة
القديمة ثلاثية في اورشليم واندثر الهيكل فاخذت اذ ذاك عبادة الاوثان تنافس في
كل الجهات وهب الشعوب الذين كانوا قد نسوا حالهم منذ الوف سنين من ثبات
رقادهم المستمر
ورجاء ان كل الاحوال تنطبق على بعضها طفتت المواعيد الروحية تنشر بانتشار



* ٢٦٤ *

الانجيل ايام كان شعب اليهود المشهور والاسير في افاصي البسيطة فقد المواعيد الزمنية
وحطت آماله بالحصول على العظيمة الجسدية . ومن ثم انشر بالحاء كل الذين يتأسون
بعمل الاجتهاد في سبيل العدل واخذوا يكثفون اسرار الحق الاتية موقنين ان السعادة
الحقيقية قاصية في هذه الارض عن مئوي الموت حيث تتكاثر الخطايا والشرو والمشتقات
ومن لا يرى ها هنا رايًا سرمديا متبعًا وتسلل احكام الرب الذي اعز منذ بدء
العالم ما يسميه في اخر نهائيو ويقرر امام عين البشر العصاة المقدسة حيث يشاء ان
يؤدوا له العبادة في الممالك المتباينة بخلافه سرمدية ثابتة فمن لا يرى هذا لا يستحق
ان يرى شيئًا بل يتطوع الى عمه القلب كأن ذلك اعدل العقاب واصرمه
وامل ان يكون تسلسل شعب الله ساحلًا امام قلبي البصيرة انهم قبضة بان
يكون محوسًا ويتناجى مجرّاد لا يمكن لاحد ان يقيم عليها تكبرًا الا اذا غمض فقلبي
اختيارًا كي لا يرى الحق لان العبرانيين كانوا منتظرين المسيح فاني ودعا الامم كما قد
تنبى عنه والشعب الذي وثق بمجيئهم انحاز الى الذي كان يستنظر بدون ان تحسن
الاتصالات ساعة واحدة واصبح هذا الشعب ممتدًا في كل البسيطة ولم تهرج الامم تحاز
اليه وهذه البيعة التي شادها المسيح على وجه الارض رثًا عن الحبيب لم تنزعز البتة

الفصل الحادي والثلاثون

تابع لما انف بشأن البيعة الكاثوليكية وانتصارها على كل البدع

بالما من تعزية عظمى لبي الرب وباله من تأكيد عظيم يوطد الحفينة وذلك اذ
برون انهم مستطيعون ان يرتقوا استمرارًا منذ انوشنسوس التاسع المستوي وقتئذ بكل
نجر على اول كرسي البيعة الى بطرس الذي اقامه السيد المسيح رئيسًا على الرسل ومن ثم
اخذ الكهنة الذين كانوا في عهد الشريعة الموسوية يتصلون الى هروث وموسى وبعد
ذلك الى الاباء واعاد العالم . فباله من استغراء عظيم وباله من تقليد جميل وباله من
تسلسل عجيب فان كانت عقولنا بالطبيعة في ريب وانحمت بسبب تردداتها العوبة
فحجبها الخاصة نتج ان تنفر وتنشبت بسطة مخنفة في المشاكل المنخفضة بالخلاص . اقنوجد
سلطان اعظم من سلطان البيعة الكاثوليكية التي نغرز في ذاهبا كل سلطان الاجيال

* ٢٦٥ *

الآفة وكل تقلبات النوع الانساني الى ابتداء تكويته
وبناء عليه ان الجمعية التي وطدها المسيح المنتظر في كل الاعصار الغابرة على الصفر
حيث القديس بطرس وخلفاء زمزمعون ان يجلسوا بامرئ تثبت بتسللها وفي حاملة
بنيانها المستمر سمة يد الرب
وهذه الخلافة عنها ليس بامكان هزينة او بدعة او الفة اجتماعية ان تستائر
بها بل ذلك منوط ببيعة الرب ولا ريب ان الادبيات الافاكة امكن لما ان تنتفي آثار
البيعة في امور شتى واربابها يزعمون ان الله وحده شيدهم ولم يكن هذا الكلام الا فارغًا
لان الله اذا كان فطر الجنس البشري وخلقه على مثال فكيف يجتدعه ويكرمه . وبناء عليه
فكل شيعته لا توضع خلافته من ابتداء العالم ليست من الرب ولذلك نغز امام البيعة
المقدسة كل الجمعيات وكل الشيع التي شيدها بنو الانسان في النصرانية وغيرها

والمبدعون الذين قاموا باعباء شيع جديدة بين المسيحيين امكن لم ان يساهلوا
الايان باقل رضوخ مجتهد للاسرار التي تنوق الحس وامكن لم ان يخلوا البشر بظواهر
التنوي وان يثيروهم بنصائحهم واهوائهم ويجذبهم بمجداته المذهب والتماد سواء كان
عقلًا ام خفيًا . وقصارى الامر امكن لم ان يخلوا نفوسهم او العبر اذ لاشي يطبق على
الطبع البشري اكثر من هذا ولكن فضلًا من انهم لم يتمكنوا من ان يفهموا بصنيع
معجزات مشهورة او يبحر مذهبهم في حوادث مفرقة يشهد لها اصحابهم بوجودها امر
يشق عليهم ليس في وسعهم ان يسترو وهو امر حدائهم . وهذا بيدي لدى كل بني
الانسان ان قد انفصل مذهبهم وتابعوه والشيعة التي وطدها عن هذا الجسم العظيم
وعن البيعة القديمة التي اسسها يسوع المسيح حيث بطرس وخلفاء استولوا دائمًا على
اول مركز وخدم كل المشيعين جالسين فيه . ولم يبنأ وقت الانفصال مقررًا حتى ان
المبتدعين انفسهم لا يمكن لم ان ينكروه ولا يجهتزون ان يحاولوا الخروج من الجورثومة
عنها بتسلسل لم يكن قد انقطع البتة . وجميًا يقوم ومن كل البدع التي ارتكها الانسان .
وما من احد يمكن له ان يغير الاجيال الغابرة او يه له سلفًا او يرغم انه وخدم اقتناب
ان البيعة الكاثوليكية تستوي وحدها على كل الاعصار الفارطة باستغراء لا يمكن
عليها لان الشريعة سنبت الانجيل ولم تكن خلافة موسى والاباء الا سلسلة واحدة متصلة
بخلافة المسيح . ومن جل صفاته التي تثق بها غاية الوثوق في ان يكون ماناه مترصداً .



* ٢٦٦ *

وتعترف به ذرية تمكث الى انتهاء الاجيال لان يسوع المسيح هو امس واليوم والى مدى الدهر

وفضلاً عن ان البيعة المسيحية موطنة وحدها على اعاجيب الهية كتبت علانية غير مخفية على من ان تكذب في الوقت الذي حدثت فيه. فهناك اعجوبة اخرى تسفر في سبيل تعزيز اولئك الذين لم يكونوا في ذلك العصر. وهذه الاعجوبة تقرر ما سواها من الاعاجيب وهي قائمة بتتابع الدين الذي لم ينفأ يفتوز بالفضائل الذي حاول ازالته وزد عليه نتيجة اخرى هي نتيجة عقاب اليهود البادي المستمر لانهم لم يقبلوا المسيح الذي وعد به آبائهم. ومع ذلك كله فلم يزالوا يترقبونه وانتظارهم الباطل جزء من عقابهم ويبدون بارتعابهم اياه انه كان دائماً مستظراً وبفروروت حنيفة الدين كانه حاملون كل تسلسل الدين مرقوشة على جباههم. وترى لمخلة كل من كان آنفاً فلماذا صاروا كما تراه. والى اي شيء هم معدون. وعليه فان اربع او خمس حوادث مفردة تنوق نور الشمس وضوحاً ابانت ان ديننا قديم كالعالم وبديهي تالي الزمان ان لا نشأه لما بغير خالق العالم القابض على كل شيء وهو وحده وامكن له ان يباشر هذا الماررب ويثبت الى الغاية في كل الاجيال

وبناء عليه لا يقتضي ان ياخذنا العجب كما يحدث اعتيادياً من ان الله يعرض على اعتيادنا مقداراً كهذا من الاشياء الثلاثة بشانه وهي تنوق قوة العقل البشري ويتضي علينا بارت تاختنا الدهشة من وجود اناس في العالم يعبون قلوبهم كي لا يامنوا بعد العلم ان الباربي وطد الايمان على اسر ينهائي في الوطود والراحة. فقلة هذا كله اعمالونا الشردة واستمساكنا بالحوادث وكبريانا الشائعة ولذا نؤثر ان نخاطر في كل شيء على ان نفس نفوسنا على الرضوخ ونؤثر ان نغالي في الجهل على اقرارنا بالحق ونؤثر ان نرضي رغبتنا الفاحشة ونرضي في عقلنا الشردة حرية الافكار في كل ما نشأ على ان نرضح تحت انقال السلطة الالهية

ومن ذلك نعيم ان قد يوجد عديد واقر من الذين لا يفتقون والله يسمع بذلك لعلهم ياتيه لانه لولا عجز القلوب والفانصون في لجة الوحوش وغير المؤمنين الذين في حجر البيعة لما كنا نعرف صريحاً قباد طبعنا العظيم ولا الوهنة التي نشلتنا منها المسيح. فلو كنا لم يعارضوا حقيقته المقدسة لما كانت ابصارنا وقامت على هذه الاعجوبة التي

* ٢٦٧ *

رعاهما قصراً عن كل المناقضات ولكننا نديننا اخيراً اننا قزنا بالنعمة فالان عدم امانة البعض يحمل البعض الاخر على الضعة ويبدى المتهردون الذين يناومون مارب الرب القدرة التي بها يتم مواعيد البيعة غافضاً الطرف عن كل امر آخر

فما الذي نرتقب لنرضح انترصد من الله معجزات جديدة يجعلها عديمة الافادة بتكرارها وان يحبط بها ابصارنا كما اعتادت على مسير الشمس وكل عجائب الطبيعة. فاننا نتظر صمت الكثرة والعناة. وان الصلاح والصلاح يعزان معاً الرضوخ للحق. ويؤثر بنو الانسان قاطبة على اعمالهم واطوارهم. وان العلوم الفاسدة التي تغطي البشر بقوة حدائنها لا تسخر تداهيمهم. الا يكذبنا ان نرى البشر غير قادرين ان يقاوموا الدين الا باظهارهم بضالهم الممين بطلان احكامهم. وان دفاعهم لا مسند لما الا الجهل واشكركم فالبيعة التي فازت بالاعصار والفسالة ليس في امكانها ان تظهر في عقلنا على الحجج الزاهقة التي نستظهر بها على مقارنتها. ولا يمكن للمواعيد الالهية التي نرى نعيمها كل يوم ان تصعدنا فوق المشاعر

ولا يفتقد الناس علينا بقولهم ان هذه المواعيد يتوقف نعيمها ولا يمكن لما ان نختصر بنعيمها الا بانتهاء العالم اذ انها تمتد الى هياويه. وعكس ذلك ان ما قد تم بنينا عا هو مزيج ان يتم وكل النبوات القديمة التي تمت بكل صراحة تبين لنا ان كل شيء سوف يتم وان البيعة التي لا يقوى عليها المجيم حسب مواعيد ابن الله تمكث الى الابد والى انتهاء العالم لان المسيح الذي صدق بكل شيء لم يضع نهاية لكيانها

وهذه المواعيد عنها توكد لنا الحياة المستقبلية لان الله الذي صدق بتتميم ما يناط في الزمان الحاضر لا يكون اقل صدقاً بتتميم كل ما يناط بالزمان المستقبل فكل ما نشاهد ليس سوى استعداد له وان البيعة سوف تكون على البسيطة غير منقوشة وزعزعة حتى ان كل بنينا يجهمون وتنقل بهم برزخها الى السماء مثواها الحق

وقد اعد للذين هم خارج هذه المدينة السموية تيريج سرمدتي ولن يبنى لم الا عذاب ابدي اذ انهم فقدوا مجير برغم سعادة ابدية وبناءه عليه سوف تتم احكام الرب ومواعيد بحال لا يعبورها تقير وان وعوده صادقة وحقيقية وكل ما يشبه في الوقت بفرار ما يامننا بامله او بالخشية منه في الابدية

فهاك باسدي ما بنينا عا تسلسل الحوادث الدينية كما رفع لديك بوجيز العبارة.



* ٢٦٨ *

وبواسطة الزمان بقودنا الى الابدية فغمرت على نظام محكم في مآرب الرب وسمه سلطته
البينة في استمرار شعبي وعلمت منه ان البيعة لما عضو دائم الوجود لا يمكن الانفصال عنه
الا بهلاكنا وان الذين معتزلون بهذا العضو وقائمون باعمال لا تلتصق بامانتهم يتررون
لنفسهم حياة ازلية

فمحرر نسل حوادث البيعة التي تولد لديك كل مواعيد الرب واحكم على ان
كل ما ينصل عن هذه السلسلة ويزال هذا الاستفراء وكل ما يرتفع بذاته ولا ياتي
حسب المواعيد المنوطة البيعة منذ ابتداء العالم مكروه . وافرج ما عندك من الجهد لتحرر
الى هذه الوحدة كل من يكون قد زالها اغر الجميع بان يرتفعوا للبيعة التي بها ينطلق
الروح القدس بنواؤ

وان سؤدد اجدادك ليس قائم بعدم تركهم اياها فقط بل بانهم قاموا بناصرها
ايضا واستأهلوا بذلك ان يدعوا بنبيها الابكار . فهذا من اعظم القامهم الجيدة . وليس لي
حاجة ان احثك عن كلوثيس وكارلوس العظيم والقدوس لويس بل اعتبر العصر
الذي انت فيه ومن هو الاب الذي اراد الله ان تولد منه . وقد امتاز هذا الملك العظيم
في كل امر باماتو أكثر من سائر صفاته الحميدة ففراه بدرأ عن الدين داخل المملكة
وخارجها وفي اطراف العالم . والشرائع التي سماها من اعظم مناسبات البيعة ولا تيان
سلطته الموقرة بسبب صفاته الشخصية وجلالة صريحان مذكور موطنة بأكثر احترامهم الا
لدى مدافعتها عن حقوق الرب فذلك حيز عن سماعنا صوت التجديف واخذ الكفر
يفرق خوفا ولا ريب انه الملك الذي وعز اليه سليمان مبدد الشر بنظره وان كان
نعم البدعة بكل هذه الوسائل أكثر ما صنع اسلافه . لا بما انه يخشى منها على عرشه لان
السكنة احاطت الكل وطاطا الجميع امام صلاحه غير انه يجب شعبه ويعرف ان يد
الرب اجلسه على عرش ليس فوقه عرش . فيجمع من ذلك ان احسن وسيلة يقوم بها
هو ان يستقدم سلطته لينفي فروحات البيعة

فاتفق باسدي هذا المثل الصالح واستبقو لذريتك وانذرهم بالبيعة أكثر من هذه
لملكة العظيمة التي حكمها اجدادك منذ اجيال عديدة وان سرائك التي هي اجل
ما يكون في العالم تكون اول مدافعة عن حقوق صديقه وتبسط في العالم اجمع ملك
يسوع المسيح الذي ينفض لك ملكا مهيئا

* ٢٦٩ *

الجزء الثالث

في الممالك

الفصل الاول

في ان نقليات الممالك رتبها الباري عز وجل لتقع تكبر الملوك

ان لم يكن شيء يضاهي تسلسل البيعة الحثينة الذي اوقفك عليه ذلك ان
تسلسل الممالك الذي قد عهد بي بسطها لديك لا تجدي منفعة لمن هو نظير جلالكم
من الملوك او للانفراد الذين ينظرون في هذه المواضع العظيمة اسرار العناية الصمدية
اولا ان هذه الممالك لما شديدا الوثائق بتاريخ شعب الله لانه تعالى اتخذ
الاشوريين والبابليين آله للانتقام منه والفرس لنجاته وعوده الى اراضيه والاسكندر
وخلفاءه الاولين للدفاع عنه واتيوخوس ابيفان وخلفاءه لتعويضه على احتلال الشدائد
ثم الرومانيين ليدروا ملوك سوريا الذين لم يكونوا يفكرون الا باستئصاله لان ذلك
رعاية حريتهم . ومكث اليهود حتى عجز المسيح تحت شوكة الرومانيين . وبعد ان مجدوه
وصلوه اعانه الرومانيون على الانتقام الالهي دون ان يفكروا بذلك وجعلوا ذاك الشعب
العنوق هباء مشهورا واذ ازمع الله ان يولف شعبا جديدا من كل الامم ضم ملك
الارض والبحر الى هذه المملكة واتخذ كل تلك الاتصالات المتباينة التي لم يكن لها رابط
الى ذاك المحن وسيلة لشرا انجيله . فاذا كانت الدولة الرومانية قاست في هذا الشعب
الجديد مدة ثلاثمائة سنة اضطهادات عظيمة فوطد هذا الجور اركان البيعة المنفردة وادى
مجددها واثامها وصبرها . وهكذا اقترت المملكة الرومانية بالروضخ اذ وجدت ما فاتها
ظفرا وخضعت لهذه الكنيسة التي طالما كانت عرضة للاضطهاد الشديد وكما ان
النصارى صرفوا اقصى جهدهم في اخضاع البيعة كذلك اصحبت رومية عاصمة المملكة
الروحية التي اراد المسيح ان ينشرها في كل المسكونة
وبعد ان ترعرعت السلطة الرومانية واعتزلها رعايا عن وعدها لنفسها بالخلود ما



* ٢٧٠ *

اعتري الممالك السابفة من الدثار اذ أصبحت فريسة للبرابرة لم تزل رومية على عظمتها
نرايتها للدين المسيحي لان الامم التي اغارت على المملكة الرومانية واستولت عليها
اقتبست منها رويداً رويداً الدين المسيحي الذي لان عرائك رجالها ولم يجد منوكها
الذين خلفوا القياصرة ما يولهم أكثر مجداً من ان يدعوا محامين للدين المسيحي
وعليها ان تطلع على غوامض الاحكام الالهية بالنظر الى المملكة الرومانية ورومية
نفسها. وقد اوضح هذه الاسرار الروح القدس ليوحنا وهذا الرسول المنعم من روح النبوة
والانجيل فسرهما في رويام فكان يعز على رومية ان تنبذ عبادة الاوثان جانباً اذ شاخت
وهي مستسكة بها. وزيادة على ذلك فان مجلس النبوة كان يحجب محاماة آلهة رومالوس
التي كان ينسب اليها انتصارات المشقة القديمة مجداً وفخراً وقد سم القياصرة من طلب
هذا المجلس على ايدي مبعوثي الغاء النصرانية وتشديد اصحابها لانه كان يخال ان در
رومية عما كانت عليه من الخزعبلات عاراً يلتقي بالدم الروماني. ومن ثم لم يكن
انذار الانجيل وغيره من النبوات الصادقة وارترداد المملكة قاطبة الى النصرانية مع
ملوكها الذين مهدوا الطريق الى هذا الدين كفوا لردع هذه العصابة الشهيرة المنضوية
على اعظم رجال رومية واشهرها خاصة وعامة عن غربها. ولم يكنوا من ان يلحقوا
بها عاراً ويخجلوا بها كل ما ألم بها من الخطل والوزايا. ولو كانت القياصرة تعند
فهم لكانوا جددوا الاضطهادات القديمة. وكانت الامور دائمة على محورها في الجبل
الرابع ابي السنة لماثة بعد قسطنطين اذ تذكر الله الاحكام الدموية التي طرأت على
المسيحيين. وفي الوقت نفسه هتف الشعب الروماني الرائع في مراسيمهم عند مشاهدتهم
دم المسيحيين فلم هذه المدينة الفلأى لدم المسيحيين حسب قول يوحنا الحبيب الى
البرابرة وانزل بها البلايا الذريعة التي ايهلها ببابل قصاصاً لها. ولذلك دعوا رومية
بهذا الاسم. وهكذا سقطت بابل الجديدة كالقديمة وكان سقوطها عظيماً لانها تسنت
بالقديمة باردهاها لدى القوز وافتقارها بالانوال والمالذ وتدنست مثلها بعبادة
الاوثان وضهدت مثلها شعب الله. وانبا يوحنا الحبيب عن دمارها مترماً فعریت
اذ ناك من الجند الذي ناله بفتحها من التمية الى الماعا وامست مضغة في وسكانها في
افواه البرابرة الذين تبوتوها اربع سنوات بعد ان نهوها وذهبوا برسومها ولم ينف
البرابرة الا عن المسيحيين ولم يتم انتصار المسيح الا بعد هجوم البرابرة فبرزت مدينة

* ٢٧١ *

مسيحية من دمار رومية القديمة وامست معابد الاوثان مضروراً عليها سرادق النسيان
بعد غورسومها
وعلى هذا فتملأ الممالك عائد على الدين بالنفع وعلى شعب الله بالرعاية. وقد ابدى
عز جلالة لانياتو تسلسل هذه الممالك كما ابدى لم حالة شعبه المختلفة. ورايت من هذه
النبوات ما يشعر بقدم مختصر كانه رجل معد للانتقام من الشعوب المتناهية في
الازدهار ولانبا الشعب اليهودي العاق وقبل ان ولد قوروش بقي سنة اشهر اليو باسبو
انه يكون ملكاً معداً لاجراع شعب الله وقصاص كبرياء بابل. ومنها دثار نبوي الخبر
عنه يوقع صريح وزبا الذي دانيال اذ يبسط لدينا بوجيز الكلام كل ما يحدث
لمملكة بابل والماديين والفرس والاسكندر واليونان ويوعز الى عنو اتيوخس ايوان
وقياحه والى ظهور شعب الله العجيب على هذا المضطهد اللثيم. وتنبشوق فيها ايضاً الى
هبوط هذه الممالك بالثناع اما الملك الروحي الذي كان المسيح مزماً ان يثبته فاشار
اليو بصفتها الخاصة كي لا يستطيع احد ان يشد عليه تكبراً وهو ملك قدسه الله يثبت
وحده خالداً وان طرأ الدثار على باقي الممالك لانه ملك ابنه
وقد عرفنا من قول يوحنا احكام الله التي لم تخف عنا على اعظم ملكة هي ملكة
الرومانيين وامست رومية كبرها من المدن الشهيرة انودجاً للمدل التي اذا هبط
عليها نواب مدفة الا انها لم يلتقي بها ما التقي بغيرها اذ لم تنف الى الابد لان
البلايا التي امت بها تقبها من قبايا الاوثان وهي لان قائمة بالدين المسيحي الذي تبشر
يو في العالم كله وعلى هذا المنط تری ان كل الممالك التي مر ذكرها قد آلت الى نفع
الدين ومجد الله كما اعلن ذلك تعالى الى انبيائو
وعندما تری في تأليهم ان الملوك يلجون الى حجر البية ويصبرون لها عضداً يتبين
لك من ذلك دليل على انه تسلم الى القياصرة والملوك المسيحيين وبما ان اجدادك
اشتهروا بالذب عن الكنيسة وبغيرتهم في نشر تعاليمها فلا يشق علي بان اخصصهم
صريحاً بهن النبوات
ولما كان في قصد الله اتخاذ هذه الممالك ذريعة بتذرع بها الى قصاص شعبه
او هدايته او انتصاره او حمايته اراد ان يوضح انه مبدا هذه التداير العجيبة اذ اعلن هذا
المرلدى الانبياء. ولذلك مكهم من ان يشيروا الى ما كان في عزيم ان يبرمه وقد



* ٢٧٢ *

تنبأوا عن مسير هذه الممالك كما تنبأوا عن تسلسل شعب الله الخاص اذ لها ارتباط شديد
معه لما هو في قصده
ولكن لديك يقينا انه كلما اعتدت على استغناء هذه الحوادث العظيمة واعادتها
الى مبدعها باخذ بك العجب كل ماخذ لدى اطلاعك على هاته الاحكام من لدن
الغاية الالهية ويتقضي ان نقبس منذ حداثتك هذه المعارف التي تنجلي رويدا في عقلك
وتعلم ان تعيد الى نظام الحكمة الالهية الامور الدنيوية المتعلقة بها
ثم انه تعالى يرينا بهذه الامثال الشهيرة ما يصنع بغيرها رجاء ان يعلن لنا دائما
مشيئته على ايدي انبيائه في ما يناط بالملوك والممالك التي يوطدها او يدمرها كما صنع
بالممالك التي تكلمنا عنها ويعلم الملوك حقيقتين جوهريتين وهما انه منشأ الممالك وتبنيها
لمن يشاء وانه يستعملها لما تصدق في ما يناط بشيخو في الزمان والنظام المعينين وهذا
ما يلزم الملوك ان يعتبروا انفسهم تحت سلطان مطلق ويحجبهم مشيئة لاوامر الله لكي
يكونوا في كل فرصة تسنخ لهم مضافين ما يؤمل لجله
اما تسلسل الممالك وان اعتبرناه بنوع عالمي فيجدي نفعاً عظيماً للممالك خاصة
لان الكبرياء الملازمة لهذه المنايات السامية تسقط لدى هذا المشهد واذ كان مشهد
موت الملوك يبعث النوع الانساني على ردع اهاليهم فكذلك بالآخرى يجب ان يؤثر فيهم
سقوط الممالك عنها وهل في الامكان ان يبدى باطيل العالم اكثر من هذه
وعندما ترى التباينة والملوك والممالك التي مادت لها الارض ثم كسح البحر
وترى الاشوريين قديمين وحديثين والماديين والفرس واليونان والرومان يبنون ينساقطون
بالتتابع ترى دوي سقوطهم يوضع لاشي ثابت بين البشر وان الثقلبات والاضطرابات
هي من خصائص الامور الدنيوية

الفصل الثاني

ان ثقلات الممالك لها خصائص يجب على الملوك النظر فيها
ان تعقل ما يناط بارتفاع الممالك وسقوطها واسباب نجاحها وانحطاطها بين لك
ان هذا المشهد ازيد جداء واكمل غلظة لان الذي هو مبرم ارتباط العالم ودائم مع

* ٢٧٣ *

عظم قدرته وان يشيد النظام بان تتعلق بعض اجزاء هذا المجموع ببعضها . اذ اراد هو نفسه
ان يكون مجرى الامور العالمية تسلسلاً ونسباً وذلك انه اقتضى ان يكون مناسبة بين
صفات الشعوب والامم والمنايات السامية التي اعتدت علم . وهكذا لا يحدث تغير عظيم
دون علة انفتت في الاجيال الفارقة عدا تلك الضربات الخارقة العادة والنظام
الطبيعي اذ يريد الله ان يرينا ان عمله وحدها
وبما ان لكل الامور ما يقوم بابرازها ويبيع على اجرائها ويعود عليها بالنفع والجداء
فمعرفة التاريخ قائمة بامعان النظر في النظامات المكتونة التي هيأت الانقلابات العظيمة
وفي الحوادث الخطيرة التي كانت سبباً لحدوثها
ولا يكتفي ان ننزل الى الامام اي ان نتبع في هذه العوارض التي تنهي بغتة امر
الممالك بل ينبغي للمرء ان يتوحي الامور ويشوف الى الشؤون العالمية ان رآه كمال معرفتها
وعليه ان يتفحص الاميال والعوائد ولا سيما خصائص الشعوب المملكة عموماً والملوك
خصوصاً وكل مشاهير الرجال الذين كانوا سبباً لانقلاب الممالك والهيئة الاجتماعية
بارتفاع مقامهم في العالم الى ذرى الجيد والسيدة
وقد افرغت من الجهد كثيراً رجاء ان استدرجك من هذه الافكار المهمة المدرجة
في اول جزء من هذا الخطاب . وقد امكن لك ان تطلع على اخلاق الشعوب والرجال
العظام الذين تولوا امورهم . وقد امنت لك الحوادث التي كانت ذات منفعة في
المستقبل املت ملاحظات خاصة ذات نتائج قليلة الالهية وذلك لانه افكارك
الى النظر في تسلسل الامور العالمية العظيمة التي وددت لوافيهاك اياها خاصة
وبما اننا مررنا بسرعة على حوادث شتى لم نعرفها من القدر جانباً حسب مقتضاها
لذلك تسلسل الامور فليكن الان بان تنبه خصوصاً الى هذه الحوادث وتعود عقلك
ان يجت من المعاني في عالمها الفاصية . وهكذا تنقبس ما هو ضروري المعرفة حتى
انه اذا لم تنظر الا في هذه التناقضات الخاصة بان انت الفنادير وحدها امنت تشييد
الممالك وخراجها وما اذا توخينا الامور عموماً فنرى انه يحدث غالباً ما يحدث بلعب
الميسر اذ يستظهر اللاعب الماهر على خصوص بطول المدة . واقعي الامران ذلك هو
الذي استدرجك الامور عن بعد واهتم اكثر من غيره وادمن زماناً طويلاً على اشغالي
العظيمة وقصاري الكلام انه الذي ينسج الى اشد الوطاط والمخاطر . وان رعاية ذاته



* ٢٧٤ *

في هذا اللعب الدموي الذي حدثت به النجاة بين الملوك على الملك والسلطة في
مرجة في النهاية حتى انه استقدم الاقدار لتتبع مقاصده
فلا يعلق بك فتور ان نجحت عن علالت الانقلابات العظيمة حيث لا شيء يؤول
الى تنفيذه مثل ذلك ولكن اجبت عنها خاصة في تسلسل المالك العظام التي توضيحها
كثيراً الحوادث العظيمة

الفصل الثالث

في السيتين والحش والمصريين

اني لاعنه هنا بين المالك العظيمة ملكتي باخوس وهرقل اللذين افتتحا الهند
والشرق فليس بتاريخها شيء يسير من الفقة ولا بافتتاحها شائع وانما تكل امر مدحها
الى الشعراء الذين جعلوها موضوعاً حملوا عليه حكاياتهم . واني لا تعرض لذكر مملكة
ماد المذكورة في تاريخ هيرودوت وهي تضاهي بامور كثيرة مملكة هندانيروس
المذكورة في تاريخ ميفستان ومملكة تيناوس الموما اليها في تاريخ بوسينيوس وقد شادها
هذا الملك زماناً وجيزاً في اسيا الكبرى . فالسيتيون الذين تولى عليهم هذا الملك
قيادة الحرب قد طولوا من الارضين شيئاً كثيراً ومع ذلك فلم يتوكلوا بتفوحات
تستلتم اليها نظراً ولم يكن ولوجهم مملكة الماديين وقبهم اهلها واستبلاهم على هذا
النم الذي عليه توطدت احكامهم الا بما قدر لهم الزمان من ملافة السيارين . ولم
يملك هؤلاء الفاتحون الا ثمان وعشرين سنة . وقد قضى عليهم طمعهم وكفرهم وتوحشهم
بنقدان اسيا فبعد ان نزعوها من ايدي سباكارين فاراهرات ظهر عليهم وطردهم .
وكان ذلك مبنياً على الخداع اكثر منه على القوة فانه لا باحد اطراف مملكته التي
اهلها الظافرون او بالاحرى لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها وترى هنالك صابراً
مرتقياً الزمان الذي يثير هؤلاء الفاتحون قبضة البغضاء العامة ويلتقون بايديهم الى
التمتكة بسبب عدم نظام حكمهم . ووجود في تاريخ استرابون اسم ملك الجيش المدعى
تباركون فقد نقله هذا المؤلف عن ميفستان ويدعوه الكتاب المقدس طاراق وهو
الذي اتى رعة اسلمته في العالم كله في زمان سنشاريب ملك اثور ووصل بتفوحاته

* ٢٧٥ *

الى عواميد هرقل التي على شراطي افريقية واجتاز من ثمة الى اوربا ولكن ماذا الذي
افوه به عن ملك لا يذكر عنه المورثون الا ببعض الفاظهم يكن انشاق لتسلطه . واما
الحشيون الذين تولوا زمان الامر وقتئذ فبيننا عنهم هيرودوت انهم كانوا ذوي باس
وهياكل اجسادهم كبيرة وعقولهم ثاقبة لكنهم لم يعنوا كثيراً بتثقيفها بل كانوا يتفنون
كثيراً بقوى اجسادهم ويشد اذرعهم وكانوا يتفخرون ملوكاً بالاقتراع ويجلسون على
العرش الملوكي من كان اكبر جسماً واعظم قدرة . ويمكن كل من معرفة سماياهم والحكم
عليها بمجاذب رواه لنا المورخ هيرودوت وهوانه لما بعث اليهم ملك الفرس كامبيز
سفراء يجسسون عندهم ويخدعونهم واصحابهم بهدايا يتهادى بها الفرس وفي ائتمنة من
ارجوان واسورة من ذهب وورائع عطرية هزئوا كل المزيا ان لم يجدوا فيها شيئاً
يعود على المحبة بالمجاء والمنفعة وانتهوا السفراء اذ اتخدوم جواسيس كما كانوا حشاً .
غير ان ملكهم رام ان يسدي الى ملك الفرس هدية حسب مرغوبه فاخذ يده
قوساً كان احد الفرس يكاد لا يستطيع حملها ولا يستمكن من ان يوترها فازورها
هو نفسه بحضور السفراء وقال لهم : هذه هي النصيحة التي يتبع بها ملك الحش ملك
الفرس . فمضى استطاع الفرس ان يستعمل قوسي التي في كبره وصلة هكذا بسهولة
قمت بها انا فليأتوا الى مناصبة الحش ويجزؤون عساكر ازيد من عساكر الملك
كامبيز ومنى نالوا هذه البعية فليودوا الشكر للالهة التي لم تحول الحش الرعية في
امتداد شوكتهم خارج امصارهم

واذ قال ذلك حل القوس وطرح بها الى السفراء . ولا يمكن لنا ان نقف على نتيجة
هذه الحرب الا ان كامبيز غضب من ذلك وهرول الى بلاد الحش كانه معتوه
دون نظام لوتروي في المواقب فملك عسكر جوعاً في البادية قبل ان يدنو من
العدو . ومع ذلك فلم تكن شعوب الحش عادلة كما كانوا يتباهون ولم يكونوا محصورين
في بلادهم فان المصريين المجاورين لم قد اخبروا مراراً قوة الحش وعرفوها . ولم
يكن انشاق في امور هذه الامة الوعرة . وان تكن الطبيعة قد ابدت فيها بدءاً بدء
شعائر حسنة فمع ذلك لم تنجز قط ما بدأت به . وبناء على لا نرى بين اولئك
الشعوب الا اشياء قليلة يمكن لنا ان نستقدمها ونجري على مثالها فلننصر عن القوم عنها
ونلع قليلاً عن الشعوب المتهدبة



* ٢٧٦ *

فان المصريين هم اول من وجدت عندهم اصول الاحكام فان هذه الامة الرصينة
عرفت غاية السياسة الراهنة التي من مبادئها ان تجعل المعيشة غرضه والشعوب
سعيدة . وان حالة هؤلاء البلاد غير المتغيرة قد جعلت العنول ثابتة لا يعثر بها اضطراب
وبما ان الفضيلة هي الركن لكل هيئة اجتماعية فقد انتفوها بكل اعتناء وكان مصدر
فضائلهم معرفة الجميل وان الموود الذي اتاهم الناس اياه لمغالتهم في معرفة الجميل
اكثر من جميع البشر بوخذ منهم انهم يودون الالة . فالجميل وثاق يرتبط به الاتفاق
الخاص والعلم . وان من يعرف الاحسان يد ان يولي احدًا فاذا ساد الفضل
استمرت الملائمة يعمل المحسن خالصة حتى ان لا ترى ذريعة تصدنا عن الشعور بها .
فشرائع المصريين كانت ساذجة منصفة عدلاً وهي الوسيلة التي تجعل الاتحاد سائداً
بين الوطنيين . فمن جل مبادئها ان رجلاً استطاع انفاذ غيره من مخالف العجبات ولم
يغلب ذلك عوقب موتاً بصرامة يجازي بها القاتل الجاني . واذا لم يستطع انفاذ
الصعلوك من ورطة فعليه ان يبدل الجهد في البحث عن فاعل الجرمية معه وقد عينوا
حدوداً لمن لا يحم هذه الفرائض فلذلك كان الوطنيون يتراعون . وكانت كل الملكية
متألفة القلوب على الاعتناء وكل من بنىها مفسوراً عليه ان ياتي بامر يعود عليها
بالمصلحة والشرعية تعين لكل مهنة التي تليق له وراثته من الاب الى الابن ولم يكن
في وسع احتران ينقل مهنتين ولا ان يغير حرفته . وكانت الحرف كلها ذات حرمة
وكرامة . وقد اقتضى الامر ان يوجد مصالح وانخاص متفاوتة كما انه اقتضى ان يكون
في الجسد عيون لا يكون ضياؤها علة لانهات الارجل واعضاء الجسم الفعلي ثم كذا
كان للهيئة والعساكر بين المصريين سمات اكرام خاصة . وكانت الحرف كلها خطيرة
وحفيرة منظورها بها بعين الاعتبار والناس يخالون انهم لا يستطيعون ان يحثروا
وطناً ان لم يكن اقترف جريمة مما كانت اعماله بشرط ان تؤول الى النفع العام .
وهذه الوسيلة كانت كل النوت زاهرة حائرة كال الاثنان وان الشرف الذي كانوا
يتلوقون به كان متميزاً بكل شيء . وكانوا يصنعون احسن ما كانوا يتصدون صنعة
فعاولوا ذلك كثيراً وترونا عليهم منذ الصغر . ولكن كان لهم شغل عام وهو درس
المشرائع والحكمة . وان من كان يجمل الديانة ونظام البلاد لم يكن معذوراً من العدل
مما كانت احواله . ومع ذلك فكانت كل مناقعة لها مهنة منوط بها . ولم يكن يحدث

* ٢٧٧ *

ادنى انزعاج في بلد سعتها ليست كبيرة وكان الكسالى لا يمكن لهم ان يعثروا على
قطعة من الارض يتوارون بها اذ يرون هذا النظام الحسن . وكانت كل شخص
يعود على رعاية اعظم هذه الشرائع المحسنة وكلما بدت عادة جديدة كانت كأنها العجوبة
في مصر لانهم كانوا دائماً يصنعون الشيء نفسه وكانوا يحتفظون الاشياء الكبيرة بسبب
الدقة التي يقومون باحتفاظهم الاشياء المحفزة ولهذا ليس قطر كبر ثبت شعبه على
رعاية عوائده وشرائعه زماناً طويلاً . وان نظام الاحكام كان يضاف على تخليد هذا
المبدأ ووقع الاقتراع على ثلاثين قاضياً من المدن الاصلية التاموا جمعية تعود على
الملكية وتنفي عليها . واعتاد الشعب الأبرى على هذا المنصب الا اعدل اهل البلاد
واكملهم وكان الملك يعين لم دخلاً كافياً حتى اذا عثروا من ارتبا كانت امر المعيشة
قضايا واقامهم كلها في ان يجلبوا الشرائع مربية . ولم يكونوا يخصون انفسهم بشيء من
الدعوى اذ لم يحظر لهم ان يجلبوا العدل حرفة لكسب المال . وحذراً من الخديعة كانت
الاعمال مسجلة ومدونة في هذه الجمعية وكانوا يلقون عن النصيحة الا فتنة التي تعني
القلوب وتثير الشهوات ولم يكن من الممكن ايضاح الحقيقة الا بنوع خال من الزخرفة .
وكان رئيس المجلس يتزين بعقود من ذهب وتجارة كريمة يتدلى منه على صدره صورة
تدعى الحق وكان تقاده بذلك دليلاً على ابتداء المجلس ومن كسب دعواه لدن المرافعة
كان يضع عليه الرئيس الصورة علامة لاصدار الحكم ومن وسائل المصريين لحفظ
قواعدهم القديمة انهم كانوا يصنعون لها بعض احتفالات بكل ترو وروض . ولم تسمح لهم
اخلاقهم الرضية ان تضي كاحتفالات ساذجة ومن لم يكن له اعمال وكان سلوكه حسناً كان
المجلس يقض الطرف عن نفسه عنه نفسه الصام ولكن كان في مصر نوع من
الحكم غير اعتيادي لم يتج احد منه . فمن قضى عليه بشرب كأس المليون واسم معتبر
عند قومه كانسته بذلك تعزية كبيرة . فذلك امر وحيد من الامور الدينية لا يستعاب
الموت سلباً ولم يكن مناحاً في مصر ان يرثي الموتى اسوة فيفضي ابراز حكم عام ليقاني
الحصول على هذه المأثرة المخففة . وعند القضاء على رجل بالموث كانوا ياتون به
للحاكمة فتنة كان المدعي العومي يهدر الدعوى فاذا كان في امكانه ان يبرز ادلة ينة
على ان مسراه كان سيئاً عوقب ذكره وايه الالة الامران بدفنيه وحفظوا ان يتقام
له ضريح . وكان الشعب يتعجب من سلطة الشرائع التي لاتزال المر حياً لم يموتوا وكان



* ٢٧٨ *

كل ينزق من ذلك يروعه هناك ذكر وعائلته وإذا لم تثبت على الميت جريرة كانوا بدفتونه بكل تكريم واحترام وكانوا ينظرون له وثابة لا يذكرون فيه شيئاً من موكب وكانت كل مصر شريفة ولم يكن فيها أحد يتال اطراف من المدح ان لم يكن اهلاً لذلك وكل يعلم كم كان المصريون يحفظون اجساد موتاهم فترى الى الان اجسامهم المحطلة . وكانت معرفة الجليل نحو اقاربهم غير زائلة وكانت الابناء اذا نظروا اجساد جدودهم يذكرون فضائلهم التي اقر بها الشعب العام ويستغفرون لهبة الشرائع التي يتركونها لهم . ولعل العارية التي منها يتولد الكسل والخذاع وانتزاع امر الملك ائتمس بان لا يتاح لاحد ان يستعير حاجة الا بشرط ان يرهن المستعير جسد ابيه عند المستعار منه ومن لم يسترجع هذا الرهن الثمين سرعاً يقضى عليه بان يكون ارتكب عاراً وكفراً وكان كل من تزعم روحه قبل ان يقضي هذا الفرض المم محرم من المجازاة والدفن وكانت الحكمة تنقل بالارث والملوك متفخين عليهم ان يسروا حسب الشرائع اكثر من غيرهم وكان بعض الشرائع خاصة منها احد الملوك وهي قسم من الكتب المكتوبة ولم يكونوا يشاحون الملوك ولم الحق بان يفسروهم ويضيقوا عليهم . بل كان الشعب يحترمهم ويكرمهم كالالهة فان العيشة التدعية نظمت الامور كلها فلم يكن يحظر للرعية ان يعبدوا مخالفين اجدادهم وكانوا يحفلون بلا مشقة تدين كبة اللحم ومقدار الاكل والشرب اذا كان من الامور الاعتبارية في مصر ان يكون الجميع متفشين . والمناخ يجعلهم على التساهة وكانت كل ساعاتهم معة لا يشاء يصنعونها فاذا هبوا من النوم بكثرة قرا واتحارهم اذ العقل يكون وقتئذ صافياً والافكار راتنة صريحة فيتنأى لهم اذ ذاك تصور جلي الحق في اشغالهم التي يتمكنون فيها ولدن ارتدائهم البستهم كانوا يذهبون الى الهيكل لتقديم الضحية وهناك اذ كانوا يحاطون بمخدمهم والذبايح على المذبح كانوا يحضرون الصلوة المنبلة حكمة فيطلب ثمة الكاهن من الالهة ان حسب الملك النضائل الملوكية اعني ان يكون متعبداً للالهة لطيفاً نحو الصالحين خطير النفس صادقاً صافياً متعبداً عن السكذب حراً ضابطاً ذاته معانياً اقل من الذنب ومجازياً اكثر من الاستغناء وبعد ذلك يتكلم المحبر عن الزلات التي يمكن ان يسقط بها الملك ولكنه كان يفترض ان الملوك لا تقع بها الا بالخذلة والجهل ويعلن الوزراء الذين كانوا يقدمون لهم النصائح الدينية ويخبرون عنهم الحق . وهكذا كانت طريقة تعليم الملوك وكان الاناس يخالون ان التاريب يعظمهم وان الوسيلة التي لها الفاعلية في

* ٢٧٩ *

تلقينهم الفضيلة هي اداة ما يتوجب عليهم بدائع تنطبق على الشرائع بلفظ بها بكل احترام امام الالهة فبعد الصلوة والضحية كانوا يتلون امام الملك في الكتب المقدسة نصائح الرجال العظام وانعالم ليحكم مملكة حسب قواعدهم ويحفظ الشرائع التي جعلت اسلافه ورعاياهم سعداء والدليل على ان هذه النصائح كانت تصنع وتسمع بكل احترام هو لانها كانت ذات مغايل راحة . فبين القبايين اي بيت السلالة الملوكية الاصلية حيث الشرائع كانت مرغية بكل دقة وكانت متسلسلة على الكل كان الملوك اذ ذاك اثبت الناس واعظمهم برعايتهم والمركيزان اللذان اخترعا العلوم والترتيبات المصرية كانا من ملوك نيا وكان حدهما قريبا من زمان الطوفان والاخر المدعو (ترسيماجست او عالياً ثلاث مرار) كان معاصراً لموسى وقد استندت كل مصر من تعاليمها وها اللذان كنا بافادتهما سبباً لان تحصل نيا على ملوك اشقياء قليلين وكان الناس يعنون عن الملوك الاردباء مة حياهم لابقاء الراحة العامة ولكيهم لم يكونوا يتفادون عن اصدار الحكم عليهم بعد موتهم وكان بعضهم يحظر دفة غيران من كان يقتدي بهم قليل . ومع ذلك فان اغلب الملوك كان الشعب يودهم كثيراً حتى ان كلاً كان يذرف الدموع على فقدهم كانه يبكي على ابيه اولاده وكانت عادة الحكم عليهم تبدو كأنها مقدسة لدى شعب الله بنوع انه قد استمر على ممارستها . واننا نرى في الكتاب المقدس ان الملوك الاشقياء كانوا يععون من الدفن في لحود اجدادهم . وبنيينا بوسينوس ان هذه العادة استمرت الى زمان المكابيين وكانت تعلم الملوك انه اذا كانت السلطة رفعتهم عن الحكم البشري مدة حياتهم فانهم يجازون به لدن مساواة الموت اياهم بساتر الناس وكانت عتول المصريون جامعة الى الاختراع غير انهم كانوا يحتقدونه للشعوب الميثية وكان المركيزان اللذان حكمهما قد ملاه مصر من الاختراعات العجيبة ولم يترك الناس يحفلون شيئاً مما يجعل الحق سهلة . اما انا فلا تترك للمصريين وحدهم الجهد الذي اولوه اوزيريس بكونه اخترع الفلاحة لان هذا الفن قد وجد في كل الازمنة في البلاد الكلدانية من الارض التي انتشر الجنس البشري ويظهر انه اخترع منذ انشاء العالم وان المصريون يحفلون زين اوزيريس في الاجيال الخالية اذ يبدو جياً انهم قد خلطوا زمانه بابتداء العالم وقد راموا ان ينسب الى ذلك الزمان اموراً كان اجها قبل كل الازمنة المعروفة



* ٢٨٠ *

بأربابهم لكن ولو كان المصريون لم يخترعوا الفلاحة وسائر الفنون التي نراها قبل
الطوفان فقد اتفقوا غاية الاتفاق وانفردوا بالجهد في سبل تجديدها بين الشعوب
الذين قد انساهم إياها توحشهم وليس يجدون بذلك أقل ما لو كانوا اخترعوها. واخترعوا
فنوناً كثيرة الأهمية ليس في إمكاننا ان نتكبرها عليهم. وما ان يلدن لم تكن متشعبة
وساوية كانت صافية لا تتخللها غيوم كانوا أول من راقب سير الكواكب ونظم بحساب
السنين. هذه الملاحظات قد اوصلتهم الى علم الحساب. وإذا كان ما يقوله افلاطون
صحيحاً من ان الشمس والقمر علما البشر معرفة الاعداد اعني انه بدىء بالحسابات
المرتبة بحساب الايام والاشهر والسنين. فان المصريين هم أول من صنع ذلك وقد
عرفوا ايضا السيارات وغيرها من الفنون ووجدوا هذه السنة التي جلبت الماء الى
جديدها والجئوا الى معرفة علم مسح الارض رجاء ان يعرفوا اراضيهم التي كانت مياه
النيل تغشيها واتصلوا بذلك الى الهندسة وكانوا يراقبون الطبيعة مراقبة حسنة وكانت
قوية وغزيرة بينهم بسبب الهواء الجيد والشمس الحارة وهذا ما جعلهم ان يخترعوا الطب
ويقتنوه فبذلك كانت كل العلوم لديهم خزانة جديداً. وان مخترعي الاشياء المنيعة كانوا
يحصلون قبل موتهم وبعده على جزاء تستحقه اعمالهم. وهذا الذي جعلهم ان يعبروا كتب
المركبين مقدسة وجعلوها كتاباً كتب الهية. فاول شعب حاز المكاتب هو الشعب
المصري وان ما تلدوه من الاقارب بعث الناس قاطبة على المسارعة الى ولوج الامصار
المصرية والبحث عن مكتوباتها وكانوا يدعونهم كنوز ادوية النفس فان النفس كانت
تتقي بها الجحيم الذي كان فيها مرضاً عيياً وجزومة كل الادوية. وان الامور التي
كانت لها المقام الاول في عقول المصريين هي اعتبار الوطن والمجنوح اليه وكانوا
يقولون ان الوطن هو مسكن الالهة التي حكمت فيه اختاراً كثيرة غير معينة وكان
الوطن انشأ ارباطاً كثيرة وحيوانات متباينة ترويه مياه النيل مع ان سائر الارضين
كانت غنية. واما الحكمة الذين كانوا يكتبون تاريخ مصر مع توالي الاجيال غير
الحدودة ويألفونها حكايات وانساباً الى المنهم فكان قصدهم من ذلك ان يرشخوا في
عقول الشعب قديمة بلادهم وشرقها ومع هذا فان تاريخهم الحق كان منقضاً حدوداً
راهنة ولكنهم اثنوا ان يغالبوا في فصاحت شائعة من الزمان الذي يدنهم من الازلية
والذلك كانت محبتهم للوطن لها الاسس الوطيد وكانت مصر اجمل بلاد العالم واخصبها

* ٢٨١ *

ارضاً واتقوا بلداً بنوينا واغناها شعباً واغضرها معيشة واحسنها عملاً واعظمها ملوكاً
وكان كل امر من اعمالهم ومقاصدهم عظيماً ويعبر تصديق ما قاموا به في نهر
النيل فان المطر لا يهطل في مصر كغيرها من البلدان ولكن هذا النهر الذي يستنبت
بنفثاته المنظم يقوم مقام الامطار والثلوج التي تنساقط في غيرها من البلدان
وقد ادخلوه مصر باقية لا تقصى طويلاً عريضة جداً. وكان بني قوى الارض
يهاجمون النافعة ويوصل المدن ببعضها ويقرن البحر الكبير بالبحر الاحمر ويرعى التجارة
داخل المملكة وخارجها ويؤتيها على مكاشفة العدو وكان مثبته للبلدان ومحمياً لها.
وكان الناس يغادرونه يسرع في البوادي غير ان المدن كانت مترقعة عنه باعمالها
الغريبة كأنها جزائر في وسط المياه ترى وهي رفعة كل الحقل مغيرة مياه منه تحيها.
ولما كان يقض بنوع خارق المادة كانت الجيوش العظيمة التي انشأها الملوك قد
افترسها الى ان تزدرد مياه المشرق وكان قد هيء مصرف لهذه الجيوش التي كانت
تفشيها وتقلها سدوداً لدن انتضاء الحاجة. ولم تكن المياه تستمر على الارض الا ربناً
تجعلها محسبة. وهكذا كانت استعمال الجيوش العظيمة التي تدعى بحيرة ميريوس
او موريوس وهو اسم للملك الذي امر بانشاءها. وتعتري الدهشة كلاً من الناس عند
شعوره ان قد كان لهذه الجيوش مائة وثمانون فرسخاً امتدت من ناحية ليلية لثلاث
بالارض الجيدة خسارة لدن حفرها. وكان الملك يكتب من الصمد شيئاً كبيراً. ولما
كانت الارض تبت شيئاً كان الناس يتخذونه كنوزاً يهيمون عليها المياه وكان ثمة
هرمان على كل منها عرش عليه شخص عظيم الجثة احدها تنال ميريوس والاخر
تتال امراته وكلاهما يرتفع ثلاثاً قدم فوق ماء الجيوش ولها الطول نفسه تحت غمرات
مياهها وذلك من الأدلة على انها انشأ قبل ان يتبلى جوف الجيوش. وان الناس
انشقوها رجبة في عهد ملك واحد. ومن لا يعرف الى اي حد يمكن تدبير الاراضي
وتوفيرها بحسب ان ما ينال عن تعداد مدائن مصر اقاصيص وحكايات. ولا يمكن
ان يصدق ما هي عليه من الفنى ولم يكن وتنتشر مدينة غير منعمة من المياه كل
العظيمة والتصور الفاضحة. وكان قن البناء يبدو في كل اينر هو شرفه البسيط
والعظمة التي تملأ العقول وتديريها وكانوا يسيطون في سرادقات كبيرة القنايل
والقنوش التي كان اليونان يتخذونها قواعده وكانت تبه تباقي اجمل مدن العالم. وان



* ٢٨٢ *

اوابها الخفة التي انشدها اوبيروس الشاعر كان الجميع يعرفونها وكانت كثيرة السكان
مقدار ما كانت رحية . وقد قيل ان عشرة الاف محارب يخرجون اسواقهم من كل
باب لها . وان يكن في هذا القول مغالاة فان شعبها كان عسرا الاحصاء وامتدح
اليونان عظمتها وكبرها لما راوا دنارها العظيمة الاثار التي كانت فيها
ولامراء ان سواح عصرنا لو وصلوا الى ذاك المكان حيث كانت تلك المدينة
موطنها لكانوا غثروا على اثار لا ضرب لها بين طولها لان اعمال المصريين من
شأنها ان تقاوي الزمان والخطوب المدلجة . فكانت تماثيلهم تضاهي الاجرام الجسمية
وعواميدهم شتى شائعة . وكانت الملكة المصرية تدأب في البهاء والعظمة وترغب في ان
تدهش عن بعد الابصار مع انها كانت نثر بروية هندامها وقياساتها الحكمة
واكتشف الناس في الصعيد هياكل وقصور لم تزل الى الان في حيز الوجود بها
عواميد وقنايل لا تحصى وما يبعث على الحيرة والدهشة قصر لم تسخر طولها الى الان
الا لذكره مجد الاعمال العظيمة كافة

فاربعة من الاروقة الشائعة المزينة على كلا الحدين باي الهول المؤلف من
مادة نادرة عظيمة جرمها في كعابر لاربعة ابواب تحير الافكار بسموها . فيما ارجحها
واعندلها . وان الذين صنعوا لها هذا البناء العجيب لم يقض لهم الزمان آتيا يحولون
فيه حوله وليسوا على اثبات من روية جانب منه ولكن كل ما راوا منه مذهل
وغريب . فاحدى القاعات المشيدة في وسط هذا القصر الباذخ كانت مركبة على ستة
وعشرين عمودا يحيط بطن الواحد منها اثني عشر ذراعاً ومتسعة الكبر الا انها مترجة
بملائك صادست الدهر ولم يستطع احباطها وما زالت الالوان قائمة بين اثار هذا البناء
الغريب وحافظة الى هذا الان حداثتها وجمالها الاول طالما كانت مملكة مصر تطبع
انما لها سعة الخلود . وما ان الان قد ذهب في العالم اسم الملك لويس الرابع عشر وذاع
في كل الاقطار البسيطة وهو يد بعيداً المباحث التي يتخذ منها اجل اعمال الطبيعة
وان امسى من متبادر الامران يكون ذلك موضوعاً يلقى به الرغبة السامية اي ان
تكتشف الحاسن المظهورة على قنار بلاد الصعيد وان تريد في هندسة ابنتنا باختراعات
المصريين . فما الشوكة او ما هو الفن الذي استطاع ان يصبر هذه البلاد اعجوبة العالم .
واذا رأينا هذه الامور الغريبة في البلدان القاصية فاذا الذي عسانا ان نراه في العاصمة

* ٢٨٣ *

وانما على مملكة مصر وحدها ان تقيم ماثر فاخرة مخلة فلم تزل مسالماً الى هذا
اليوم اجل زينة في مدينة رومية سوا كان يزعمها او بارتفاعها . وقد آيست السلطنة
الرومانية من مضاهاة المصريين وحسبت انها تزيد فخراً على فخهم اذا تسنت بهاثر
ملوكهم . ولم تكن مملكة مصر قد شاهدت من الابنية الشاهقة سوى برج بابل .
ابتدعت الاهرام التي نالت بهيبتها وعظمتها راية الظفر بالاجبال والبراري . وان ذوق
المصريين السليم حذام منذ ذاك الزمان الى مجرد ود المسكن والنظام في الفن . ليست
الطبيعة توبخ من تلقاء نفسها الى هذه الهيئة البسيطة التي يشق على البشر جعل العود
اليها اذا ما قصد الذوق حب الطرق الجديدة والاندام الغريب ومهما كانت من
الامر فان المصريين لم يودوا سوى اقدم مرتب لانهم لم يعطوا اختراعاً ولا طريقتاً
الا في هيئة الطبيعة المتنوعة وتفتتها غير الحدود وطالما اتفقوا انهم وحدهم هم الذين
ابدعوا كالأفلاك اعمالاً خالصة . ولم تكن الكتابات التي على الاهرام اقل اعتباراً من هذا
الصنيع نفسه . وكانت كائنها تناجي الناظرين اليها واحدهن المبني من الاجر كان
يجذر الجميع من مناسبتة على غيره وانه يسمو علماً على سائرهم كما ان المشتري يتعالى
على جميع الالهة الا انه مما اجهد البشر نفوسهم فلا يلبث ان يبان وهن قواهم وعدمهم
في كل ايب . وكانت هذه الاهرام رموساً غير ان الملوك الذين شادوها لم يكن من
سلطانهم ان يحددوا فيها وهكذا لم يتمتعوا بالحصول على لحودهم

ولم يكن من دأبي ان اتكلم عن القصر الهبتي المدعو لايرتسلولم ثبت لنا هيرودوت
انه يفوق الاهرام جداً . فانه شيد على ضفة بحيرة مبرسي ومخ منظراً موافقاً لعظايبوعدا
ذلك لم يكن قصراً واحداً بل ليقفاً من القصور البهية تعدادها اثنا عشر قصراً متصلة
ببعضها على غاية النظام . وكان يكتنف ذلك الف وخمسة مائة قاعة مترجة بالسطوح منتظمة
حول اثني عشر بحيرة لاتيقي مخرجاً لمن دام دخولها قصد الزيارة وكان بقدر ذلك
ابنية تحت الارض مهيأة لان تكون رموساً للملوك ومكاناً لعبالة الفاسخ المقدسة التي قد
سجدت لها هذه الامة الفاتكة بنور الحكمة الطبيعية . ومن يمكن له ان يرى ذلك ولا يعتبره
خجل بل يتوكل على عمه العقل الانساني

فلربما نأخذك الدهشة يا سيدي عندما ترى كذا عظمة في رموس المصريين . فضلاً
على انهم شادوها بان تكون آثاراً مقدسة لتري الاجال المنتقلة ذكر الملوك العظام



* ٢٨٤ *

ومجدهم بحسبونها أيضاً كشافي سرمدية . فمن الحق ان الديار غدت فنادق يقطعها
المسافرون ابداً بقضون بها حجرة وجيزة لا تخرج لم يتوال جميع مرغوباتهم وانما الديار
الحقيقية في الرسوم التي ازمعنا نحن ان نقطعها منذ احقاب شتى
ومن المقرر ان كدح الملكة المصرية لم يكن مقصوداً على الجمادات بل كان جل
اهتمامها متوقفاً على ثقب البهر . وقد اثن اليونان كثيراً ان رجالهم الشهيرين كهوميروس
وفيساغوروس واثلاطون وليكوركوس نفسه وسولون المشتهران الشهيرين وكثيرين
غيرهم ليس هنا موضع بسط الكلام عنهم ذهبوا فاكروا على تعلم الحكمة في مصر ورام الله
ان يترى ويتفنى على حكمة المصريين لانه شرع بذلك يكون قدراً قولاً وعملان
الحكمة الحقيقية تستعمل كل شيء والله لا يرغب في ان الذين يوحى اليهم يهلون الوسائل
الانسانية الناشئة عنه تعالى على وجه آخر

وقد درس حكا مصر السياسة التي تجعل العقول نائمة مكينة والاجسام قوية
النية متينة والسلا كبريات النسل والاولاد اقوياء اشداء وهذا كان الشعب يفتخرون به
قوته وعدده

ولا ريب ان البلاد سليمة طبعاً الا ان الفلسفة علمت اهلها ان المرء لا بد له من ان
يضافر الطبيعة ويكون مظهرها لها . ومن الذين ان قد يوجد فن تنقيب الاجسام كما وجد
تنقيب العقول وقد عرف الاقدمون جيداً هذا الفن الذي اسد لنا عليه جلباب
الغيا في بعد ان اتصل اليه المصريون . واخذ طالما مارسوا الفناعة وانشاء الاشغال في
سبل هذه الفاية الماثورة . ففي احد مضامير المعارك العظيمة التي شاهدها هيرودوت
عينا تبين ان حجاج الفرس كانت سهلة الفتب وحجاج المصريين صلبة جداً تحاكي الصخور
التي حوّلها فذلك يدل على رخاوة جيش الفرس وقوة المصريين وبطونهم اللذين
بأثبات عن الفناعة والاشغال الدافقة . وقد اُجرى في مصر مجازة عجيبة السمير على
الارجل والخيول والبعجلات ولم يكن في البسيطة كلها اناس جديرون بامتطاء الخيول
كالمصريين . واما اشعار ديودوروس ايانا بانهم ابناء الكفاح بان يكون غريباً يجلس
قوة مخطرة سريعة الزوال فيعوز به الى كفاح المصريين المتجارب المجد الذي عاين اليونان
وتغفرو غير لاشق بالاحرار مع انهم توجعوا في ملاعبهم الفائزين مراراً . الا انه يلقى باطل
للمكرمة انما يجري بهذا الله . والله أيضاً ديودوروس نفسه ان مركزه الى المصريين

* ٢٨٥ *

ابتدع اصوله مع فن تنقيب الاجسام . فعلمنا ان نصيح أيضاً لما يقوله هذا المؤلف نفسه
فيا بناطيقن الموسيقى فقد امتحن المصريون كثيراً الموسيقى المودية الى الرخاوة واحسبوا
ذريعة لترغ الشجاعة من الابطال وقالوا ذلك يودي بهم الى القنص والرخاوة وحسبوا
الامر ان هذا الفن العظيم يرفع قوى العقل ويطرب النفوس بالحنانه المتسقة وليس من
الحق والصلوب ان يأنف منه المصريون . فقد روى العلامة ديودوروس نفسه ان قد
اوجعهم مركور وقد ابدع أيضاً وهم آلات الطرب . وفي احتفالاتهم وهم حاملون اسفار
ثرى باجاست كان يسير المنزل في مقدمتهم ويكثرون الى الموسيقى (لا علم لي به) او كتاب
الصلائح . وخلاصة الامر فان المصريين لم يجامحوا افكارهم شيئاً من شاء ان يذهب العقل
ويرفع شان الفنا دون بقوى الجسم وكانوا يثبسون برواتب ارباعه الف جدي رعاية
لبنائهم ولعلمهم الذين طالما تعودوا التمرينات الحربية وقد كانوا يمتحنون شرائع الجندية
بكل سهولة او بالاحرى كانت الطبيعة تخولهم ذلك فان الآباء كانوا يلقونها على بنهم
علم بانهم مزمعون ان يخلطهم بالهن الحربية كما يخلط الابن اباه في سائر الوظائف
وكان القوم المشتمون برؤاه الجندية منظوراً اليهم بعين الاحترام والكرامة بعد ذرية
الاحبار وكانوا يسمون شرقاً على سائر الخلقون كما في بلادنا . وليس من داني الحكم على
المصريين انهم كانوا في غير الزمان امة حرة فجمهم للجد المنظمة كان امراً زهواً
وكانت مارسهم الاعمال الحربية ومعاودتهم ضرورة الحروب عيماً انما لا يصير الناس
جسوداً ممتحنين بالمواقع الآ في المعارك الحقيقية وطالما وك المصريين السلام لانهم كانوا
يودون الانصاف ولم يكن لهم حاجة للجد الا للدافعة عن انفسهم فذلك لم يفكروا
قط في ان يوجعوا بنين الوحي قصد الانتصاحات بل كانوا يكفون بما هو لهم وبما ينصب
علام . وقد امتدت مملكة مصر من جهتي أخرى وامتدت لمخالت الى جميع الامصار
انتشرت بهم الشرائع والآداب وتوافدت سكان المدائن الشهيرة على مصر ليعتقوا فيها
ويطعموا عزائهم اهلها القديمة ويجزعوا من بناتج ادابهم الجميلة واستشارهم كثيراً في
اصول الحكمة وذلك لما غرم سكان الدنيا على تنفيذ ملاعب الالوهية التي هي
اشهر ملاعب اليونان يفتوا بالرسمية حافلة يطلبون بها تصديق المصريين عليها معهم
وتغلب منهم وصاغة حديثة لافله البسالة في ائنة المحاربين . وقد استولى المصريون
على حكمهم زماناً وبانت الشوكة لدهم اعظم من مملكة نوطدت اركانها بصلي الاسلحة



* ٢٨٦ *

وقوى المجنود وأما ملوك تائب وإن كانوا أقوى من ملوك مصر كافة فإنهم لم يحلوا قط على الممالك الدانية . ومن سواغية الأمر أن يقال أنهم جلبوها من أيدي الأجانب لأنهم استولوا عليها قسراً عن إرادة قاطنينا وإحلالهم فاقوا معنى على جميع الفاتحين بما أخذوا يتفقون . ولست داتياً في كلامي إلى أوزيريس هازم الهنود فمن المترراته ياخوس نفسه أو أحد الأبطال المئويهم في الأقاصيص المروية فابوس سزوستريس سواً كان عمله بيل غريزي أو مجتة خلق أو سلطان هائف كما يزعم المصريون قد أزع على أن يصير ابنه من أشهر الفاتحين فشرع كعادة المصريين أي بالأفكار الصامية وأمر أن ياتوه إلى القصر الملوكي بجميع الصبية الذين ولدوا في اليوم الذي ولد فيه سزوستريس فاعتنى بتربيتهم وتدريبهم كأولاده وكان يقبضهم على مائة وأحده بجانب سزوستريس فأشربهم الصفات الحميدة ولهذا لم يكن له وزراء أمينون ذوو حمية لدن أخطار القتال نظيرهم . ولما طعن في السن حكمهم بن الحرب إذ اضرم على العرب نار الوثني فالتجأ هذا الشاب حينئذ أن يكابد شدة الجوع والظاء وأرزع تحت نير شوكته هذه الأمة المتوغلة في العصبان إلى ذاك الحين وبعد أن عاود الاضغال الحرية بأقدامه على هذه التفريجات وجه أبوه أفكاره نحو غربي بلاد مصر ففهم على إقليم ليبيا وأرضه تحت نيره قسماً عظيماً من هذه البلاد الشاسعة . وفي ذلك الوقت عبت به برائن الردى وترك أهلاً لمباشرة كل ما يرغب فيه ففهم في فكره أن يفتح العالم بأسره إلا أنه قيل أن يرايل مملكته استندرك الأمان داخلها وملك اثنتي عشرة شعباً بختائو وعدلو وجعل الأحكام في نظام تام بمجساته العظيمة ومع ذلك فقد كان يتأهب لمصادمة الأعداء في جيش الجيوش وأقام عليهم قادة الشبان الذين رباهم وإنه معاً على مائة وأحده وكان عددهم ينوف على ألف وسبعماية كلهم جديرون بأن يلقوا بالحماة والبسالة وروح الظلام ومحبة الملك في قلوب الجيش كله . ولما أتى ذلك على هذا الأسلوب دخل بلاد الحبش وأغرى الحبشيين بأن يهودوا له الجزية وهكذا أدمن على الفوز في آسيا . وأورشليم في المدينة الأولى التي شعرت بدهاء عبده ببأس جنوده ولم يستطع رجوعهم الجري إلى مقاوتهم بل سلب منه سزوستريس خبرات أيديهم وأمواله فهكذا قضت العناية الإلهية للملك الشرير عقاباً لئلا تم اقتصر سزوستريس بلاد الهند أكثر من هرقل وياخوس ووصل إلى أكثر ما وصل إليه فيها بعد الأكيدر العظيم لانه البلاد قمع التي وراء نهر السج ومن ذلك يمكن لك أن تستنتج

* ٢٨٧ *

هل قاومت البلاد الدانية عزه . فتغلب على السبتيين حتى نهر النابيس لأن بلاد أرمينية وكبادوقية رخصنا لا يأس ونواهبه فترك نخلة في مملكة كوليكوس القديمة حيث عوائد المصريين لم ترل ثانية واستمرغ إلى هذا الحين . وقد رأى هيرودوت في آسيا الصغرى آثار ظن من بحر إلى آخر مع كتابات فاخته بشأن سزوستريس ملك الملوك وسيد السادات

وقد وجد منها في إقليم ترابا أيضاً . وامتنعت مملكة سزوستريس من نهر الكافج إلى نهر الطونة وإنما صعوبة المعيشة صدت عن اقتراء بلاد أوربا فعاد بعد تسع سنوات من سفره يفتله جميع الشعوب الذين ارهقهم بالغنائم والأتعام ففهم من دافع ببسالة عن استقلالهم وحريةهم وآخرون سلخوا دون أدنى مقاومة وقد صرف العناية سزوستريس بأن يوعز في آثاره وتواريخه إلى البورت بين هؤلاء الشعوب بأحرف رمزية تدعى (أبروغلف) حسب عادة المصريين وقد اخترع الرسوم الجغرافية يرسم عليها مملكته وأقام مائة هيكل شهيرة توطدت في سبيل تسبيح الألهة الدائنة عن المدائن وجعل جل ذلك مقصوداً على تذكاري فوزه وأعلنت بكتابات هذه الأفعال العظيمة قد تجرت دون أن تعني رعاياها وكان بعد من سودده أن براهم إن لا يملك في آثار فوزه سوى الأسرى . وقد أقتنى بذلك أنوزج الملك سليمان فلم يستقدم هذا الملك الحكيم في الأعمال العظيمة التي خاضت اسمه وذكرى ملكه سوى الشعوب المستعبدين والموودين الجزية لحكومته . على أن الرعية أعدت لالأعمال الأخرى أعظم وأشرف مكاناً يعملون فن الحرب وأصدار الأوامر الجديدي ولم يستطع سزوستريس أن يقتني آثاراً أعظم من ذلك فترجع في دست أحكام مصر ثلاثة وثلاثين حولاً وتتم بانتصاره زمناً طويلاً . ولو لم تفتنه الكبرياء على أن يجمل الملوك الذين قمعهم يجررون مركبته لكان أهلاً لكل مجد وفخر . ومن البين أنه أنف من أن يموت كسائر الناس . ولما أمسى لدن شيوخه وأعيانهم وغادر المملكة المصرية لثروقه وفيرة ومع ذلك فلم تبلغ مملكته بعد موته النسل الرابع إلا أنه بقي منها إلى عصر طليار بوس قبصر آثاراً متفرقة تدل على عظمتها وسعة دائرتها أن المملكة المصرية عادت فوراً إلى ما كانت عليه من طبعها وهو الرغبة في السكينة حتى أنه كتب أن سزوستريس كان أول من أوجع عظم المصريين بعد فتوحاته خشيته من وقوع العصبان وبناء عليه لم يتخذ هذه الوسيلة إلا كاحتياط على خلفائه فإنه



* ٢٨٨ *

لم يكن يخشى من شعوبه بأساً قائمهم كانوا يودونه ويمجرون أمام عظمه جدياً نظراً لما
انطوت عليه سجاياه المحببة من الحكمة والحلم ولذلك لم يكن هذا الفكر لائقاً بملك
اخذت منه العظيمة والمهابة كل ماخذ ولو لم يكن كذلك لكانت مفادته بجماله رجاياه
في جنز الوهن ضرراً من عدم استدراك الوسائل الكبرى لتوطيد اركان فتوحاته . ومن
المترار أيضاً ان هذه المملكة العظيمة لم تثبت مطلقاً . ولا سندوحة للانفراض في أي وجه
كان لان روح الانقسام والشعباخذنا ببدان في بلاد مصر . وقد اغار ساباكون الحبشي
على هذه المملكة في عهد الملك انيزيس الاعلى فعامل الشعب بالرفق والوردة وقام
بفتون خطيرة لم يبلغ اليها احد من الملوك الوطنيين فلم يربأ اعتدال كاعتداله لانه
بعد ان مضى خمسون عاماً من حكمه السعيد عاد باليمن الى بلاد الحبش انبثاقاً لاوامر
بعض الناصحين له فذلك امر خال المأمن من لدن الالهة . ومنذ ذاك الحين هبطت
المملكة بايدي سائون كاهن فولكان المعروف بالير والتي الالهة قليل المعرفة عدم
الخبرة في الامور الحربية . وقد اهل قوى المجندة اذ عامل الجيوش واهل الحرب معاملة
سيئة ومنذ ذاك الحين لم يعقد المملكة المصرية سوى جيود اجانب ومن ثم امتدت
في مصر بلاديا عظيمة فان المصريين تخوفوا لم اثني عشر ملكاً يقتسمون بينهم الحكم
وم الذين بينا الاثني عشر صرحاً التي تتألف منها اللايرنت وان تكن
المملكة المصرية لم تسدل على عظمتها القديمة ذيل الضمان فقد امنت واهت القوى
وتشعبت في عهد هؤلاء الملوك الاثني عشر واصبح احدهم المدعو بساماتيك ملكاً
باعانة الاجانب له فقامت به المملكة واسمرت عزيزة قديرة مدة خمسة او ستة احكام
ملوك . وقصارى الامر ان هذه المملكة القديمة بعد ان مكثت تغوراً من سعاية عام
اضعف ملوك بابل وملوك الفرس قواها وامست فرصة لتكاسير الذي هو اغنى من
الملوك طراً

ان الذين عرفوا جيداً اخلاق المصريين استدلوا انهم لم يكونوا امة حرة . وقد
اوغزنا اننا الى علة ذلك لانهم قد عاشوا في الطائفة تغوراً من الف وثلاثمائة سنة لدن
بروز الملك انتالغ الشهير اعني به سزوسنيس فهكذا قسراً عن الرادة جنودهم المربعين
بعناية جريئة رائنا اخيراً ان قوتهم كانت قائمة بالجيوش الاجانب وهذا من اعظم
الارهام والمجائب التي يمكن للمالك اقتزالها . لكنها الامور البشرية ليست ابدأ على كمال

* ٢٨٩ *

ومن الامور العسيرة الوصول الى ذروة الكمال في غمون السلام والنفاد الناجمة عن
الحرب ولكن ليس من الجبد الطفيف استمرار هذه المملكة ستة عشر جيلاً وقد حكم في مدينة
تاب بين الفترة بعض الحبشيين ومنهم ساباكون وثاراكاً حسب ظن الاكثرين الا ان
المملكة المصرية اتخذت هذه الافادة من تقويم حالتها المنظمة وقوانينها المربعة غير ان
الاجانب الذين اختصوها غادروا عوائدهم جانباً وتسلوا بعوائدهم . وعلى هذا لم يكن
المصريون يفتنون حكومتهم بتغير ملوكهم وحكامهم . وقد شق على مصر احتفال الفرس
وابوا الرضوخ ليرحم القنبل الا ان المملكة لم تكن ذات بطش وصوله كما اننا للمناواة
هذه السلطة القديرة بقوة جيوشها . وقد التها اليونان ان يملوها لانها كرم في امر آخر .
وطالما امدوها بالاعانة سلفاً وذادوا عنها وكانت تسقط دائماً في عهد ولاد ملوكها
الا انهم الا انها استمرت مستمسكة بعوائد القديمة وامست غير جديرة بان تسلم
احكام ملوكها الاقدمين وشرائعهم ومع انها تسكت بامور كثيرة على عهد نيولاموس
وخلفاءه فان اختلاط عوائد اليونان والفرقيين كان عقلياً جداً حتى انه لم يبق اعتبار
بين عوائدهما وعوائد المصريين القديمة

فلا نسلون اذا ان ازمة ملوك مصر القديمة غير محققة حتى في تاريخ المصريين
انفسهم لانه يثق علينا ان نجد هؤلاء الملوك اوزيمدياس الذي نرى منه آثاراً عظيمة
بيننا ديودوروس عنها وادلة ساحطة على حروبه ويلوح ان المصريين لم يكونوا يعرفون
اباسوسنيس الذي لم يذكر هيرودوت وديودوروس وان شوكته ثابت من
الاثار التي في العالم اكثر من تواريخ وطنهم ومن الحجج وغيرها تبين لنا انه لا يقتضي ان
يصدق كلام روت لانا المملكة المصرية بشان قدميتها كما كان يخال البعض مع انها هي
نفسها لا تعرف ازمة ملوكها الذين ملكوا ناصبة الدهر اكثر من غيرهم

الفصل الرابع

في الاشوريين القدماء والحديثين والماديين وقورش

ان ملكة المصريين العظيمة تعتبر كاتبا منفردة عن غيرها وليس لها استغناء
متصل كاتري وما بيني علينا ذكره هو اكثر تحفيظاً وتاريخاً اشد يتيماً



* ٢١٠ *

ومع ذلك فلم يبقَ علينا الا اشياء وجيزة مختصة تناط بمملكة الاشوريين الاولى
وبوجيز الكلام نقول : في اي ابن شاول ان يعينوا مبدأها اتباعاً لازاء المؤرخين
المتباينة جاء نينوس لما كان العالم مجتهداً الى مالك شتى حقيرة امرؤها بنهمكون في ان
ينظروا الى ذواتهم أكثر من ان يزدوا قوة واذا كان يفوق من يدانوته في القوة
والجمرة اضحكهم قوماً بعد قوم واقصى انتصاراته جداً في ناحية المشرق . ثم ان امراته
سامريس التي احرزت في المطامع المنوطة بها غالباً يجنبها مما لا يوجد اعتياداً بين
ثبنت افكار بعلمها الرحبة وانمت توطيد هذه المملكة

فلاريس انما كانت عظيمة . وكبر نينوا الذي يفوق كبر بابل كما يزعم البعض
يوضح ذلك جلياً . ولكن بما ان المؤرخين المدققين لا يذهبون الى ان هذه المدينة
قدعة كما يبدى لنا غير لا يحكمون انما عظيمة بتقدير كذا . فلو كانت قديمة ورجبة
نظيماً لقول المؤرخ الاماك كئازياس ومن له الثقة بكلامه يعلم ان الملك الصغير الذي
ينتمي لنا ان نقابها عليها تستمر زمناً طويلاً . ومن الحق ان افلاطون الراغب في
البحث عن الاشياء القديمة والنظر اليها يضع مملكة تروادة على زمان برنام تحت ولاية
سلطنة الاشوريين لكنه لا يرى شيئاً من هذا في مؤلفات امبروس الذي كان عليه
ان لا يهمل حادثة كوك لما في فصحة ان يسمي مجد بلاد اليونان . ويمكن الوثوق بان
الاشوريين كانوا معروفين قليلاً في جهة المغرب لان شاعر كذا عالماً محباً للبحث عن
الشؤون ايزن اشعاره من كل ما من شأنه ان يناط بموضوعه لم يذكر فيها ايها

ومع ذلك فحسب التعداد الذي رايناه أكثر موافقة للصواب نقول ان زمان
حصار تروادة كان اعظم عصر الاشوريين اذ تمت فيه فتوحات سهراميس التي لم
تنتشر الا في جهة المشرق فان الذين يصنعونها كثيراً جعلوها تحصر اسلمتها في هذه
الارحاء فانما شاركت نينوس في مقاصده وانتصاراته لان جوستين الذي يغالي في
مدحها يجعله ينهي فتوحاته من جهات الغرب على حدود ليبيا

ولا علم لي في اي آن اتصلت نينوا بفتوحاتها الى تروادة اذ يرى ان نينوس
وسهراميس قاما بشيء مثل ذلك . وجميع خلفائها عاشوا في ومن عظيم منذ ولدها
نيناس ولم يقوموا الا باعمال نادرة جداً حتى ان اسماهم كادت لا تصل اليها . ومن
العجب ان مملكتهم امكن لها القرار مع اننا لا نثق بصحتها . ولاريس ان فتوحات

* ٢١١ *

سهراميس انقصتها كثيراً . ولما كانت هذه الفتوحات قصيرة وليس لها من خلفائها
مستند آل بنا الامر الى ان البلدان التي ملصوها من ايدي الاشوريين وهي معتادة على
احمال سلطنتهم تكون قد آتت اليهم طبعاً حتى ان هذه المملكة استمرت ذات شوكة عظيمة
مفتحة بالراحة والسكينة الى ان ايدي فيه ارباس رخاوة ملوكها المدميين على الثواري
في زوايا قصورهم ولم يفض الامر بسر دانا بابل الى ان يكون مجتهداً فخط لدى الرعية بل
قضى عليه الامر ان يكون غير مطاق

ولقد شاهدت المالك التي خرجت من دثار مملكة الاشوريين وهي التي منها
مملكة نينوا وبابل . فملوك نينوا استسكوا بلقب ملوك اشور وكانوا يزدون غيرهم قوة
وباساً لكن كبرياءهم كانت متجاوزة كل حد لانهم افتقروا مملكة اسرائيل او السامرة ولم
يدراهم عن ان يقوموا مملكة يهودا في ايام حرقها الملك الا يد الرب وعجراته ولم يعد
يعلم في اي حيز يمكن ان تحصر شوكتهم اذ فازوا عا فلهل بمدينة بابل التي تدانهم
وهي التي كلت فيها قوى السلالة الملوكية

واما بابل فكانت يدوانها لم تبرز الا لتسولي على اقطار البسطة طراً والدليل
على ذلك ان شعوبها كانوا على جانب عظيم من سداد الرأي والبصالة وكانت الفلسفة
والعلوم بينهم رياضاً دانية القلوب ولم يكن في الشرق كله جنود تحاكي جنود الكلدانيين
وكان الناس يعجبون في الاعصار القديمة من نصارة هذه البلاد التي جذبت
باهال فاطمها حرائثها . وحناها خصم الى ان تكون في ايام ملوك فارس القدماء
فصاً ثالثاً للمملكة وبناء عليه فلولك اشور افتقروا وتعظموا من زيادة مملكتهم بانضمام
هذه المدينة المثيرة اليها فباشروا اذ ذاك مقاصد جديدة . وفكر مختصر الاول ان
مملكة لا تكون جديرة به ان لم يل اليه العالم قاطبة . ولم يختصر الثاني الذي فاق
سلطه سمياً بعد ان فاز فوزاً غربياً وفتح فتوحات مدهشة ان الرعية تؤدي له عبادة
الواحرى من ان يحكم كملك . فاية صنع لم يبق باعياها في بابل واي اسوار واي
ابراج واي ابواب واي صيانة لم يباشرها . وقد لاح ان برج بابل القديم اولئك ان
يتجدد بعلمهم كمال باعال وان مختصر اراد ان يتهدد ثانية السماء وان تكن يد الرب
اهبطت كبرياءه فع ذلك خامت رؤوس خلفائهم فانه لم يتأسوا على احمال سلطة
من يدانوتهم فقولوا على ان يرضخوا العديد الاوفر تحت نير عودتهم ولذلك انف





الفصل الخامس

في الكلام عن الفرس واليونان والاسكندر

ان الذي افسد عوائد الفرس كامبيز بن قورش فابوه الذي نشأ وقت اصطلاح
الفن والحروب لم يهتم في تهذيب خليفته الذي كان مزعماً ان يخلقه على ولاء ملكة
عظيمة كما هذب هو نفسه . ومن المقدر على الامور البشرية ان ارتقاءً عظيماً يضر بالفضيلة
اما داريوس بن اسباب الذي تدرج الى العرش الملوكي من الحالة العامة فايدى خصالاً
حسنة في مارة السلطة واعتم في اصلاح البلاط الا ان الفساد كان قد صار عاماً وان
الظلمة كانت قد افسدت في العوائد كثيراً ولم يرع داريوس لذاته كنفه من القوة
ليتمكن من اصلاح غيره فاخذ الفساد ينمو في عهده خلفاً ونظماً للفرس فات كل
الحدود

ولم يرح الفرس على بعض انواع العظمة والشرف وان يكونوا قد فقدوا كثيراً من
فضائلهم القديمة بنهكهم في الملاذ بل حافظوا على شيء عظيم ذي بال . وهل يمكن ان
يرى اشرف من الالهة التي كانوا يصوبونها على النفاق الذي كان لديهم ثريباً وعبياً مشيناً .
ومن الامور المهينة عندهم بعد الكذب ان يكون الانسان ذا دين فميشة ذاك المرء
كانت تبدو لديهم باعثة على الوصاح والمعائب ممتنة بمقدار ما كانت تبعث على
الكذب ثم انهم كانوا يعاملون الملوك المدحورة بالزودة والوقار وذلك كرم مغروس
في حجاب سرائرهم ولقد كانوا يغادرون بني هولاء الملوك يقضون في بلادهم بكل خصائص
عظمتهم اذا كانوا قادرين ان يواظبوا على الفاترين

وكانوا على جانب عظيم من الرزاة كراماً على الغريبين لم الخيرة في استخدامهم
يعتبرون اهل الاستحقاق ولا يتقاعدون عن استخدام الوسائل في سبل مآلهم اياهم اليهم .
لكن من الثابت انهم لم يصلوا الى غاية معرفة الحكمة التي تعلم كيف يحكمون فان دولتهم
العظيمة لم تنفأ مضطربة طول ايام حكمهم ولذلك لم يستطيعوا ان يجدوا ذلك الفن
العظيم الذي قد استخدمه منذ ذاك الوقت الرومانيون وهو ان يجرؤوا جميع اجزاء
الملكة ويصيروها مجموعاً كاملاً

ولهذا لم يكتفوا زماناً مديداً دون خصام وان كان فيهم شيء كثير من النظام فانهم
كانوا يعرفون قواعد الانصاف والعدالة . ومن ملوكهم من اجتهد في رعاية الشرائع بكل
دقة فكانوا شديدي العقاب على الوصاح والجرائم وليرط عدالتهم تراهم اذا غفروا
لاحد ذنباً ثم آب اليه بعد المغفرة ارفعوا عناءاً اليها فكان لم قوانين شتى حسنة اكثرها
نص قورش وداريوس بن اسباب وقواعد يتوكلون عليها في الحكم ومشورات مرتبة يستظهرونها
وترتب عظيم في الوظائف حجة . ولما كانوا يقولون ان العظام الذين بالنون المشورة م
اعين الملك واذاه كانوا يعوزون بذلك اليهم اي ان وزراء الملك تضاعف اعضاء الجسد
فكان ان الاعضاء لا تبدي امراً لذاتها بل اعطاه مصروفة في سبيل خدمة الجسد
هكذا الوزراء فانها لا تقوم بامرهم غير مقصور على خدمة الملك الذي هو راسها وخدمة كل
الملكة في دولة الوزراء يقتضي ان تكون لهم الخيرة بجميع قوانين الحكومة القديمة . والسجل
الذي كانوا يحتفظون به بالحوادث الحالية كان دستوراً لدرتهم فيدون فيه كل الخدمات
التي قام بها كل فرد خيفة ان يبقى دون مجازاة لان ذلك تريب على الملك وهار على
الدولة وكان من عوائدهم الماثورة انهم يبعثون الافراد على صنع الخير العام اذ يعلمونهم ان
من فرائضهم ان لا ينفصوا نفوسهم لنفوسهم بل للملك والملكة فكان الملك يصرف عنايته
في سبيل نجاح الحراة ولذلك فان من كان في عهده ذلك الفن وكانت ولايته مفتوحة
يو اكثر من غيرها كان الملك يوثق على غيره بالمنة والانعام بالماظة . وكما كان لسياسة
الجنود وظائف معينة كذلك كان مثلها للحراة فكان الملك مقيماً لهذا الفن وظنبت
احدها لحفظ البلاد والاخرى لحرايتها وكان يذود عنها سبباً بنشاط ورغبة حياً بالخير
العام . وان الذين كانت تقلدهم الكرامة والحسن بعد الذين فازوا في مضار الوغى م
الذين اتفقوا الولاء كناراً وكانوا يغالون في ايهام الفرس الى الرضوخ للسلطة الملوكية فان
ذلك كان يقضي بهم الى العباداة الوثنية وكانوا يبدون انهم عبدوا ليسوا كرهاً راضعين
بالقول لسلطة شرعية فذلك كان من مآرب الشرقيين وربما كانت طبيعة هولاء الشعوب
الحادة يقضي عليها ان تكون مطلقة وشديدة القوى

وقد اخذ العجب افلاطون من كيفية ترتيبهم لاولاد الملوك ولا سيما اعطائهم اياها
لليونان دستوراً للتربية الكاملة . فلقد كانوا ياخذونهم من ايدي الحصى لدن بلوغهم
السنة العاشرة من احوالهم ليعلمهم ركوب الخيل ومارة الصيد ولدن اهرامهم اي وصولهم



٢٩٦

الملك الصلة الرابعة عشرة كانوا يعمرون لتعليمهم اربعة رجال من افضل اهل المملكة واحكمهم فقال افعالون ان اولم كان يعلمهم السحر في لغتهم اي عبادة الالهة حسب القوانين القديمة وشرايع زورواست بن اوروزار والفاقي كان يعلمهم على ان يعتادوا على النطق بالحقيقة والحكم بالعدل والثالث كان يعلمهم ان لا يقادروا الشهورات فتوز بهم لكونوا دائما احرارا ومالوكا بالحقيقة ويحكموا ذواتهم وازادهم والاربع كان يعزز شجاعتهم على الرعب الذي يجعلهم ارقاء ويسلب منهم الفكة اللازمة جدا للحكم. وان السادات المحدثين كانوا يترنون في دار الملك مع اولاده وكان اولئك المحدثون يصرفون في خدمتهم كامل العناية لادعوتهم يسمعون لو ينظرون امورا غير لائقة وكانوا يهودون لذلك حسابا عن سالوكهم وكان اذا فاك يعاقب كلا لو يجازيه حسبما يستحق فالشبان الذين كانوا يشاهدونهم كانوا يعلمون بهم الفضيلة ومعرفة الطاعة والامر

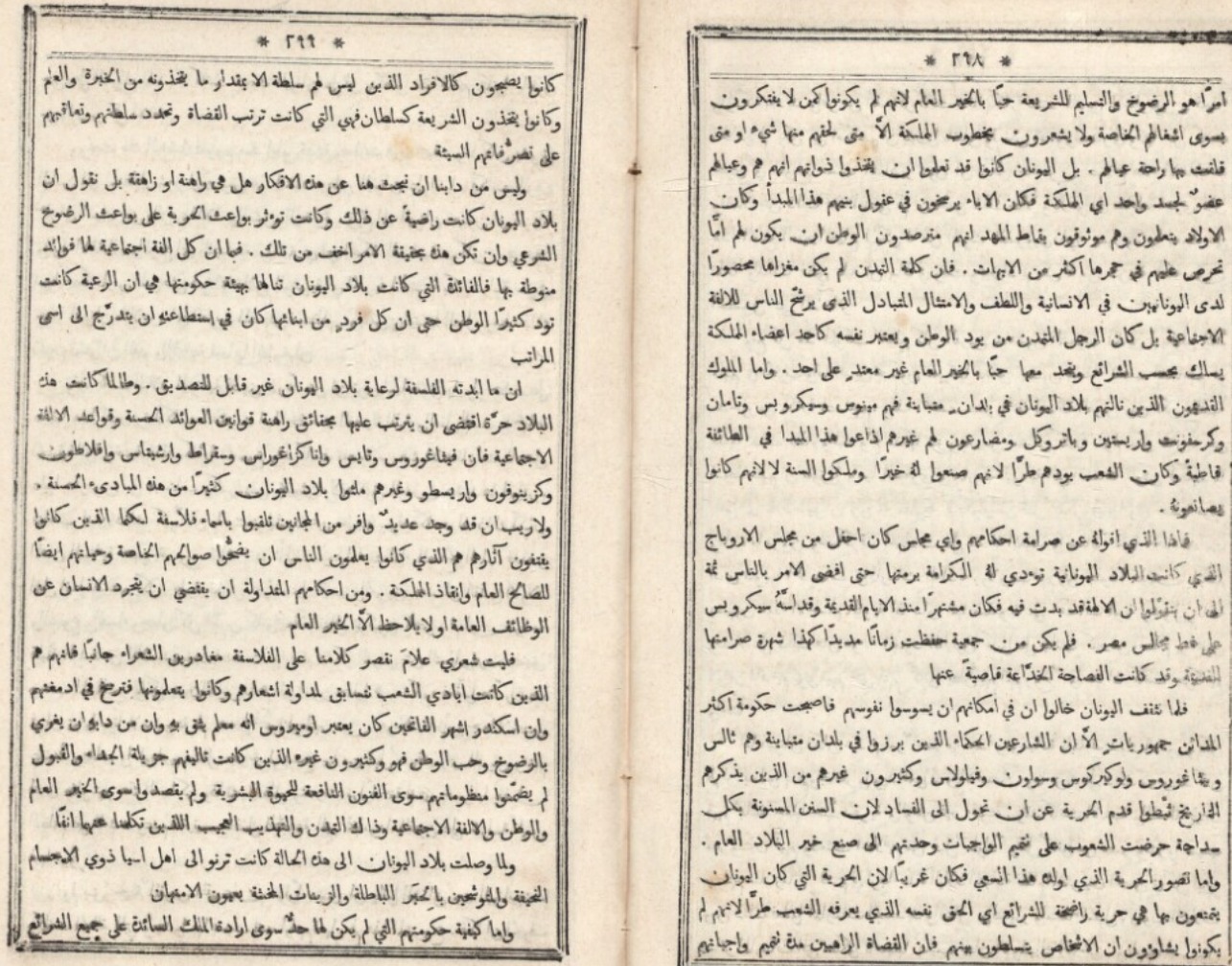
فما كان يربى من ملوك الفرس وكبراهم بسبب هذا النظام لواجبهوا ان يرشدوهم في كبرهم كما اجهدوا في تعليمهم وقت صغرهم لكن عوائد الامة المفسودة كانت تقود بهم الميلاذ التي في وسع حسن التهذيب مقاومتها ومع ذلك ففسدا عن رعاية الفرس واعتنائهم في الحسن والبرية يقتضي ان نفرانهم لم يكونوا خاليين من البسالة لانهم لم يربوا يتباهون بالبسالة ويبدون بها ادلة عظيمة لان فن الحرب كان مقدما عندهم كما يفتخرون به لانه فن يارس في ظلال سائر الفنون ولكمهم لم يتوصلوا ابدا الى حذو هذا الفن ولم يعلموا اي مفعول في الجندية للصرامة والنظام وترتيب الجيوش وقوانين المسير والمسكر والوسائل التي تتخذ لتسيير هذه الجيوش العظيمة دون اختلاط في وقت مناسب وكانوا يخالون انهم انما المتصد لدن احرارهم شعبا كبيرا كان يذهب الى الحرب هزيم كافر لكن بلا نظام وكانوا يرتكبون بعدد واكثر من الاشخاص الذين لا فائدة بهم فان الملك كان ياتي بهم غير مثقل عليهم وكانوا على جانب عظيم من الرخاوة والوهن. ولكم ارادوا ان يعكفوا بيت الجنود في المعسكر على الترفه والملاذ كما يمكن عليهم عادة الملوك حتى ان هؤلاء الملوك كانوا ياتون الى ساحة القتال معهم نسائهم وبناتهم وخصيهم وسائر ما يستخدمونه في سبيل ملذاتهم وكانوا ياتون معهم بالآواني الذهبية والفضية وكل الامتعة الثمينة وكل ما يلزم للثوب وقصاري لاسر كل ما يحتاج اليه القوس المترفة. فالجندية التي كانت موهلة على هذا النمط

٢٩٧

ورتيكة بعدد واكثر من العساكر كانت مثقلة بكثرة عدد الذين لا يجاربون فيها الخمار لم يكن من امكانهم ان يثيروا بانفاق ولم تكن الامور تصدق في وقتها بل كانت تجري في المواقع حسب القنادير دون ان يتمكن احد من اصلاح هذه الاعطالات فضلا عن ذلك فقد انتضى لم ان يعمى ذلك حالاً ويقترعوا الى مقاطعة اخرى لان هذا الجمع الغفير الملعاع لم يكن له من الموت الضروري شيء يسير ولا ما يبيح على الملة وذلك فضي عليه ان يباد في وقت وجيز اذ لم يكن له من ذريعة تمكنه من الحصول على الذخائر

ومع كل هذا الموكب العظيم كان الفرس يدهشون الشعوب الذين لم يكونوا اشد منهم في الحرب واما الذين يحسنون معرفتها فكانوا يعدون ضعفاء لاسبب انفساهم او مدحورين بكثرة اعدائهم. ولهذا أصبحت مصر راضحة لسوكة الفرس وان تكن عظيمة قدوة ذات نظام وطرد فحق مدنها سزوستريس مدائن كثيرة. ولم يكن خارجا عن استطاعتهم ان يفوزوا باسيا الصغرى والمارات اليونانية التي انسدها الوهن لكونهم لما بلغوا الى بلاد اليونان راوا ثمة مقاومة لم يكونوا من قبل يفكرون بها وهي جندية مرتبة وتادة مامرون وعساكر قد اعتادت على قتافة العبيدة واجساد الفها العناء فدانست لدى ذوبها الحاصات والمارسات العادية. ولا ريب انهم راوا جنودا قذرا لكونهم يشبهون هؤلاء الاجسام القوية اذ بيان انها منضوية على اعصاب قوية وغنول رنانة فضلا على ذلك فان هؤلاء الجنود القليلون كانوا على جانب كبير من النظام يرضون لزامر قادتهم وناهبهم حتى انهم كانوا يظن بهم انهم روح واحدة اذ كانت حركاتهم واحدة

اما اليونان فكان عدم امر اعظم من هذا وهو سياسة ثابتة لتندرك الامور ويمكن لهم ان يسلموا بالهم ويخاطروا ويدفعوا لدن الانتقضاء. وما يزيد على ذلك كوان قد كان فيهم شجاعة جعلها حب الحرية والوطن غير مقبوعة. ولقد كانت الالعية والبسالة جبينين مغرورين فيهم ودمشت اخلاصهم من قبل ملوك وتخل انما من مصر وشرا ليسب توطيهم منذ زمان قد في ارجاء هذه البلاد المتباينة نظام المصريين الحسن في كل اين ومن ذلك تعلموا الممارسات الجديدة والقتال والسيار وانتطاء الخيل وركوب العجلات وسائر الممارسات التي ملكوا ناصيتها بسبب تيجان الاولياء الفاخرة. وعلمهم المصريون





* ٣٠١ *

كان قد جمعهم كذلك النصر وإيمان قطعاً حبال الاتحاد . وبما أنهم اعتادوا على الحرب والنزوح بينهم نيران القتال بعد أن زال خوفهم من الفرس . لكن ينبغي أن نبين هنا بأسباب العبارة حالة اليونان وأسرار السياسة فنقول

أن أثينا ولاسيديونيا كانتا جمهوريتين لما الأهمية الكبرى بين الجمهوريات التي كانت بلاد اليونان مقلدة منها ولم يكن ذلك أكثر مما كان في أثينا . ولا قدرة أكثر مما كان في لاسيدونيا . فاثينا كانت جاذبة إلى الملاهي ولاسيديونيا إلى قسافة المباشرة والاشتغال وكثافتها كانت تحب الحرية والجد . أما في أثينا فكانت الحرية مبهمة بنحو الفساد وإما في لاسيدونيا فكانت الشرائع الصارمة تشدد عليها . ومما كانوا يفتنون عليها في الداخل كانت تحاول أن تمتد بملكها خارجاً وكانت أثينا ترغب في أن تغلب ولكن على غير مبدأ لأن صالحها كان مخالفاً بالجزء وكان قاطبونها يهرون في فن سلك البحار وأصبحت مئرية بسبب البحر الذي كانت عليه سائفة وكانت تود أن يكون كل شيء لها راضياً لكي تستقر وحدها مالكة البحار وقد تمت لها الوسائط للحصول عليها أسوأها التي التفت بها هذه الرغبة

أما لاسيديون فكان فيها خلاف ذلك فإن الأموال كانت مهيبة لديها وكان أن شراقتهم كانت أيلة لصنعها مشقة حرية كذلك كانت اللثة الوحيدة الآخذة بالسلب هالها منصوراً على السلاح . ولأجل ذلك كانت متهمكة في الطبع وثابتة على حكمها فوياً بما سبب عيشها المرتبة . وكانت أثينا تفوقها بجملة الطبع وكان الشعب متوغللاً في زمام الحكم . ولأرباب أن قد كان للفلسفة والشرائع في هذه العقول الذكية مفاعيل حسنة الآن الرشيد وحده لم يكن كفواً ليهديهم . وقد افادنا أحد عنايتهم المختبر اخلاق بلاده أن الخوف كان واجباً هذه العقول الحادة المشغولة في عباب الحرية ولم يعد وسيلة لعباسهم عند ما ظهر سلاطين أزال خوفهم من الفرس وحيثما أقدم شيان وهما يجد أفعالهم الهيبة وظنهم أنهم في طائفة ولم يعودوا يصفون لكلام الحكم . وإذا كانت الفرس تحت سلطة شديدة جداً كانت أثينا (حسب قول افلاطون) مصابة بجمرة خارقة الحدود وهاتان الجمهوريتان مختلفتان بعوائدهما وسلوكهما كان البعض منها معرقلاً بالبعض الآخر قصد أن تخضع كل اليونان وكانت كثافتها عدوتين بسبب اختلاف مصالحها لا يعدم مؤالفة طائفتها

* ٣٠٠ *

حتى على الشرائع المقدسة كانت تبعث اليونان على أن ينكصوا منها فاتهم كانوا يافتون من البربر كل الألفة

وولجت هذه الغضا فلو بهم منذ أيام قديمة وصارت فيهم حجة . وما كان يشوق الناس إلى انتظار شعر امبروس هو انشاده ظهور اليونان على أسيا . فكانت الزهرة تفتح إلى أسيا ويعني بالزهر الملائد والمشرق والرخاوة . ويخرج إلى اليونان جينون أي الرزاة والود الأثري والمريخ أي الفضاحة والمشمري أي الحكمة السياسية . وكان في عهده أسيا أيضاً مارس الموحش ذو الاخلاق الوعرة أي الحرية المحمدة بكل شراسة . وفي عهده اليونان باللاص أي الحرب المضطربة بنظام وبأس يفيدها الغفل ومنذ ذلك الحين ابتدوا أن القهم والشجاعة قسماها الطليعبان

وقد كانت البلاد اليونانية تضيق ذرعاً عن أن ترى أسيا تتوز بها . ولو حلت على عانتها هذا التبرمة لكانت اعتقدت أنها اخضعت الفضلة للذة والعقل للجسد والشجاعة الخفية لنوة وحشية قائمة بكثرة الجموع وقد كانت منفعة من هذه الاعتقادات لما حمل عليها دارنوس بن هستاناب وكسرميس بجيوش لا يصدق الغفل عندها الوافر . فهاهب لدن ذلك كل من الفيتين ليدود عن حريته . وقد كانت إذ ذاك أكثر المدن اليونانية جمهورية . ومع ذلك فقد تألبت برمتها تحت أواء الصالح العام . فقادروا أهل أثينا مدبتهم بكل طيبة خاطر معرضين للثوب والمريق بعد أن انتقدوا الأولاد والشيوخ والنساء وجعلوا كل الذين كانوا أهلاً للقتال يركبون البحر . ثم أن شرذمة قليلة العدد من اللاسيديون قصدت نوبت عسكر الفرس عن التسيار قرب مضيق صعب المصلاك . ولكي يبين للفرس ما هم اليونانيون حملوا هم وملكهم دفعة واحدة راغبين في أن يؤثروا موتاً لا مندوحة لهم عنه ليضموا لوطنهم من هؤلاء البرابرة جمعاً لا يحصى عديداً ويقادروا لوطنهم مثال جرأتهم لم يسمع بها من قبل . وقد رأى الفرس ومهم لدى مقاومتهم هذه العساكر وذاك النظام وشعرت مراراً حجة لدى خسارتها بفضل النظام على العدد وعدم الترتيب بفضل الشجاعة التي تخارها الفنون على شراسة ليس فيها تنوير

ولم يبق حيلة للفرس المتوجعين مراراً سوى أن يلقوا التفات بين اليونانيين . وكانت الحالة التي وجدوا بها بسبب انتصارهم تسهل لهم هذا المشروع . فكان أن الخوف



* ٢٠٣ *

ولم تكن مدن اليونان تثبل سلطة احداهما لانه فضلاً عن ان كل مدينة كانت تود ان تحافظ على حريتها كن جميع مدن سلطنة هاتين الجمهوريتين شديداً عليهن فان سلطنة لاسيديون كانت شاقة وصارمة وكانت عوائل شعبها تترامى لدى العيان انها قريبة من الوثني ثم ان حكماً معنوا كان يجعل العتول مكبرة وخبرة جداً عدا ان الناس كانوا عازمين دائماً على مواصلة الحرب بلا انقطاع

فكان اللاسيديون يودون لو يجهلون والناس يجهلون لم احكاماً . اما اهل اثينا فقاموا بقوتهم لطفاً وحسناً ولم تكن لثة تقارن لثة النظر الى مدبعتهم اذ كانت فيها الاعياء والملاعب مسخرة . وان يكن الذكاء والحكمة والشهوات تحدث بينهم مشاهد جديدة فان سلوكهم المتقلب لم يكن يرضي مواهبهم وكانت الرعية تهمهم المشاق فاذا قضى عليهم ان يجهلوا غربة سلوك شعب مصانع فاي شيء اكثر خطراً من غرائب ملك منسود بالمصانعة

ولم تكن هاتان المدينتان تفيان لليونان ان تعتبر متمتعة بالسكينة . وقد شاهدت ياسيدي ان حرب البلاونيز وغيرها كانت من اسبابها حمد اثينا ولاسيديون وهذا الحسد نفسه الذي كان يعكر راحة اليونان كان عائقاً لها يضافرها على السقوط تحت سلطة احدى هاتين المدينتين

ونظروا الفرس الى حالة اليونان فكانت سر سياتهم فاتفوا برعاية هذا الحسد بين اعدائهم واثارة الفتنة بينهم . وبما ان لاسيديون كانت مطاعاً فانها كانت اول من جرح الى خصام اليونان وكان قصدهم بهذه المداخلة ان يستولوا على كل الامة ولهذا بذلوا ما عندهم من الجهد ليؤمنوا اليونان ببعضهم مرتقبين زماناً يجعلونهم يجهلون وابتدأت حينئذ مدبر اليونان ان تاتي نظرها على ملك الفرس الذي كانت تدعو الملك الكبير او الملك بالذات كاتها اخذت تعد نفسها من رعاياه . ولم يكن في امكان روح اليونان التقدم ان يجهل من غفلتهم اذ اشرقوا على السقوط تحت نبر العبودية وبين ايدي البرابرة . واخذت ملوك صغار من اليونان يقاؤون هذا الملك الكبير ويغريون مفسكه . فذلك ارباب اجزى لاسيديون هو وبقيل قليل يعرف نظاماً وجيزاً قلوب الفرس وابان انهم يستطعمون ان يغلبوا ولم يصنع لانفتاحه حداً لانفتاح اليونان . وفي هذا الوقت حدث ثورة قوريش الصغير على اخيه ارغششتا وكان معه عشرة

* ٢٠٢ *

الاف من اليونان لم يمكن ترفيقهم بهزيمة عسكر العامة وقيل انه قتل بيد اخيه واصبح اليونان لا نصير لهم بين الفرس في نواحي بابل ولم يقدر ارغششتا على ان يفرهم بالنسليم اختيارياً او ارغاماً فازعموا طراً بقلوب صلبة على ان يخزقوا بلاده مثنين الى بلادهم فبالى بذلك اوطارهم . فكتب هذا الفارسي كسينوفون في كتابه المدعو بعودة عشرة الآلاف او بغزوة قوريش الشاب . وقد شمرت أكثر من قبل ان اليونان يربون جنوداً لا يهرون ولا يدرحون ولا يرغمهم للعدو ضعيفهم يقاومهم لدن الاتحاد سوى انشفاق يهملهم عنهم

وقد احتفظ فيليس المكديوني بالسل المصيف على ما تاتي له من مملكته الصغيرة المتحدة من التقدم على المدائن والجمهوريات وذلك لان السلطة الملكية لم تكن وتنبذ مقيمة . وقد اصيبت حصانته وسانته مظهراً لانه اقدر ملك في بلاد اليونان . وتبر اليونانيين على ان يسيروا تحت اوائل الحاربة العدو العام الا انه قتل في اثناء هذه الحوادث وخلفه ابنه الاسكندر ملكه ووطارهم فرأى المكديونيين اقواماً حكمهم الا باجوع عليهم خوض المعامع يسودون على سائر اليونانيين بالشهامة والنظام وبشهادة لذلك فوزهم مراراً فاضاروا اليونانيين بفوزهم بالفرس ونظراتهم وكان داربوس الفانيض على زمام الملك عادلاً سيف زمانه شجاعاً كريماً توده الرعية ولم يكن خائفاً عليه لتتبع ما ريو عقل ولا عزم لكنما اذا اردت ان تقايله بالاسكندر فتري في هذا عقلاً نافعاً سامياً وشجاعة غير معبودة من قبل ورغبة شديدة في اذاعة الاسم التي صبره بفضل النهايت على المخاطر والاعباب والموت على اضاغة ادنى درجة من الجهد . ولقد كانت له ثقة بان كل شيء يرضع له كانه رجل مفرد اصطنعه التفادير ان يكون رجلاً في سائر الناس وكان باقي هذه الثقة في قلوب قادته حتى في قلب ادنى جندي من جنوده الذين كانوا يظنون هذه الذريعة . وان قامت مشاق فيذلك يمكن لك الحكم لاي من الفتيين يكون الفوز معداً واذا زدت على ما ذكرناه فضل اليونان والمكديونيين على اعدائهم لا يفتت ان الفرس لا يدلم من تغير ملك اذا حمل عليهم بطل كهذا هذه الجنود فلن ذلك ترى الاسباب التي آلت الى دنار الفرس وتحتاج الاسكندر وما سهل فوزه موت ممنون الرودي القائد الوحيد الذي كان الفرس قادرين ان يقاوموه به . ولقد كان يحق للاسكندر ان يبر ثوب الفخار بفوزه هذا القائد الشهير لدن مبارزته وذلك لان ممنون كاتب بوتره يلى



* ٣٠٤ *

المخاطرة بمركبة عامة ضد اليونان ان ينازعهم كل المسالك ويمنع عنهم الزاد ويحاربهم في بلادهم ويقتسم بشفة عزموا على الابواب اليها ليدافعوا عنها فاستدرك الاسكندر ذلك وغادر في مدينة انتيباطرا جنوبا كافية لرعاية اليونان واصله مجتة من هذه الحباله فان ممنون مات لدن اغارته التي تنسر الاسكندر على الرجوع وتحتف اليونانيين فارضع ان ذاك الاسكندر كل شيء

ودخل هذا الملك العظيم بابل بسطوة وفخر لم ير العالم لها من مثيل . وبعد ان تار اليونان واخضع بسرعة عجيبة كل المال التي تحت سلطة الفرس اغار على الهند . وذلك اما ليوطد مملكته من كل ناحية او ليعمل اسمع الشير من اسم باخوس وتقدم بافتتاحاته اكثر من هذا المنتفع العظيم الا ان ذاك الذي لم تكن الامم والجيال فادرة على ان تثبط قدميه اضطر ان يخضع لمساكنه العانية الطالبة للراحة ويتقي بالانذار الفاخرة التي غادرها على ضمة نهر الراسب عندما رجع عما كره على غير الطريق التي داسها وقع كل البلاد التي وجدها في طريقه

وعاد الى بابل مهابا محترما لا كمنفتح بل كاله الا ان هذا الملك العظيم لم يبق الذي شاده اكثر من حياته التي كانت قصيرة فأت في اجل اثلاث والثلاثين سنة وقمت ان كان عازما على نعيم مأرب فعداها انسان واعدا نفسه بآمال الفوز والنجاح . ولم يكن في استطاعته ان يرتب اشغاله تاركه من بعد اخا ابله واولادا صغارا يسوا اهلا لان يقوموا بهذا العصب العظيم الا ان اتس شيء على مملكته ان قد غادر لها قادة عليهم ان لا ينجحوا الا الى المطامع والحرب وعلم ان يقدموا على التمديدات عندما يغادر الدنيا ورجاه ان يدراهم عنها وخشية من ان يناقضوه لم يحسبان بتم الى خليفة او وصيا لاولاده بل تبا ان اخذوا بمخالفون جنازته بمعارك دموية ومكثا مات في لدونة اكدانة متقبلا بالرزاء الويلة . ودليل ذلك انك قد شعرت بشطر ملكو وخراب بيتو الزائع فاناروا على مكندونية التي حكمها اجداده منذ ازمة مدينة كانها ارث ليس له من وريث . وبعد ان اصبحت قرية اقوام استولت عليها عائلة اخرى فبذلك ترى ان هذا الفاتح الذي كان اول من آتته البسطة اصبح آخر ملك من نسله . ولو كان لم يخط بلادها دبت المطامع في قلوب قادته . ولقد كان في امكانه ان يغادر لاولاده ملكا ابيا . يذاته لما كان متندرا جدا اصبح علة لدثاره له وهذه هي ثمن هذه التتوحات

* ٣٠٥ *

وكان موته السبب الوحيد لهذا الانقلاب العظيم لكنها يجب ان تدعن بما يعود على من وهو انه لو وجد على كامل الارض انسان اهل للقيام بهذا الملك السبع والمنتفع حديثا لما كان سوى الاسكندر لان عقله لم يكن في ادنى درجة من بساطة ولا ينبغي ان نعزو ذلك كله الى الخطا منه ولو كانت عائلته قد سقطت به مرارا جملة لكننا نعزو ذلك الى الموت . الا اذا شاء الناس ان يقولوا ان رجلا حمله طمعه على ان يقدم على الشؤون كلها ليس في امكانه ان يقوم بامر تدبيرها

ومما يلك من الامر فاننا نرى في نموذج ان يوجد عدا الغلط الذي يقتصره الانسان بفياوته ويمكن له اصلاحه جهة واحدة لا تضلهم نمك ملاصقة للغايد البشرية وهي الموت لان كل شيء يتأق له المبوط فورا من هذه الجهة وهذا ما بلجنا ان نقول : كما ان الانبياء المشبهة بالملاصقة للامور البشرية علة للهبوط كذلك من يندرج على ان يوطد مملكة ويرعاها توشع بالمد على من يفتح مملكة ويغوز فوزا في المعامع

وليس حاجة ان اثبتك مسبقا عن فناء الممالك المتفرعة من مملكة الاسكندر اي ملك سوريا ومكدونيا ومصر والعلة العامة هي ان الاهلين الجثوا ان يرضخوا لسلطة اقوى من سلطانهم وهي شوكة الرومانيين ومع ذلك فذا اردنا ان نبحث عن حالة هذه الممالك الاخيرة نرى حالا علل هبوطها المتواترة وان اقواها وهي مملكة سوريا نزلت بها الضررة الاخيرة بسبب انشفاق ملوكها بعد ان ترعزت بسبب رخلوق الامه

الفصل السادس

في الكلام عن دولة الرومانيين واستطراذ لدولة

فرطية واحكامها السبعة

قد وصلا الى هذه المملكة العظيمة التي طوت تحت جاجها سائر ممالك العالم فمنها خرجت الممالك العظيمة في البسطة التي نحن فاطنوها ولم نزل الى الان نرى شرائعها التي يجب علينا ان نعرفها اكثر من غيرها . فلقد قرأت تاريخها المتهب الشهير بكل استقراماته . تأمل بعوائد الرومانيين والازمنة التي بها يناط تغلب هذه المملكة الفسيحة فتعلم اسباب ارفنا رومية وعال الانقلابات العظيمة التي طحرات في



* ٢٠٧ *

على قبول ظالمها فلما اعتجب بورسينا من صلب هذا الشعب وجراة بعض اهله غير العادة عزم ان يترك الرومانيين يتعمقون بالبحرية التي كانوا يعرفون ان يدافعوا عنها حسنا وقد كانت مفضلة لديهم على كل كوز ثروات الارض

قد شعرت ان الفقر لم يكن شيئا لدى هذا الشعب منذ ابتدائهم وبعد ان نجح في اموره بل انهم كانوا يعتقدون ان الفقر وسيلة للاستيلاء بحريتهم الكاملة . فما من رجل اشبه حربة من الرجل الذي يكنى بيسير من الجيش ولا يتوكل على احد ياخذ يد . وليس له من عتاد او نصير على كسب معاشه سوى تعب وعمله . فهذا الامر كان الرومانيون يتقونه ديدنا فانهم كانوا يغذون من المواشي يحرثون الارض ويتعمقون عن كل ما كانوا يستطيعونه يعيشون بالاقتصاد والعمل . فلهذا كانت حياتهم فلذلك كانوا يقومون باود عائلاتهم ويعودونهم على اعمالهم

وقد حقق توت ليف المورخ يقول . انه لم يرق قط شعبا استمرت فيه التنازع والامساك والفقر بشرف وافتخار . وان اعظم ارباب المجلس وان كنا لم نلاحظ سوى ظواهرهم كانوا يختلفون قليلا عن الفلاحين ولم يكن لهم سلطة او هيبة الا بين المعموم والمجلس ومع ذلك فكانوا يتعمقون في امور الفلاحة وسائر متعلقاتها اذ كانوا يدعون الى قيادة الجيوش وهذه الامثال كثيرة في التاريخ الروماني فان كيريس وفابريسيوس القائدين العظميين اللذين ظهرا على الملك يروس الذي لم يكونا بملكان سوى آنية من نحاس واذا قدم السينيون النصار والجن لكيريس اجابهم ان لديهم ليست قائمة بالحصول على النصار اما بالانبيلا على من عند ذلك . وبعد ان ظفروا واعيا الجمهورية من غلبة الاعداء لم يكن عندهما ما يصرف في سبيل دفعها . فاستمرت هذه التنازع في غضون حرب الترميحين ايضا في اثناء الحرب الاولى طلب ريفوليس قائم الجيوش الرومانية الاذن من المجلس للتزوج الى دسكرو ليجرث ارضها لانها هجرت اثناء غيبتها . ونرى بعد دناو قرطاجية امثالا عظيمة تدل على السذاجة الاولى فان اميلوس بولوس الذي زاد الخزيبة العامة يكونه ملك مكدونيا القديمة كان يعيش بالفاضة التديفة ومات فقيرا . واذا خرب موميس قورتيه ضحى خيراها الوفيرة لمنفعة الناس ملرا . ومن ذلك نعلم ان الاموال كانت محترمة وان قناعة القادة الرومانيين وعظمتهم كانتا تلبان العجب في قلوب الشعوب المدحورة . ومع كل هذه الهبة المفرطة للفقر لم يوفق

* ٢٠٦ *

منكمها . فكان الشعب الروماني اهدى كبرياء من كل قبائل الارض . اجرا من النكاح لادن السدائد اكثر نظاما في مشوراته واليت في تعاليمه وايزد كدحا واجتهادا ليس مجرا في وقت الرزايا بل اجلد من الشعوب طرا واذا في غفلا من كل من داس ادم الارض . فمن اناس يكن ذكر تأملت الجندية التي كانت مبنية على السداد والنظام بساخر مختلفة من الحكمة . ولا تخشى لومة لانهم اذا قلنا ان كل روماني كان حبه حريته ووطه مبيتا في قياده فهذان الامران كانا يغريانه بحجة غير لائمه ان كان يحبه حريته قضى عليا ان يحب وطه بمثابة ام تشيع قلبه من الاحساسات المورثة وكان الرومانيون واليونانيون يتصورون تحت اسم الحرية ملكة لا يكون فيها احد عبدا للشرعة والشرعة فيها اقوى من كل شيء . ومع ذلك وان كانت رومية منذ بزورها تحت لواء ملوكي فكانت لها ايام تحكم فيها ملوكها بحرية لا تليق بملكوت ذات نظام . وقد كان الشعب يتغير فيها الملوك ويقرر هونسه الشرائع ويترك احتدام نار الوقي او نذر الوية البلاء ويشهد بذلك تيليس هو ستيلى الذي لم تكن له الجزاء ان ينضي على اورلس او بيرره . قالت اورلس ارتدى برداء الجند لانتظاره على كورياس واخوته لئلا تحته العار العظيم بنقلوا اخيه . فلذلك غادر الملك اثر القضاء للشعب . ولم يكن اذ ذاك الملوك الا الولا على الجيوش والمسلطة في الجمعيات الشرعية فاطبة وعرض انشغال عنها ورعاية الشرائع واجراء الاوامر العامة . ولما فكر سرفيوس تيلوس ان يحصل لرومية مشيئة زاد في افئدة الشعب الذي كان قد اسمى حرا محبة الحرية بكاملها في ايام التناصل . وخرق خوفا اذ نقرأ في التاريخ ثبات برتيوس الكتيب لما اعات امام عينيه اولاده الذين واطلوا التركيبين على الدساتير التي قاموا بها في رومية رجاء ان يوطدوا بذلك سلطتهم . وزاد الشعب بالحزبة ثباتا بعد ان راي قصصه يخشى في سبيل الحرية عائلة الخاصة . ولا يقتضي ان تعجب من ان كل الشعب يمتن في رومية اجبا ذات الشعوب الدانية الذين حاربوا امل ان يرجعوا التركيبين الذين كانوا قد نفلوا من رومية وجعلهم الملك بورسينا تحت كف حمايته عينا . وقد نأق ان الخرومانيين يودون ببياعتهم لو يموتون احرارا وكان الشعب اشد ثباتا من المجلس ويؤيد الشعب على الملك رافعين اليه ان يتقاعد عن الاختصاص بالتركيبين لان رومية اهتمت ان تحاطر بكل شيء لرعاية حريتها . وانها تؤثر قبول اعدائها داخلا

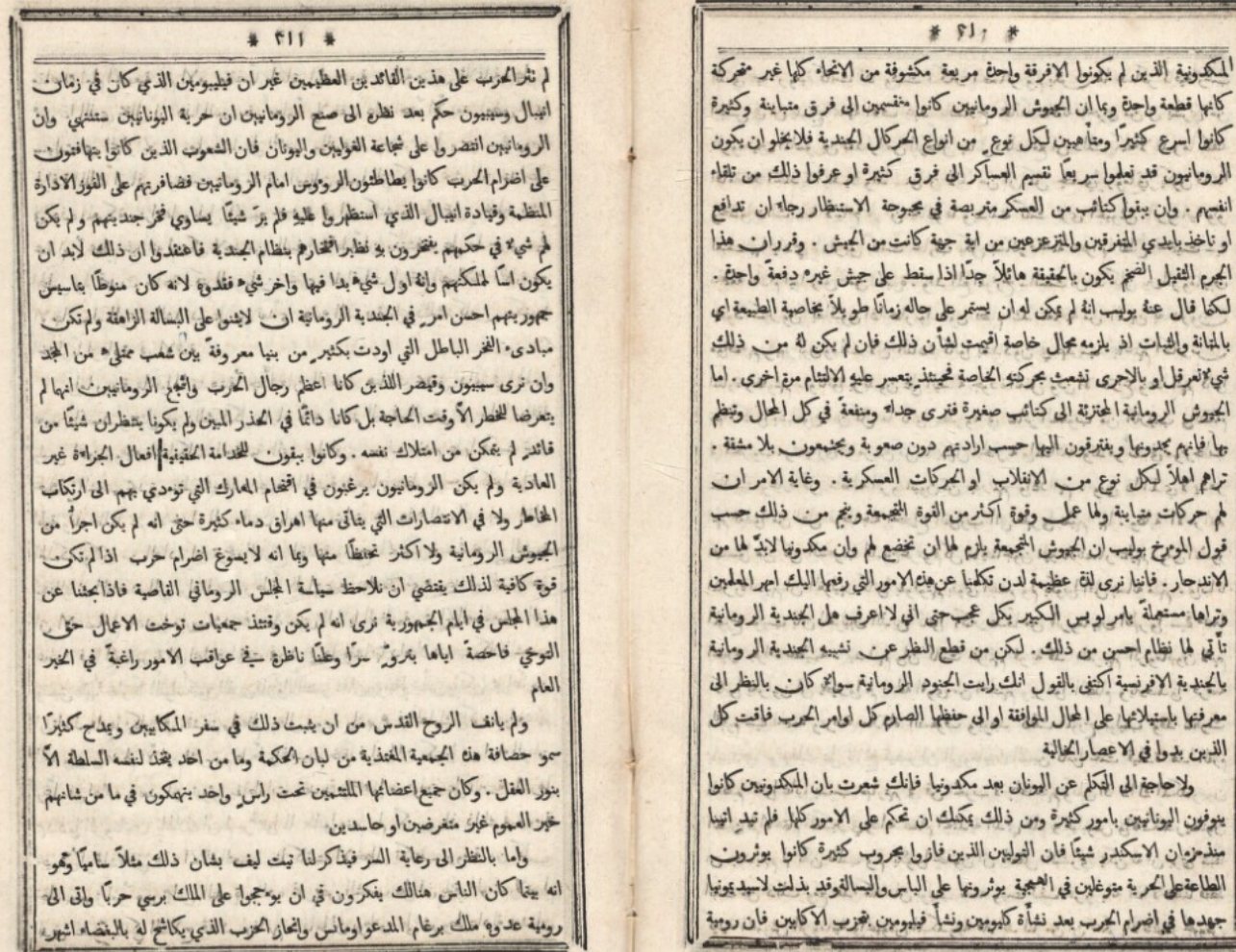


* ٢٠٨ *

الرومانيون شيئاً لعظمة مدينتهم وجمالها . وكانت الاعمال العامة هكذا منذ ابتدائها . ولم تنجل رومية منها ولواتها . أصبحت ملكة البسيطة . والكاتبون الذين اقامه تركون الشكر والميل الذي اقامه للشعري في هذه القلعة كانوا اذ ذاك جديرين بعظمة اكبر الالهة ومجد الشعب الروماني وكل ما هو عدا ذلك يطبق على هذه العظمة . وان المهاكل المنيرة والاسواق والتمائم والاماكن العامة والشوارع العظيمة والاقنية ومجاري الماء واخاديد المدينة كان لها عظمة كبيرة جداً لا يمكن الوثوق بها لولا ان يشهد المورخون كلهم ونحفظها الآثار التي نراها الان . وماذا الذي اقول لك عن احتفال الانتصارات وطقوس الديانة والالعاب والمناظر التي كانوا يقومون بها في سبيل اللعب فمن المقرر انهم كانوا يبذلون كل ما يسعهم في الزمان باسرافه في سبيل افراح القوم عموماً وحمام على النصور العظيم بوطنهم العام . ولم يكن الفتيان الا في المائتات الخاصة فكل من كان يزبد في دخله ويجعل اراضيه أكثر خصباً بصنعه وشغله ولا يسرف ماله بل ببش بقاعة كان يعد نفسه فوق الجميع بالحربة والقرع وحسن المحظ ولا شيء اقصى من الرخاوة في هذه الحيرة . ولقد كانوا ينجحون الى الصرامة او الشفافة وكل ما يتبقى عنه الوحش والهيرة لكنهم لم يتغافلوا عن ان يقدوا انفسهم بشرائع حسنة . وهذا الشعب الذي كانت فيه الحرية فاضحة على مثلها في الشعوب كلها كان اذ ذاك ارضخ شعب لاوليائه والسلطة الشرعية . فلا غرو ان ترتب جنود شعب كذا بتفضي ان يكون عبيداً لان الطاعة المللية والمنظمة كانت في اجسام جنود الاقوياء البنية والذائعي الصيت باليسالة وكانت شرائع الجندية قاسية جداً لكنها كانت لازمة لان النصر كانت خطر وغالباً مينة الذين كانوا يقبضون عليها وهم خارقون سبيل النظام . وكان كل من يولي الادبار او ياتي اسلمته او يتجاوز صفه ياتي قتيلاً بايدي قومه حتى كل من يهرك او يستل سيفه دون امر قائده كانوا يجلدونه على الارض مقتولاً وكانوا يقبضون ايضاً ان كل من يضع سلاحه امام عدوه او يسلم نفسه اليه اسيراً بدلاً من ان يموت لاجل وطنه شريفاً لا يوحى به ولا تصرف في سبيل انتفاذه مضافه . فكانوا يغادرونهم للاعنة حاكمين انهم اعضاء قطعت من الجمهورية . ولقد نصحت في تاريخي فلوروس وشيرون قصة ريفلوس الذي اوعز للجنس ان يترك الاسرى لاهل قرطبة مخاطراً في حياتهم . وفي الحرب التي اضرمت ضد انيبال وبعد غلبة الرومانيين اي في الزمان

* ٢٠٩ *

الذي فيه رومية كانت قد وهنت لكثرة الخسائر ولم يكن لها عساكر كافية رغب المجلس في ان يدعى ثمانية الاف عبد بالسلاح مخالفاً عادته اخرى من ان يشري من الرومانيين الماسورين مقداراً من الرجال يقابل ذلك مع ان ذلك يكلفه لا يقدر ما كلفه اقامة هذه الجندية الجديدة وقد سئوا ان لا بد من ان كل جندي روماني يكون قائداً وتحذوا ذلك سنة لايحاح لم ان يخالفوها وبذلك كنت ترى الجيوش الرومانية ولو لعبت بها ابادي التفريق كانت تخارب بكل بسالة متفتحة اطرافها تظل تستب في المعركة مادام فيها رفق من الحيرة . وقد الم المورخ سالت ان قد كان بين الرومانيين جنود كثيرين يعاقبون اذا حاربوا دون نظام اشد معاقبة من الذين يغادرون مواضعهم ويهربون وذلك لان القادة كانوا يشددون في عذيب شجاعتهم اكثر من اشارة رخاوتهم . وكانوا يزيدون على السالة جودة العقل وقن الاختراع وعدا انهم كانوا نبهاء كانوا يتنبسون من كل ما كانوا ينظرونه في سائر الشعوب من الترتيب والنظام في المحروب . وقصارى الامر من كل ما يسهل الحاربة والمدافعة . وقد قرأت في مورخات سالت وغيره كل ما تعلقه الرومانيون من جبرائهم واعداهم . ومن ذا الذي لا يشعر انهم تعلموا من اهل قرطاجنة اختراع القوارب التي ظهرها عليهم بها . وغاية الامرائهم اقتبسوا من كل الشعوب الذين عرفوهم كل ما يحتاجون اليه للانتصار عليهم . ومن الامور المقررة لديهم ان الغوليين كانوا يفوقونهم بقوى الجسم ولم يكونوا اقل بسالة منهم . وابنا نا المورخ بوليب بان الغوليين الذين كانوا اكثر عدداً من الرومانيين اظهروا في مععة احيرة حجارة عظيمة . يدانهم وان كانت عزائمهم قوية قد ظفروهم الرومانيون لانهم كانوا يعرفون ان يغيروا لم اسلحة اقوى من اسلحتهم وبراعوا النظام ويتصدوا فرصة الهجوم في المعركة وفرصة ملاقات الصفوف ويوبد ذلك المورخ بوليب وقد شعرت ياسيدي بوقوفك على تاريخ قصص الرومانيين الذين كانوا تحت قيادة هذا الترم العظيم فتعوا غالباً بسبب مهارتهم في فن الحرب لا بشجاعتهم وكان اذ ذاك المكثرون الذين لم الاهتمام الكبير في رعاية نظام الجندية الذي قام به فيلبوس والاسكندر يظنون ان جندتهم لم تكن تغلب ولم يكونوا يخالون ان العقل البشري يمكن له ان يرى شيئاً اثبت من ذلك ومع هذا كله فان بوليب نفسه وثبت ليف قراراً بان اذ لاحظنا فقط كيفية الجيوش الرومانية والجيوش المكثونية فلا بد لنا من ان نحكم بالانتصار للجيوش





* ٢١٢ *

مناصب امام الجمعية وتم الامر منقضيًا باتفاق اراء جمعية مولدة من ثلاثة رجل .
فمن ذا الذي يجال ان هذا السر يبقى معلوما ولا يتف عليه احد الا بعد مضي اربع
سنوات اي انجاز الحرب وما يمتنا على العجب والدهشة وجود سفير بري في رومية
لمراقبة الملك اومانوس . ويثبت جميع مدائن اليونان واسيا التي كانت تخشى ان تدخل
في هذه المعركة سفراها وبذل الجميع جهودهم في ان يكتشفوا على عمل خطير يشأ
عنه امر عظيم غير انه لم يمكن لاحد من السفراء قاطبة ان يكتشف على ما جرى في
الجلس ولم تحدث حاجة لكم السربان تجرى المعاقبات او تمنع اتصالات التجارة مع
الاجانب او الوعيد الشديد على من تعدى هذه الشريعة بل ذلك كان مكتوبا
اختبارا لزيادته في الامة .

واما رومية فاجعلها مدهشة جدا فان الشعب هنالك يصدق دائما في المجلس
بعبون الحسد ويشتك مع ذلك لكل ما يامر به ويعمل اليه في الفرص التي يراها موافقة
وليس لدن روميو التملكات العظيمة التي يعلم ان سوف يتدم عليها فكتت ترى
حيث يتخذ الشعب يصدق ينظر في هذه الجمعية المثنية بالحكام وينظر مراسيمها كلها موافقة
الامة وقد طالما علم الاخبار الرومانيين بان قد نشأت عن هذه النشأة سبب انقاذ
الملكية . وكان من العادة ان ترمى الشرائع القديمة وروح الجمهورية في مجلس الدولة
وهناك تم المقاصد التي يراها الجمهور طبقا للمبادئ . واعظم شيء وجد في الدولة هو
ان الاعضاء لم يهتموا بمراسم شديدة في سوى البلايا العظيمة وفي الحالة العيسة التي
عبرت فيها الجمهورية اي انها تضايقت في بدنها ونشأتها داخلا بسبب وكلاء الشعب
وضيق عليها خارجا الفولسكيون الذين فازوا بالنصر . فان رومية لم تأس ولم تكن مجزعا من
ان تاخذ بثأرها فكان في مقدمتهم اعظم رجال رومية واشهرهم في المعارك واكرمهم واغضبهم
للمدون واعدهم الا انهم اشرسهم طبعاً واغضبهم خفياً فراموا ان يكونوا من ابناء الوطن
رغماً عن اهلها وبعد ان تبوتوا مقاطعات عديدة واصبحوا مستولين على البرية بأسرها
تهددوا الرومانيين بالهلاك ان لم يرضعوا لما طلبوا منهم ولم يكن اذ ذاك في رومية
جوش او قيادة في هذه الحالة العيسة بينما كانت الاخطار تكتنف رومية من كل
جانب برز امر من مجلس الدولة مناديه تحريض الشعب على ان يلقي الموت ولا يسلّم
لدى عدو شاكى السلاح قصد ارغامهم . فاما ان يوطنوه على شروط عادلة بعد ان

* ٢١٣ *

بقي عنه الاسلحة او يتصبون عليه ويتنونه الى الراء . وقد بعث الشعب الى قورليات
والذنه لوضع عن عزه . وهالك بعض ما فاهت يوم امامه . بني انبراً من اثرومانيين
الا تعلم ان لا يمكن لك ان تحصل على شيء يسهر بالقوة الا بالفوسلات فسمع قورليات
العاقي هذا الكلام ولو سامة ذلك ابادته حياتي واختار الفولبيون قادة غير قادهم
الا ان رجال الدولة استمروا معرفين بمبادئهم واصبح الامر الذي اعلوه بان لا ينجوا
شيئاً بالقوة اساً لشرعية السيادة الرومانية التي لم ينجوا عنها في ايام الجمهورية .

واما النضاح الالة الى اتخاذ مالا يسوغ ابراهم لم يعيشوا قط بها وكان الرومانيون
ليني المراتك زمان الانتصار لا الانكسار طالما كان مجلس الدولة يحافظ على مبادئ
الجمهورية القديمة ويثبت فيها ما بقي من الرعية فشا من هذا الروح نفسه ما رب اتخذها
مجلس الدولة مراراً وهي ان يظنوا بالاعداء بالقوة الجمهورية دون استخدام المكر والمخدعة
حتى الحدائق التي يسوغ استعمالها احياناً أثناء الحرب لانه لم يكن يقوم بذلك حياً بالشرف
الكاذب ولا تجاهلاً عن الشرائع الحرية لكنه لم يقض قضاء ماضياً في سبيل مصادمة
عدو جبار الا ان يسلب عنه المشورة التي تستطيع ان يحصل عليها بقوة حتى اذا ما خارت
قوة العدو وفر من امام وجهه مديراً لا يرى له ملاذاً الا في حنى الظاهر فذاع حينئذ
هذا الرأي السديد والفكر القاطب في الامصار الشاسعة والدانية فاعتقد الجميع اذا ان
لاقوة تقاوي قوتهم فلذا كانت الاعداء تطرح السلاح جانباً لدن ابتكارها في هذه
المبادئ . ومن كان يتجاز الهم لم يكن يخشى غائلة وبيلة .

واما الان فانك شعرت بما طرأ على اوربا من الهاجس العظيم اذ برح بها الملك
يوك الباسل وغرها واذعن العالم طراً ان لا احد سواه خالق بان يضع
الانتصاحاته حثاً

فان تصرف مجلس رومية الشديد بالاعداء خارجاً اعجب منه داخلاً فان ارباية
النواب الحكام كانوا مراراً متهمة بتقادرون لاملال الشعب حتى انهم كانوا في ايام الشدة
والايلاب يمحسون نفوسهم بالواجبات اكثر من سوام . بل انهم كانوا يعنون عامة الشعب
من كل فريضة مستدين على ان الفقراء يهودون للجمهورية خراجاً مع انهم يكدون في
سبيل اعالة ابنائهم فابدى مجلس الدولة انه عالم بما يتوقف عليه غنى الملكية الحقيقية .
فاثرت هذه الشعائر الحسنة تأثيراً عظيماً في قلوب الشعب حتى انهم اصبحوا قادرين



على ان يتفقدوا وطنهم من مخالف العدو ويطردوهم بيسالهم وقت الشدائد
 الا انه لما كان الشعب يقوم بما يعود عليه بالعدل كان المجلس يذره عذاباً بسلطته
 كما يتنفي لكل جمعية توفرت فيها اسباب الحكمة . وذلك كتراع حدث بين شعب
 اردي وسكان مدينة فاستحق ذلك التراجع ذكرًا في التاريخ خالداً وماك لمخضه وموان
 مدين الشعبين تنازعا في بادى الامر على اراض ادعاهما كل منها . وبعد ان كلاً
 من الصدام اتفقا على ان يسطا دعواها لدى مجلس رومية الذي كان وقتئذ ناشراً
 في تلك الاقطار لواء العدل الذي يشهد له يو الشعوب الثانية فيعد ان خاض المجلس
 في المجت عن ذلك تبين بالبرهان ان هذه الاراضي التي يدعيها القريبات في ملك
 الشعب الروماني شرعاً وعدلاً . وان يكن مجلس الندوة متيقناً ان الشعب قضى لنمو
 بالعدل فلم يستطع ان يعمل ان الرومانيين ينظفونهم بتكديس كرم اخلاقهم الطبيعية
 ولان يجيبوا رجاء جيرانهم الذين فوضوهم هذه الدعوى . فافترغت الجمعية جهودها
 بان تلقي هذا الحكم العادل الذي حكم به الشعب بالارض لنفسه علماً ان قد يحدث
 من ذلك شيء لم يلم بها وهوان القضاء يضعون ايديهم على ارض وقع التراجع عليها فيعد
 صدور هذا الحكم حقن شعب اردي حقاً عظيماً لعلو انه صاحب الحق وثقله السلاح
 قصد الانتقام . فلم يلبث المجلس الا ابان لم جهراً ما أثرت به هذه الامانة التي تأتت
 عليهم ومن المقرر انه لا يمكن من الغاء حكم الشعب . الا انه بعد هذه الاساءة اذا راعوا
 ان يتقوا مجلس الندوة لاصلاح ما ساءهم فلم الحق بهذا الادعاء فحينئذ يعني المجلس
 بارضائهم كثيراً حتى لا يبقى لهم محل للشكوى . فوطد الارديون رجاءهم على هذا الكلام
 فحدث لهم امر من شانه تدمير مدينتهم فتوافدت عليهم التجديدات بامر المجلس فجدلوا
 بذلك كثيراً وعلوا ان قد عوض عنهم أكثر من الاراضي التي سلبها الشعب منهم . ولم
 يكن اذ ذاك منهم الا ان يتنوا على اخلائهم الامناء بما لا يمكن المبالغة في اطرائو غير ان
 مجلس الندوة لم يبالك الا ان ارجع اليهم الارض التي بها قضى الشعب الروماني لنمو
 والى ذكر ذلك الحكم اثوري

وليس من داني تعداد الافعال المحسنة التي قام بها رجال الندوة فكم من الاعناء
 الذين انقذوهم من ايدي رعايا منافقين لم يتكلموا صدقاً ولم يبرأوا في اقسامهم . وك
 قضى بالردل على اراء كانت قد فازت بالفتاح فيما مضى . وانما قصدي ان ارفع لذلك

ان هذه الجمعية المكرمة لم تبح في محبة الشعب الروماني سوى امور عظيمة وابتدت
 في كل الاحوال تصوراً سامياً بارائها متيقنة ان صيتها كان سداً وعتاداً للمالك كافة .
 ومن المعلوم ان قد كان للعقاب والفتاب اعتباراً عظيم لدى شعب مغدّى بلين الحكمة .
 عدا ان الخدمة والرغبة في نجاح الملكة كانتا الوساطة الوحيدة للتقدم في الماصب
 وكذلك كان للافعال الحميرية مجازاة حسنة لانسوم الشعب شيئاً ولكن لا حدة لثمنها
 عند العامة لان مجد هذا الشعب الحميري متعلق بها ولم يكن الجنود يعتبرون من
 السمات البهية الا علامات الفضيلة طالما عز لديهم ناسج دهي او اكليل من اوراق
 السندبان او الفغار او بعض نباتات مردوة ولا امتياز افضل لديهم من امتياز يتأق
 عن افعال عظيمة

وان مجلس الندوة الذي كان استقامته يقوم بتأية المجازاة كان يعرف ان يونس
 او يمدح لدى الاقتصاء ولدن تجاز المعركة كان يني الفناصل والقادة على الجنود
 او بلومهم اذا كانت اعالم سيئة وم انفسهم كانوا يترصدون بفرغ صبر حكم
 الندوة الذي كان يقضي بنبات الجبان والراي السديد غير مندش بعظم المحادث .
 وكانت الامادج ثمينة لصدورها عن معرفة حقيقية . وكانت التوسب يؤثر كثيراً في
 ذوي النورس الكريمة وبسر الضعفاء على تميم واجباتهم . وطالما خشي الجنود عقاباً
 يلحق بالافعال المنكرة يبدان المجزاء والمجد المحدثين لم كانا برفعان عقول الى درجات
 سامية . ومن كان يستطيع ان يلقي في قلوب الشعب الجدد والمجد في الاشتغال وتظيم
 الامة وحب الوطن كان يحمي له الانتصار لانداع قوانين جديدة لانشاء رجال توفرت
 لم اسباب العظيمة . ولا ريب ان رجالاً هذه صفاتهم هم اركان الملكة وقومها . ولقد
 ابدع باري الطبيعة في جميع البدان رجالاً ذوي عقول ذكية وبطش عظيم الا
 ان على البشر الاستعداد بالطبيعة لتفتينهم . وما يفتنهم ويهذبهم قوة العواصف ومن
 الهم التي تمتد الى عقول بني الانسان كافة وتنقل سريعاً من الواحد الى الآخر . فما
 الذي يفرن شرفنا بالسالة العظيمة في المواطن والمجراة في اقضام الاموال اليس ذلك
 الاعتقاد الذي اقتبسناه منذ العفر . وتقرر باتفاق الشعب ان الرجل الشريف
 يكون عديم الحس والشهامة ان لم يكن ذا بسالة . وقد تشرب جميع الرومانيين هذه
 الماتر الحميرية . ولقد طالما كان الشعب يسابق الشرفاء ليملك بموجب هذه المبادئ



* ٢١٦ *

السلبية . وفي ابتداء ايجال رومية المحيطة كانت الولدان يبتغون في الاشياء منذ
الحدثان ولم يكن القوم يحددونهم الا بعظمة الاسم الروماني فكانوا يتدعون الى الحرب
لدى صدور الامر الجمهوري . وثمة يشتغلون دائماً معسكرين صيقاً وشيخاً خاضعين
لانامر قادتهم حتى الموت او الظفر . واما الابهاء الذين لم يهذبوا ابهامهم بقتضى هذه
المبادئ ليجادوم جديريين بخدمة الملكة فكانوا يتحصون امام الولاة والمحكمات لينفذوا
عاجهم كجهرمين بالنظر الى الشعب الروماني . وبناء على ذلك كانت الانام العظام
يصيرون غيرهم عظاماً وبكسبتهم فخراً وإخلافاً شريفة . وليس من الصدفة ان رومية
كانت تنفق سواها بالجند والعظمة بل ان الملكة الرومانية المولدة على النوع الذي
ذكرناه كانت ذات رجال صبرهم الامر الانف ابطلاً

فالملكة المنتظمة على هذا الدوال تشعر بثوق ليس لها من نظير ولا تلبث ساعة
دون سند ونرى الرومانيين لم تحيط قط أمامهم بحسن احوالهم لا وقت ان جعلهم
الملك يورسيديا يضورون جوعاً لدى حصار مدينتهم ولا حينما احرقها القولاويون
ورقدوا جميع بلدانهم وضيقوا عليهم كثيراً في الكنايتول بعد الهتهم ولا عندما ارجمهم
خوقا ييروس ملك ابيروت وشعث شملهم باقيالو ولا اذ قتل منهم انيبال الظافر في
معركة قانا ما يتوف عن خمسين الف مقاتل ثم شجع جندهم وابطلهم

فمحتشد دخل الفصيل ترتيتوس فارو المدينة ظاناً انه نال راية الظفر مع انه شطاً
شططاً مبيتاً وخسر هذه الموقعة العظيمة وذلك بسبب انه لم يأس من الظفر في وسط
هذه الاهوال التي كانت تكتنفه . فذكر له رجال الدوة جهاراً . ومنذ ذلك الحين
ازرعوا حسب العوائد القديمة ان لا يصيغوا وهم في حالة هائلة كنه ان يحدفهم بعقد الصلح
مها كانت ادلته راهنة . اما العدو فاختد منه العجب كل ماخذ وعادت قوة الشعب
اليه وثيق بالحصول على وسائل للنجاة يدركها رجال الندى العظام . ومن المتران
ثبات المجلس العظيم ما بين الاوقات العظيمة التي طرأت على عقولهم لم ينشأ قط عن
القصص الاكيد بعدم الرضوخ لطوارق الحدثان بل عن معرفة وثيقة بنوى الرومانيين
وقوى اعدائهم . وقد عرفت رومية بمجرد تعداد نفوسها الامر الذي عاودته من عصر
الملك سرفيوس تولوس قلازيم انها علمت بما عدها من الرعايا الخلفين بمجمل
السلح وبما هي على امل من الشبان الذين يتدرجون الى اعالي الجند يوماً بيوماً

* ٢١٧ *

ولذلك وفرت قواعدها ضد عدو ياتنها من شواطئ افرينية لان صروف الدهر وحدها
تبدل في بلاد اجنبية حيث تأخرت الخدات عن البلوغ اليه ونصرته التي كانت تسومة
دماء هيراة امست مشومة لديو ولذا مها حدثت من التهلكات لم يكن على المجلس
سوى ان يتهم لعلو ما بقي له من الجند الاشداء ولم يكن قط ذاسامة . ولما رأى
قوات الجمهورية تناقضه بتدارك هذا الانهزام الرومانيين في معركة قانا والعصيان
الذي وفي ذلك حتى انهم كادوا لا يستطيعون دفاعاً لوضيق عليهم العدو واستمر ثباتاً
في امره ببسالة غير مختش . هلاًكاً وشرع يراقب مسير الظافر . واذ تيقن لدى المجلس
ان انيبال بدلاً من ان ينجح فوزه عكف على الملاذ ارتاحت الى ذلك نفسه وعلم
ان عدو لا تاخذ الدهشة من نصرته ولا يقين وثقاً يضافر على انماها ليس من امكانه
ان يفوز بالرومانيين

ومنذ ذلك الحين اخذت رومية تنتقم يوماً بيوماً بافتتاحها العظيمة . واما انيبال
فرغاً عن كل باسو ويطش لم يلبث امامهم زماناً طويلاً ليكلمهم فنول ان انيبال بعد ان
فاز مراراً حجة شيخ بانه وحسب الاستيلاء على رومية امراً سهلاً فحطت بذلك آماله .
اما رومية فلم تنفذ بسالتها اثناء هذه النوائب بل اقدمت على امور لم يسبق لها مثيل في
العظيمة . ولم تلبث بعد معركة قانا الهائلة الا حاصرت مدينتي سيراكوزا وكابو فالاولى
لعدم استسكانها بوثاق اليهود والثانية لعدم رضوخها . فلم تستطع سيراكوزا بحصنها
دفاعاً ولا باختراعات المهندس اركيادوس الشهير وكثرت جيوش انيبال الظافر
لبضافروا مدينة كابو فكان ذلك عيقاً فان الرومانيين قسروا هذا القائد ان يرفع
الحصار عن مدينة نولا وبعد ذلك بزمان وجيز هزم القرطاجيون سيون وجيه في
اسبانيا وقتلوهما وفي كل هذه الحروب لم يحدث شيء على الرومانيين يعود عليهم بالمحطلة
فان خسائرهم جللتهم على ابداء كل ما عندهم من القوة ولهذا لم يكتف سيون الصغير
ابن احد القائدين القنولين بنقام مهام رومية في اسبانيا بل ذهب لماربة القرطاجيين في
مدينتهم وطسها تظيماً

فان حالة هذه المدينة لم تكن سيون ان يجد فيها المداخلة التي وجدها
في رومية . وتوقن ذلك لدى نظرك الى نظام هاتين المدينتين فان رومية كانت في شدة
قواها . اما قرطجة فلم يكن لها سند ونصر الا انيبال ومجلس رومية كان على غاية عظيمة



* ٢١٨ *

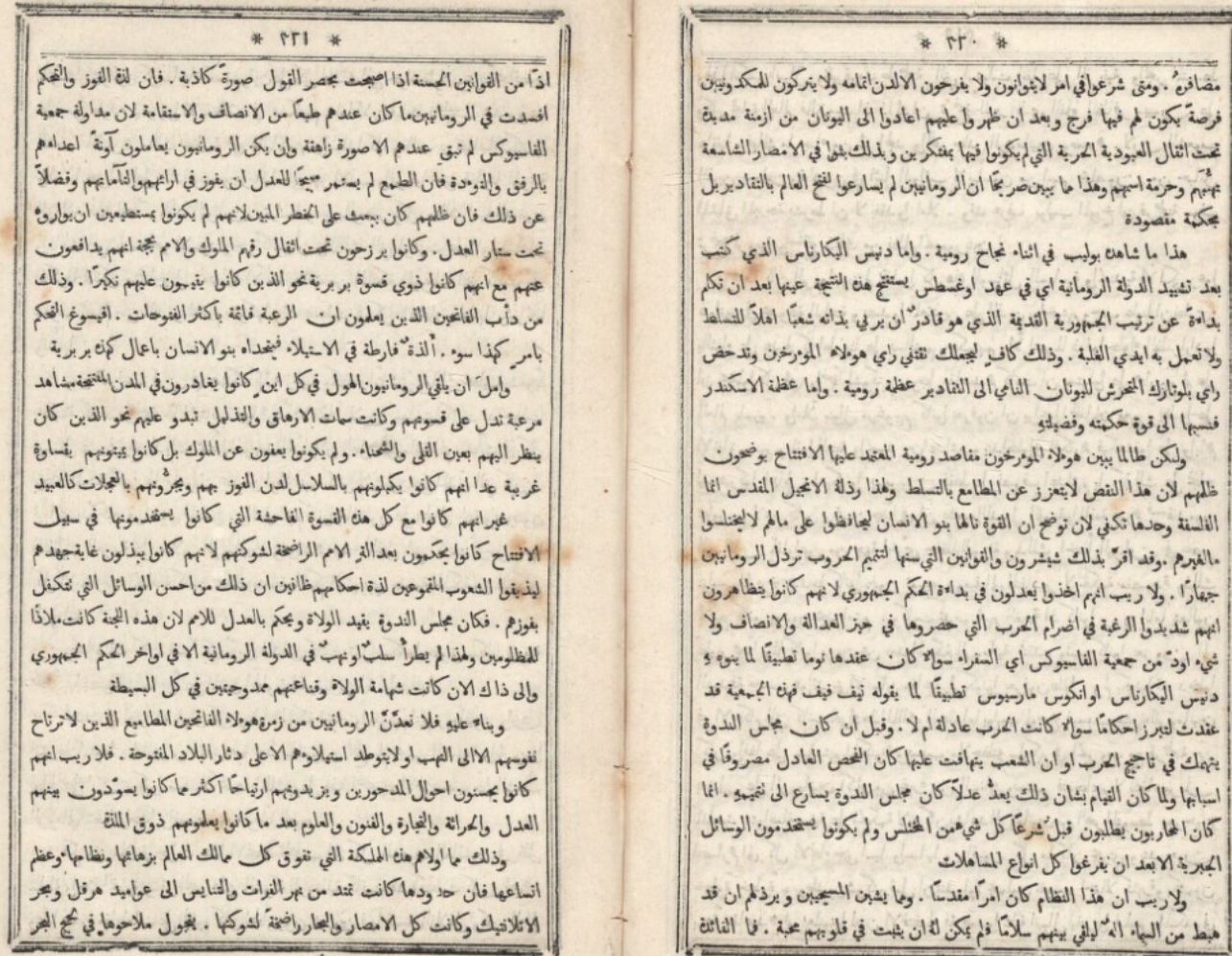
من الاتحاد لانها كانت في المين الذي ينشدها فيه الروح القدس في سفر المكابيين .
 واما مجلس ندوة قرطبة فكان بسبب غزوات قديمة منقسما الى شطرين لا يمكن اتفانها
 وكان هلاك انيبال برذا وسلاما على قلوب الاعيان والمظاه فيها . يذ ان رومية
 كانت فقيرة جدا تطلب على الحرمة التي هي علة لاعتانة جندي باسلة لم تكن تفقر الا
 بالجهد والاسم الروماني مع ان قرطبة كانت منيرة بجمارها وكان اهلها منهمكون في
 الثروة والمال غير متميزين على فن الحرب . ويحتمل ان رومية كان جنودها الكثيرون
 من قاطنيتها كانت قرطبة لاتباع لما سياستها ان تعبد الالهيين وكانت الخشية تقع
 منهم احيانا على الذين اغتدوم لهم منهم اكثر منها من الذين تثير الحرب عليهم . فكانت
 هذه الورطة متأية من تاسيس قرطبة الاول ومن تواتر الايام فانها لم تنفاد عن
 محبتها للمال والغنى حتى ان اربسطو كان يوبنها كثيرا على ذلك فائلا ان هذا الامر
 ذريعة لان يفضل سكانها القنود على الفضيلة . وقد قال هذا الفيلسوف ان هذه الجمهورية
 التي تولدت لاثارة الحرب قد اهلقت قواعدا ومارسها لكنها لا بلوح انه يوبنها اذ
 ليس عندها الا جنود اجنبية لكنها يؤخذ من هذه القرائن انها لم تنسقط في هذه الورطة
 الا بعد ذلك . الا ان كثرة الغنى تسوق بالطبع الحكومة الجمهورية الى ارتكاب مثل ذلك
 لان كلاً يود ان يتمتع بغيره وانعامه مفكراً انه يعثر على كل امر بغضاض مالو
 وعلى هذا كانت قرطبة تعد نفسها قوية لانها كانت مالكة عديدا وافرا من الجنود .
 ولم تعلم من الاختبار ومن عنو جنودها المتكاثرة في الازمنة الاخيرة ان لا شيء يتكفل
 بهلاك دولة نظير استنادها على اجنبية لجنود عنها مع انه يكون عاريا من كل غيرة
 ووضوح وامنية

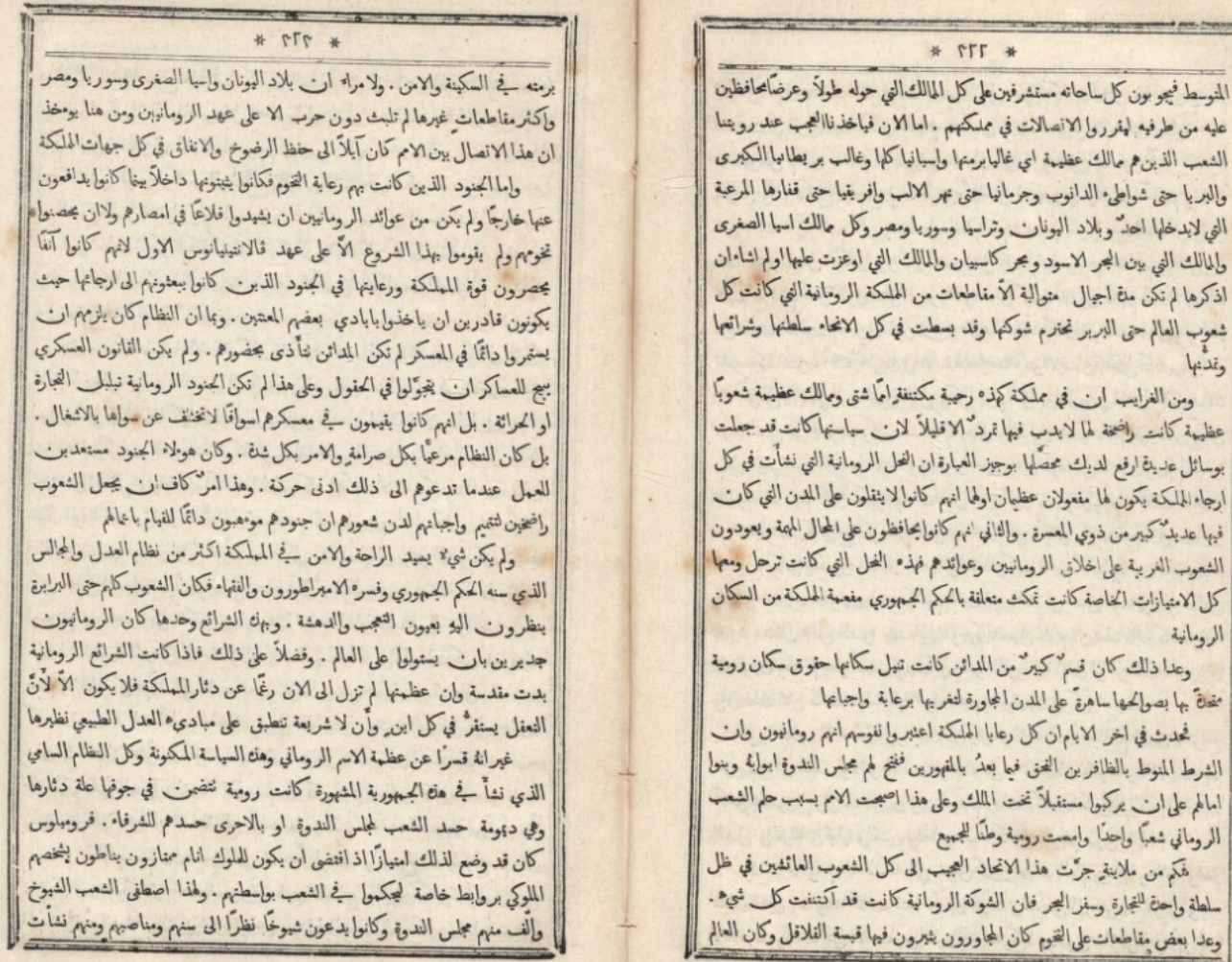
ولا يتكران سمو عقل انيبال الفاقب اصح ما في سياسة دولته من الخلل . ومن
 الامور التي تعبت على العجب ان لم يحدث في جيش انيبال المؤلف بمجموع مختلفة
 لم يكن البعض منهم يسمع للبعض الآخر بل انهم كانوا يعقدي الكلمة راضحين لاداء
 قائدهم مدة ست عشرة سنة في بلاد اجنبية الا ان مهارته لم تكن بفائدة ان تعضد
 قرطبة وقت ان هجم على اسوارها الثابتة سيون الحاذق واصبحت حبيزة دون قوة
 فافضى الامر باهلها ان يستغيثوا بانبيال الذي لم يخدم الا بجنود اضنكتهم انتصارهم
 اكثر مما اضنكتهم فوز الرومانيين . وزاد على ضعفهم ضعفا طويلا السفر في البر والبحر

* ٢١٩ *

ولهذا انكر انيبال وتفرقت طرحة التي استولت انفا على افريقية والبحر المتوسط
 وكل تجارة العالم فالتزمت اذ ذاك ان ترضخ للنير الذي القاه الظافر سيون على
 عاتقها . فهاك ما جناه من ثمر الجهد والفقر جلد الرومانيين وصبرهم . لان الشعوب
 الذين يبسلون ويخادعون في اثناء الدواب لا يباسون من انهم يتملصون من حبال
 المشاق المبرحة بصرط ان لا يفتقدوا املا . وقد عرف بوليب المورخ ان قرطبة سوف
 ترضخ لرومية واستنتج ذلك من نظام الجمهورية

فاذا كان الرومانيون لم يفتقدوا كل هذه الوسائل السياسية والجندي الا لكي يروا
 دولتهم في مجوعة الراحة و يصدوا المعتدين على الذين يواخونهم وجب علينا ان نظري
 بالنساء على عدلهم كما اطربنا على بسالهم وحكمتهم . الا انهم لما ذاقوا حلوة الظفر ارادوا
 ان يجعلوا كل شيء راضعا لشوكتهم . وجل فاضدهم كانت ان يستولوا على مجاريهم ثم على
 العالم بأسره . واما بنوال مرغوبهم كانوا يعرفون ان يرعوا المتحايين معهم ويضبطوا على
 الاتعاق بينهم ويلقوا الفتنة والحسد بين اعدائهم وينداخلوا في افكارهم فيكتشفوا على نوابهم
 ليستدركوا اعالمهم ولم يكونوا يسهرين فقط على تصرف اعدائهم بل كذلك على نجاح
 مجاورهم لانهم كانوا يرغبون جدا في ان يشعروا بالدول القوية والمناعة فوزهم فيستقدمون
 الوسائل لمقارعتهم من جهة اخرى حنظا للوازنة وبذلك اخطأ اليونان في عصر
 بوليب المورخ عندما كانوا يبنون توسيع رومية الى التفادير لا الحكمة مقصودة وذلك
 لانهم كانوا يودون مجد امتهم . وكانت تدب فيهم الغيرة اذ كانوا يرون اناما يتعالون
 عليهم مجدا ولما كانوا يرون عن بعد المملكة الرومانية فتقدم وتتمو كانوا يعززون الى
 الصدقة حسب عوائد بني الانسان مفاعيل لم يكونوا يعرفون عليها . ولم يكونوا قد دخلوا
 في الاحكام التي كانت تحرك هذا الملك العظيم اما بوليب المورخ فيسبب عشرة لرومانيين
 كان واقفا على سياستهم المكنونة وبسبب ملاحظته سلوكهم في الحروب مع قرطبة حكم
 بعذر على الرومانيين اكثر من غيره من اليونان ونسب فتوحاتهم لا لتفادير بل
 لمقاصد متواصلة مبنية على الحكمة لانه كان يشاهد الرومانيين من البحر المتوسط يصرحون
 ابصارهم الى كل الاتحاد حتى اسيا واسبانيا وراقبون كل ما كان يجري ويتدرجون
 خطوة خطوة ويوطدون شوكتهم قبل ان يتندوا ولا يحملون نفوسهم احمالا كثيرة ويكثرون
 برقة مقاصدهم ثم يعلنونها لدن الانتصاه فترصدوا غلبة انيبال لهتروا فيلس المكروني





* ٢٢٤ *

عائلات الشرفاء . ومع هذا فيها كانت السلطة التي ابقاها روميلوس للشعب فانه اخضعهم تحت ولاه الشرفاء بوسائل استقدمها في سيل ذلك . وهذا الرضوخ اللانم للحكم الملكي حفظوه في ايام الملك وحكم الجمهورية فانهم استمروا محبسين من الشرفاء اعضاء مجلس الندوة وكانت الوظائف والولاة والرتب حتى الكهنوت منوطه بهم . غير هان الشيوخ الذين عثفوا رومية لم يضربوا صفحا عن امتيازاتهم فديت اذ ذاك عقارب الحسد ولا حاجة لذكر الكافاله ابي الخبالة الرومانية الذين كانوا مرتبة ثالثة باخذون آونة بايدي احد المشاخين واوله بايدي الآخر الا ان السب الخففي الذي كانت به رومية متعفة هو حب الحرية

لان مبدأ الجمهورية الاسامي كان قائما بان تعتبر الحرية انه غير منفصل عن الاسم الروماني وانت الشعب الذي يكون قد الف هذا المبدأ او بالآخرى خلق لستولي على الشعوب كلها (ودعاها فرجيلوس الشعب الملك) لا يود ان يرضخ لشرعية لم يكن سها هو نفسه . وكانت سلطة مجلس الندوة امرا واجبا يعدل سلطة غيره من المجالس ولو ذلك لكنت المجالس كلها ضيافة الا انه كان بالشعب يتناط تقليد الولاة الرياسة ويؤنس الشرائع ويخدم الحرب ويبرم الصلح وكان له حقوق الملك الاسامي ويقتد اهابة الملك ولهذا كان يرغب في ان يوعز اليه ولكن لا يشاء ان مجلس الندوة ينسره على امره . وعليه فكل ما كانت يبدو جهة التعظم والامر او يرتفع عن غيره اوكل ما كان يشين او يمس روح المساواة السائد في دولة حرة بانف منه هذا الشعب المحرك للامنة . ولهذا حب الحرية والجد والتفوحات كان يقضي عليه بعدم الانقياد . والحرارة التي كانت تبعهم على ان يباشروا كل الاعمال الخارجية كانت تسبب لم انقسامات داخلية . وعلى هذا فان رومية المحرصة على حربيها شاهدت الشقاق ثائرا بين كل مراتب الامر . ولدن ذلك سرى الحسد الرائع بين الشعب ومجلس الندوة والشرفاء لان منهم من كان يزعم ان الحرية المفرطة تبتد نفسها ومنهم من كان يجئ ان السلطة التي من دايها ان تكون دائما معدة تصير جورا وعدوانا فلم ير الشعب ما بين هذين الطرفين حلا وسطا . والصالح الدافية لم تنج لم بان يستمروا في حدود الالاه العادلة . وان ذوي المطامع والعجبان كانوا يثيرون روح الحسد لتقيعنا زمانا ينالون بواغراضهم . وهذا الحسد الذي كان تارة متواريا

* ٢٢٥ *

وطورا باديا حسب منتضبات الاحوال لم يبرح حيا في القلوب حتى سبب الانقلاب العظيم الذي طرأ في ايام قيصر ومن خلوه

الفصل السابع

ايضاح للانقلابات التي حدثت في رومية

يسهل عليك يا سيدي جدا ان تقف على بواعثها اذا كنت تذل جهدك بد شعورك بحبابا الرومانيين وناليف جمهوريتهم بالاطلاع على بعض التي لها ارتباط وثيق . وان كانت طرأت في ازمة قديمة جدا تجمعها زيادة للايضاح وهي : ان روميلوس الذي حكمته الحروب وهو المدعو بابن مارس (اله الحرب) شاد رومية التي اسكنها من اناس مولعين من رعاة وعبيد والصوص توافدوا عليها يفتقدونها ملاذا لان باها مفتوح للواردين واتي اليها اناس غيرهم لم سعة بالنفل والسب المحظير . فلدن ذلك اشعرت هذا الشعب العجم روح الاندلم على كل شيء بالقوة التسمية حتى انهم اتخذوا نساءهم جزء الواسطة . وبعد ان مضى على ذلك مدة اسس الانتظام والآن عرائكهم بشرائع مقدسة . فباشرا ابتداء الدين الذي كان يعتبره اسما لملك وجعله ذا وقار وحظر دخول المذاهب الاجنبية والذبايح التي لم يماردها الرومانيون ثم خولفت هذه الشريعة التي كان صارقا جل العناية في حفظها الا انهم ابقوا منها شيئا وتخبروا من الشعب اعظمه ليؤلف مجلسا عاما دعاه مجلس الندوة واللة من ثغاية من الاعيان الذين زادوا فيها بعد عددا . ومنهم خرجت العائلات الشريفة وما بقي كان سوقة لوشعيا وكان على مجلس الندوة ان يهت عن الاشغال ويعرضها لدى الشعب . وكان يبت بعضها مع الملك الا ان اعياها كان يبرزه لدى الشعب فيصدق عليه . وهذا كان روميلوس في محل طرأت ثورة على اجل فانساق اليه الشعب وقطعوه اربا اربا لانهم وجدوه ناهيا بالامر . ومن ذاك بدأ الاستقلال في تلك الهصابة وشاع النبا وقنن ان الالهة اخطلفت روميلوس الى السماء قصد ان تحمد نيران غضب الشعب الذي كان يجب ملكه وان يكون لذكرو في المدينة مقام ساميا . فساد الرومانيون لثمة لانهم ثم ان نوما بوميلوس اكمل لتقريف عوائدهم وجاهاهم وتظلم الدين غير مغرب شيئا من



* ٢٢٦ *

الاساس الذي اقامه روميلوس وذلك بعد ان خمدت نار الفتنة واستتب السلام .
وسن توليوس هوستيلوس شرائع ثقيلة للنظامات العسكرية والبحرية و اضاف اليه خلته
انكس مارتس احتفالات مقدسة املأ بان قصير العسكرية مباركة ومقدسة واصل
بعده تركوين القديم عدد الاعيان في مجلس الندوة الى ثلثاية . وما ذاك الا ليكون له
يو خصبة ويقوا على هذا العدد اجمالاً عديداً ثم باشر الاشغال الشاقة التي كانت
آيلة الى الراحة العامة

وتولى سرفيوس توليوس على تاسيس جمهورية برأسها حاكمان يتخيرها الشعب جازماً
ان رياستها لا تتجاوز اكثر من عام . ونسبت الملوكة بغضة بباركوس الجبار وقويح اللذين
حاولوا ان يقيموها مرة اخرى مقدوقين بالعنات الوحشية والى الشعب على نفسه انه لا بد
من ان يستمر على حريته وأشار الى ذكره بروتوس المؤرخ وتبع بهذا التغيير كتابات
سرفيوس توليوس . فكان الفصلان اللذان تخبرها الشعب ان يكونا من زمرة الشرفاء
يساويان الملوك بالسلطة الا انها كانا يتداولانها ملياً ويغيران كل عام .

فاصطفى لهذا المنصب المنيع كلوتينوس وبروتوس لانهما كانا مشتركين في الحرية
وان يكن الاول منها قريباً للكراس التي سبب موتها هذا التغيير وانه كان يتهدى أكثر
من غيره للانتقام من الاهانة التي تأتت بها فلدن ذلك وقعت عليه الشبهة انه كان من
العائلة المملوكة فطرد واقيم بتنايو فاليريوس بعد ايام من غزوة انقذ بها وطنه من
التهامتين والاثروسيين الا انه اهتم بانه يرغب في الحكم الجوري لانه بدأ ان يشهد صرحاً
شامخاً على قمة اكمة باذخة واذ ذاك لم يكتف بالعدل عن تنعيم البناء بل انه بعد ان عاد
والشعب ينظر بعين الرضي والمودة سن شريعة ان الدعاوي لا بد من رفعها لدن
الافتضاء الى الشعب الذي يناط به آونة الهزم بالحكم فضعفت هذه السنة بداية بدء
سلطة القناصل والسمت حقوق الشعب . وبسبب الافتقار التي كان الاغنياء يعنون
بها الفقراء لتحصيل الديون ثار الشعب على القناصل واجلس ولاذ بجبل افنتين . وكان
مدار هذه الجاهرات نوال الحرية الا ان الشعب الروماني لم يعتبره حراً طالما لم
يكن له وسائل شرعية يقاوم بها المجلس فاجأهم الامران يقيموا وكلاء مدعين بدودون
عن حقوقهم فسادلون القناصل بالمناوأة والاستئناف فاما هؤلاء القضاة فرغبة في
ان تكون لهم السلطة كانوا دائماً يضرمون نيران الشقاق بين القناصل والشعب الذي

* ٢٢٧ *

كانوا يصنعون القوم بقولهم لم ان اراضي البلدان المقموعة والذين الذي اذني عنها لا بد
من تجزئو بين السكان ولم يبقا المجلس يقاوم هذه الآراء الا يلة الى دثار الملكة لانه كان
مزماً ان يضع عن الارض في الخزينة الوطنية . وكثيراً ما كان الشعب يتقاد بمشورة
وكلائه البائين روح الشقاق الا انه كان ذا انصاف متعجبا من فضل الرجال الذين
كانوا يناقضونه . والعلّة التي كانت تقوم بتقيد هذه الثورات حروب متواصلة خارج بلادهم
فمنه الحروب كانت تمنع سير الشقاق الى حذر يسمى العاقبة وفي اثناء ما كان الرومانيون
فائزين بحروبهم وموسعين خطوات فتوحاتهم دب الحسد والضغينة فيهم وبعد ان سم
الحزبان مرغ هذا الشقاق الذي كان يوعده الملكة بالخراب اتفقا على ان يسنا شرائع ايلة
الى راحتها والى تايد المساواة اللازمة في كل مدينة حرة وكان كل منها يدعي ان
هذه الشرائع منوطة به فردا اذ ذاك الحسد بهذا الادعاء وصموا برأي عام النية على ان
يعتوا سفراء الى اليونان للاطلاع على شرائعهم ولا سيما شرائع سولون المتعارفة لدى الشعب
كثيراً ووضعوا اذ ذاك شرائع الاثني عشر لواحاً الا ان السفير ابري القضاة العشرة الذي
نصا هذه الشرائع تزعموا من وظائفهم لانهم تجاوزوا الحد باستعمال السلطة . وبما كانت
الراحة مستتبة وكانت القرائن تدل على ان تلك السنة العادلة توطد الى الابد الراحة
العامة احدمت نار الشقاق بسبب ادعاء الشعب بتصبب الفصلية المنوطة الى ذاك
الحين بالغزوة الاولى فباحث الشريعة للسوقة ان يتقلدوا مناصب كهذه الا ان اعضاء
مجلس الندوة اتروا على ان يقيموا ثلاثة حكام حديثين يعطون سلطة القناصل ويدعون
تربيان على ان يتقدموا شرف الفصلية . فقبل الشعب بهذه الرتبة الجديدة واذ اكتفى
بنوال حقوقه استعمل قووة بقناعة واستمر على ان يسلّم الامرية الى الشرفاء . وبعد تنازعات
طويلة اقبل الى الفصلية واشترك الحزبان مع تواتر الايام بهذه المناصب وان يكن الشرفاء
لم الامتيازات الكبرى بالانتخابات واستمرت الحروب متواصلة اياماً مديدة . واما الرومانيون
الظافرون القناطون في فتح جبال الب ففازوا بعد تاجيح الحرب من خمسمية سنة باعدادهم
الآلاد وكل ايطاليا

ولدن ذلك ابتدأت الحروب القوطية وتعاظلت الاحوال حتى ان كلاً من
الشعبين ظن ان لا وجود له الا بهلاك خصمه وارشكت رومية ان تنقهر لانها لم تجزع
بل لبثت في ساحة العزم وحكمة مجلسها فتكفل اخيراً صبر الرومانيون باكليل الفوز وتكفل



* ٢٢٨ *

انبيال وقهر قرصجة سبيون الا فرقي وانسلطت احكام رومية الظافرة مئة مائتي سنة
براً وبحراً وصرح العالم كله لسلطونها . وفي تلك الايام اي منذ خراب قرطجة اخذ المطامير
من الناس يطلبون الوظائف التي زادت عدداً وقيمة غير فأكبرين الا بامالة الشعب
مصانعهم وبذلك تمكس الاتفاق الذي قد ابرم بين الفريقين مئة خراب قرطجة فان
الكراكين كانوا على ذلك الاضطراب ومطالبتهم باكورة كل الحروب الداخلية . ومنذ
ذاك الوقت اخذ الناس يحاربون سلاحاً ويستخدمون القوة الجبرية وكان كل مجاهد
في ان ينال فوزاً يخصه بطريقة شرعية وحرية الا ان حكمة مجلس الندوة والحروب
المظلمة التي طرأت اخذت نيران الخصومة . فماريوس الباسل الذي كان من السوق
اثار الشعب بقصاصة جندي وفتحهم بظلمة التي كان يقاري بها الشرفاء وبذلك ارتقى الى
اسم المراتب واماسولا الذي كان من الشرفاء فقد تراس على الحزب المنافس واصبح
ماريوس يزعم اليه بعين القتل والحسد . واخذت حينئذ المكاييد والرشوة تستولي على
رومية . وان حسب الوطن واحترام الشرائع لم يعادلهما امر . فضلاً على ذلك فان حروب
اسيا علمت الرومانيين القبرج والطمع في الحصول على المال . ولدى ذلك اخذ قادة
الجيوش يستميلون اليهم مودة الجنود الذين لم يكونوا من قبل ذلك يودون لم تكربة
الالكومهم متقلدين السلطة العامة

واما سىلا فقد غادر عماكرو بقولون في الحرب التي ثبت بينه وبين مترديدات
ملك البون وما ذلك الا ليرضيه . واما ماريوس فقد كان بعد معاوضه وانه
يقسم بينهم الدراهم والارض فبذلك اصبحا كلاهما مالكيين زمام جنودهما . فادعى
الاول انه يريد ان ياخذ بيد مجلس الندوة والآخر ان يقوم بناصر الشعب فاضطربت
بينهما حرب هائلة داخل المدينة نحل في اعوان ماريوس واعوانه الويل والشار وكسب
سىلا السلطة المطلقة ملتقياً باسم ديكتاتور . فقتل من الشعب عدداً عظيماً وعاملهم
قولا وقهلاً معاملة شديدة حتى في الاجتماعات الرسمية . ولما نال معظم السلطة وثبت
اعظم ثباتاً استعزل وآب بارادته الى درجة السوق بعد ان ابان ان الشعب الروماني
يكن انه ان يجنل سيداً

اما ماريوس الذي كان سىلا قد اسى مقامه فقد استخدم قسماً عظيماً من سلطته
لكنه كان يدافع تارة الشعب وطوراً مجلس الندوة أمل ان يبقى ثابتاً في منصبه . اما

* ٢٢٩ *

ميله وغرضه الذاتي رطاه بالحزب الاخير . واذا ظهر على القرصان والاسبانوليين
والشرق بأسره اصبح عظيم السلطة في الجمهورية ولا سيما في مجلس الندوة لكنا قبصر
الذي اراد ان يكون له مساوياً انجاز الى الشعب . واذا كان ينتدي بتقليد الوظيفة
القتلية بمحامي الشعب العاصي عرض لدى المجلس شرعية تفهم الاوضاع وشرائع
اخرى تقر بها عيون السوق . وانفتاح غالبا اسماء الى درجات شاهنة من السوداء
والسلطة فاجتمع هوميوس لمناصدة ذاتية ثم افترقا بحسد دب بينها

ولدى ذلك فاجتحت نيران الحرب الداخلية فظن ماريوس ان اسمه يمكن له وحده
ان يذب عن حريه فمؤرا الى وحدات المحمول . واما قبصر البصر بعينه القديم
فقد نال لواء النصر واستولى على الدولة الرومانية . ثم اخذ يجنر الامور ليرى هل
يستطيع الرومانيون ان يعاودوا الحكم الموكي فغداً هذا الاختيار الى ان يكون جنيناً
لدى الامه . واخذ المجلس يحضه انعاماً لم ينالها احد من قبله . وما ذلك الا ليزيد
بغض الشعب له ولم يلبث ان امانته داخل المجلس متحذيه ملكاً جائراً وقد كان
لنصره ذلك من الاجل تسعة عشر عاماً فحينئذ الوقت ليشأ اياه ويجلس على عرشه
خليفة له وما برح يكذب حتى اتخذ آل بيته اعداءه ومنازعه حياً بتبهم مقاصده الخاصة .
فاصلت جنود ابيه تحت لوائه رغبة في الانعام والهيئات التي من بها عليهم . ولدى
ذلك قصفت السلطة عن مجلس الندوة فاخذ كل من يستحصل حقه بالقوة وبالعسكر
والجنود الذين كانوا يخدمون من يزيد في انعامهم فبهذه الحال السيرة بادت سلطة
هؤلاء الرجال الثلاثة طالما كان في رومية اقرباء بقاومون العدو والجور . ثم ظهر قبصر
وانطونوس على برتيوس وكاسيوس فبادت معها الحرية فهدان الظافرات اهلكا
بيديوس الواهن وابراما بينهما اتحاداً اجنزا المملكة بينها مراراً . وما ان قبصر كان
متناهما في المهارة عثر على وسيلة تمكنه من الحصول على القسم الاوفر واحاز اليه رومية
فتناق بذلك خصمه . اما انطونوس فقد جهد في ان يعزز سلطته لكنا ذلك كان
عبثاً لان فوز قبصر باكسب حرك كل المملكة لتكون تحت سلطته . ولما اخذ العباء
من رومية كل ماخذ بسبب كثرة الحروب المدنية التزمت ان تنبذ الحرية جانباً
املاً بالراحة

ولما نالت سرة القياصرة مامورية الجنود تحت اسم امبراطور قبضت على زمام



* ٢٢٠ *

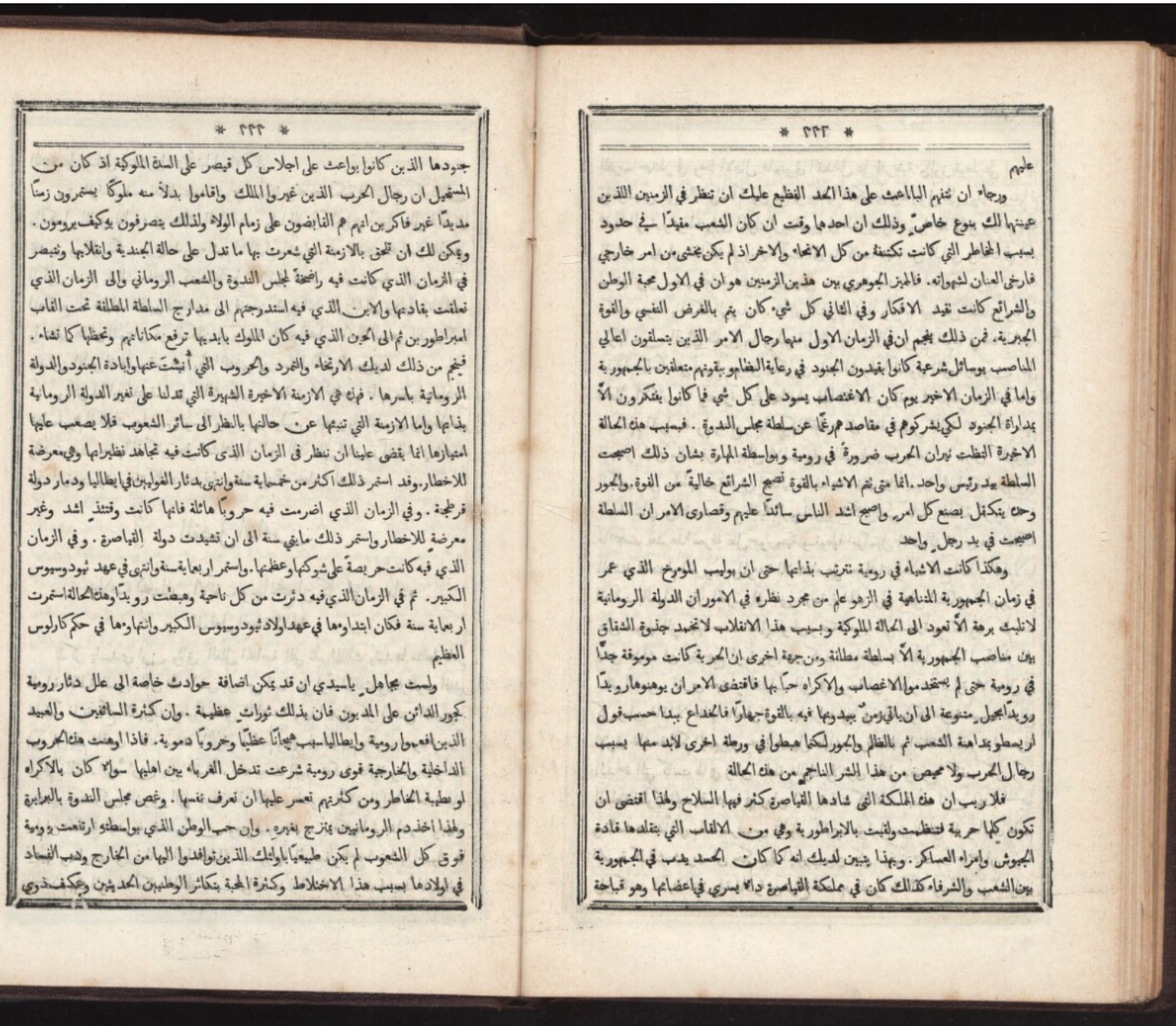
السلطة المطلقة . واما رومية فكانت في عهد القياصرة مجتهد بان تحرس ذاتها غير
مبالية بتوسع تيجونها . ولم تقم بغزو ولا لندراً عنها البرابرة الذين ارادوا الدخول
الى المملكة

ولدن موت غالبا الاثك مجلس الندوة ان يرجع الحرية والسلطة الفصيلة لولم
يصد رجال الحرب الذين ارادوا ان يكون عليهم رئيساً مستقراً يلقونه عليهم الصيادة .
واذ عنانهم وعشا في الارض جائراً ثار المردوسون ونهب كل من المخاضين ولزعا
وعلمت رجال الحرب ان تقليد الولا منوطاً بهم فباعوا السلطة جهاراً من يودي لهم
عنا ثماً باهظاً وتعودوا ان يتخلوا عنهم رداء الطاعة فباد بذلك الظلم معاً واصبح
جهد الملوك الفاضلون في رعايتهم عبثاً فان رغبهم في ابقاء نظام الجندى الروماني
القديم جعلهم على ان يمدق بهم الجنود بعون النصارى واللى . ولدن تغيير الموك كان
كل جيش مجتهد في ان يصطلي له ملكاً فيقيم حيثن حروب مدنية ومذابح هائلة
ولهذا ارتخت اعصاب المملكة ونظام الجنود . فهذه الانقلابات قلت هبة الجيش
الروماني وعظمته فتمض البرت من ناحية المشرق باسم الفرس الذين تنكروا في ما سلف
مراراً ومن ناحية الشمال ام كثيرة كانت قاطعة اراضي باردة جدياً جعلتها عظة
اراضي الدولة الرومانية على ان تكثر عليها وعزم الجميع على الدخول اليها مراراً . وعلى
هذا لم يكن رجل واحد كافياً لان يحمل على عاتق مملكة كنه شاسعة مجهوماً عليها من
الجبهات كلها . فالحروب المتواصلة ورغبة العساكر في ان يتراأس عليهم قياصرة
وملوك كانت يواعث تنكيلهم . وما ان المملكة كانت احكامها اربعة تكاثرت الملوك طبعاً
بتكاثر اولادهم . فاركوس اورليوس شارك اخاه بالولا ونصب سفاريوس ابنه ملوكاً
والجأت الضرورة ديوقليسيانوس ان ينسب الغرب والشرق بينه وبين مكسيميانوس . ولما
راى كل منها ان الاشغال اضنكة تخبر له فيصراً . ونسب تكاثر عدد الملوك
والقياصرة أصبحت الدولة مضبوكة بنفقات باهظة فاجتبرت اذ ذاك المسكة وكثرت
الحروب المدنية ثم قسم قسطنطين بن كوروس المملكة ميراثاً بين اولاده واقتضت
ذريعة آثاره من بعده ولم يبق بعد ذلك ملك سناثروحة بالولا

ان رخاية اونوريوس وغالاتيينانوس الثالث كانت باعثاً كبيراً على اعادة مملكة
الغرب فتمس البرابرة مراراً حجة ايطاليا ورومية واصبحت المدائن فيها غريبة لم . فوقع

* ٢٢١ *

الغرب حيثن في هذه الاممال فاستولى التندال على افرقية والوزيقوط على اسبانيا
والفرنسيس على غاليا والساكسون على بريطانيا الكبرى والمارول على رومية برمتها ثم
فخما الستر وغوط فتواوى الملوك الرومانيون في الشرق وغادروا ايطاليا ورومية فربسة
البرابرة . بيد ان المملكة الرومانية آبت الى ما كانت عليه من لباس والشفة في ايام
يوسنتيانوس بسبب شجاعة باليزار ونارسيس . فرومية بعد ما اخذت مرات عددة
مكثت منوطلة بالمملكة الرومانية . الا ان الشراقة لما رأوا ما فيها من الشقاق وما في
ملوكها من التواني ظفروا بها وسلبوها اعظم جزء في الشرق واذاقوها في هذه الساحبة
عذاباً مرشحاً حتى امهم لم يعودوا يفكرون بايطاليا ولهذا استولى اللومبارديون على
الامال الاكثر بها ونضارة في ايطاليا . فلما اصبحت رومية في ضيقة عظيمة لكثرة
تعدبايم المواصلات ولم يدافع عنها ملوكها التفتت الى الافرنسيس طالبة الاستغاثة منهم
فاجازر بابان ملك فرنسا جبال الالب وقهر اللومباردين وبعد ما درس كارلوس
الكبير رسوم سلطنتهم تولى عرش ايطاليا اذ فتاعته امنت بقايا بسيرة خلفاء القياصرة . وفي
السنه الثاني والتمه بعد المسع اتقبة الرومانيون ملكاً واس ثانياً المملكة الرومانية .
فاصبحت بعد هذا معرفة على سمورية وستوطها امراسل الادراك فترى هذه المملكة
الناتئة لاحتدام الحروب والموهبة للاعتداء على جيرانها ودخت جميع اقطار العالم لانها
اتصلت بالساسة وفق الحرب الى اسى درجة ثم انك ترى على انشقاق الجمهورية ثم
على هيوطها التي جعلها حسد اهلها الى الوطن ومحبته الحرية التي اخترقت الحدود . فلم بعد
يشق هليك ان تبرز جميع ازمته رومية ان كمت نشاء ان تلاحظها بذاتها اوبال نظر الى
سائر الشعوب فترى حيثن الانقلابات التي هي مزعة ان تصدعن ادارة الاشغال في
كل زمان . فاذا لاحظتها بالنظر الى ذاتها تراها اولاً في حالة ملوكية مرتبة حسب الشرائع
الاولى خاضعة للحكم الجمهوري عنوة فبسل علك معرفة نظام الحالة الجمهورية ثم معرفة
البداية التي كانت لها في زمان سلطة الملوك ولا ترى باقل وضوح كيف كان ركن
السلطة الملوكية الجديدة ينبت في زمان الحرية لانه كما انك فهمت ان اجداء المشقة
ومنافسها نشاء في ملك سرفوس تولىوس الذي هاول من اذاق الرومانيين طعم
الحرية كذلك شعرت ان حكم سيلابوري وان يكن مؤقتاً وقصيراً يوضح ان رومية
وان كانت شديدة اختراثة فادرة ان ترضع تحت نهر العبودية كالشعوب الذين استولت





* ٣٣٤ *

الفتنة على وسائل ليباشروا اعمالاً تلبيل الافكار
وفي الوقت نفسه تعاظم عدد ذوي المسكنة والحاجة لكثرة البذخ والرفائل
والكسل الذي نظمهم في سلك العادات . وإما الذين كانوا في اسوء حال لم يكونوا
يجدون وسائل تمكهم من امر معاشهم الا التهام بالثورات غير عاقلين يجراسر يأتى على
الكون بعدم وذلك ماحمل كنسليها على الأثارة قصد دثار رومية . فمن داب
المطاميع الصعاليك الذين لا يخشون من فقدان شيء أثناء الرزايا ان يودوا الانتلاب
واستظهر هذان النوعان من السكان في رومية واصبح اصحاب الحالة الوسطى الذين كانوا
يعدلون الامور اضعف قسم فيها ولهذا اقتضى ان يستطع الحكم الجمهوري
ويمكن لما ان نضيف على ذلك مهارة خاصة في الأشخاص فانهم سبوا حوادث
عظيمة وم الكراك وماربوس وسلا وببوس وجوليوس قيصر وانطونيوس واغسطس
ولقد نوهت بعضها انما كان جل اعتناهم ان يبين لك علل الشرور العامة اي الحسد
بين المرتين وهو وحده كانت معرفته يهيك وتناجيه خطيرة لديك

الفصل الثامن

خلاصة الخطاب الأنف وبها يفصح ان كل شيء معاده

الى فعل العناية الالهية

تذكر يا سيدي ان وثاق الملل الخاصة التي تقي الممالك وتبدها مناطق بامر
العناية الالهية السرية فان الله قابض من اسمى السماء على ازمة الممالك ويك قلوب البشر
قاطبة فائرة يكبح الشهوات وطوراً يطلق لها الاعنة وبهذا يحرك كل الجنس البشري .
ايود ان يقيم فانهم . فانه يبعث بالخوف امامهم وبالي في قلوبهم وقلوب جنودهم جرأة
توهم ذلك . ايود ان يقيم قضاء . فانه يبعث اليهم بحكمة خارقة وبصيرة وقادة
ويجعلهم يستدركون الشرور التي تنوء المملكة ويولدون اركان الراحة العامة فانه
يعلم ان الحكمة البشرية قاصرة من وجه فيزيها ويمد بافكارها ثم بفادها وجهها
فيصيرها ويطررها ويرذلها بذاتها فتتلك بتصوراتها الخاصة ويصير احتلالها احولة لها
ويستقدم جيك الوسيلة احكامها المائلة حسب قواعد عدلو الصائبة وهو تنمى بعد المألولات

* ٣٣٥ *

بالعمل البعيد وهو سبب هذه الضربات العظيمة التي عن يعبر تبدو مفاعيلها ومتى شاء
ان يضرب الضربة الاخيرة ويبيد الممالك ننهش الآراء ونهش القوة . فان مصر التي
كانت في آنف الزمان حكيمة كانت تسير متشائمة خيلاء وتجبرة بكل امورها فان
الله اذاع روح الدوار في اراتها فلم تدرك ما تصع فهلكت . فلاندخان المجدبة قلب
بشري . فان الله يهدي من ضل ومن يجرى بضلال غير يهوي الى هذه مدلهمة .
وليس يلزم لخداع عقلو الاسعاده النسيجه وبذلك يحكم الله على كل الشعوب فلا نوهن
عن الغش والصب . بل اذا تكلمنا عنها فليكن ذلك ذريعة الى ستر جهلنا . وان
ما نعد فعل الصدقة بالنظر الى آرائنا غير الوثيقة نعد حكمة سامية وهي العناية
الارزية التي تضمن كل الملل والمألولات بنظام واحد ورتبة واحدة . وعلى هذا فنكل
شيء آمل الى غاية واحدة وانما لعدم فهمنا كل شيء نجد الصدقة او عدم الترتيب
في الحوادث الخاصة

وهذا يفتق ما قاله الرسول وهو ان الله سعيد وهو وحده مستطيع كل شيء
وهو ملك الملوكة ورب الارباب . فطوبى له فان راحته غير ثقلة ولن تلقى برى كل
شيء متغيراً وهو ثابت يغير الاشياء بعناية لا تغير وهو وحده يهب السلطة ويترعها
ويقلها من رجل الى آخر ومن يستر الى بيت ومن شعبي الى شعبي وما ذلك الا
ليبين انها لم تكن لمن تسلط الا على سبيل العاربة وبه وحده تقوم الطبايع وبذلك يشعر
الملوك انهم راضعون لسلطة اسمى من سلطتهم فانهم يصنون الاشياء بزيادة تروا وبافل
فتتمكن ازروم من مفاعيل لم يستدركوها من قبل ولا يمكن لم ان يتمكنوا من النظام
الذي قامت به الاجيال الفارطة في الاعمال ولا يمكنهم ان يستدركوا جري الاحوال
مستقبلاً ولا من قسر الامور لنتم حسب معرفتهم فهو وحده قابض على كل شيء
بيده ويعرف اساء ما وجد وما لم يوجد وهو الحاكم وحده في كل الازمنة ويصير فيعرف
كل المآرب والآراء

فان اسكندر لم يتجالح فكره ان كل اعماله ستاول الى جلاء قادته وان افتتاحاته
تسب دثار بيته ولم يكن بريوس يعلم ان كان ياتي في قلوب الشعب الروماني تحية
الحرية الفاتنة باه ياتي في الافكار مبدا هذه الجراءة العظيمة الذي به يصفي الظلم الراغب
الله في ان يبيده اشد ما كان في عهد الفاركيدين . ولم يكن من داب التهاشرة بمداينة



٢٢٧

اصلاح غلط

ان تغيب مترجم هذا الكتاب ومعه به وسائر اعضاء الدائرة العلمية عن بيروت وقت طلبه لعل مدرسة الحكمة اوقع اغلاطاً كثيرة فيه اوجبت عمل فهرستها هذا والحاقه بهذه الترجمة


وجه	سطر	خطا	صواب
١١	١٩	تعالية	رجالته
١٤	٢٣	كادموس	قدموس
١٨	١٢	انشاء	النشأة
١٨	١	ايام	ايها
١٩	٧	احباب	احباب
١٩	١٩	لسيديون	لسيديون اي سبرنا
٢٠	٢٣	هرقل	هرقلوس وهو ابن المشتري
٢١	٥٥	لاهم كانوا يزدادون بها	وكانت بلاد اليونان تزداد قوة
٢١	١١	قوة ومهذبا	ومهذبا
٢٣	١١	يونان	يونان
٢٣	١٦	سيراكوز في جزيرة سيسيليا	سيراكوز في جزيرة صقلية
٢٧	١٨	يونان	اليونان
٢٧	٥٦	فاقام قورش ابن اخيه	فاقام قائداً على جيشه قورش ابن
٢٧	٥٦	مندان قائداً على جيشه	اخيه مندان امراء كيمس ملك
٢٩	٥٢	اعفلها	الفرس
٣٠	٢١	بل	اعفلها
٣٤	١٦	هرذا	بابل
٣٤	٢٦	حافظها	بيوتها
٣٤	٢٦	حافظها	حافظها

٤٣

* ٢٢٦ *

جنودهم ان يصيروا مستولين على المملكة وخلفائهم وقصارى الامر ان ليست سلطة بشرية الا نخدم كرها لمقاصد غير مقاصدها والله وحده يصنع ما يشاء ولهذا اذا تعمدنا الاثبات الخاصة بتبين لنا ان كل شيء عجيب ومع ذلك فان الامور تتواتر بتسلسل وتبين لك ذلك خطابنا هذا. وبكذلك غير مكررين ما فيها بوعن غير مالك ان تنظر في تسلسل الحوادث التي طرأت في الدولة الرومانية وحدها من عهد روميلوس الى عهد كارلوس الكبير. ولربما تخال اني اود اطالة الكلام عن شعب فرنسا وكارلوس الكبير الذي شاد المملكة الرومانية المجددة. ففضلاً على ان تاريخ كارلوس الكبير قسم من تاريخ فرنسا الذي باشرت تأليفه انت نفسك وقد قدمت فيه كثيراً فاني اني ذلك الى تاريخ آخر اقوم بتأليفه اذ به اكون منسجراً على ان اتكلم عن فرنسا وعن هذا المظفر الذي ضارب بيسالتيوكل الذين اشتهروا في الاجيال الدائرة بل قد فاقهم بقاء وحكمته وعداوي يظهر لك ذلك على فائحين آخرين وان هذه المملكة التي نشأت قبل كارلوس بما يتي سنة ترى لما في خطاني محلاً ايسر فيه كلاماً عنها وقد ظننت ان من الخلق ان ابدي لك بتسلسل واحد ابتداءه وانقطاعه. وعليه فلم يبق شيء اتكلم عنه في القسم الاول من التاريخ العام فوفقت الان على اسراره واصبحت ملاحظات تسلسل الديانة والممالك العظمى حتى كارلوس العظمى منوطه بهدتك فانك تراها منقطة بذاتها والديانة قائمة بقوتها الخاصة وتعلم حيث تدبر ما في العظة الخاتمة وعلى اي اسم يهي الرجل الحكيم آماله

تم





٢٢٨			
وجه	سطر	خطا	صواب
٠٣٥	١٢	امانوها	امانوها
٠٤٧	١٧	ماليكوس... السلويسين	سلوقوس... السلويسين
٠٦٢	٠٩	فرصة	فرصة
٠٦٢	١٢	خوض المامع	خوض المامع سنة ٨٦
٠٦٤	٠٤	العدد	العدد
٠٠٠	١٢	كانتلا	كانتلا
٠٦٩	٢٠	لولان اغنياق الخدرة	لان اغنياق الخدرة وصبايه لم
٠٧٣	١٨	فكاشحه لداسيوس الذي	فكاشحه لداسيوس واهرق دمه
٠٠٠	٢٠	بدرعها الملك داس	اما الملك داسيوس الذي كان يقم
٠٠٠	٢٢	النائب الدامسة	بناصر الملكة
٠٠٠	٢٢	فلم يلبها عن الانفاع بالبيعة	فكانت مدة ملكها بسيرة
٠٧٤	٠٤	سباليوس	سباليوس
٠٠٠	٢٤	زوبا	زوبا
٠٧٥	٠٢	السوداقي	السيساقي
٠٠٠	٢٢	القديم	القديم
٠٨٢	٢٢	ارغم ان يكون حاجدا	ارغم ان يلاين الاراطنة
٠٨٥	٠٦	٢٨٠٦	٢٨٠٦
٠٠٠	٠٧	لانتانوس	والنتانوس
٠٠٠	١١	لنسا	لنسا
٠٨٦	٠٧	العيب	الغضب والمدة
٠٠٠	١٤	الفولفات	الفولفات اي السائرة او العامة
٠٩١	٠٩	البوان توكسان	البون او كدين اي البحر الاسود

٢٢٩			
وجه	سطر	خطا	صواب
٠٠٠	١٤	الانثوخيون	الاولاخيون
٠٩٢	٠٧	القدس	القدس
٠٠٠	١٥	يقال حوستينوس	يقال له بومستينوس
٠٩٨	١٢	الى مصعب الفولغا	حيث مصعب نهر الفولغا
١٠١	١٠	الناباب	الناباب
١٠٢	٠٧	مارلوس	مارلوس
٠٠٠	١٤	كبرونيم	كبرونيم اي الزيل
١٠٣	٠٨	مارناس	مارناس
١١١	١٤	وانه المحرك الاول الذي	والمحرك الاول للذين كان يعرفها
٠٠٠	٢٢	الانسا	الان
١١٧	٢٢	العباب	العباب
١٢١	٠٣	لغتهم السجاف الاولى	لغتهم الاولى السجاف
١٤١	١٢	موسى (الثانية)	شليم
٠٠٠	٢٥	الصندل	الارز
١٤٥	٠٢	الشعوب	الشعوب
١٤٩	٠٢	سله	وسله
٠٠٠	١٢	الهم	اليه
١٥٠	٠٩	لضغب	لضغب
١٥١	٠٥	اسكون	عسقلون
١٥٩	٠٢	ومفرغا	ومفرغا
١٦٢	١٨	اللاغيد بون... والسلاسيون	اللاغيد بون... والسلاسيون
١٦٦	٢٦	بيوتا	بيوتا
١٦٧	٢٠	واليونانية	اليونانية
١٦٩	٢٥	يعني وجودها	يعبر وجودها



٢٤٠			
وجه	سطر	خطا	صواب
١٧١	٢٦	لدى تناضل على الكهنوت	اذ تناضل على الكهنوت الذي...
١٧٤	٠٢	نمريض	هركان واريمتويل
...	٢٦	لا وزن له ولا ينطق به	ابراه
		بوزن	لا مقياس لما هو حاصل عليه ويته
١٧٦	١٠	والى	بقياس
١٧٩	١٧	غير متناظر	الوالى
١٨١	١٠	بعضه	غير متساو
١٨٤	١٥	لا	بفضه
١٨٩	٢٠	الدين	الا
١٩٣	١٤	بطرس	للدن
...	١٧	الشعبه	بولس
١٩٥	٢٠	الرسيل خلفائهم	اشعياء
١٩٩	١٧	تزوجا (الثانية)	الرسيل خلفائهم
٢٠١	١٣	تيجوس	تزوجن
٢٠٥	١٢	التي ترضع	طيطوس وكذا بعد
٢٠٨	٠٨	الماجسياني	التي لا ترضع
٢٢٥	٠٧	كله المالكين	الساحر
...	٠٩	العلاء	كله الصليب عند المالكين
٢٢٧	١٥	لباخوس	العلاء
٢٢٢	٢٦	ان	ليخوس وكذا بعد
٢٢٦	٠٨	سالى	انه
...	١٨	انه الانبياء	شلموس
...	٢١	وان رغبت	انه الانبياء
٢٢٧	٠٨	معا	ومن يرغب
			من

٢٤١			
وجه	سطر	خطا	صواب
...	٢٥	موضوع	موضع
٢٢٨	٢١	فقط من	فقط بل من
٢٤٠	٠٢	بها	به
٢٤١	٠٧	المارسيونيت	تباع مرشون او مرقون وكذا في عمل
			اخر
...	٠٩	السموذاقي	السموذاقي
...	١٤	الساليون والبولانيحت	الساليون والبولانيون
٢٤٣	٠٢	الاقوات	الاقوات
٢٤٤	٠٩	السيل عمل	كنس السيلات تباد
...	٢٣	لان	وعن
٢٤٥	١٥	الانبياء	الانبياء
٢٤٥	٢٣	الصحن	الصحن
٢٤٦	٢٤	مارسيوس ومانس	ماركيون وماني
٢٤٩	١١	صورة المقييد	صورة المذبح المشيد
...	١٢	في الشريعة حيارب	في الشريعة التي حيا الرب اسرائيل
		اسرائيل به	بها
٢٥٠	٢٠	انها داخلة ضمن الاسفار	انها تتم جرم الاسفار ولا يلزم الاتصاف
		هكذا متهربين ان يقتضي	هنا الاسفار حتى يتسهل لا التكدب
		ان لا يكونوا قد تصفوها	بها بل ايجاد كل ما يكره المحدثون
		اذ لا يتسهل عليهم ان	وجوده فيها واذا السلنا بكل ما يقولون
		بانها ايضا هي بان	فيستمر بلا مناص اصل هذه الاسفار
		يصفوها امورا لا يود	الميا
		المحدثون ان يروها فيها ولو	
		منها كل ما يطلبونه	
٢٥٥	٠١	وهل... كتاب كان	فهل... كتاب آيا كان



٢٤٢			
وجه	سطر	خطا	صواب
٢٥٦	٠٢	يعبرها	يعبره
٢٥٨	٠٦	قبل	بعد
٢٦٠	١٥	الكامل	الكاهن
٠٠٠	١٧	موتها	موتها
٢٦١	٠١	يوشيا الا	يوشيا ان هو الا
٢٦١	٠٢	الحرب	الرب
٢٦٢	١٢	الا بان يعرضه على	من ان يجعله عرضة لشهادة الحواس
٢٦٤	٠٢	انذر بالآء... الاجتهاد	وعد بالآء... الاضطهاد
٢٦٥	٠٨	فكيف يتقدمه ويكرمه	فكيف يناف ان يعلمه طريفة
٢٦٦	٤	عليه	عليها
٠٠٠	١٣	لها	له
٠٠٠	٢٤	يأنيه	ينيه
٢٦٩	٠٦	لا يتجدي	يحمدي
٢٧٠	٠٧	رويام	روياؤه
٢٧٢	١٥	اهالهم	اهواهم
٢٧٣	١٧	اهملت	واهمت
٠٠٠	٢٤	ان ذلك هو الذي استدرك	ان الغالب هو من استدرك
٢٧٤	٠١	هي مربية في النهاية	هي ما جعله رابجا في النهاية
٠٠٠	٠٨	باخوس وهرقل	بغوس وهرقل ابن المشتري
٢٧٥	٠٢	زمان	زمان
٠٠٠	١٦	الرعية	الرغبة
٢٨٤	٠٨	ان يتروى	ان يتروى
٢٨٥	٠٦	رم	لم

٢٤٣			
وجه	سطر	خطا	صواب
٢٨٦	٢٦	لانه البلاد قمع	لانه قمع البلاد
٢٨٧	١٢	واعلت بكتبات	واعان بكتابات
٠٠٠	١٧	اعدت لالاعال	اعدت لالاعال
٢٩٠	٠٦	احرزت في المطامع الموطه	احرزت المطامع الموطه غالبا
٢٩٢	١٧	الذين	الذين
٢٩٣	٠١	الغالي	الغالي
٠٠٠	٠٢	المخدرات	المخدرات
٢٩٥	٢٤	ترتهم	ترتهم
٢٩٦	٢٠	يرتكون	يرتكون
٢٩٧	٢٥	الجسد يد	الجسدية
٣٠٠	٠٧	الحربة	الحربية
٠٠٠	٢٢	شعرت... خسراها	شعروا... خسراهم
٣٠١	٠٢	اسرار الماسية	اسرار سياستهم
٣٠٢	٠٦	اللاسور يونيون	اللاسيد يونيون اي السبريون
٠٠٠	١٢	تستمر منهنعت	يستمر منهنعت
٣٠٧	١١	تتليف	تيطوس ليفيوس
٣٠٨	٠٤	بجيد	بجيد
٣١٠	٠٢	الحركات	الحركات
٣١١	٠٩	بنيا	بنيا
٠٠٠	١٨	في الخبير العام	في الخبير العام أكثر منه
٣١٢	٠٢	معلوما	محفوظا
٠٠٠	٣٠	الذين فازوا بالنصر فان	الذين انتصر الرومانيون عليهم
٠٠٠	٠٢	رومية لم تناس ولم تكن	لكنهم كانوا ياملون الاخذ بنارهم
٠٠٠	٠٢	عجرا عما من ان تاخذ بنارها	اذ كان



٢٤٤

وجه	سطر	خطا	صواب
٢١٤	٠٤	مدينة	مدينة اريسي
٢١٥	٢١	عواصف	عواطف
٢١٨	٠٥	منهكون	منهكين
...	٢١	مجموع	مجموع
٢٢٠	٠٩	تيفيف	تيفوس ليفوس
٢٢٤	٠٩	انه غير منفصل	انها غير منفصلة
٢٢٥	٠٦	بعض التي	بعض الحوادث التي
٢٢٦	١٩	ينظر	ينظر
٢٢٧	٠١	اذى	اذى
٢٢٩	١٢	وقد كان ليصراذ	وقد كان ليصراذ
...	١٤	ذالك حتى انخذ آل	حتى انخذ اعداء يته ومانزعيه مساعد بن
		بيتة اعداه ومانزعيه	على تنعيم
٢٣١	٠١	القتال ...	حبا تنعيم
		والوازيقوط	البندالة والوازيقوط اي الفطط الغريبن
			وبعدها الاسطرغوث اسب الفطط
			الشرقيون
...	١٢	الثاني والمائة	الثمانية
٢٣٢	٠٢	الباعث	الباعث
٢٣٣	٠٧	تخطها	تخطها
٢٣٤	٠٥	كتسليها	كاتسليها



